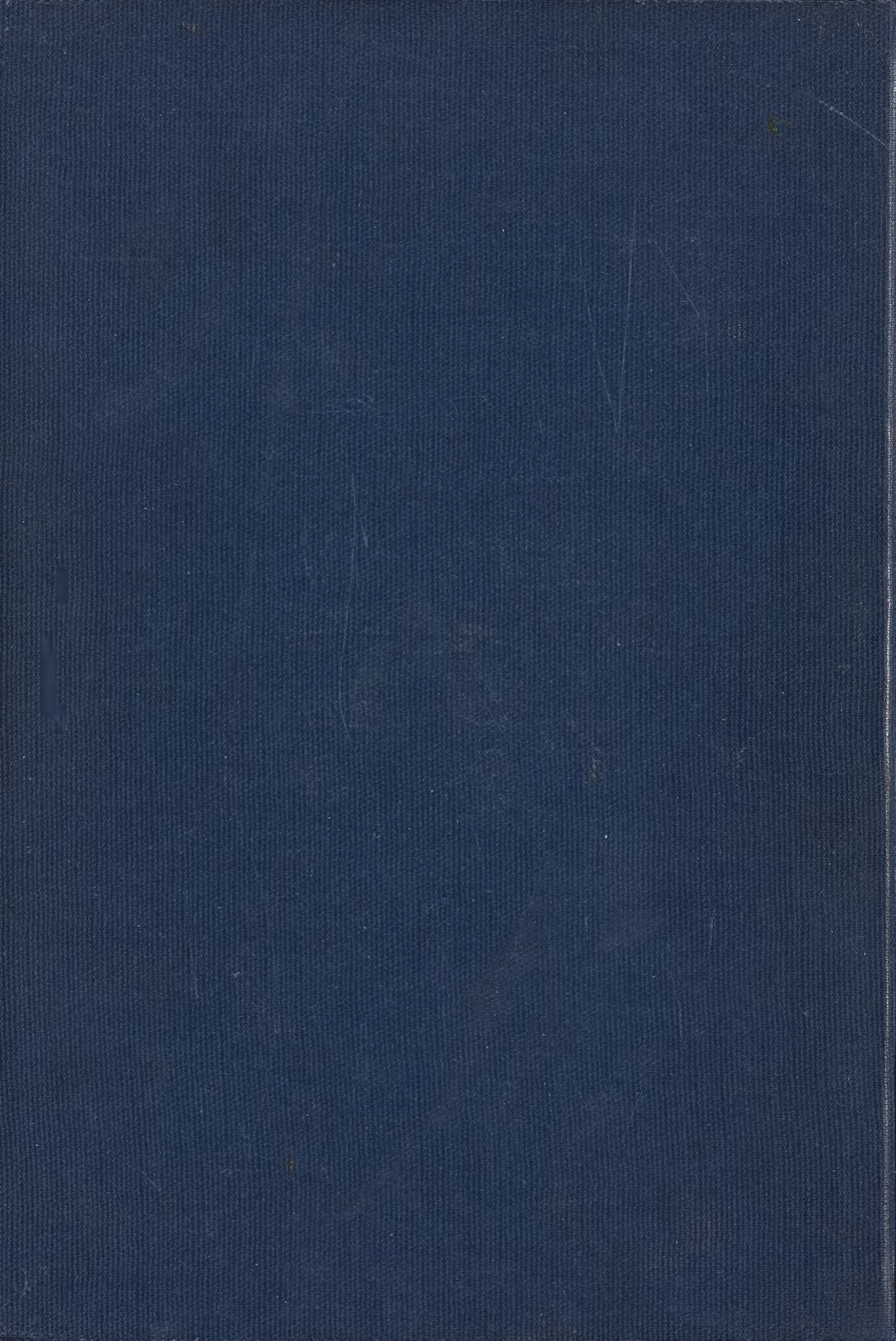
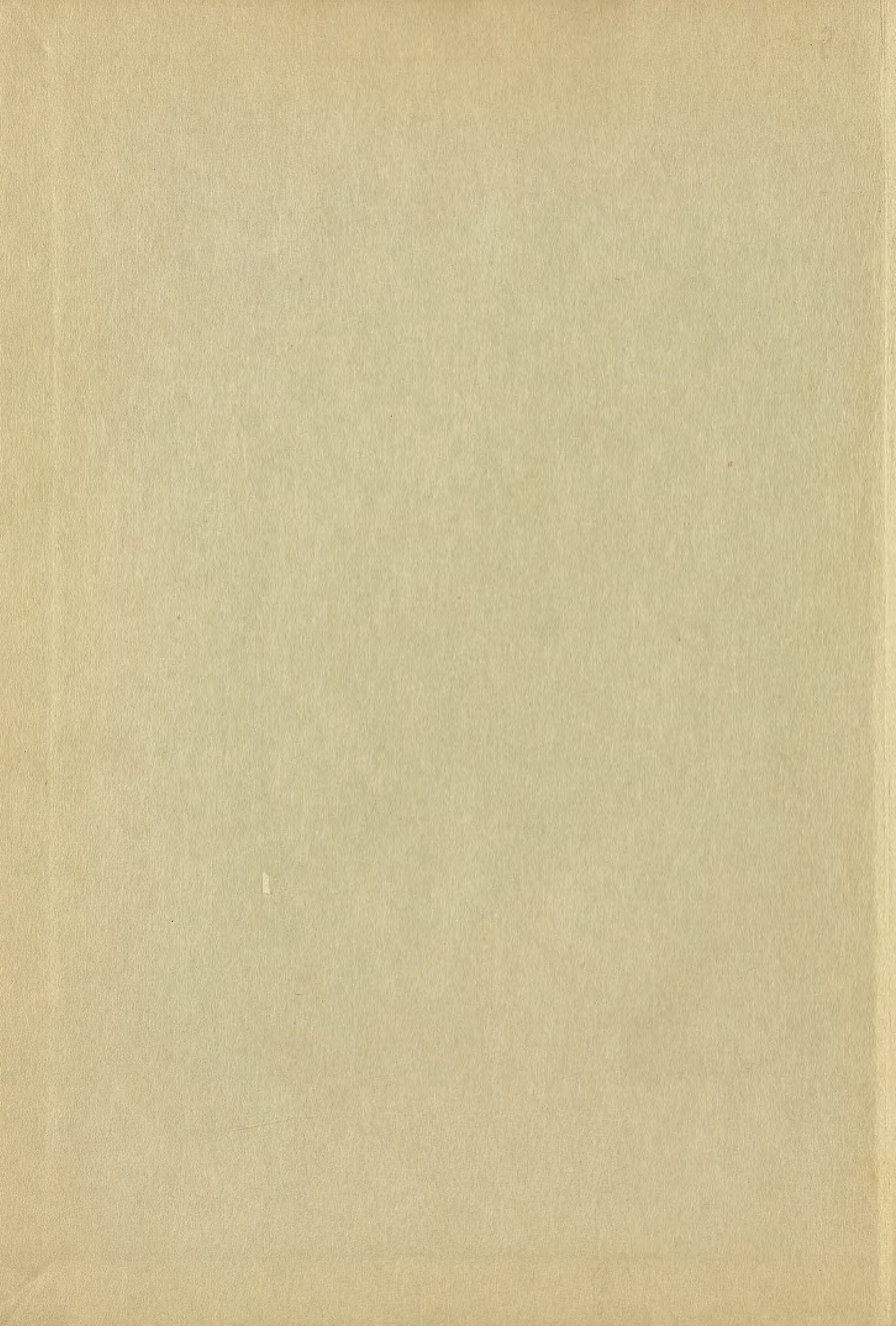
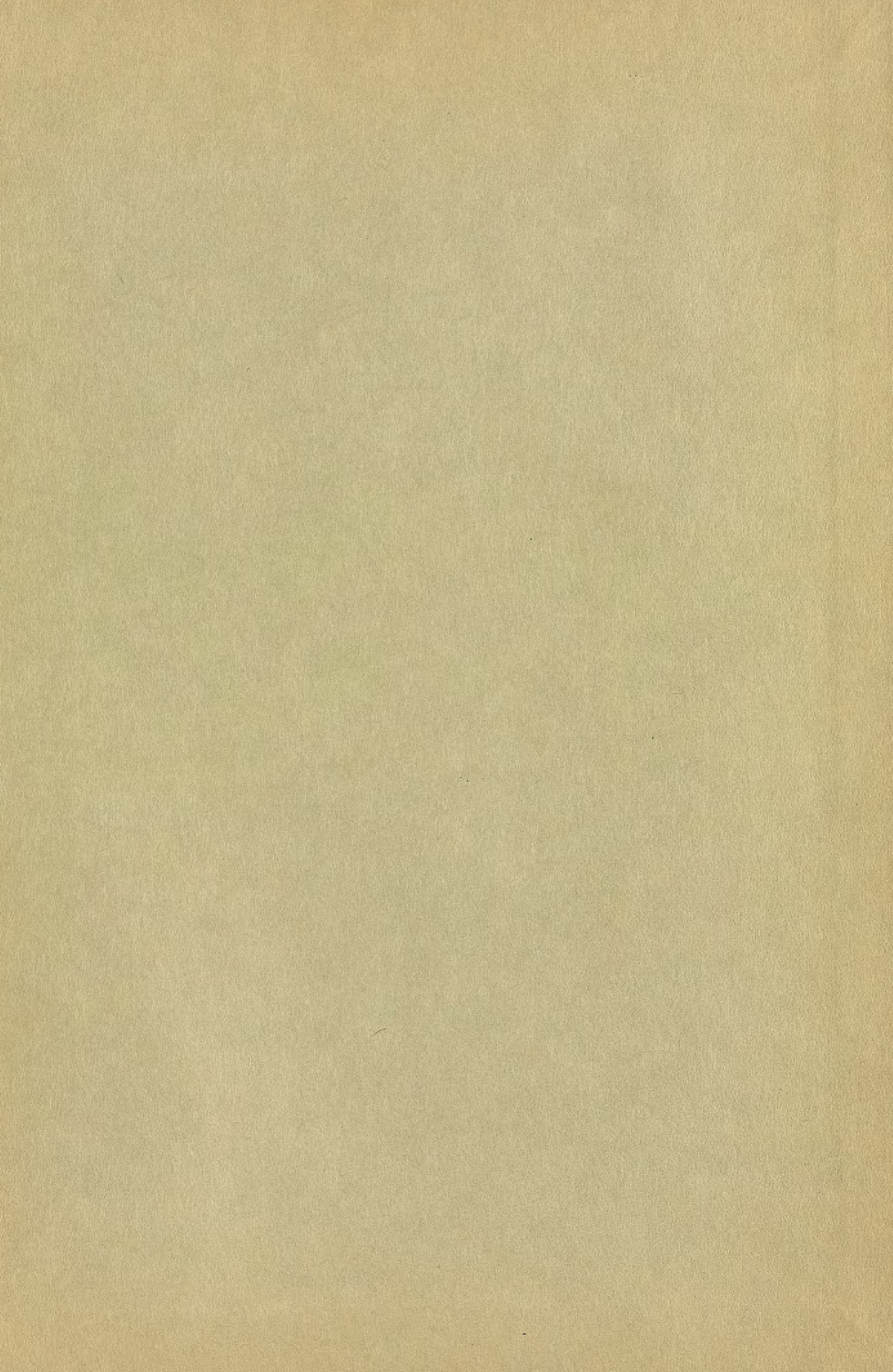
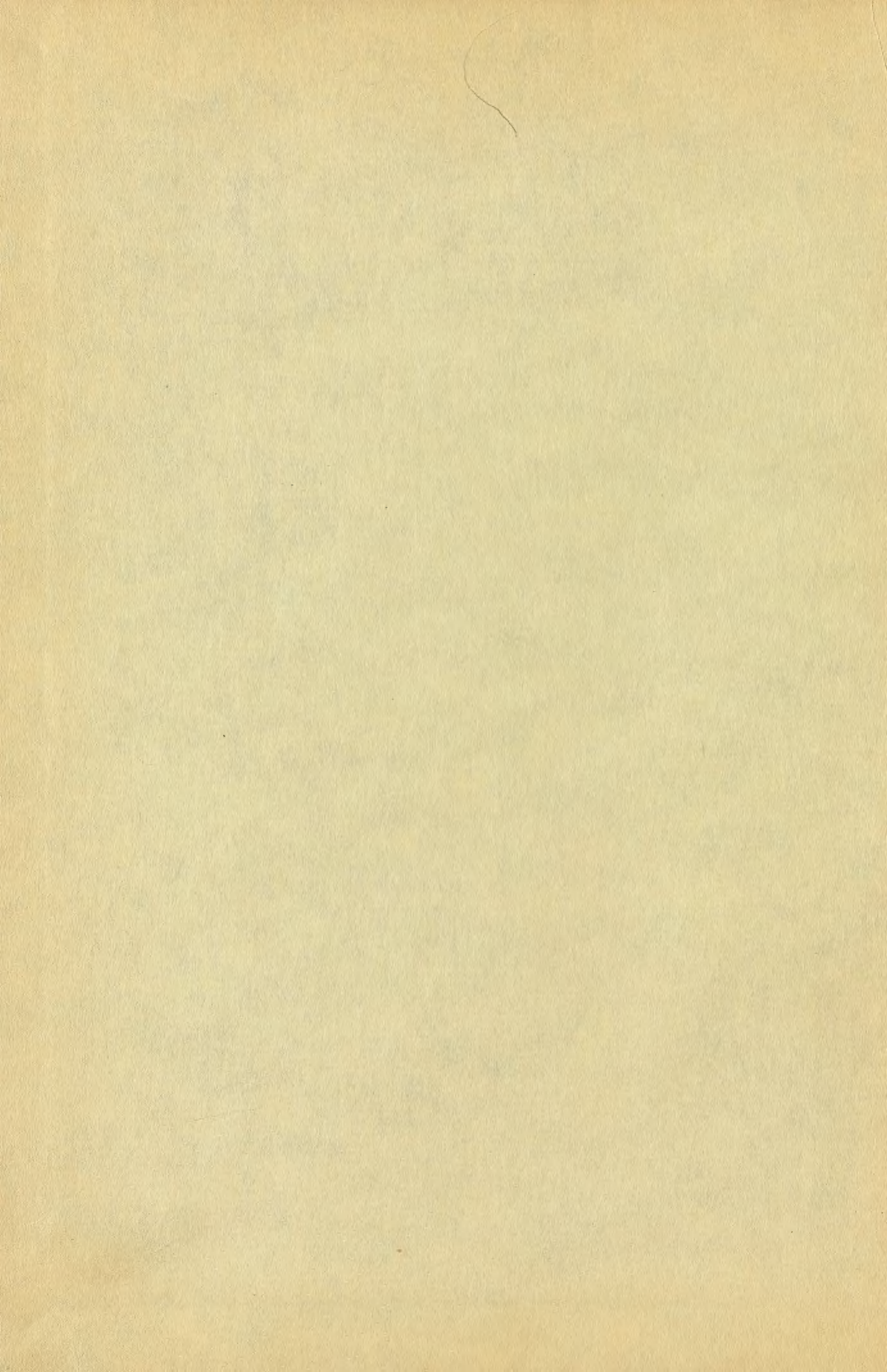
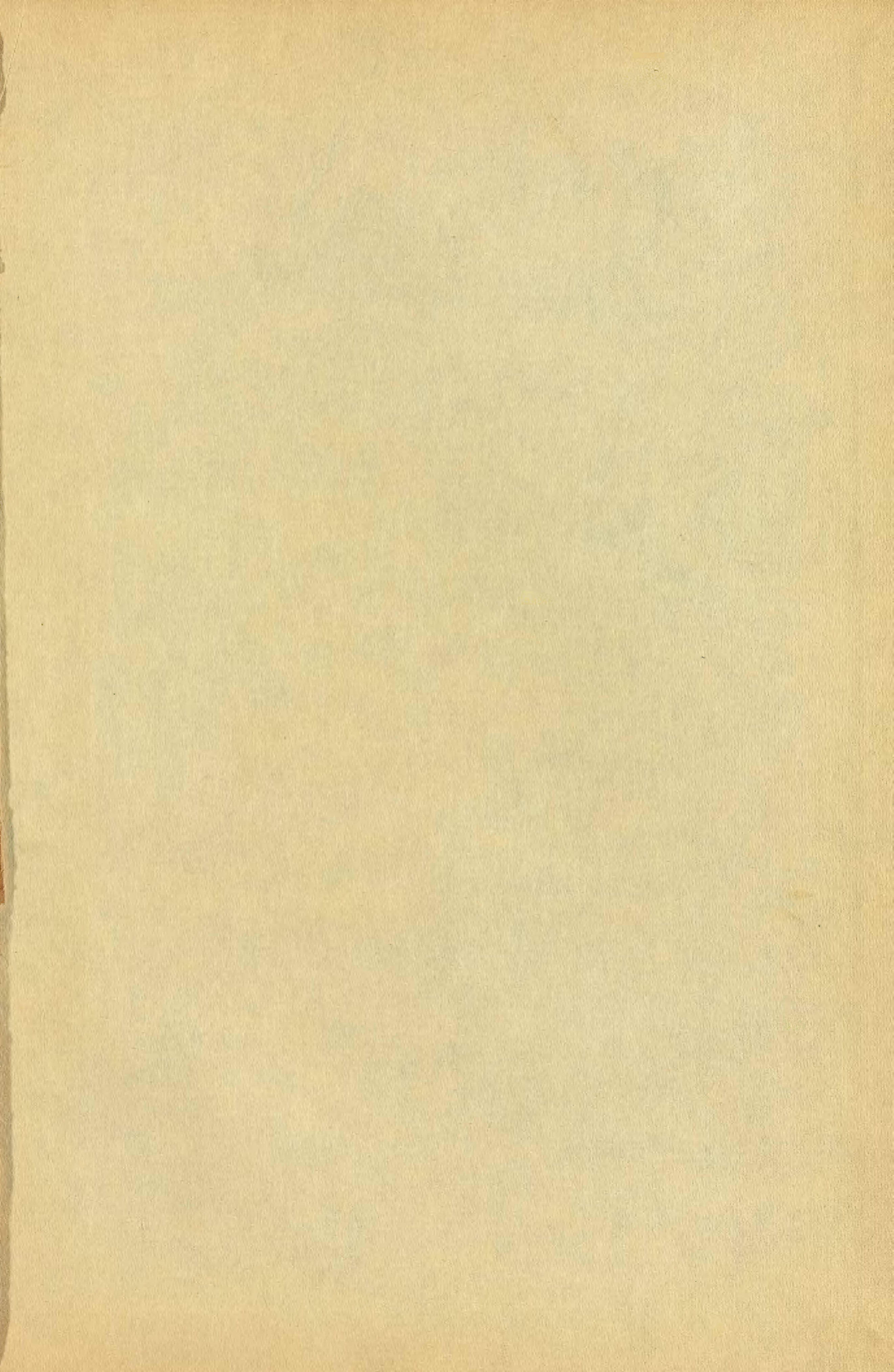


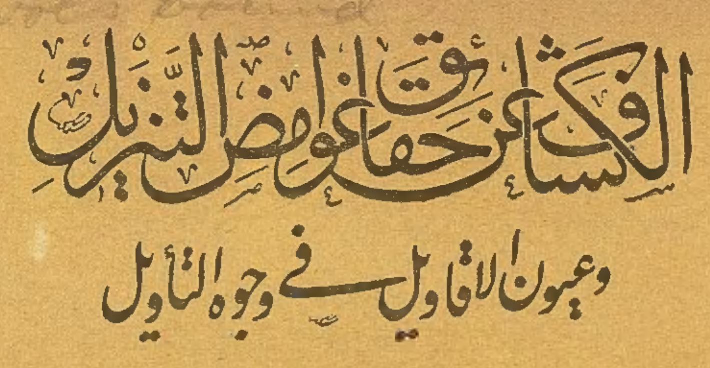

IN LVMINE TVO VIDEBIMVS LVMEN
SIGILLVM · COLLEGII · COLVMBIAE · NOVI · EBORACI











الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل

وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

وهو تفسير القرآن الكريم : للإمام محمود بن عمر الزمخشرى

المتوفى سنة ٥٢٨ هـ

وبذيله كتابان جليلان : الأول : كتاب الانتصاف للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الاسكندرى المالكى قاضى الاسكندرية المتوفى سنة ٦٨٣ هـ وقد بين فيه ما تضمنه الكشاف من الاعتزال وناقشه فى أعاريب وأحسن الجدال مع حسن الإيجاز

الثانى : حاشية جليلة المقدار للعالم العلامة الأستاذ الفاضل الشيخ محمد عليان المرزوقى الشافعى من أكابر علماء الأزهر . وهى تتضمن التنبيه على ما بالكشاف من الاعتزال وبيان عقائد أهل السنة فيها . وحل الألفاظ اللغوية الغريبة الاستعمال

﴿ تنبيه ﴾ قد جعلنا القرآن الكريم بأعلى الصفحة . وتحته تفسير الكشاف وتحته كتاب الانتصاف . وفى أسفل الصفحة حاشية الأستاذ الشيخ محمد عليان . فليتنبه القارئ لذلك

الجزء الأول

قوبلت هذه الطبعة على جملة نسخ مطبوعة أفرنجية ونسخة خطية بمعرفة لجنة من أفاضل العلماء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هجرية

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفاً منظما ، ونزله بحسب المصالح منجما ، وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتما وأوحاه على قسمين متشابهاً ومحكماً ، وفصله سوراً وسوّره آيات ، وميز بينهن بفصول وغايات ، وماهى إلا صفات مبتدئ مبتدع ، وسمات منشئ مخترع ، فسبحان من استأثر بالأولية والقدم ، ووسم كل شىء سواه بالحدوث عن العدم ، أنشأه كتابا ساطعاً تبيانه ، قاطعاً برهانه ، وحياً ناطقاً ببينات وحجج ، قرآناً عربياً غير ذى عوج ، مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية ، مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية ، معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان ، دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان فى كل مكان ، أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء ، وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء ، فلم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم ، على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء ، وأوفر عدداً من رمال الدهناء ، ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط فى المضادّة والمضارّة ، وإلقائهم الشراشر على المعازّة والمعارّة ، ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط ، وركوبهم فى كل مايرومونه الشطط ، إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر ، وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر ، وقد جرّد لهم الحجة أولا والسيف آخراً فلم يعارضوا إلا السيف وحده على أنّ السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حدّه فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أنّ البحر قد زخر فطمّ على الكواكب ، وأنّ الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب ، والصلاة على خير من أوحى إليه حبيب الله أبى القاسم ، محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم ، ذى اللواء المرفوع فى بنى لؤى وذى الفرع المنيف فى عبدمناف بن قصى ، المثبت بالعصمة ، المؤيد بالحكمة ، الشادخ الغرّة الواضح التحجيل ، النبىّ الأمىّ المكتوب فى التوراة والإنجيل ، وعلى آله الأطهار ، وخلفائه من الأختان والأصهار ، وعلى جميع المهاجرين والأنصار

* اعلم أنّ متن كلّ علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية ، وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية ، إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطا يسيرة أو تقدّم الصانع الصانع لم يتقدّمه إلا بمسافة قصيرة وإنما الذى تباينت فيه

قال الأستاذ العالم العلامة الشيخ محمد عليان المرزوقى [illegible] ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه ، وبعد فمن المعلوم أنّ تفسير العلامة الزمخشرى قد بلغ الغاية فى البيان ، والكشف عن أسرار القرآن ، لكن قد حجب الراغبين فيه عن مدارسته ، وحرمهم عن كثرة ممارسته ما اشتمل عليه من تأويل الآيات الواردة فى المسائل التوحيدية ، بمذهب المعتزلة دون مذهب أهل السنة وكثرة تعبيره فيه بغريب اللغة العربية ، فدعانى ذلك إلى التنبيه على مذهب أهل السنة فى جميع تلك الآيات موافقاً لما تقرر فى كتب التوحيد وبيان جميع الكلمات اللغوية الغريبه الاستعمال مستنداً لما فى صحاح الجوهرى حتى تبرأ عيون ذلك التفسير من الغشاوتين ويأمن الناظر فيه اللبس والرين فى كلمات قليلة ومعان جزيلة فقلت وعلى الله توكلت :

(قوله ولم ينبض) أى يتحرك كما فى الصحاح (قوله الشراشر) فى الصحاح الشراشر الأثقال الواحدة شرشرة يقال ألقى عليه شراشره حرصاً ومحبة وفيه العرارة شدّة الحرب واسمه للسودد (قوله فطمّ على الكواكب) فى الصحاح الكوكب النجم وكوكب الشىء معظمه وكوكب الروضة نورها والمعنى الأخير هو المراد هنا والأول هو ما يأتى (قوله الشادخ الغرّة) فى الصحاح شدخت الغرة إذا اتسعت

الرتب ، وتحاككت فيه الركب ، ووقع فيه الاستباق والتناضل ، وعظم فيه التفاوت والتفاضل ، حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد ، وترقى إلى أن عد ألف بواحد ، مافى العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ، ومن غوامض أسرار ، محتجبة وراء أستار ، لايكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم ، وأخصهم وإلا واسطتهم وخصهم ، وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم ، عناة فى يد التقليد لايمن عليهم بجز نواصيهم وإطلاقهم * ثم إن أملأ العلوم بمايغمر القرائح ، وأنهضها بمايبهر الألباب القوارح ، من غرائب نكت يلطف مسلكها ، ومستودعات أسرار يدق سلكها ، علم التفسير الذى لايتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذى علم كما ذكر الجاحظ فى كتاب نظم القرآن ، فالفقيه وإن برز على الأقران ، فى علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا فى صناعة الكلام ، وحافظ القصص والأخبار ، وإن كان من ابن القرية أحفظ ، والواعظ وإن كان من الحسن البصرى أوعظ ، والنحوى وإن كان أنحى من سيبويه ، واللغوى وإن علك اللغات بقوة لحييه ، لايتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شىء من تلك الحقائق ، إلا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعانى وعلم البيان ، وتمهل فى ارتيادهما آونة ، وتعب فى التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همة فى معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ ، جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ ، كثير المطالعات ، طويل المراجعات ، قد رجع زمانا ورجع إليه ، ورد ورد عليه ، فارسا فى علم الإعراب ، مقدما فى حملة الكتاب ، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة وقادها ، يقظان النفس دراكا للمحة وإن لطف شأنها ، منتبها على الرمزة وإن خفى مكانها ، لاكزا جاسيا ، ولا غليظا جافيا ، متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر ، مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر ، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف ، وكيف ينظم ويرصف ، طالما دفع إلى مضايقه ، ووقع فى مداحضه ومزالقه ، (ولقد رأيت) إخواننا فى الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية ، الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية ، كلما رجعوا إلى فى تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب ، أفاضوا فى الاستحسان والتعجب ، واستطيروا شوقا إلى مصنف يضم أطرافا من ذلك حتى اجتمعوا إلى مقترحين أن أملى عليهم الكشف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، فى وجوه التأويل ، فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذى حدانى على الاستعفاء على علمى أنهم طلبوا ما الإجابة إليه على واجبة لأن الخوض فيه كفرض العين مارأى عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم فضلا أن تترقى إلى الكلام المؤسس على علمى المعانى والبيان فأمليت عليهم مسألة فى الفواتح وطائفة من الكلام فى حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والأذناب وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والإناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت فى مجتازى بكل بلد من فيه مسكة من أهلها وقليل ماهم عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك المملى متطلعين إلى إيناسه حراصا على اقتباسه فهز مارأيت من عطفى وحرك الساكن من نشاطى فلما حططت الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الأمير الشريف الإمام شرف آل رسول الله أبى الحسن على بن حمزة بن وهاس أدام الله مجده وهو النكتة والشامة فى بنى الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم أعطش الناس كبداً وألهبهم حشى وأوفاهم رغبة حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه فى مدة غيبتى عن الحجاز مع تزاحم ماهو فيه من المشادة بقطع الفيافى وطى المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل إلى إصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت على المستعفى الحيل وعيت به العلل ورأيتنى قد أخذت منى السن وتقعقع الشن

(قوله بمايبهر الألباب القوارح) فى الصحاح قرح الحافر قروحا إذا انتهت أسنانه وكل ذى حافر يقرح وكل ذى خف يبزل (قوله غير ريض) فى الصحاح ناقة ريض أول ماريضت وهى صعبة بعد (قوله من أفاضل الفئة الناجية) هى التى سماها أهل السنة بالمعتزلة فقوله إخواننا فى الدين يقتضى أنه من المعتزلة ولذا تراه فى مسائل الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة يقول بقول المعتزلة فإذا كان ظاهر الآية يوافقهم أبقاها على ظاهرها وإذا كان يخالفهم صرفها عن ظاهرها إلى معنى

﴿ســورة الفاتحة : مكية : وآياتها سبع﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدّد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة وماهي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة أفيضت عليّ من بركات هذا الحرم المعظم أسأل الله أن يجعل ماتعبت فيه منه سببا ينجيني ونوراً لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤل

سورة فاتحة الكتاب

مكية وقيل مكية ومدنية لأنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى وتسمى أمّ القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو أهله ومن التعبد بالأمر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لأنها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة لأنها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق إلا أنّ منهم من عد أنعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس (بسم الله الرحمن الرحيم) قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أنّ التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل أمر ذي بال وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لايجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله ولذلك يجهرون بها وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى (فان قلت) بم تعلقت الباء (قلت) بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ وأتلو لأنّ الذي يتلو التسمية مقروء كما أنّ المسافر إذا حلّ أو ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ماجعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عزّ وجلّ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قال محمود رحمه الله تعالى الباء في البسملة تتعلق بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ وأتلو) قال أحمد رحمه الله تعالى الذي يقدره النحاة أبتدئ وهو المختار لوجوه الأول إن فعل الابتداء يصح تقديره في كل بسملة ابتدئ بها فعل مامن الأفعال خلاف فعل القراءة والعام صحة تقديره أولى أن يقدر ألا تراهم يقدرون متعلق الجار الواقع خبراً أوصفة أوصلة أوحالا بالكون والاستقرار حيث ماوقع ويؤثرونه لعموم صحة تقديره والثاني أنّ تقدير فعل الابتداء مستقل بالغرض من البسملة إذ الغرض منها أن تقع مبدأ فتقدير فعل الابتداء أوقع بالمحل وأنت إذا قدرت أقرأ فإنما تعنى أبتدئ القراءة والواقع في أثناء التلاوة قراءة أيضا لكن البسملة غير مشروعة في غير الابتداء ومنها ظهور فعل الابتداء في قوله تعالى اقرأ باسم ربك وقال عليه السلام كل أمر خطير ذي بال لايبدأ فيه باسم الله فهو أبتر ولا يعارض هذا ماذكره من ظهور فعل القراءة في قوله تعالى اقرأ باسم ربك فإن فعل القراءة إنما ظهر ثم لأنّ الأهم هو القراءة غير منظور إلى الابتداء بها ألا ترى إلى تقدم الفعل فيها على متعلقه لأنه الأهم ولا كذلك في البسملة فإنّ الفعل المقدر كائنا ماكان إنما يقدر بعدها ولو قدر قبل الاسم لفات الغرض من قصد الابتداء إذاً على أنه الأهم في البسملة فوجب تقديره وسيأتي

يوافقهم عفى الله عنه (قوله والفحص عن السرائر) لعله الشرائد أو الشدائد

فى تسع آيات إلى فرعون وقومه أى اذهب فى تسع آيات وكذلك قول العرب فى الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الأعرابى باليمن والبركة بمعنى أعرست أو نكحت ومنه قوله فقلت إلى الطعام فقال منهم * فريق تحسد الإنس الطعاما (فإن قلت) لم قدرت المحذوف متأخراً (قلت) لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لأنهم كانوا يبدؤن بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عزّ وجلّ بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل فى قوله إياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها (فإن قلت) فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل (قلت) هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم (فإن قلت) مامعنى تعلق اسم الله بالقراءة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة فى قولك كتبت بالقلم على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لايجىء معتدا به فى الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه الصلاة والسلام كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثانى أن يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات فى قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا بسم الله اقرأ وكذلك قول الداعى للمعرس بالرفاء والبنين معناه أعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن (فإن قلت) فكيف قال الله تبارك وتعالى متبركا باسم الله أقرأ (قلت) هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين إلى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه (فإن قلت) من حق حروف المعانى التى جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التى هى أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر (قلت) أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم أحد الأسماء العشرة التى بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن إذ كان دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة وإذا وقعت فى الدرج لم تفتقر إلى زيادة شىء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال * باسم الذى فى كل سورة سمه * وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمى وسميت واشتقاقه من السمو لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الأعلى (فإن قلت) فلم حذفت الألف فى الخط وأثبتت فى قوله باسم ربك (قلت) قد اتبعوا فى حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذى عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الألف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه طول الباء وأظهر السنات ودور الميم

الكلام على هذه النكتة (قال محمود لم قدرت المحذوف متأخراً الخ) قال أحمد: لأنك لو ابتدأت بالفعل فى الفعل فى التقدير لما كان الاسم مبتدأ به فيفوت الغرض من التبرك باسم الله تعالى أول نطقك وأما إفادة التقديم الاختصاص ففيه نظر سيأتى إن شاء الله تعالى (قال محمود فإن قلت مامعنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة الخ) قال أحمد: وفى قوله إن اسم الله هو الذى صير فعله معتبراً شرعا حيد عن الحق المعتقد لأهل السنة فى قاعدتين أحدهما أن الاسم هو المسمى والأخرى أن فعل العبد موجود بقدرة الله تعالى لاغير فعلى هذا تكون الاستعانة باسم الله معناها اعتراف العبد فى أول فعله بأنه جار على يديه وهو محل له لاغير وأما وجود الفعل فيه فبالله تعالى أى بقدرته تسليما لله فى أول كل فعل والزمخشرى رحمه الله لايستطيع هذا التحقيق لاتباعه الهوى فى مخالفة القاعدتين المذكورتين فيعتقد أن اسم الله تعالى الذى هو التسمية معتبر فى شرعية الفعل لافى وجوده إذ وجوده على زعمه بقدرة العبد فعلى ذلك بنى كلامه * أقول دعواه أن عند أهل السنة الاسم غير المسمى ممنوعة وتحقيقه قد ذكر فى غير هذا الكتاب

(قوله تعلق الدهن بالانبات) هذا يناسب قراءة تنبت من أنبت الرباعى كما يأتى

و(الله) أصله الإله قال ٭ معاذ الإله أن تكون كظبية ٭ ونظيره الناس أصله الأناس قال ٭ إن المنايا يطلعـ ٭ ـن على الإناس الآمنين ٭ فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل فى النداء يا ألله بالقطع كما يقال يا إله والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس . اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر فى الاشتقاق من الناقة والحجر (فإن قلت) أاسم هو أم صفة (قلت) بل اسم غير صفة ألا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شىء إله كما لا تقول شىء رجل وتقول إله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وأيضا فإن صفاته تعالى لابد لها من موصوف تجرى عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال (فإن قلت) هل لهذا الاسم اشتقاق (قلت) معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحير ومن أخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تتحير فى معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح (فإن قلت) هل تفخم لامه (قلت) نعم قد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم وإطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابرا عن كابر . و (الرحمن) فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفى الرحمن من المبالغة ما ليس فى الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون إن الزيادة فى البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج فى الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على أذنى من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس فى ثقل محامل العراق فقلت فى طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقى فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف فزاد فى بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل فى غير الله عز وجل كما أن الله من الأسماء الغالبة وأما قول بنى حنيفة فى مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه ٭ وأنت غيث الورى لازلت رحمانا ٭ فباب من تعنتهم فى كفرهم (فإن قلت) كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا (قلت) أقيسه على أخواته من بابه أعنى نحو عطشان وغرثان وسكران فلا أصرفه (فإن قلت) قد شرط فى امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف (قلت) كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر

(قال محمود وفى الرحمن من المبالغة ما ليس فى الرحيم الخ) قال أحمد لا يتم الاستدلال بقصر البناء وطوله على نقصان المبالغة وتمامها ألا ترى بعض صيغ المبالغة كفعل أحد الأمثلة أقصر من فاعل الذى لا مبالغة فيه البتة وأما قولهم رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا فلا دلالة فيه أيضا على مبالغة رحمن بالنسبة إلى رحيم فإن حاصله أن الرحمة منه بالدلالة على إتمامها ألا ترى أن ضاربا لما كان أعم من ضراب كان ضراب أبلغ منه لخصوصه فلا يلزم إذا من خصوص رحيم أن يكون أقصر مبالغة من رحمن لعمومه (قال محمود رحمه الله تعالى فإن قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا الخ) قال أحمد ليت شعرى بعد امتناع فعلانة وفعلى ما الذى عين قياسه على عطشان دون ندمان مع أن قياسه على ندمان معتضد بالأصل فى الأسماء وهو الصرف أقول الذى عينه هو أن باب سكران وعطشان أكثر من باب ندمان وإذا احتمل أن يكون من كل واحد منهما فحمله على ما هو الأكثر أولى ولأن رحمن وعطشان مشتركان فى عدم وجود فعلانة بخلاف ندمان فلهذا كان حمله على عطشان أولى ثم قال وقد نقل غيره خلافا فى صرف رحمن مجردا من التعريف وبناه على تعيين العلة فى منع صرف عطشان هل هى وجود فعلى فيصرف رحمن أو امتناع فعلانة فيمتنع الصرف وهو أيضا نظر قاصر

(قوله فمختص بالمعبود) سيقول فى سورة إبراهيم أنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذى تحق له العبادة كما غلب النجم فى الثريا اه والجمهور على أنه علم شخصى بالوضع

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فإذاً لاعبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره (فإن قلت) مامعنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على مافيها (قلت) هو مجاز عن إنعامه على عباده لأنّ الملك إذا عطف على رعيته ورقّ لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه (فإن قلت) فلم قدم ماهو أبلغ من الوصفين على ماهو دونه والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض (قلت) لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول مادقّ منها ولطف ۝ الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على حسبه وشجاعته وأمّا الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة ۝ يدى ولسانى والضمير المحجبا

والحمد باللسان وحده فهو إحدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لم يحمده وإنما جعله رأس الشكر لأنّ ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدلّ على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب ومافى عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذى يفصح عن كلّ

وأتمّ منهما أن يقال امتنع صرف عطشان وفاقا وامتناع صرفه معلل بشبه زيادتيه بألفى التأنيث والشبه دائر على وجود فعلى وامتناع فعلانة فإمّا أن يجعل الأمران وصفى شبه بهما بمجموعهما مستقل أو كلّ واحد منهما مستقلا ببيان الشبه أو أحدهما دون الآخر على البدل فهذه أربع احتمالات فإن كان مقتضى الشبه المجموع أو وجود فعلى خاصة انصرف رحمن وإن كان كلّ واحد من الأمرين مستقلا أو الشبه بامتناع فعلانة خاصة منع رحمن من الصرف فلم يبق إلا تعيين مابه حصل الشبه فى عطشان بين زيادتيه وبين ألفى التأنيث من الاحتمالات الأربعة وعليه يبتنى الصرف وعدمه والتحقيق أن كل واحد من الأمرين المذكورين مستقل باقتضاء الشبه فيمتنع صرف رحمن لوجود إحدى العلتين المتعلقتين فى الشبه وهى امتناع فعلانة على هذا التقدير وإنما قلنا ذلك لأنّ امتناع فعلانة فيه حاصله امتناع دخول تاء التأنيث على زيادتيه كامتناع دخولها على ألفى التأنيث فحصل الشبه بهذا الوجه ووجود فعلى يحقق أنّ مذكره مختص ببناء ومؤنثه مختص ببناء آخر فيشبه أفعل وفعلى فى اختصاص كلّ واحد منهما ببناء غير الآخر فهذا وجه آخر من الشبه ومن تأمل كلام سيبويه فهم منه ماقررته (فإن قيل) حاصل ذلك مناسبة كلّ واحد من الأمرين المذكورين لاقتضاء الشبه فما الذى دلّ على استقلال كل واحد منهما علة فى الشبه وهلا كان المجموع علة وحينئذ ينصرف رحمن وهو أحد الاحتمالات الأربعة المتقدمة (قلت) امتناع صرف عمران العلم يدل على استقلال كل واحد من الأمرين بالشبه المانع من الصرف إذ عمران علماً لافعلى له وهو غير منصرف وفاقا أقول قد عثر ههنا رحمه الله وإنّ الجواد قد يعثر لأنّ اعتبار وجود فعلى أو انتفاء فعلانة إنما كان فى الصفة أمّا فى الاسم فشرطه العلمية لاوجود فعلى ولا انتفاء فعلانة (قال محمود رحمه الله فإن قلت وصف الله بالرحمة الخ) قال أحمد رحمه الله : فالرحمة على هذا من صفات الأفعال ولك أن تفسرها بإرادة الخير فيرجع إلى صفات الذات وكلا الأمرين قال به الأشعرية فى الرحمة وأمثالها مما لايصح إطلاقه باعتبار حقيقته اللغوية على الله تعالى فمنهم من صرفه إلى صفة الذات ومنهم من صرفه إلى صفة الفعل (قال محمود رحمه الله فإن قلت فلم قدم ماهو أبلغ من الوصفين على ماهو دونه الخ) قال أحمد رحمه الله : إنما كان القياس تقديم أدنى الوصفين لأنّ فى تقديم أعلاهما ثم الإرداف بأدناهما نوعا من التكرار إذ يلزم من حصول الأبلغ حصول الأدنى فذكره بعده غير مفيد ولا كذلك العكس فإنه ترق من الأدنى إلى مزيد بمزية الأعلى لم يتقدم مايستلزمه ولذلك كان هذا الترتيب خاصاً بالإثبات وأمّا النفى

خفى ويجلى كلّ مشتبه * والحمد نقيضه الذمّ والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذى هو لله وأصله النصب الذى هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التى تنصبها العرب بأفعال مضمرة فى معنى الإخبار كقولهم شكراً وكفراً وعجباً وما أشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى «قالوا سلاما قال سلام» رفع السلام الثانى للدلالة على أنّ ابراهيم عليه السلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأنّ الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدّده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمداً ولذلك قيل إياك نعبد وإياك نستعين لأنه بيان لحمدهم له كأنه قيل كيف تحمدون فقيل إياك نعبد (فإن قلت) مامعنى التعريف فيه (قلت) هو نحو التعريف فى إرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الإشارة إلى مايعرفه كل أحد من أنّ الحمد ماهو والعراك ماهو من بين أجناس الأفعال والاستغراق الذى يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصرى الحمد لله بكسر الدال لإتباعها اللام وقرأ إبراهيم بن أبى عبلة الحمد لله بضم اللام لإتباعها الدال والذى جسرهما على ذلك والإتباع إنما يكون فى كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالها مقترنتين وأشف القراءتين قراءة إبراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للإعرابية التى هى أقوى بخلاف قراءة الحسن * الرب المالك ومنه قول صفوان لأبى سفيان لأن يربنى رجل من قريش أحب إلىّ من أن يربنى رجل من هوزان تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب إلا فى الله وحده وهو فى غيره على التقييد بالإضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع إلى ربك إنه ربى أحسن مثواى وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كأنه قيل نحمد الله رب العالمين * العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ماعلم به الخالق من الأجسام والأعراض (فإن قلت) لم جمع (قلت) ليشمل كل جنس مما سمى به

فعلى عكسه تقدم فيه الأعلى تقول مافلان نحريراً ولا عالماً ولو عكست لوقعت فى التكرار إذ يلزم من نفى الأدنى عنه نفى الأعلى وكل ذلك مستمده فى عموم الأدنى وخصوص الأبلغ وإثبات الأخص يستلزم ثبوت الأعم ونفى الأعم يستلزم نفى الأخص

القول فى سورة الفاتحة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قال محمود رحمه الله الأصل فى الحمد النصب الخ) قال أحمد رحمه الله ولأنّ الرفع أثبت اختار سيبويه فى قول القائل رأيت زيداً فإذا له علم علم الفقهاء الرفع وفى مثل رأيت زيداً فإذا له صوت صوت حمار النصب والسر فى الفرق بين الرفع والنصب أنّ فى النصب إشعاراً بالفعل وفى صيغة الفعل إشعار بالتجدّد والطرق ولا كذلك الرفع فإنه إنما يستدعى اسما ذلك الاسم صفة ثابتة ألا ترى أنّ المقدر مع النصب نحمد الله الحمد ومع الرفع الحمد ثابت لله أو مستقر قال محمود رحمه الله: وتعريف الحمد نحو التعريف فى أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الخ) قال أحمد رحمه الله: تعريف التكرار باللام إما عهدى وإما جنسى والعهد إما أن ينصرف العهد فيه إلى فرد معين من أفراد الجنس باعتبار يميزه عن غيره من الأفراد كالتعريف فى نحو فعصى فرعون الرسول وإمّا أن ينصرف العهد فيه إلى الماهية باعتبار يميزها عن غيرها من الماهيات كالتعريف فى نحو أكلت الخبز وشربت الماء والجنسى هو الذى ينضم إليه شمول الآحاد نحو الرجل أفضل منَ المرأة وكلا نوعى العهد لا يوجب استغراقها وإنما يوجبه الجنسى خاصة فالزمخشرى جعل تعريف الحمد من النوع الثانى من نوعى العهد وإن كان قد عبر عنه بتعريف الجنس لعدم اعتنائه باصطلاح أصول الفقه وغير الزمخشرى جعله للجنس فقضى بإفادته لاستغراق جميع أنواع الحمد وليس ببعيد (قال محمود رحمه الله: العالم اسم لذوى العلم من الملائكة إلى آخره) قال أحمد رحمه الله: تعليله الجمع بإفادة استغراقه لكل جنس تحته فيه

(فإن قلت) هو اسم غير صفة وإنما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء أو ما فى حكمها من الأعلام (قلت) ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهى الدلالة على معنى العلم ■ قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ أبو هريرة رضى الله عنه مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولأن الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة

ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا

(فإن قلت) ماهذه الإضافة (قلت) هى إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم ياسارق الليلة أهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الأمر كله فى يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم (فإن قلت) فاضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة (قلت) إنما تكون غير حقيقية إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فكان فى تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة أو غدا فأما إذا قصد معنى الماضى كقولك هو مالك عبده أمس أو زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الإضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى فى مالك يوم الدين ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور والدين كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف والدليل عليه قراءة أبى حنيفة ملك يوم الدين وهذه الأوصاف التى أجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لايخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للأمر كله فى العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وأنه به حقيق فى قوله الحمد لله دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله (إيا) ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التى تلحقه من الكاف والهاء والياء فى قولك إياك وإياه وإياى لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الإعراب كما لا محل للكاف فى أرأيتك وليست بأسماء مضمرة وهو مذهب الأخفش وعليه المحققون وأما ماحكاه الخليل عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى «قل أفغير الله تأمرونى أعبد» «قل أغير الله أبغى ربا» والمعنى

نظر فإن عالما كما قرره اسم جنس عرف باللام الجنسية فصار العالم وهو مفرد أدل على الاستغراق منه جمعا قال إمام الحرمين رحمه الله التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور فإن التمر يسترسل على الجنس لا بصيغة لفظية والتمور ترده إلى تخيل الوجدان ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع وفى صيغة الجمع مضطرب انتهى كلامه والتحقيق فى هذا وفى كل مايجمع من أسماء الأجناس ثم يعرف تعريف الجنس أنه يفيد أمرين أحدهما أن ذلك الجنس تحته أنواع مختلفة والآخر أنه مستغرق لجميع ماتحته منها لكن المفيد لاختلاف الأنواع الجمع والمفيد لاستغراق جميعها التعريف ألا ترى أنه إذا جمع مجردا من التعريف دل على اختلاف الأنواع ثم إذا عرف أفاد استغراق غير موقوف على الجمعية إذ هذا حكم مفرده إذا عرف فقول الزمخشرى إذا أن فائدة جمع العالمين الاستغراق مردود بثبوت هذه الفائدة وإن لم يجمع وقول الإمام الحرمين إن الجمع يؤيد الإشعار بالاستغراق لما تتخيله من الرد إلى الوجدان مردود بأن فائدة الجمع الإشعار باختلاف الأنواع واختلافها لا ينافى استغراقها بصيغة المفرد المقر من تعريف الجنس وإن أراد أن الجمع يخيل الإشارة إلى أنواع محله معهودة فهذا الخيال يعينه من المفرد فالعالم إذا جمع ليفيد اختلاف الأنواع المندرجة تحته من الجن والإنس والملائكة وعرف ليفيد عموم الربوبية لله تعالى فى كل أنواعه وتوضيح هذا التقرير أنا لو فرضنا جنسا ليس تحته إلا آحاد متساوية وهو الذى يسميه غير النحاة النوع الأسفل لما جاز جمع هذا بحال لامعرفا ولا منكرا وبهذه الفائدة يرد قول إمام الحرمين إن التمور جمع من حيث اللفظ لامعنى تحته لجمع الجمع فى نحو نوق ونياق وأنيق وأما تعليل الزمخشرى جمعه بالواو والنون بإشعاره لصفة العلم

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ إياك بتخفيف الياء وأياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوى فهياك والأمر الذى إن تراحبت ۞ موارده ضاقت عليك مصادره

والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة إذا كان فى غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل إلا فى الخضوع لله تعالى لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع (فإن قلت) لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب (قلت) هذا يسمى الالتفات فى علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى «حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم» وقوله تعالى «والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه» وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات فى ثلاثة أبيات:

تطاول ليلك بالإثمد ۞ ونام الخلى ولم ترقد ۞ وبات وباتت له ليلة

كليلة ذى العائر الأرمد ۞ وذلك من نبإ جاءنى ۞ وخبرته عن أبى الأسود

وذلك على عادة افتنانهم فى الكلام وتصرفهم فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء اليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لانعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذى لا تحق العبادة إلا به (فإن قلت) لم قرنت الاستعانة بالعبادة (قلت) ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته (فإن قلت) فلم قدمت العبادة على الاستعانة (قلت) لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة اليها (فإن قلت) لم أطلقت الاستعانة (قلت) ليتناول كل مستعان فيه والأحسن أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون ۞ هدى أصله أن يتعدى باللام أو بإلى كقوله تعالى «إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم» «وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم» فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى «واختار موسى قومه» ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الإلطاف كقوله تعالى «والذين

فيلحق بصفات من يعقل فصحيح إذا بنى الأمر على أنه لا يتناول إلا أولى العلم وأما على القول بأنه اسم لكل موجود سوى الله فيحتاج إلى مزيد نظر فى تغليب العاقل فى الجمع على غير العاقل (قال محمود رحمه الله وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات فى ثلاثة أبيات الخ) قال أحمد رحمه الله: يعنى أنه ابتدأ بالخطاب ثم التفت إلى الغيبة ثم إلى التكلم وعلى هذا فهما التفاتان لا غير وإنما أراد الزمخشرى والله أعلم أنه أتى بثلاثة أساليب خطاب لحاضر وغائب ولنفسه فوهم بقوله ثلاث التفاتات أو تجعل الأخير ملتفتا التفاتين عن الثانى وعن الأول فيكون ثلاثا والأمر فيه سهل (قال محمود رحمه الله فإن قلت لم قدمت العبادة على الاستعانة الخ) قال أحمد رحمه الله معتقد أهل السنة أن العبد لا يستوجب على ربه جزاء تعالى الله عن ذلك والثواب عندنا من الإعانة فى الدنيا على العبادة ومن صنوف النعم فى الآخرة ليس بواجب على الله تعالى بل فضل منه وإحسان. فى الحديث «أنه عليه الصلاة والسلام قال: لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته» مضافا إلى دليل العقل المحيل أن يجب على الله تعالى

(قوله فى علم البيان قد يكون) لعله وقد، وعبارة النسفى: وهو قد يكون.

اهتدوا زادهم هدى » « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وعن على وأبى رضى الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الأمر والدعاء واحدة لأن كل واحد منهما طلب وإنما يتفاوتان فى الرتبة وقرأ عبدالله أرشدنا (السراط) الجادة من سرط الشىء إذا ابتلعه لأنه يسترط السابلة إذا سلكوه كما سمى لقما لأنه يلتقمهم والصراط من قلب السين صاداً لأجل الطاء كقوله مصيطر فى مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاى وقرئ بهن جميعا وفصاحهن إخلاص الصاد وهى لغة قريش وهى الثابتة فى الإمام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الإسلام (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الصراط المستقيم وهو فى حكم تكرير العامل كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم كما قال الذين استضعفوا لمن آمن منهم (فإن قلت) مافائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم (قلت) فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان فيكون ذلك أبلغ فى وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لأنك ثنيت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وأوقعت فلانا تفسيراً وإيضاحا للأكرم الأفضل فجعلته علما فى الكرم والفضل فكأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا أصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم أصحاب موسى قبل أن يغيروا وقيل هم الأنبياء وقرأ ابن مسعود صراط من أنعمت عليهم (غير المغضوب عليهم) بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال (فإن قلت) كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وإن أضيف إلى المعارف (قلت) الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * ولأن المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس فى غير إذن الابهام الذى يأبى عليه أن يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير فى عليهم والعامل أنعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله عزوجل من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل (فإن قلت) مامعنى غضب الله (قلت) هو إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم مايفعله الملك إذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته (فإن قلت) أى فرق بين عليهم الأولى وعليهم الثانية (قلت) الأولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع

شىء لكن قام الدليل عقلا وشرعا على أنه تعالى لا يجب عليه شىء فقد قام عقلا وشرعا على أن خبره تعالى صدق ووعده حق أى يجب عقلا أن يقع فإما أن يكون الزمخشرى تسامح فى إطلاق الاستيجاب وأراد وجوب صدق الخبر وإما أن يكون أخرجه على قواعد البدعية فى اعتقاد وجوب الخير على الله تعالى وإن لم يكن وعد (قال محمود رحمه الله وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام) قال أحمد رحمه الله إن إطلاق الانعام يفيد الشمول كقوله إن إطلاق الاستعانة يتناول كل مستعان فيه وليس بمسلم فإن الفعل لا عموم لمصدره والتحقيق إن الاطلاق إنما يقتضى إبهاما وشيوعا والنفس إلى المبهم أشوق منها إلى المقيد لتعلق الأمل مع الابهام لكل نعمة تخطر بالبال (قال محمود رحمه الله ومعنى الغضب من الله تعالى إرادة الانتقام الخ) قال أحمد رحمه الله أدرج فى هذا مايقتضى عنده وجوب وعيد العصاة وليس مذهب أهل السنة بل الأمر عندهم فى المؤمن العاصى موكول إلى المشيئة فمنهم من أراد الله تعالى عقوبته والانتقام منه فيقع ذلك لا محالة ومنهم من أراد العفو عنه وإثابته فضلا منه تعالى على أن المغضوب عليهم والضالين واقعان على الكفار ووعيدهم واقع لا محالة ومراد والله الموفق * أقول قال الزمخشرى رحمه الله الغضب من الله تعالى إرادة الانتقام من العصاة الخ لا يدل على مافسره فإن وجوب وعيد العصاة لا يعلم منه والغضب من الله عند أهل السنة والمعتزلة عبارة عما ذكره الزمخشرى رحمه الله إلا أن

﴿ســـورة البقرة : مدنية . إلا آية ٢٨١ فنزلت بمنى فى حجة الوداع﴾
﴿وآياتها مائتان وست وثمـانون﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ

على الفاعلية (فإن قلت) لم دخلت لا فى ولا الضالين (قلت) لما فى غير من معنى النفى كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول أنا زيداً غير ضارب مع امتناع قولك أنا زيداً مثل ضارب لأنه بمنزلة قولك أنا زيداً لا ضارب وعن عمر وعلى رضى الله عنهما أنهما قرآ وغير الضالين وقرأ أيوب السختيانى ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جدّ فى الهرب من التقاء الساكنين ومنها ماحكاه أبو زيد من قولهم شأبة ودأبة . آمين : صوت سمى به الفعل الذى هو استجب كما أنّ رويد وحيهل وهلم أصوات سميت بها الأفعال التى هى أمهل وأسرع وأقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مدّ ألفه وقصرها قال ▪ ويرحم الله عبداً قال آمينا ▪ وقال ۞ أمين فزاد الله ما بيننا بعدا ▪ وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقننى جبريل عليه السلام آمين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال إنه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت فى المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لأنه الداعى وعن أبى حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيها وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الشافعى يجهر بها وعن وائل بن حجر أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبىّ بن كعب «ألا أخبرك بسورة لم ينزل فى التوراة والإنجيل والقرآن مثلها ؟ قلت : بلى يارسول الله . قال : فاتحة الكتاب إنها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته» وعن حذيفة بن اليمان أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال« إنّ القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة»

﴿سورة البقرة مدنية وهى مائتان وست وثمـانون آية﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الٓمٓ) اعلم أنّ الألفاظ التى يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمى به ضه من ضرب إذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت فى هذه التسمية لطيفة وهى أن المسميات لما كانت ألفاظا كأساميها وهى حروف وحدان والأسامى عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا

عند أهل السنة أنّ الله تعالى إن شاء عذب صاحب الكبيرة وإن شاء غفر له وعند المعتزلة وجوب عذابه فعند المعتزلة ظاهر أنّ الغضب عبارة عن إرادة الانتقام وعند أهل السنة إن غفر له فلا غضب وإن لم يغفر له فغضبه عبارة عما ذكره

(قوله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم) اعلم أن صاحب الكتاب التزم أن يذكر آخر كل سورة حديثا لبيان فضلها ولكن ليست كلها صحيحة فقد قال الجلال السيوطى : اعلم أن السور التى صحت الأحاديث فى فضلها الفاتحة والزهراوان والأنعام والسبع الطوال مجملا والكهف ويس والدخان والملك والزلزلة والنصر والكافرون والإخلاص والمعوذتان وماعداها لم يصح فيه شىء اه والزهراوان البقرة وآل عمران والسبع الطوال من أول البقرة إلى آخر براءة بعدّها مع الأنفال سورة واحدة قاله الأجهورى على البيقونية فى مصطلح الحديث

فى التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لأنه لا يكون إلا ساكنا ومما يضاهيها فى إيداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحولقة والحيعلة والبسملة وحكمها مالم تلها العوامل أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد فيقال ألف لام ميم كما يقال واحد اثنان ثلاثة فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب تقول هذه ألف وكتبت ألفا ونظرت إلى ألف وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شىء من تأثيراتها فحقك أن تلفظ به موقوفا ألاترى أنك إذا أردت أن تلقى على الحاسب أجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها إغفالا من سمة الإعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو أعربت ركبت شططا (فإن قلت) لم قضيت لهذه الألفاظ بالإسمية وهلا زعمت أنها حروف كما وقع فى عبارات المتقدمين (قلت) استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح وقد وجدناهم متسامحين فى تسمية كثير من الأسماء التى لا يقدح إشكال فى اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف فى معنى الكلمة وذلك أن قولك ألف دلالته على أوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لافضل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين ألا ترى أن الحرف مادلّ على معنى فى غيره وهذا كما ترى دال على معنى فى نفسه ولأنها متصرف فيها بالإمالة كقولك باتا وبالتفخيم كقولك ياها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والإسناد والإضافة وجميع ما للأسماء المتصرفة ثم إنى عثرت من جانب الخليل على نص فى ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل أصحابه كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التى فى لك والباء التى فى ضرب فقيل نقول باكاف فقال إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال أقول كه به وذكر أبو على فى كتاب الحجة فى يس وإمالة يا أنهم قالوا يازيد فى النداء فأمالوا وإن كان حرفا قال فإذا كانوا قد أمالوا مالا يمال من الحروف من أجل الياء فلأن يميلوا الاسم الذى هو يس أجدر ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها (فإن قلت) من أى قبيل هى من الأسماء أمعربة أم مبنية (قلت) بل هى أسماء معربة وإنما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الأسماء حيث لا يمسها الإعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على أن سكونها وقف وليس ببناء أنها لو بنيت لحذى بها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل ص ق ن مجموعا فيها بين الساكنين ﴿فإن قلت﴾ فلم لفظ المتهجى بما آخره ألف منها مقصورا فلما أعرب مدّ فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك لا مقصورة فإذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء (قلت) هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب فى أن قصرت متهجاة ومدّت حين مسها الإعراب أن حال التهجى خليقة بالأخف الأوجز واستعمالها فيه أكثر ﴿فإن قلت﴾ قد تبين أنها أسماء الحروف المعجم وأنها من قبيل المعربة وأن سكون أعجازها عند الهجاء لأجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور (قلت) فيه أوجه ٭ أحدها وعليه إطباق الأكثر أنها أسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذى كسره على ذكرها فى حد مالا ينصرف بباب أسماء السور وهى فى ذلك على ضربين أحدهما مالا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص والمر ، والثانى ما يتأتى فيه الإعراب وهو إما أن يكون اسما فردا كص وق ون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فإنها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتأتى فيها أن تفتح نونها وتصير ميم مضمومة إلى طس فيجعلا اسما واحدا كدارا بجرد فالنوع الأول محكى ليس إلا وأما النوع الثانى فسائغ فيه الأمران الإعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد أو هو شريح بن أوفى العنسى

﴿القول فى سورة البقرة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الم (قال محمود رحمه الله وقد سأل الخليل أصحابه كيف ينطقون بالكاف الخ) قال أحمد رحمه الله : وسألهم أيضا كيف ينطقون بالقاف من يقبل فقالوا قاف كقولهم الأول فأجابهم كجوابه الأول وقال أما أنا فأقول قه فألحق رضى الله عنه أولا هاء السكت لأن الحرف المنطوق به متحرك وثانيا همزة الوصل لأنه ساكن

يذكرني حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبـــل التقدم

فأعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كلما أعرب من أخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة أنزلناها قال:

وجـــدنا فى كتاب بنى تميم * أحق الخيل بالركض المعار

وقال ذوالرمة:

سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وقال آخر:

تنادوا بالرحيـــل غدا * وفى ترحالهـــم نفسى

وروى منصوبا ومجرورا ويقول أهل الحجاز فى استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لامن أين يافتى (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ ص وق ون مفتوحات (قلت) الأوجه أن يقال ذاك نصب وليس بفتح وإنما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ماذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد أجاز سيبويه مثل ذلك فى حم وطس ويس لوقرئ به وحكى أبوسعيد السيرافى أن بعضهم قرأ يس ويجوز أن يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضألين (فإن قلت) هلا زعمت أنها مقسم بها وأنها نصبت نصب قولهم نعم الله لأفعلن وآى الله لأفعلن على حذف حرف الجر وإعمال فعل القسم وقال ذوالرمة * ألارب من قلبى له الله ناصح * وقال آخر * فذاك أمانة الله الثريد * (قلت) إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلوزعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل فى قوله عز وجل «والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى» الواوان الأخريان ليستا بمنزلة الأولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الأسماء إلى الأسماء فى قولك مررت بزيد وعمرو والأولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لاتكون الأخريان بمنزلة الأولى فقال إنما أقسم بهذه الأشياء على شىء ولو كان انقضى قسمه بالأول على شيء لجاز أن يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لأفعلن بالله لأخرجن اليوم ولايقوى أن تقول وحقك وحق زيد لأفعلن والواو الأخيرة واوقسم لايجوز إلامستكرها قال وتقول وحياتى ثم حياتك لأفعلن فثم ههنا بمنزلة الواو هذا ولاسبيل فيما نحن بصدده إلى أن تجعل الواو للعطف لمخالفة الثانى الأول فى الإعراب (فإن قلت) فقدرها مجرورة بإضمار الباء القسمية لابحذفها فقد جاء عنهم الله لأفعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه أبوك غير أنها فتحت فى موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير إلى نحو ما أشرت إليه (قلت) هـذا لايبعد عن الصواب ويعضده ماروا عن ابن عباس رضى الله عنه قال أقسم

(قال محمود رحمه الله فإن قلت فما وجه من قرأ ص وق ون مفتوحات الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى: كلامه على الوجه الأول يوجب كونها معربة وعلى الوجه الثانى يحتمل أن يكون أراد أن الفتحة لالتقاء الساكنين نشأت عن سكون الحكاية فإنها إنما تحكى ساكنة مجردة من سمة الإعراب فلاتكون الحركة إذا إعرابا إذ لامقتضى له مع الحكاية ولابناء إذ هى معربة عنده على هذا التقدير ويحتمل أن يكون أراد أنها مبنية فتكون الحركة مثلها فى أين وكيف حركة بناء والأول هو الظاهر من مراده إذ حتم قبل أنها معربة على أن سيبويه نص فى كتابه على ما أورده بلفظه قال وأما ص فلا يحتاج إلى أن يجعل اسما أعجميا لأن وزنه فى كلامهم ولكنه يجوز أن يكون اسما للسورة فلايصرف ويجوز أن يكون أيضا يس وص اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح كما ألزمت الأسماء غير المتمكنة للحركات نحو كيف وأين وحيث وأمس اه كلام سيبويه وفيه رد على الزمخشرى رحمه الله فى حتمه أن تكون معربة وأن فتحتها نصب أولالتقاء الساكنين العارض للحكاية على ماظهر من مقوله آنفا وسيأتى له أيضا مايدل على أنه لايجوز بناؤها البتة * أقول بعد تسليم أن الأول هو الظاهر من مراده فما ذكره حكاية عن سيبويه غير وارد عليه لأنه اختار أحد الوجهين (قال محمود رحمه الله هلازعمت أنها مقسم بها الخ) قال أحمد رحمه الله وله البقاء على أنها منصوبة على القسم وجعل الواو عاطفة على مذهب الخليل وسيبويه فى أمثاله ويسلك حينئذ فى العطف سبيل * ولاسائق شيأ إذا كان جائيا * فإن المقسم به وإن كان منصوبا

الله بهذه الحروف (فإن قلت) فما وجه قراءة بعضهم ص و ق بالكسر (قلت) وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذى يبسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر بهذه الأسامى شاكلت لذلك ما اجتمع فى آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن وأخرى معاملة هؤلاء (فإن قلت) هل تسوغ لى فى المحكية مثل ما سوغت لى فى المعربة من إرادة معنى القسم (قلت) لا عليك فى ذلك وإن تقدر حرف القسم مضمراً فى نحو قوله عزّ وجلّ حم والكتاب المبين كأنه قيل أقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين أنا جعلناه وأمّا قوله صلى الله عليه وسلم حم لا يبصرون فيصلح أن يقضى له بالجرّ والنصب جميعاً على حذف الجار وإضماره (فإن قلت) فما معنى تسمية السور بهذه الألفاظ خاصة (قلت) كأن المعنى فى ذلك الإشعار بأنّ الفرقان ليس إلا كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ كما قال عز من قائل «قرآنا عربياً» (فإن قلت) فما بالها مكتوبة فى المصحف على صور الحروف أنفسها لا على صور أساميها (قلت) لأنّ الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرّت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالأسماء وتقع فى الكتابة الحروف نفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة فى كتابة هذه الفواتح وأيضاً فإنّ شهرة أمرها وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها وأنّ اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وأنّ بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ماهو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت فى خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التى بنى عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف

لأنه محل يعهد وفيه الخبر فعطف بالجر رعاية لذلك العهد وهنا أولى بالصحة منه فى بيت زهير المذكور لأنّ انتصاب المقسم به إنما نشأ عن حذف حرف الجر الذى هو أصل فى القسم وانتصاب خبر ليس أصل فى نفسه ليس ناشئا عن حذف، غايته أن حرف الجر قد يصحب خبرها دخيلا فمراعاة الأصل أجدر من مراعاة العارض فقد تحرر فى فتح ص وجهان أحدهما أن يكون إعرابا وهو إما جار على الوجه الذى أبداه الزمخشرى أو نصب على الوجه الذى نقلته عن سيبويه ثانيهما أنه لا إعراب ولا بناء وهو عروضه على الوقف فى الحكاية (قال محمود رحمه الله فإن قلت فما وجه قراءة بعضهم ص و ق بالكسر الخ) قال أحمد رحمه الله : وهذا تحقق لك مخالفته لما نقلته من نص سيبويه من أنها غير متمكنة وبذلك على أن فتحتها التى قال قبل إنها لالتقاء الساكنين فتحة بناء أنه إنما أراد السكون العارض فى الحكاية لا سكون البناء وهو مخالف لنص سيبويه كما نبهت عليه أيضاً (قال محمود رحمه الله هل تسوغ لى فى المحكية إرادة القسم كما سوغت لى فى المعربة الخ) قال أحمد رحمه الله وقد منع الزمخشرى أن يكون ص منصوبا على القسم لما تقدم وأجاز أن يكون حم فى الحديث المذكور منصوبة على القسم بخلاف حم فى القرآن فتلك يتعين أن يكون نصبها على إضمار الفعل أو مجرورة على القسم وأمّا النصب مع القسم فلا يجيزه إلا فى الحديث والفرق عنده أنّ المانع من إجازته فى القرآن مجىء المعطوف بعده مخالفاً له فى الإعراب إذ المعطوفات كلها مجرورة ويتعذر عنده القسم فى الثوانى خوفا من جمع قسمين على مقسم واحد ولا كذلك الحديث فإنه لم يأت بعده ما يأباه فلذلك خصّ جواز هذا الوجه بالحديث وأمّا على الوجه الذى أوضحته فيعم جواز ذلك القرآن والحديث جميعاً (قال محمود رحمه الله فإن قلت فما بالها مكتوبة فى المصحف على صورة الحروف الخ) قال أحمد رحمه الله على هذا المعنى من خروج خط المصحف عن قياس الخط اعتمد القاضى رضى الله عنه فى كتاب الانتصار فى الجواب عما نقل عن عثمان رضى الله عنه أنّ عكرمة لما عرض عليه المصحف وجد فيه حروفا من اللحن فقال لا يغيروها فإنّ العرب ستقيمها بألسنتها فلو كان الكاتب من ثقيف والمملل من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف قال القاضى وإنما قال عثمان رضى الله عنه ذلك لأنّ ثقيفاً كانت أبصر بالهجاء وهذيلا كانت تظهر الهمز والهمزة إذا ظهرت فى لفظ المملل كتبها الكاتب على صورتها فما أراد عثمان رضى الله عنه إلا أنّ تلك الحروف كتبت على خلاف قياس الخط مثل كتابة الصلوة والزكوة بالواو لا بالألف قال القاضى وإنما أخذ الله على الحفظة أن لا يغيروا التلاوة وأمّا الخط فلم

(قوله لا يحلى بطائل) فى الصحاح وقولهم لم يحل منه بطائل أى لم يستفد منه كبير فائدة ولا يتكلم به إلا مع الجحد

سنة لاتخالف قال عبد الله بن درستويه فى كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم فى الخط والهجاء خطان لايقاسان خط المصحف لأنه سنة وخط العروض لأنه يثبت فيهما أثبته اللفظ ويسقط عنه ماأسقطه الوجه الثانى أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدّى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك النظر فى أنّ هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ماينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل فى اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان فى القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التى بزّت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كلّ سابق ولم يتجاوز الحدّ الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام البشر وإنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوّة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصره على الأوّل أن يقول إنّ القرآن إنما نزّل بلسان العرب مصبوبا فى أساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ماسموا به بمجموع اسمين ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة والقول بأنها أسماء السور حقيقة يخرج إلى ماليس فى لغة العرب ويؤدى أيضا إلى صيرورة الاسم والمسمى واحدا * فإن اعترضت عليه بأنه قول مقول على وجه الدهر وأنه لاسبيل إلى رده * أجابك بأن له محملا سوى مايذهب اليه وأنه نظير قول الناس فلان يروى قفانبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ماقرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله فى أولادكم والله نور السموات والأرض وليست هذه الجمل بأسامى هذه القصائد وهذه السور والآى وإنما تعنى رواية القصيدة التى ذاك استهلالها وتلاوة السورة أو الآية التى تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على أسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها مايستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الأول أن يقول التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستنكرة لعمرى وخروج عن كلام العرب ولكن إذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فإما غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها لأنها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرآ وبرق نحره وشاب قرناها وكما سمى بزيد منطلق أو بيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك وأما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لأنها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا * الوجه الثالث أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون أول مايقرع الأسماع مستقلا بوجه

يأخذ عليهم رسماً بعينه حتى لايسوغ الخروج من قياس رسم خاص من رسوم الخط اه كلامه (قال محمود رحمه الله الوجه الثانى أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد الخ) قال أحمد رحمه الله : إنما أردت هذا الفصل فى كلام الزمخشرى لأنه غاية الصناعة ونهاية البراعة لولا الإخلال بلطيفة لو سلكها لتمت فصاحته وهى أنه بنى أوّل الكلام على النفى وطوّل فيه حتى انتهى إلى الإثبات فكان أوّل الكلام رهيناً لآخره يفهم على الضد حتى ينقضى على البعد فهو كما انتقد على أبى الطيب قوله فى الخيل

ولا ركبت بها إلا إلى ظفر * ولاحصلت بها إلا على أمل فإنه صدر الصدر والعجز بما صورته الدعاء على المخاطب فى العرض مستدركا بعد وإنما يؤاخذ بهذا مثل أبى الطيب والزمخشرى لأن لهما فى مراتب الفصاحة علوا يفطن

(قوله أمنت وقوع اللبس فيها) أى تلك الأمور الأربعة أمنت القارئ وقوع اللبس فى الفواتح (قوله ولم تظهر معجزتهم) لعله بفتح الميم والجيم مقابل مقدرة (قوله على التساجل) أى التفاخر بأن تصنع مثل صنعه فى جرى أوسق وأصله من السجل بمعنى الدلو الذى فيه ماء واقتضاب الخطب ارتجالها أفاده الصحاح (قوله التى بزّت بلاغته) أى غلبت وسلبت (قوله الخارج من قوى) لعله عن (قوله لم تتجاوز ماسموا به) لعله بما أو لعله فيما

من الإعراب وتقدمة من دلائل الإعجاز وذلك أنّ النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامى الحروف فإنه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الأمى التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عزّ وجلّ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهله حكم الأقاصيص المذكورة فى القرآن التى لم تكن قريش ومن دان بدينها فى شىء من الإحاطة بها فى أنّ ذلك حاصل له من جهة الوحى وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير أن يسمعها من أحد . واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عزّ سلطانه فى الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامى حروف المعجم أربعة عشر سواء وهى الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم إذا نظرت فى هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف بيان ذلك أنّ فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التى ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذى دقت فى كل شىء حكمته وقد علمت أن معظم الشىء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله عزّ اسمه عدد على العرب الألفاظ التى منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم . ومما يدل على أنه تغمد بالذكر من حروف

السامع لمثل هذا النقد (قال محمود رحمه الله واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عزّ سلطانه فى الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامى حروف المعجم الخ) قال أحمد رحمه الله : بقى عليه من الأصناف الحروف الشديدة وقد ذكر تعالى نصفها الهمزة المعبر عنها بالألف والكاف والقاف والطاء والمطبقة وقد ذكر تعالى نصفها الصاد والطاء والمنفتحة وقد ذكر نصفها الألف والحاء والراء والسين والعين والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والياء وحروف الصفير لما كانت ثلاثا السين والصاد والزاى لم يكن لها نصف فذكر منها اثنين السين والصاد وتلك العادة المأنوسة فيما يقصد إلى تنصيفه فلا يمكن فيتم الكسر ألا ترى طلاق العبد وعدّة الأمة ونحو ذلك والحروف اللينة وهى ثلاثة الألف والياء والواو وذكر منها اثنين الألف والياء كحروف الصفير والمكرر وهو الراء والهاوى وهو الألف والمنحرف وهو اللام وقد ذكرها ولم يبق من أصناف الحروف خارجا عن هذا النمط إلا ما بين الشديد والرخو فإنه لم يقتصر منها على النصف لأن ما ذكر منها زائدا على النصف اندرج فى غيرها من الأصناف فلم يمكن الاقتصار لها كالشديدة والرخوة فلم يكن بها عناية وأما حروف الذلاقة والمصمتة فالصحيح أن لا يعدا صنفين ولمن عدهما صنفين متميزين خبط طويل فى جهة تميزهما حتى أبعد الزمخشرى فى مفصله فى تميزهما فقال حروف الذلاقة التى يعتمد الناطق فيها على ذلق اللسان أى طرفه وهو تميز مردود جداً لأنّ من جملتها الميم والباء والفاء ولا مدخل لطرف اللسان فيها ثم لا يتم على هذا التمييز مطابقتها للمصمتة إذ المصمتة مفسرة عنده بأنها حروف تكون عن تركيب كلمة رباعية فما زاد منها حتى يدرج معها أحد حروف الذلاقة فكيف المقابلة بين الخروج من طرف اللسان وبين الصمت فالحق أنهما صنفان ضعيف تميزهما فلم يعتبر جريانهما على النمط المستمر فى غيرهما من الأصناف البين امتيازها وعد الزمخشرى فى هذا النمط حروف

(قوله يدل على أنه تغمد بالذكر) لعله تعمد بالعين المهملة

المعجم أكثرها وقوعا فى تراكيب الكلم أن الألف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا فى معظم هذه الفواتح مكررتين وهى فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والأعراف والرعد ويونس وإبراهيم وهود ويوسف والحجر (فإن قلت) فهلا عددت بأجمعها فى أول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور (قلت) لأن إعادة التنبيه على أن المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده فى غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقرله فى الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء فى القرآن فمطلوب به تمكين المكرر فى النفوس وتقريره (فإن قلت) فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف وكهيعص وحم عسق على خمسة أحرف (قلت) هذا على إعادة افتنانهم فى أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك (فإن قلت) فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التى اختصت بها (قلت) إذا كان الغرض هو التنبيه والمبادى كلها فى تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما إذا سمى الرجل بعض أولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لأن الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك ولذلك لا يقال لم سمى هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود (فإن قلت) ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض (قلت) هذا علم توقيفى لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور أما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهى ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية فى سورها الخمس وطسم آية فى سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية فى سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية (فإن قلت) فكيف عد ما هو فى حكم كلمة واحدة آية (قلت) كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف (فإن قلت) ما حكمها فى باب الوقف (قلت) يوقف على جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالأصوات أو جعلت وحدها إخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلا الم الله أى هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا إله إلا هو (فإن قلت) هل لهذه الفواتح محل من الإعراب (قلت) نعم لها محل فيمن جعلها أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام (فإن قلت) ما محلها (قلت) يحتمل الأوجه الثلاثة أما الرفع فعلى الابتداء وأما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونه بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل فى مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة

القلقلة وذكر أن المذكور منها النصف القاف والطاء وهم فإنها خمسة أحرف لم يذكر منها فى الفواتح سوى الحرفين المذكورين وعلى الجملة فلا يقدم الناظر تخريج ما لم يجر على هذا النمط من الأصناف على وجه يمكن الاستئناس إليه (قال محمود رحمه الله ومما يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا فى تراكيب الكلم أن الألف واللام الخ) قال أحمد رحمه الله الألف المذكورة فى الفواتح يحتمل أن يكون المراد بها الهمزة اللينة وقد اضطرب فيها كلام الزمخشرى فى هذا الفصل فعند ما عد الحروف أربعة عشر حرفا فى الفواتح قال إنها نصف حروف العربية فهذا يدل على أن جملتها ثمانية وعشرون حرفا فلابد من سقوط أحد الحرفين من هذا العدد إما اللينة أو الهمزة وإلا كانت تسعة وعشرين والظاهر أن الساقط الهمزة وعند ما قال فى تسع وعشرين على عدد الحروف اقتضى هذا دخول الألفين فى العدد والظاهر من كلامه أن الألف عنده هى اللينة فلذلك علل تسميتها بالألف بأن النطق لما تعذر بها أولا استقرت الهمزة مكانها وفاء بمراعاة تلك اللطيفة التى قدمها من جعل مسمى الحرف أول اسمه وأما عند النحاة فالألف المعدودة فى حروف المعجم مفردة هى الهمزة وأما اللينة فهى المعدودة مع اللام حيث يقولون لام ألف ويكتبونها على صورة لا (قال محمود رحمه الله فإن قلت ما محل هذه الفواتح من الإعراب الخ) قال أحمد رحمه الله وإنما جاز النصب مع القسم فيما لا يعقبه معطوف مجرور فأما ما يعقبه معطوف مجرور مثل ص وق ون فإنه لا يجيز فيه النصب مع القسم البتة ويحمله على إضمار فعل أو على أن الفتح فى موضع الجر وأما

وللمفردات المعددة (فإن قلت) لم صحت الإشارة بذلك إلى ماليس ببعيد (قلت) وقعت الإشارة إلى الم بعد ماسبق التكلم به وتقضى والمتقضى فى حكم المتباعد وهذا فى كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك مالاشك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لافارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمنى ربى ولأنه لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه وقع فى حد البعد كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذى وعدوا به (فإن قلت) لم ذكر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث وهو السورة (قلت) لا أخلو من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته فإن جعلته خبره كان ذلك فى معناه ومسماه مسماه فجاز إجراء حكمه عليه فى التذكير كما أجرى عليه فى التأنيث فى قولهم من كانت أمك وإن جعلته صفته فإنما أشير به إلى الكتاب صريحا لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الإنسان أو ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبيانى

نبئت نعمى على الهجران عاتبة ٭ سقيا ورعيا لذاك العاتب الزارى

(فإن قلت) أخبرنى عن تأليف ذلك الكتاب مع الم (قلت) إن جعلت الم اسما للسورة ففى التأليف وجوه أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الأول ومعناه أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ماعداه من الكتب فى مقابلته ناقص وأنه الذى يستأهل أن يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال وكما قال ٭ هم القوم كل القوم يا أم خالد ٭ وأن يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وأن يكون الم خبر مبتدإ محذوف أى هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا أو بدلا على أن الكتاب صفة وأن يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى وإن جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل أو الكتاب صفة والخبر مابعده أو قدر مبتدأ محذوف أى هو يعنى المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبدالله الم تنزيل الكتاب لاريب فيه وتأليف هذا ظاهر ٭ والريب مصدر رابنى إذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ماروى الحسن بن على قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع مايريبك إلى مالايريبك فإن الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة أى فإن كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو مايقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه أنه مر بظبى حاقف فقال لايربه أحد بشىء (فإن قلت) كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه (قلت) مانفى أن أحدا لايرتاب فيه وإنما المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لاينبغى لمرتاب أن يقع فيه ألا ترى إلى قوله تعالى وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما أبعد وجود الريب منهم وإنما عرفهم الطريق إلى مزيل الريب وهو أن يحزروا

على وجه بدئه فيما تقدم فيجوز النصب مع القسم فى جميعها لجدد به عهداً وعلى النصب بإضمار فعل أعربها سيبويه فى كتابه ٭ قوله تعالى ذلك الكتاب (قال محمود رحمه الله إن قلت لم صحت الإشارة بذلك إلى ماليس ببعيد الخ) قال أحمد رحمه الله ولأن البعد هنا باعتبار علو المنزلة وبعد مرتبة المشار إليه من مرتبة كل كتاب سواه كما يقطعون بثم للإشعار بتراخى المراتب وقد يكون المعطوف سابقا فى الوجود على المعطوف عليه وسيأتى أمثاله (قال محمود رحمه الله فإن قلت لم ذكر اسم الإشارة الخ) قال أحمد رحمه الله ولو مثل ذلك بقول القائل حصان كانت دابتك لكان أقوم وأسلم من الفرق بما فى لفظ من من الإبهام الصالح للمذكر والمؤنث ومثل هذا قوله يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فيمن وصل الكلام فجعل هم العدو جملة فى موضع المفعول الثانى للحسبان وعدل عن أن يقول هى العدو نظراً إلى به المفعول الثانى الذى هو فى المعنى خبر عن الصيحة فذكر وجمع لما كان المبتدأ هو الخبر فى المعنى وقد وجه الشيخ أبو عمرو قول الزمخشرى وتسمى الجملة

(قوله أنه مرّ بظبى حاقف) لعله أنه ﷺ الخ وفى الصحاح أنه عليه السلام مرّ بظبى حاقف فى ظل شجرة وهو الذى انحنى وتثنى فى نومه اه (قوله أن أحداً لايرتاب فيه) أن أحداً لعله يرتاب فيه وقد يقال المراد مانفى الريب على معنى أن أحداً لايرتاب

أنفسهم ويبروزوا قواهم فى البلاغة هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولامدخل للريبة (فإن قلت) فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول فى قوله تعالى لافيها غول (قلت) لأن القصد فى إيلاء الريب حرف النفى نفى الريب عنه وإثبات أنه حق وصدق لا باطل و كذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولى الظرف لقصد إلى مايبعد عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه الريب لافيه كما قصد فى قوله لافيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لاتغتال العقول كما تغتالها هى كأنه قيل ليس فيها مافى غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ أبو الشعثاء لاريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على لاريب ولا بد للواقف من أن ينوى خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لاضير وقول العرب لابأس وهى كثيرة فى لسان أهل الحجاز والتقدير لاريب فيه (فيه هدى) الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى أوفى ضلال مبين ويقال مهدى فى موضع المدح كمهتد ولأن اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع فى خلاف معنى أصله لاترى إلى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه ذلك (فإن قلت) فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون (قلت) هو كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة إلى ماهو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتضل الضالة وتكتنف الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضاً وضاله ومنه قوله تعالى «ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا» أى صائراً إلى الفجور والكفر (فإن قلت) فهلا قيل هدى للضالين (قلت) لأن الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقى أن يكون هدى لهؤلاء فلوجىء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التى ذكرنا فقيل هدى للمتقين وأيضاً فقد جعل ذلك سلما إلى تصدير السورة التى هى أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثانى بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده ٭ والمتقى فى اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقى من وجاها إذا أصابه ضلع من غلظ الأرض ورقة الحافر فهو يقى حافره أن يصيبه أدنى شىء يؤلمه وهو فى الشريعة الذى يقى نفسه تعاطى مايستحق به العقوبة من فعل أوترك ٭ واختلف فى الصغائر وقيل الصحيح أنه لايتناولها لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على

بالتاء والياء عقيب قوله والكلام هو المركب من كلمتين بهذا التوجيه ٭ قوله تعالى هدى للمتقين (قال محمود رحمه الله إن قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون الخ) قال أحمد رحمه الله الهدى يطلق فى القرآن على معنيين أحدهما الإرشاد وإيضاح سبيل الحق ومنه قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وعلى هذا يكون الهدى للضال باعتبار أنه رشد إلى الحق سواء حصل له الاهتداء أولا والآخر خلق الله تعالى الاهتداء فى قلب العبد ومنه أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فإذا ثبت وروده على المعنيين فهو فى هذه الآية يحتمل أن يراد به المعنيان جميعاً وأما قول الزمخشرى إن القرآن لا يكون هدى للمعلوم بقاؤهم على الضلالة فإنما يستقيم إذا أريد بالهدى خلق الاهتداء فى قلوبهم وأما إذا أريد معناه الأول فلا يمتنع أن الله تعالى أرشد الخلق أجمعين وبين للناس مانزل اليهم فمنهم من اهتدى ومنهم من حقت عليه الضلالة هذا مذهب أهل السنة (قال محمود رحمه الله واختلف فى الصغائر الخ) قال أحمد رحمه الله ومن تمنى القدرية على الله تعالى اعتقادهم أن الصغائر ممحوة عنهم ما اجتنبوا الكبائر وأنه يجب أن يعفو الله عنها لمجتنب الكبائر كما يجب عندهم أن لايعفو عن مرتكب الكبائر وهذا هو الخطأ الصراح والمحادة لآيات الله البينات وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم الصحاح

فيه (قوله من وجاها إذا أصابه ضلع) فى الصحاح الوجى الوجع فى الحافر والضلع الميل والاعوجاج والظلع غمز فى مشية البعير

الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمنى لايطلق إلا عن خبرة كما لايجوز إطلاق العدل إلا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لأنه خبر مبتدإ محذوف أو خبر مع لاريب فيه لذلك أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم خبراً عنه ويجوز أن ينصب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف والذى هو أرسخ عرقا فى البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحاً وأن يقال إن قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولاريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جراً إلى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريراً لجهة التحدى وشدا من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولانقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال فى حجة تتبختر اتضاحا وفى شبهة تتضاءل افتضاحا ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لايحوم الشك حوله وحقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السرى من نكتة ذات جزالة ففى الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه وفى الثانية مافى التعريف من الفخامة وفى الثالثة مافى تقديم الريب على الظرف وفى الرابعة الحذف ووضع المصدر الذى هو هدى موضع الوصف الذى هو هاد وإيراده منكراً والإيجاز فى ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقاً للعمل بما فيه (الذين يؤمنون) إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعنى الذين يؤمنون أو هم الذين يؤمنون وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى فإذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسناً غير تام وإذا كان مقتطعاً كان وقفاً تاما (فإن قلت) ماهذه الصفة أواردة بيانا وكشفا للمتقين أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيداً (قلت) يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الإيمان الذى هو أساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلاة والصدقة لأن هاتين أما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الإسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصاراً بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ماهو كالعنوان لها والذى إذا وجد لم تتوقف أخواته أن تقترن به مع مافى ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين وأما الترك فكذلك ألا ترى إلى قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل أن لاتكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصى ويحتمل أن تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصاً للإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر إظهاراً لإنافتها على سائر مايدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات ٭ والإيمان أفعال من الأمن يقال أمنته وآمنتيه غيرى ثم يقال آمنه إذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر وأعترف وأما ماحكى أبو زيد

والحق أن غفران الصغائر وإن اجتنبت الكبائر موكول إلى المشيئة كما أن غفران الكبائر موكول إليها أيضاً ومن لايعتقد ذلك وهم القدرية يضطرون إلى الوقوف عند قوله تعالى «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» فإنه ناطق بالمؤاخذة بالصغائر ويتحيرون عند قوله تعالى «إن الله يغفر الذنوب جميعاً» فإنه مصرح بمغفرة الكبائر أما أهل السنة فقد ألفوا بين هاتين الآيتين بقوله تعالى « إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» فإن التقييد بالمشيئة فى هذه يقضى على الآيتين المطلقتين ٭ قوله تعالى « الذين يؤمنون بالغيب»

عن العرب ما آمنت أن أجد صحابة أى ماوثقت لحقيقته صرت ذا أمن به أى ذا سكون وطمأنينةوكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب أى يعترفون به أو يثقون بأنه حق ويجوز أن لايكون بالغيب صلة للإيمان وأن يكون فى موضع الحال أى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ويعضده ماروى أنّ أصحاب عبدالله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم فقال ابن مسعود إنّ امر محمد كان بيناً لمن رآه والذى لاإله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ هذه الآية (فإن قلت) فما المراد بالغيب إن جعلته صلة وإن جعلته حالا (قلت) إن جعلته صلة كان بمعنى الغائب إمّا تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمى الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمى المطمئن من الأرض غيباً وعن النضر بن شميل شربت الإبل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التى تكون فى موضع الكلية إذا بطنت الدابة انتفخت وإمّا أن يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل وأصله قيل والمراد به الخفى الذى لاينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه ولهذا لايجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وإن جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء (فإن قلت) ما الإيمان الصحيح (قلت) أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق ▪ ومعنى إقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ فى فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود إذا قومه أو الدوام عليها والمحافظة عليها كما قال عز وعلا « الذين هم على صلاتهم دائمون » «والذين هم على صلواتهم يحافظون » من قامت السوق إذا نفقت وأقامها قال

أقامت غزالة سوق الضراب ٭ لأهل العراقين حولا قميطا

لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذى تتوجه إليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون وإذا عطلت وأضيعت كانت كالشيء الكاسد الذى لايرغب فيه أو التجلد والتشمر لأدائها وأن لايكون فى مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها وفى ضده قعد عن الأمر وتقاعد عنه إذا تقاعس وتثبط أو أداؤها فعبر عن الأداء بالإقامة لأنّ القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا اسبح إذا صلى لوجود التسبيح فيها «فلولا أنه كان من المسبحين » ▪ والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لأنّ المصلى يفعل

(قال محمود رحمه الله تعالى إن قلت مامعنى الإيمان الصحيح الخ) قال أحمد رحمه الله يعنى بالفاسق غير مؤمن ولا كافر وهذا من الأسماء التى سماها القدرية وما أنزل الله بها من سلطان ومعتقد أهل السنة أنّ الموحد لله الذى لاخلل فى عقيدته مؤمن وإن ارتكب الكبائر وهذا الصحيح لغة وشرعا أمّا لغة فإنّ الإيمان هو التصديق وهو مصدق وأمّا شرعا فأقرب شاهد عليه هذه الآية فإنه لما عطف فيها العمل الصالح على الإيمان دلّ على أنّ الإيمان معقول بدونه ولو كان العمل الصالح من الإيمان لكان العطف تكراراً وانظر حيلة الزمخشرى على تقريب معتقده من اللغة بقوله المؤمن من اعتقد الحق وأعرب عنه بلسانه وصدقه بعمله فجعل التصديق من حظ العمل حتى يتم له أنّ من لم يعمل فقد فوت التصديق الذى هو الإيمان لغة ولقد أوضحنا أنّ التصديق إنما هو بالقلب ولا يتوقف وجوده على عمل الجوارح فما يحقق معتقد أهل السنة أنّ من آمن بالله ورسوله ثم اخترم قبل أن يتعين عليه عمل من أعمال الجوارح فهو مؤمن باتفاق وإن لم يعمل وأصدق شاهد على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى إذا لم يبق بينه وبينها إلا فواق ناقة عمل بعمل أهل الجنة فكتب من أهل الجنة وإنما مثل عليه الصلاة والسلام بفواق الناقة لأنه الغاية فى القصر ومثل هذا الزمان إنما يتصور فيه القصد الصحيح خاصة ومع ذلك فقد عده من أهل الجنة وإنما يدخل المؤمن الجنة باتفاق الفريقين والأدلة على ذلك تجرد كون الشرط فيه شطرا ▪ أقول تفسير الفاسق بغير مؤمن ولا كافر كما هو مذهب المعتزلة غير موجه والشيء الذى هو لم يصرح به لايجب علينا تصريحه وتعريفه فإنّ عندنا أيضا من أخل بالعمل فهو فاسق

يُنفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى

ذلك فى ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودى إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لأنه ينثنى على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعى مصلى تشبيها فى تخشعه بالراكع والساجد ۞ وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال المطلق الذى يستأهل أن يضاف إلى الله ويسمى رزقا منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الإسراف والتبذير المنهى عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كأنه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز أن يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه بأخت الزكاة وشقيقتها وهى الصلاة وأن تراد هى وغيرها من النفقات فى سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق وأنفق الشىء وأنفده أخوان وعن يعقوب نفق الشىء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت ۞ (فإن قلت) والذين يؤمنون أهم غير الأولين أم هم الأولون وإنما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات فى قولك هو الشجاع والجواد وفى قوله

إلى الملك القرم وابن الهمام ۞ وليث الكتيبة فى المزدحم

وقوله

يالهف زيابة للحارث الصـ ۞ ـابح فالغانم فالآيب

(قلت) يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحى أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات واجتماعهم على الإقرار بالنشأة الأخرى وإعادة الأرواح فى الأجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجرى حالهم فى التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها فى الدنيا ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك إنما احتيج إليه فى هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم فى الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل أن يراد وصف الأولين ووسط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (فإن قلت) فإن أريد بهؤلاء غير أولئك فهل يدخلون فى جملة المتقين أم لا (قلت) إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مؤمنى أهل الكتاب وغيرهم وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك ۞ (فإن قلت) قوله بما أنزل إليك إن عنى به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ المضى وإن أريد المقدار الذى سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب (قلت) المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ المضى وإن كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر

۞ قوله تعالى وبما رزقناهم ينفقون ۞ (قال محمود رحمه الله أضاف الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم إنما ينفقون من الحلال المطلق الخ) قال أحمد رحمه الله فهذه بدعة قدرية فإنهم يرون أن الله تعالى لا يرزق إلا الحلال وأما الحرام فالعبد يرزقه لنفسه حتى يقسمون الأرزاق قسمين هذا لله بزعمهم وهذا لشركائه وإذا أثبتوا خالقا غير الله فلا يأنفون عن إثبات رازق غيره أما أهل السنة فلا خالق ولا رازق فى عقدهم إلا الله سبحانه تصديقا بقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون أيها القدرية

(قوله على الكاذتين) فى الصحاح الكاذتان ما نشأ من اللحم فى أعالى الفخذ اه (قوله بأنهم ينفقون الحلال) مبنى على أن الرزق مختص بالحلال وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة الرزق أعم (قوله واجتماعهم على الإقرار) لعله عطف على مجرور من البيانية باعتبار ما عطف عليه من افتراقهم واختلافهم الآتيين فتدبر

النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ماذكرنا ونظيره قولك كل ماخطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء إلا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك على لفظ ماسمى فاعله ⋄ وفى تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعويض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ماعليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذى هو نقيض الأول وهى صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهى من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام كقوله دابة الأرض وقرأ أبوحية النميرى يؤقنون بالهمز جعل الضمة فى جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه

لحب المؤقدان إلى مؤسى ⋄ وجعدة إذ أضاءهما الوقود

(أولئك على هدى) الجملة فى محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين إنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول مابال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التى استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم مالايفعل بمن ليسوا على صفتهم أى الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أهل للمحبة وإن جعلته تابعاً للمتقين وقع الاستئناف على أولئك كأنه قيل ماللمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا ⋄ واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وتارة بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه (فإن قلت) هل يجوز أن يجرى الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثانى على الابتداء وأولئك خبره (قلت) نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله وفى اسم الإشارة الذى هو أولئك إيذان بأن مايرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التى عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله

فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه ⋄ وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمما

ومعنى الاستعلاء فى قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك فى قولهم جعل الغواية مركباً وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم أى منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذى اعتضدوا به على أعمال الخير والترقى إلى الأفضل فالأفضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهماً لايبلغ كنهه ولايقادر قدره كأنه قيل على أى هدى كما تقول لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا وقال الهذلى

فلا وأبى الطير المربة بالضحى ⋄ على خالد لقد وقعت على لحم

(قوله وقرأ أبوحية) لعله أبوحيوة (قوله وامتطى الجهل) أى اتخذ الجهل مطية واتخذ الهوى قعوداً والقعود من الإبل البكر حين يركب والغارب ما بين السنام إلى العنق كما فى الصحاح (قوله وأبى الطير المربة بالضحى) أى المجتمعة العاكفة أفاده الصحاح

مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

* والنون فى من ربهم أدغمت بغنة وبغير غنة فالكسائى وحمزة ويزيد وورش فى رواية والهاشمى عن ابن كثير لم يغنوها وقد أغنها الباقون إلا أباعمرو فقد روى عنه فيها روايتان * وفى تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كلّ واحدة من الأثرتين فى تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التى لو انفردت كفت مميزة على حيالها (فإن قلت) لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (قلت) قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان لأنّ التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شىء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما فى الأولى فهى من العطف بمعزل * وهم فصل وفائدته الدلالة على أنّ الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أنّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك * ومعنى التعريف فى المفلحون الدلالة على أنّ المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون فى الآخرة كما إذا بلغك أنّ إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أى هو الذى أخبرت بتوبته أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوّروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدّون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام أنّ زيداً هو هو فانظر كيف كرّر الله عزّ وجلّ التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهى ذكر اسم الإشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك فى طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدّموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمنى على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهمّ زينا بلباس التقوى واحشرنا فى زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحى بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى * لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التى أهلتهم لإصابة الزلفى عنده وبين أنّ الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدى عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار الرسول وسكوته (فإن قلت) لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله إنّ الأبرار لفى نعيم وإنّ الفجار لفى جحيم وغيره من الآى الكثيرة (قلت) ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لأنّ الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية لأنّ الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين فى الغرض والأسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف (فإن قلت) هذا إذا زعمت أنّ الذين يؤمنون جار على المتقين فأمّا إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر فى صفة أضدادهم كان مثل تلك الآى المتلوّة (قلت) قد مرّ لى أنّ الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبنى على تقدير سؤال فذلك إدراج له فى حكم المتقين وتابع له فى المعنى وإن كان مبتدأ فى اللفظ فهو فى الحقيقة كالجارى عليه * والتعريف فى (الذين كفروا) يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبى لهب وأبى جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن يكون للجنس متناولا كلّ من صمم على كفره تصميما لا يرعوى بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم و(سواء) اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم فى أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لأن وأأنذرتهم أم لم تنذرهم فى موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إنّ الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه كما تقول إنّ زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم فى موضع الابتداء وسواء خبراً مقدما بمعنى سواء عليهم إنذارك

(قوله فى حكم المتقين وتابع له فى المعنى) لعله واتباع له (قوله بعده وغيرهم ودلّ على) لعله كهؤلاء وغيرهم

خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّـا

وعدمه والجملة خبر لأنّ (فإن قلت) الفعل أبداً خبر لامخبر عنه فكيف صحّ الإخبار عنه فى هذا الكلام (قلت) هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى وقدوجدنا العرب يميلون فى مواضع من كلامهم مع المعانى ميلا بيناً من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وإن كان ظاهر اللفظ على مالايصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأساً قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهمّ اغفر لنا أيتها العصابة يعنى أنّ هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أنّ ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما فى علم المستفهم عنهما لأنه قدعلم أنّ أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه ولكن لابعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين ۞ وقرئ (أأنذرتهم) بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح (فإن قلت) ماتقول فيمن يقلب الثانية ألفاً (قلت) هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حدّه وحدّه أن يكون الأوّل حرف لين والثانى حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثانى إخطاء طريق التخفيف لأنّ طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ماقبلها أن تخرج بين بين فأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ماقبلها كهمزة رأس والإنذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصى ۞ (فإن قلت) ماموقع (لايؤمنون) (قلت) إمّا أن يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبراً لإنّ والجملة قبلها اعتراض ۞ الختم والكتم أخوان لأنّ فى الاستيثاق من الشىء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه ۞ والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشىء كالعصابة والعمامة (فإن قلت) مامعنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار (قلت) لاختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأنّ الحق لاينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء اليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لأنها لاتجتلى آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطى عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك وأما التمثيل فإن تمثل حيث لم يستنفعوا بها فى الأغراض الدينية التى كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة فى اللسان والعى ختما عليه فقال

ختم الإله على لسان عذافر ۞ ختما فليس على الكلام بقادر ۞ وإذا أراد النطق خلت لسانه ۞ لحما يحركه لصقر ناقر

(فإن قلت) فلم أسند الختم إلى الله تعالى وإسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح

۞ قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم (قال محمود رحمه الله والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء الخ) قال أحمد رحمه الله وحاصل هذا النقل استعمال الحرف فى أعم معناه فالهمزة المعادلة لأم موضوعة فى الأصل للاستفهام عن أحد متعادلين فى عدم علم التعين فنقلت إلى مطلق المعادلة وإن لم يكن استفهاما واستعملت فى الجزء الحقيقى وكذلك حرف النداء موضوع فى الأصل لتخصيص المنادى بالدعاء ثم نقل إلى مطلق التخصيص ولا نداء كما يكون المجاز بالتخصيص والقصر مثل تخصيص الدابة بذوات الأربع وإن كانت فى الأصل لكل مادب فقد يكون بالتعميم والتعدى مثل تسمية الرجل الشجاع أسداً نقلا لهذا الإسم من موصوف بالشجاعة مخصوص وهو الحيوان المعروف إلى كل موصوف بتلك الصفة غير مقصورة على محلها الأصلى ۞ قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت كيف أسند الختم إلى الله تعالى الخ) قال أحمد رحمه الله هذا أول عشواء خبطها فى مهواة

(قوله لاختم ولاتغشية) ولا تغطية

والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبير العلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما أنا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين إن الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل (قلت) القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها وأما إسناد الختم إلى الله عز وجل فلينبه على أن هذه الصفة فى فرط تمكنها وثبات قدمها كالشىء الخلقى غير العرضى ألا ترى إلى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون أنه بليغ فى الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز أن تضرب الجملة كما هى وهى ختم

من الأهواء هبطها حيث نزل من منصة النص إلى حضيض تأويله ابتغاء الفتنة استبقاء لما كتب عليه من المحنة فانطوى كلامه هذا على ضلالات أعدها وأردها ٭ الأولى مخالفة دليل العقل على وحدانية الله تعالى ومقتضاه أنه لا حادث إلا بقدرة الله تعالى لا شريك له والامتناع من قبول الحق من جملة الحوادث فوجب انتظامه فى سلك متعلقات القدرة العامة التعلق بالكائنات والممكنات ٭ الثانية مخالفة دليل النقل المضاهى لدليل العقل كأمثال قوله تعالى الله خالق كل شىء هل من خالق غير الله وهذه الآية أيضا فإن الختم فيها مسند إلى الله تعالى نصا والزمخشرى رحمه الله لا يأبى ذلك ولكنه يدعى الالتجاء إلى تأويلها لدليل قام عنده عليه فإذا أثبت أن الدليل العقلى على وفق ما دلت عليه وجب إبقاؤها على ظاهرها بل لو وردت على خلاف ذلك ظاهرا لوجب تأويلها بالدليل جمعاً بين العقل والنقل ٭ الثالثة الفرار من نسبة ما اعتقده قبحاً إلى الله تعالى تنزيها على زعمه أن الإشراك به فى اعتقاد أن الشيطان هو الذى يخلق الختم والكافر يخلقه لنفسه بقدرته على خلاف مراد ربه فلقد استوخم من السنة المناهل العذاب وورد من حميم البدعة موارد العذاب ٭ الرابعة الغلط باعتقاد أن ما يقبح شاهدا يقبح غائبا فلما كان المنع من قبول الحق قبيحا فى الشاهد وجب على زعمه أن يكون قبيحا من الغائب وهذه قاعدة قد فرغ من بطلانها فى فنها ٭ الخامسة اعتقاده أن ذلك لو فرض وجوده بقدرة الله تعالى لكان ظلما والله تعالى منزه عن الظلم بقوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد ومن الظلم البين جهل حقيقة الظلم فإنه التصرف فى ملك الغير بغير إذنه فكيف يتصور ثبوت حقيقته لله تعالى وكل مفروض محصور بسور ملكه عز وجل الملك لله الواحد القهار ٭ السادسة أنه فر من اعتقاد نسبة الظلم إلى الله تعالى فتورط فيه إلى عنقه لأنه قد جزم بأن المنع من قبول الحق لو كان من فعل الله تعالى لكان ظلما فيقال له وقد قام البرهان على أنه من فعل الله تعالى فيلزمك أن يكون ظلما تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والخيال الذى يدندن حوله هؤلاء أن أفعال العبد لو كانت مخلوقة لله تعالى لما نعاها على عباده ولا عاقبهم ولا قامت حجة الله عليهم وهذه الشبه قد أجراها فى إدراج كلامه المتقدم فيقال لهم لم قلتم إنها لو كانت مخلوقة لله لما نعاها على عباده فإن أسندوا هذه الملازمة وكذلك يفعلون إلى قاعدة التحسين والتقبيح وقالوا معاقبة الإنسان بفعل غيره قبيحة فى الشاهد لا سيما إذا كانت المعاقبة من الفاعل فيلزم طرد ذلك غائبا قيل لهم ويقبح فى الشاهد أيضا أن يمكن الإنسان عبده من القبائح والفواحش بمرأى منه ومسمع ثم يعاقبه على ذلك مع القدرة على ردعه ورده من الأول عنها وأنتم معاشر القدرية تزعمون أن القدرة التى بها يخلق العبد الفواحش لنفسه مخلوقة لله تعالى على علم منه عز وجل أن العبد يخلق بها لنفسه ذلك فهو بمثابة إعطاء سيف باتر لفاجر يعلم أنه يقطع به السبيل ويسبى به الحريم وذلك فى الشاهد قبيح جزما فسيقولون أجل إنه لقبيح فى الشاهد ولكن هناك حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فرقت بين الشاهد والغائب فحسن من الغائب تمكين عبده من الفواحش مع القدرة على أن لا يقع منه شىء ولم يحسن ذلك فى الشاهد وفى هذا الموطن تتزلزل أقدامهم وتتنكس أعلامهم إذا لاحت لهم قواطع اليقين وبوارق البراهين فيقال لهم ما المانع أن تكون تلك الأفعال مخلوقة لله تعالى ويعاقب العبد عليها لمصلحة وحكمة استأثر الله بها كما فرغتم منه الآن سواء فلم لا يسلك أحدكم الطريق الأعدل وينظر عاقبة هذا الأمر فيصير آخر أول وليفوض من الابتداء إلى خالقه ويتلقى حجة الله تعالى عليه بالقبول والتسليم

(قوله والله يتعالى عن فعل القبيح) هذا مذهب المعتزلة أما عند اهل السنه فيجوز عليه تعالى حلق الشر وإرادته كالخير وإن كان لا يأمر إلا بالخير والختم على القلوب عندهم خلق الضلال فيها كما بين فى علم التوحيد

الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادى إذا هلك وطارت به العنقاء إذا أطال الغيبة وليس للوادى ولا للعنقاء عمل فى هلا كه ولا فى طول غيبته وإنما هو تمثيل مثلت حاله فى هلا كه بحال من سال به الوادى وفى طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافى عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الأغتام التى هى فى خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لاتعى شيئا ولاتفقه وليس له عزوجل فعل فى تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز أن يستعار الإسناد فى نفسه من غير الله فيكون الختم مسنداً إلى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا أن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فإسناده إلى الفاعل حقيقة وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها للفاعل فى ملابسة الفعل كما يضاهى الرجل الأسد فى جراءته فيستعار له اسمه فيقال فى المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفى عكسه سيل مفعم وفى المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفى الزمان نهاره صائم وليله قائم وفى المكان طريق سائر ونهر جار وأهل مكة يقولون صلى المقام وفى المسبب بنى الأمير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال ■ إذا ردّ عافى القدر من يستعيرها ■ فالشيطان هو الخاتم فى الحقيقة أو الكافر إلا أن الله سبحانه لما كان هو الذى أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى المسبب ووجه رابع وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لايؤمن ولا تغنى عنهم الآيات والنذر ولا تجدى عليهم الألطاف المحصلة ولا المقربة إن أعطوها ولم يبق بعد استحكام العلم بأنه لاطريق إلى أن يؤمنوا طوعا واختياراً طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإلجاء وإذا لم تبق طريق إلا أن يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض فى التكليف عبر عن ترك القسر والإلجاء بالختم إشعاراً بأنهم الذين ترامى أمرهم فى التصميم على الكفر والإصرار عليه إلى حد لايتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء وهى الغاية القصوى فى وصف لجاجهم فى الغى واستشرائهم فى الضلال والبغى ووجه خامس وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره فى الحكاية والتهكم قوله تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة » (فإن قلت) اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة فى حكم الختم وفى حكم التغشية فعلى أيهما يعول (قلت) على دخولها فى حكم الختم لقوله تعالى « وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم (فإن قلت) أى فائدة فى تكرير الجار فى قوله وعلى سمعهم (قلت) لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والأسماع فى تعدية واحدة وحين استجد للأسماع تعدية

ويسلك مهتديا بنور العقل ومقتديا بدليل الشرع الصراط المستقيم فإن نازعته النفس وحادثته الهواجس ورغب فى مستند من حيث النظر يأنس به من مفاوز الفكر فليخطر بباله ماذكر عند كل عاقل من التميز بين الحركة الاختيارية والقسرية فلايجد عنده فى هذه التفرقة ريبا فإذا استشعر ذلك فليتنبه فقد لطف به إلى أن انحرف عن مضايق الجبر فادرا أن يلوح به شيطان الضلال إلى مهامه الاعتزال فليمسك نفسه دونها بزمام دليل الوحدانية على أن لافاعل ولاخالق إلا الله تعالى فإذا وقف لم يقف إلا وهو على الصراط المستقيم والطريقة المثلى مارا عليها فى أسرع من البرق الخاطف والريح العاصف فليتأمل الناظر هذا الفصل ويتخذه وزره فى قاعدة الأفعال يقف على الحق إن شاء الله تعالى (قال محمود رحمه الله اللفظ يحتمل أن تكون الاسماع داخلة فى حكم الختم وفى حكم التغشية الخ) قال أحمد رحمه الله وكان جدى رحمه الله يذكر هذا ويزيد عليه أن الاسماع والقلوب لما كانت محوية كان استعمال الختم لها أولى والأبصار لما كانت بارزة وإدراكها متعلق بظاهرها كان الغشاء لها أليق

(قوله نحو قلوب الأغتام) الذى فى الصحاح الغتمة العجمة والاغتم الأعجم الذى لايفصح شيئا والجمع غتم
(قوله سيل مفعم) فى الصحاح أفعمت الاناء ملأته وفيه أيضاً يقال ذيل ذائل وهو الهوان والخزى
(قوله وناقة ضبوث) فى الصحاح ناقة ضبوث يشك فى سمنها فتضبث أى تجس باليد

على حدة كان أدل علي شدة الختم فى الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن فى قوله كلوا فى بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك إذا أمن اللبس فإذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وأنت تريد الجمع رفضوه ولك أن تقول السمع مصدر فى أصله والمصادر لاتجمع فلمح الأصل يدل عليه جمع الأذن فى قوله وفى آذاننا وقر وأن تقدر مضافا محذوفا أى وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن أبى عبلة وعلى أسماعهم (فإن قلت) هلا منع أبا عمرو والكسائى من إمالة أبصارهم مافيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد (قلت) لأنّ الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين وذلك أعون شيء على الإمالة وأن يمال له مالا يمال والبصر نور العين وهو مايبصر به الرائى ويدرك المرئيات كما أنّ البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للأبصار والاستبصار (وقرئ) غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا * والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لأنه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فإنه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا لأنه ينقخ العطش أى يكسره وفراتا لأنه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمى كل ألم فادح عذابا وإن لم يكن نكالا أى عقابا يرتدع به الجانى عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير أنّ العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أنّ الحقير دون الصغير ويستعملان فى الجثث والأحداث جميعاً تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الأغطية غير مايتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لايعلم كنهه إلا الله اللهم أجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك ياواسع المغفرة ■ افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً قلوباً وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتدليساً وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك أنزل فيهم إنّ المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ووصف حال الذين كفروا فى آيتين وحال الذين نافقوا فى ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عمياً وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة * وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفاً كما قيل لوقة فى ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لايكاد يقال الأناس ويشهد لأصله إنسان وأناس وأناسى وأنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أى يبصرون كما سمى الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشراً ووزن ناس فعال لأنّ الزنة على الأصول ألا تراك تقول فى وزن قه افعل وليس معك إلا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر الآتى على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن تكون للعهد والاشارة إلى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبدالله بن أبيّ وأصحابه ومن كان فى حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم فى قولك نزلت ببنى فلان فلم يقرونى والقوم لئام * ومن فى (من يقول) موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال إن جعلت اللام للجنس وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبى (فإن قلت) كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم (قلت) الكفر جمع الفريقين معاً وصيرهم جنساً واحداً وكون المنافقين نوعا من نوعى هذا الجنس مغايراً للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لايخرجهم من أن يكونوا بعضا من الجنس فإنّ الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات إنما تأتى بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية (فإن قلت) لم اختص

(قوله كما قيل لوقة فى ألوقة) اللوقة والألوقة الزبدة أفاده الصحاح (قوله من أسماء الجمع كرخال) الرخل بالكسر الأنثى من ولد الضأن

بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ■

بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر (قلت) اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم فى الخبث وتماديهم فى الدعارة لأن القوم كانوا يهوداً وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثاً مضاعفاً وكفراً موجهاً لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا إيمان فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم فى الإيمان الحقيقى كان خبثاً إلى خبث وكفراً إلى كفر وأيضاً فقد أوهموا فى هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأوله وآخره وفى تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام (فإن قلت) كيف طابق قوله وماهم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأول فى ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثانى فى ذكر شأن الفاعل لا الفعل (قلت) القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك فى ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس فى غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين فى الايمان وإذا شهد عليهم بأنهم فى أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفى ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها (فإن قلت) فلم جاء الإيمان مطلقا فى الثانى وهو مقيد فى الأول (قلت) يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان فى شىء قط لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما (فإن قلت) ما المراد باليوم الآخر (قلت) يجوز أن يراد به الوقت الذى لا حد له وهو الأبد الدائم الذى لا ينقطع لتأخره عن الأوقات المنقضية وأن يراد الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة الذى لا حد للوقت بعده ■ والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع إذا أمر الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر (فإن قلت) كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذى لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذى لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون

(قال محمود رحمه الله فإن قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح الخ) قال أحمد رحمه الله هذا الفصل من كلام الزمخشرى جمع فيه بين الغث والسمين ونحن ننبه على ما فيه من الزبد ليتم للناظر أخذ ما فيه من السنة آمنا من التورط فى وضر البدعة مستعينين بالله وهو خير معين فمما خالف فيه السنة قوله إن الله تعالى عالم بذاته يريد لا بعلم وهذا مما وسمت به المعتزلة فى المقدمة من أنهم يجحدون صفات الكمال الإلهى يبغون بذلك زعمهم التوحيد والتنزيه ومعتقد أهل السنة أن الله تعالى عالم بعلم قديم أزلى متعلق بكل معلوم واجب أو ممكن أو مستحيل ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين وحسبك هذه الآية مصدقة لمعتقدهم فى ثبوت صفة العلم له تعالى وفى عموم تعلقه بالكليات والجزئيات إلى ما وراءها من البراهين الكلامية على ذلك ولسنا بصدد ذكرها فى هذا الكتاب * ومما خالف فيه السنة اعتقاده أن فى الكائنات ما ليس مخلوقا لله تعالى لأنه قبيح على زعمه كالمفهوم من الخداع فى هذه الآية وما جره إلى هاتين النزغتين إلا اعتقاده أنه لا يتم استحالة كونه تعالى مخدوعا إلا بأنه عالم بذاته حتى تعم عالميته كل كائن فلا يخدع إذ نسبة الذات إلى الكائنات نسبة واحدة ولا يتم استحالة كونه تعالى خادعا إلا باستحالة صدور بعض الكائنات عنه لأنه قبيح على زعمهم ولقد وقف هذا التنزيه على ما لا توقف عليه ولا شرط فيه فنحن معاشر أهل السنة نعتقد أن الله تعالى عالم بعلم ومع ذلك نعتقد استحالة كونه مخدوعا لأن علمه عندنا عام التعلق كما وصفنا ونعتقد أنه

والجمع رخال بالكسر وبالضم كذا فى الصحاح (قوله اختاروا الإيمان) لعله احتازوا بالحاء المهملة والزاى كما فى عبارة البيضاوى

وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألاترى إلى قوله ؛ واستمطروا من قريش كل منخدع ؛ وقول ذى الرمة ؛ إن الحليم وذا الإسلام يختلب ؛ فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع (قلت) فيه الوجوه ؛ أحدها أن يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده فى عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم ؛ والثانى أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم ولا أنه غنى عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله فى زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفى وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم ؛ والثالث أن يذكر الله تعالى ويراد الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه خليفته فى أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وإنما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله ؛ والرابع أن يكون من قولهم أعجبنى زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله أحق أن يرضوه وكذلك إن الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره فى كلامهم علمت زيدا فاضلا والغرض فيه ذكر إحاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لأنه كان معلوما له قديما كأنه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله (فإن قلت) هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح (قلت) وجهه أن يقال عنى به فعلت إلا أنه أخرج فى زنة فاعلت لأن الزنة فى أصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعى إليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو أبو حيوة و (يخادعون) بيان ليقول ويجوز أن يكون مستأنفا كأنه قيل ولم يدعون الإيمان كاذبين وما رفقهم فى ذلك فقيل يخادعون (فإن قلت) عم كانوا يخادعون (قلت) كانوا يخادعونهم عن أغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم وإعفاؤهم عن المحاربة وعما كانوا يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من إكرامهم والإحسان إليهم وإعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الأسرار التى كانوا حراصا على إذاعتها إلى منابذيهم (فإن قلت) فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا إلى هذه الأغراض بخداعهم عنها (قلت) لم يظهر عليهم لما أحاط به علما من المصالح التى لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء إبليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من إغواء المنافقين وتلقينهم النفاق أشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة (فإن قلت) ما المراد بقوله (وما يخادعون إلا أنفسهم) (قلت) يجوز أن يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار إلا نفسه أى دائرة الضرار راجعة إليه وغير متخطية إياه وأن يراد حقيقة المخادعة أى وهم فى ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الأباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وأنفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالأمانى وأن يراد وما يخدعون فجىء به على لفظ يفاعلون

لا يصدر كائن فى الوجود إلا عن قدرته لا غير ومع ذلك نمنع أن ينسب الخداع إلى الله تعالى لما يوهم ظاهره من أنه إنما يكون عن عجز عن المكافحة وإظهار المكتوم هذا هو الموهوم منه فى الاطلاق ولكن حيث أطلقه تعالى مقابلا لما ذكره من خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم علمنا أن المراد منه أنه فعل معهم فعلا سماه خداعا مقابلة ومشاكلة وإلا فهو قادر على هتك سترهم وإنزال العذاب بهم رأى العين فهذا معتقد أهل السنة فى هذه الآية وأمثالها لا كالزمخشرى وشيعته الذين يزعمون أنهم يوحدون فيجحدون وينزهون فيشركون والله الموفق للحق وكذلك الخداع المنسوب إليهم على سبيل المجاز عن تعاطيهم أفعال المخادع على ظنهم وأصدق شاهد على أنه مجاز نفيه بعقب إثباته فى قوله وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ففى هذه التتمة نفى احتمال الحقيقة حتى تتعين جهة المجاز وما عده البيانيون من أدلة المجاز صدق نفيه فتأمل هذا الفصل فله على سائر الفصول الفضل

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا

للمبالغة وقرئ ومايخدعون ويخدّعون من خدّع ويخدّعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ مالم يسم فاعله ۝ والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندى كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لأن النفس به ألا ترى إلى قولهم المرء بأصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لأن قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها إليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين أصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه إذا تردد فى الأمر واتجه له رأيان وداعيان لايدرى على أيهما يعرج كأنهم أرادوا داعي النفس وهاجسى النفس فسموهما نفسين إما لصدورهما عن النفس وإما لأن الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولايتخطاهم إلى من سواهم ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم ۝ والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الإنسان حواسه والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادى غفلتهم كالذى لا حس له ۝ واستعمال المرض فى القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول فى جوفه مرض والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصى والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة فى نقائض ذلك والمراد به هنا مافى قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء لأن صدورهم كانت تغلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التى وصفها الله تعالى فى قوله قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ويتحرقون عليهم حسدا إن تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن أبيّ وقول سعيد بن عبادة لرسول الله ﷺ اعف عنه يارسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذى أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذى أعطاكه شرق بذلك أو يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لأن قلوبهم كانت قوية إما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به أن ريح الإسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق أياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند إنزال الله على رسوله النصر وإظهار دين الحق على الدين كله وإما لجراءتهم وجسارتهم فى الحروب فضعفت جبناً وخورا حين قذف الله فى قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ۝ ومعنى زيادة الله إياهم مرضاً أنه كلما أنزل على رسوله الوحى فسمعوه كفروا به فازدادوا كفراً إلى كفرهم فكأن الله هو الذى زادهم ما ازدادوه إسنادا للفعل إلى المسبب له كما أسنده إلى السورة فى قوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم لكونها سببا أو كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا فى البلاد ونقصا من أطراف الأرض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ أبو عمرو فى رواية الأصمعى مرض ومرضا بسكون الراء ۝ يقال ألم فهو (أليم) كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله ۝ تحية بينهم ضرب وجيع ۝ وهذا على طريقة قولهم جد جده والألم فى الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد ۝ والمراد

قوله تعالى « وما يشعرون » الآية (قال محمود رحمه الله تعالى والشعور علم الشيء علم حس الخ) قال أحمد رحمه الله إيضاح هذا الكلام على تفسير الشعور كما قال بأنه علم الشيء من ناحية الحس الخ أنه لما كانت مفسدة النفاق عائدة على المنافق عوداً بيناً جلياً محسوساً نعى عليهم جهلهم بالمحسوس فنفى شعورهم به ولا كذلك معرفة الحق وتميزه عن الباطل فإنه أمر عقلى نظرى

(قوله وناهيك بما كان) لعله بما كان (قوله فضعفت جبنا وخوراً) الخور بالتحريك : الضعف كما فى الصحاح

فِى الْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ السُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۞ وَإِذَا

بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم ونحوه قوله تعالى «مما خطيآتهم أغرقوا» والقوم كفرة وإنما خصت الخطيآت استعظامالها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الإخبار عن الشيء على خلاف ماهو به وهو قبح كله وأما ما يروى عن إبراهيم عليه السلام أنه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمى به وعن أبى بكر رضى الله عنه وروى مرفوعا إياكم والكذب فإنه مجانب للإيمان وقرئ يكذبون من كذبه الذى هو نقيض صدقه أو من كذب الذى هو مبالغة فى كذب كما بولغ فى صدق فقيل صدّق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص أو بمعنى الكثرة كقولهم موتت البهائم وبركت الإبل أو من قولهم كذب الوحشى إذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ماوراءه لأن المنافق متوقف متردد فى أمره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة (وإذا قيل لهم) معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لأنك لو قلت ومن الناس من إذا قيل لهم لاتفسدوا كان صحيحا والأول أوجه ۞ والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد فى الأرض هيج الحروب والفتن لأن فى ذلك فساد مافى الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى «وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» ومنه قيل لحرب كانت بين طيّ حرب الفساد وكان فساد المنافقين فى الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدى إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى الفساد قيل لهم لاتفسدوا كما تقول للرجل لاتقتل نفسك بيدك ولاتلق نفسك فى النار إذا أقدم على ماهذه عاقبته وإنما لقصر الحكم على شيء كقولك إنما ينطلق زيد أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد كاتب ومعنى (إنما نحن مصلحون) أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد و(الا) مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفى لإعطاء معنى التنبيه على تحقق مابعدها والاستفهام إذا دخل على النفى أفاد تحقيقا كقوله «أليس ذلك بقادر» ولكونها فى هذا المنصب من التحقيق لاتكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو مايتلقى به القسم وأختها التى هى أما من مقدمات اليمين وطلائعها ۞ أما والذى لايعلم الغيب غيره ۞ أما والذى أبكى وأضحك ۞ ردالله ما ادعوه من الانتظام فى جملة المصلحين أبلغ ردّ وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف ومافى كلتا الكلمتين الاولىين من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله (لايشعرون) توهم فى النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره إلى الفساد والفتنة والثانى تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوى الأحلام ودخولهم فى عدادهم فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادى جهلهم وفى ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة (فإن قلت) كيف صح أن يسند قيل إلى لاتفسدوا وآمنوا وإسناد الفعل إلى الفعل مما لايصح (قلت) الذى لايصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل وهذا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب ۞ ومافى (كما) يجوز أن تكون كافة مثلها فى ربما ومصدرية مثلها فى بما رحبت ۞ واللام فى الناس للعهد أى كما آمن رسول الله ﷺ ومن معه أو هم ناس معهودون كعبدالله بن سلام وأشياعه لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم أى كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس أى كما آمن الكاملون فى الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم فى فقد التمييز بين الحق والباطل ۞ والاستفهام فى (أنؤمن) فى معنى الإنكار واللام فى (السفهاء) مشار بها إلى الناس كما تقول لصاحبك إن زيدا قد

لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ■ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ

سعى بك فيقول أوقد فعل السفيه ويجوز أن تكون للجنس وينطوى تحته الجارى ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لأنهم عندهم أعرق الناس فى السفه (فإن قلت) لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح (قلت) لأنهم لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولأنهم كانوا فى رياسة وسطة فى قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيراً لشأنهم أو أرادوا عبدالله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت فى أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقياً من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (فإن قلت) فلم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون (قلت) لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغى المؤدى إلى الفتنة والفساد فى الأرض فأمر دنيوى مبنى على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب فى جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاله ، مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير لأن تلك فى بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه فى بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم ما فى قلوبهم وروى أن عبدالله بن أبى وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبدالله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبى بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الإسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد على فقال مرحباً بابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لأصحابه كيف رأيتمونى فعلت فأثنوا عليه خيراً فنزلت ، ويقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريباً منه وهو جارى ملاقى ومراوقى وقرأ أبو حنيفة وإذا لاقوا ■ وخلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به إذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه وإذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك فلانا وأذمه إليك ، وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان فى موضع من كتابه أصلية وفى آخر زائدة والدليل على أصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل (إنا معكم) إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم (فإن قلت) لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بأن (قلت) ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهم فى ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم لا فى ادعاء أنهم أوحديون فى الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والأنصار الذين مثلهم فى التوراة والإنجيل ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين ربنا إننا آمنا وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد (فإن قلت) أنى تعلق قوله (إنما نحن مستهزؤون) بقوله إنا

قوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية الخ) قال أحمد رحمه الله وبنى هذا التقرير على أن الجملة الاسمية أثبت من الفعلية خصوصاً مؤكدة بأن مردفة بإنما على أنه حكى إيمان المؤمنين المخلصين بالجملة الفعلية أيضا فى قوله ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول وعلى الجملة فلقد أحسن الزمخشرى

بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا

معكم (قلت) هو توكيد له لأنّ قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزؤن ردّ للإسلام ودفع له منهم لأنّ المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه لأنّ من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم إنا معكم فقالوا فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزؤن ۝ والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأنّ على مكانى وناقته تهزأ به أى تسرع وتخف ۝ (فإن قلت) لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل ألا ترى إلى قوله قالوا أتتخذنا هزؤا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم (قلت) معناه إنزال الهوان والحقارة بهم لأنّ المستهزئ غرضه الذى يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم فى كلام الله تعالى بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أنّ مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر فى يخادعون من أنه يجرى عليهم أحكام المسلمين فى الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله «وجزاء سيئة سيئة مثلها» «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه» (فإن قلت) كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله (قلت) هو استئناف فى غاية الجزالة والفخامة وفيه أنّ الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذى ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له فى مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه أن الله هو الذى يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله (فإن قلت) فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله إنما نحن مستهزؤن (قلت) لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون فى أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول فى شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم «يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون» (ويمدهم فى طغيانهم) من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وأمدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان فى الغى وأمده إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهما كافيه (فإن قلت) لم زعمت أنه من المدد دون المد فى العمر والإملاء والإمهال (قلت) كفاك دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع وإخوانهم يمدونهم على أن الذى بمعنى أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له (فإن قلت) فكيف جاز أن يوليهم الله مددا فى الطغيان وهو فعل الشياطين ألا ترى إلى قوله تعالى وإخوانهم يمدونهم فى الغى (قلت) إما أن

رحمه الله فى تقريره ما شاء وأجل ما أراد ۝ قوله تعالى إنما نحن مستهزؤن الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يجعله معطوفا الخ) قال أحمد رحمه الله فإن قال قائل أفلا تستفاد هذا المعنى من العطف قيل له لو عطف لأشعر بأنّ الغرض كل الغرض اجتماع مضمون الجملتين وإعراض عن هذا المبنى الذى ينفرد به الاستئناف (قال محمود رحمه الله فإن قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم الخ) قال أحمد رحمه الله ولهذا الفرق بين الفعل والاسم ورد قوله تعالى إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق والطير محشورة لما كان التسبيح من الطوائد متكررا متجددا شيئا فشيئا وحشر الطير معه أمر دائم ذكر التسبيح بصيغة الفعل والحشر بصيغة الاسم وسيأتى إن شاء الله تعالى مزيد تقرير فيه ۝ قوله تعالى ويمدهم فى طغيانهم يعمهون (قال محمود رحمه الله إن قلت كيف جاز أن يوليهم الله مددا من الطغيان الخ) قال أحمد رحمه الله ما يمنعه أن يقره على ظاهره ويبقيه فى نصابه إلا أنه توحيد محض وحق صرف والقدرية من التوحيد على مراحل

يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور فى قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا وأسند إلى الله سبحانه لأنه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية بينه وبين إغواء عباده (فإن قلت) فما حملهم على تفسير المد فى الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه (قلت) استجرهم إلى ذلك خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسندوا إلى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته وإلا كان منه بمنزلة الأروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد فى مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليما من القادح فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ماقلناه قول الحسن فى تفسيره فى ضلالتهم يتمادون وأن هؤلاء من أهل الطبع ﴿ والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو وقرأ زيد بن على رضى الله عنه فى طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان (فإن قلت) أى نكتة فى إضافته إليهم (قلت) فيها أن الطغيان والتمادى فى الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم وأن الله برىء منه رداً لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفياً لوهم من عسى يتوهم عند إسناد المد إلى ذاته لو لم يضف الطغيان إليهم أن الطغيان فعله فلما أسند المد إليه على الطريق الذى ذكر أضاف الطغيان إليهم ليميط الشبه ويقلعها ويدفع فى صدر من يلحد فى صفاته ومصداق ذلك أنه حين أسند المد إلى الشياطين أطلق الغى ولم يقيده بالإضافة فى قوله وإخوانهم يمدونهم فى الغى ﴿ والعمه مثل العمى إلا أن العمى عام فى البصر والرأى والعمه فى الرأى خاصة وهو التحير والتردد لا يدرى أين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه أى الذين لا رأى لهم ولا دراية بالطرق وسلك أرضاً عمهاء لا منار بها ﴿ ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر ومنه

أخذت بالجمة رأساً أزعرا ﴿ وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمراً حيدرا ﴿ كما اشترى المسلم إذ تنصرا

وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بنى إسرائيل تفقهون لغير الدين وتعملون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة (فإن قلت) كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى (قلت) جعلوا لتمكنهم منه وإعراضه لهم كأنه فى أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولأن الدين القيم هو فطرة الله التى فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه

(قال محمود رحمه الله فإن قلت ما النكتة فى إضافة الطغيان إليهم الخ) قال أحمد رحمه الله كل فعل صدر من العبد اختياراً فله اعتباران إن نظرت إلى وجوده وحدوثه وما هو عليه من وجوه التخصيص فانسب ذلك إلى قدرة الله وحده وإرادته لا شريك له وإن نظرت إلى تميزه عن القسر الضرورى فانسبه فى هذه الجهة إلى العبد وهى النسبة المعبر عنها شرعا بالكسب فى أمثال قوله تعالى ﴿ بما كسبت أيديكم ﴾ وهى المتحققة أيضاً إذا عرضت على ذهنك الحركتين الضرورية الرعشية مثلا والاختيارية فإنك تميز بينهما لا محالة بتلك النسبة فإذا تقرر تعدد الاعتبار فمدهم فى الطغيان مخلوق لله تعالى فأضافه إليه ومن حيث كونه واقعاً منهم على وجه الاختيار المعبر عنه بالكسب أضافه إليهم فقرع على أصول السنة بحسن ثمار فروعك فى الجنة لا كما تقرع القدرية فإنهم يجنون ولكن على أنفسهم ألهمنا الله التحقيق وأيدنا بالتوفيق ﴿ قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى (قال محمود رحمه الله الشراء يستدعى بذل العوض الخ) قال أحمد رحمه الله

(قوله ونفياً لوهم من عسى) يريد الرد على أهل السنة القائلين إن الله تعالى هو الفاعل فى الحقيقة للخير والشر وينتصر للمعتزلة القائلين بأنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريده (قوله وسلك أرضاً عمهاء) أى ومنه قولهم سلك الخ (قوله وإعراضه لهم) فى الصحاح اعترض لك الخير إذا أمكنك (قوله وضل دريص نفقه) فى الصحاح الدرص ولد الفأرة واليربوع وأشباه ذلك وفى المثل ضل دريص

مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ *

فاستعير للذهاب عن الصواب فى الدين * والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمى الشف من قولك أشف بعض ولده على بعض إذا فضله ولهذا على هذا شف * والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن أبى عبلة تجاراتهم (فإن قلت) كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها (قلت) هو من الإسناد المجازى وهو أن يسند الفعل إلى شىء يتلبس بالذى هو فى الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين (فإن قلت) هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الإسناد المجازى (قلت) نعم إذا دلت الحال وكذلك الشرط فى صحة رأيت أسداً وأنت تريد المقدام إن لم تقم حال دالة لم يصح (فإن قلت) هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً فى معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة (قلت) هذا من الصنعة البديعة التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب فى البليد كأن أذنى قلبه خطلا وإن جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه

ولما رأيت النسر عزّ ابن داية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم فى أمه

فما أم الردين وإن أدلت * بعالمة بأخلاق الكرام
إذا الشيطان قصع فى قفاها * تنفقناه بالحبل التوام

أى إذا دخل الشيطان فى قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد إذا حردت وأساءت اجتهدنا فى إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم إليه التنفق ثم الحبل التوام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلا لخسارهم وتصويراً لحقيقته (فإن قلت) فما معنى قوله « فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » (قلت) معناه أن الذى يطلبه التجار فى متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معاً لأن رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق فى أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر دامر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر * لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى فى إبراز خبيات المعانى ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبى ولأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين وفى سائر كتبه أمثاله وفشت فى كلام رسول الله ﷺ وكلام الأنبياء والحكماء قال الله تعالى

ومن هذا القبيل منع مالك رضى الله عنه أن يشترى إحدى أوزتين مذبوحتين يختارها المشترى منهما لأنه يعد مختاراً لكل واحدة منهما ثم بائعاً لها بالأخرى فيدخله الربا وهو الذى يعبر عنه متأخروا أصحابه بأن من ملك أن يملك هل يعد مالكا أولا وربما قالوا من خير بين شيئين عدّ منتقلا على أحد القولين (قال محمود رحمه الله (فإن قلت) هب أن شراء الضلالة بالهدى الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا النوع قريب من التتميم الذى يمثله أهل صناعة البديع بقول الخنساء

وإن صخراً لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار لما شابهته فى الاهتداء به بالعلم المرتفع أتبعت ذلك ما يناسبه ويحققه فلم تقنع بظهور الارتفاع حتى أضافت إلى ذلك ظهوراً آخر باشتعال النار فى رأسه

نفقه أى جحره (قوله وادعوا لهما الخطل) الاسترخاء (قوله يريد إذا حردت) فى الصحاح الحرد بالتحريك الغضب

وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ومن سور الإنجيل سورة الأمثال والمثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير (فإن قلت) مامعنى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ومامثل المنافقين ومثل الذى استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه (قلت) قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التى وعد المتقون أى وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ فى بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة مثلهم فى التوراة أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما فى المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة فى الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن (فإن قلت) كيف مثلت الجماعة بالواحد (قلت) وضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا والذى سوغ وضع الذى موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما أنّ الذى لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه فى كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها فى أسماء الفاعلين والمفعولين والثانى أنّ جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون وإنما ذاك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذى استوقد نارا على أنّ المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته وقل فى الجبل إذا صعد وعلا ＊ والنار جوهر لطيف مضىء حار محرق ＊ والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأنّ فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها ＊ والإضاءة فرط الإنارة ومصداق ذلك قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهى فى الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لأنّ ماحول المستوقد أماكن وأشياء ويعضده قراءة ابن أبي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو أن يستتر فى الفعل ضمير النار ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها على أنّ ما مزيدة أو موصولة فى معنى الأمكنة ＊ وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والإطافة وقيل للعام حول لأنه يدور (فإن قلت) أين جواب لما (قلت) فيه وجهان أحدهما أن جوابه (ذهب الله بنورهم) والثانى أنه محذوف كما حذف فى قوله فلما ذهبوا به وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه وكان الحذف أولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التى حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ فى أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ماحوله خمدت فبقوا خابطين فى ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح فى إحياء النار (فإن قلت) فإذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم (قلت) يكون كلاما مستأنفا كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذى طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان (فإن قلت) قد رجع الضمير فى هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه فى الوجه الثانى (قلت) مرجعه الذى استوقد لأنه فى معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده فى حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى (فإن قلت) فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى فى قوله ذهب الله بنورهم) (قلت) إذا طفئت النار بسبب سماوى ريح أو مطر فقد أطفأها الله تعالى وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد فى هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم إما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وإما نارا حقيقية أوقدها الغواة

(قوله فما مرجعه فى الوجه الثانى) لعله السابق

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۞ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ

ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصى ويتهدوا بها فى طرق العيش فأطفأها الله وخيب أمانيهم (فإن قلت) كيف صح فى النار المجازية أن توصف بإضاءة ماحول المستوقد (قلت) هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره (فإن قلت) هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت (قلت) ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء مايسمى نوراً والغرض إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلا ألا ترى كيف ذكر عقيبه (وتركهم فى ظلمات) والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها مايدل على أنها ظلمة مبهمة لايتراءى فيها شبحان وهو قوله (لايبصرون) (فإن قلت) فلم وصفت بالاضاءة (قلت) هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل النزوة كل طماح والفرق بين أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله أخذه فلما ذهبوا به إذاً لذهب كل إله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه ومايمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب وقرأ اليمانى أذهب الله نورهم ۞ وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبى ظله فإذا علق بشيئين كان مضمناً معنى صير فيجرى مجرى أفعال القلوب كقول عنترة ۞ فتركته جزر السباع ينشنه ۞ ومنه قوله وتركهم فى ظلمات أصله هم فى ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافى النور واشتقاقها من قولهم ماظلمك أن تفعل كذا أى مامنعك وشغلك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليمانى فى ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لايبصرون من قبيل المتروك المطرح الذى لايلتفت إلى إخطاره بالبال لامن قبيل المقدر المنوى كأن الفعل غير متعد أصلا نحو يعمهون فى قوله ويذرهم فى طغيانهم يعمهون (فإن قلت) فيم شبهت حالهم بحال المستوقد (قلت) فى أنهم غب الاضاءة خبطوا فى ظلمة وتورطوا فى حيرة (فإن قلت) وأين الاضاءة فى حال المنافق وهل هو أبداً إلا حائر خابط فى ظلماء الكفر (قلت) المراد مااستضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التى ترمى بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم ومافتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والأوجه أن يراد الطبع لقوله (صم بكم عمى) وفى الآية تفسير آخر وهو أنهم وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ماحول المستوقد والضلالة التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التى بنيت عليها للإحساس والإدراك كقوله

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به ۞ وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا ۞ أصم عما ساءه سميع

أصم عن الشىء الذى لاأريده ۞ وأسمع خلق الله حين أريد

فأصممت عمراً وأعميته ۞ عن الجود والفخر يوم الفخار

(فإن قلت) كيف طريقته عند علماء البيان (قلت) طريقة قولهم هم ليوث للشجعان ويجوز للأسخياء إلا أن هذا فى الصفات وذاك فى الأسماء وقد جاءت الاستعارة فى الأسماء والصفات والأفعال جميعاً تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الإسلام وأضاء الحق (فإن قلت) هل يسمى مافى الآية استعارة (قلت) مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغاً لااستعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام كقول زهير

لدى أسد شاكى السلاح مقذف ۞ له لبد أظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحاً قال أبو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول ٭ بأن له حاجة فى السماء

ولبعضهم لاتحسبوا أن فى سرباله رجلا ٭ ففيه غيث وليث مسبل مشبل

وليس لقائل أن يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدإ فأتساق بذلك إلى تسميته استعارة لأنه فى حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج أسد على وفى الحروب نعامة ٭ فتخاء تنفر من صفير الصافر

ومعنى (لايرجون) أنهم لايعودون إلى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين فى مكانهم لايبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى حيث ابتدؤا منه ٭ ثم ثنى الله سبحانه فى شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وإيضاحا غب إيضاح وكما يجب على البليغ فى مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع أنشد الجاحظ ترمون بالخطب الطوال وتارة ٭ وحى الملاحظ خيفة الرقباء

ومما ثنى من التمثيل فى التنزيل قوله وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات وألا ترى إلى ذى الرمة كيف صنع فى قصيدته

أذاك أم نمش بالوشى أكرعه ٭ أذاك أم خاضب بالسعى مرتعه

(فإن قلت) قد شبه المنافق فى التمثيل الأول بالمستوقد نارا وإظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه فى التمثيل الثانى بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق (قلت) لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ومايصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوى صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها مالقوا (فإن قلت) هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما فى قوله « وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء » وفى قول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ٭ لدى وكرها العناب والحشف البالى

(قلت) كما جاء ذلك صريحاً فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج » «ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكون ورجلا سلما لرجل» والصحيح الذى عليه علماء البيان لايتخطونه أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لايتكلف الواحد واحد شىء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء فى القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى «مثل الذين حملوا التوراة» الآية الغرض تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ماسواها من الأوقار لايشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء» المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين فى ضلالتهم وماخبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها فى ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء فى الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق (فإن قلت) الذى كنت تقدره فى المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك أو كمثل ذوى صيب هل تقدر مثله فى المركب منه (قلت) لولا طلب الراجع فى قوله تعالى «يجعلون أصابعهم فى آذانهم» مايرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لأنى أراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلاعلى أولى حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ألاترى إلى قوله إنما مثل الحياة

الدنيا الآية كيف ولى الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا الماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين فى هذا قول لبيد وما الناس إلا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع
لم يشبه الناس بالديار وإنما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية (فإن قلت) أى التمثيلين أبلغ (قلت) الثانى لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك أخر وهم يتدرجون فى نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ (فإن قلت) لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك (قلت) أو فى أصلها لتساوى شيئين فصاعدا فى الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوى فى غير الشك وذلك قولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا ومنه قوله تعالى «ولا تطع منهم آثما أو كفورا» أى الآثم والكفور متساويان فى وجوب عصيانهما فكذلك قوله أو كصيب معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين وأن القصتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وإن مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذى يصوب أى ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضا قال الشماخ
* وأسحم دان صادق الرعد صيب * وتنكير صيب لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار فى التمثيل الأول * وقرئ كصائب والصيب أبلغ * والسماء هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف (فان قلت) قوله (من السماء) ما الفائدة فى ذكره والصيب لا يكون إلا من السماء (قلت) الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء أى من أفق واحد من بين سائر الآفاق لأن كل أفق من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء فى قوله وأوحى فى كل سماء أمرها والدليل عليه قوله * ومن بعد أرض بيننا وسماء * والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير أمده ذلك بأن جعله مطبقا وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد (فان قلت) بم ارتفع (ظلمات) (قلت) بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف * والرعد الصوت الذى يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتفض إذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد * والبرق الذى يلمع من السحاب من برق الشىء بريقا إذا لمع (فان قلت) قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من أن يراد به السحاب أو المطر فأيهما أريد فما ظلماته (قلت) أما ظلمات السحاب فإذا كان أسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة إظلال غمامه مع ظلمة الليل (فإن قلت) كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وإنما مكانهما السحاب (قلت) إذا كانا فى أعلاه ومصبه وملتبسين فى الجملة به فهما فيه ألا تراك تقول فلان فى البلد وما هو منه إلا فى حيز يشغله جرمه (فإن قلت) هلا جمع الرعد والبرق أخذا بالأبلغ كقول البحترى
ياعارضا متلفعا ببروده * يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين فى الأصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعى حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع والثانى أن يراد الحدثان كأنه قيل وإرعاد وإبراق وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف * وجاز رجوع الضمير فى يجعلون إلى أصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال أوهم قائلون لأن المحذوف باق معناه وإن سقط لفظه ألا ترى إلى حسان كيف عول على بقاء معناه فى قوله يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل
حيث ذكر يصفق لأن المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) * ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف أبصارهم (فإن قلت) رأس الأصبع هو الذى يجعل فى الأذن فهلا قيل

* قوله تعالى يجعلون أصابعهم فى آذانهم الآية (قال محمود رحمه الله فإن قلت المجعول من الأصابع فى الآذان رؤسها الخ)

مِّنَ الصَّوَٰعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَٰفِرِينَ ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ

أناملهم (قلت) هذا من الاتساعات فى اللغة التى لايكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وأيديكم فاقطعوا أيديهما أراد البعض الذى هو إلى المرفق والذى إلى الرسغ وأيضا ففى ذكر الأصابع من المبالغة ماليس فى ذكر الأنامل (فإن قلت) فالأصبع التى تسد بها الأذن أصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص (قلت) لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة (فإن قلت) فهلا ذكر بعض هذه الكنايات (قلت) هى ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس فى ذلك العهد وإنما أحدثوها بعد قوله (من الصواعق) متعلق بيجعلون أى من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم فى آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه وهى نار لطيفة حديدة لاتمر بشىء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أى مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا ﴿ وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لأن كلا البناءين سواء فى التصرف وإذا استويا كان كل واحد بناء على حياله ألا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ فى جذب ليس بقلبه لاستوائهما فى التصرف وبناؤها إما أن يكون صفة لقصفه الرعد أو للرعد والتاء مبالغة كما فى الرواية أو مصدراً كالكاذبة والعافية ﴿ وقرأ ابن أبى ليلى حذار الموت وانتصب على أنه مفعول له كقوله ﴿ وأغفر عوراء الكريم ادخاره ﴿ والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لايصح معه إحساس معاقب للحياة ﴿ وإحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى أنهم لايفوتونه كما لايفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لامحل لها ﴿ والخطف الأخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح أفصح وأعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء وأصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على إتباع الياء الخاء وعن زيد بن على يخطف من خطف وعن أبى يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم (كلما أضاء لهم) استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وماهم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون ومايذرون إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فإذا خفى وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد فى قصيف الرعد فأصمهم أو فى ضوء البرق فأعماهم وأضاء إما متعدد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف وإما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم (مشوا) فى مطرح نوره وملق ضوئه ويعضده

قال أحمد رحمه الله لأن فيه إشعارا بأنهم يبالغون فى إدخال أصابعهم فى آذانهم فوق العادة المعتادة فى ذلك فرارا من شدة الصوت (قال محمود رحمه الله فإن قلت فالأصبع التى تسد بها الأذن الخ) قال أحمد رحمه الله لاورود لهذين السؤالين ﴿ أما الأول فلأنه غير لازم أن يسدوا فى تلك الحالة بالسبابة ولابد فإنها حالة حيرة ودهش فأى أصبع اتفق أن يسدوا بها فعلوا غير معرجين على ترتيب معتاد فى ذلك فذكر مطلق الأصابع أدل على الدهش والحيرة أو فلعلهم يؤثرون فى هذه الحال سد آذانهم بالوسطى لأنها أصم للأذن وأحجب للصوت فلم يلزم اقتصارهم على السبابة وأما السؤال الثانى فمفرع على الأول وقد ظهر بطلانه وأيضا ففيه مزيد ركاكة إذ الغرض تشبيه حال المنافقين بحال أمثالهم من ذوى الحيرة فكيف يليق أن يكنى عن أصابعهم بالمسبحات ولعل ألسنتهم ماسبحت الله قط ثم إذا كان الغرض من التمثيل تصوير المعانى فى الأذهان تصور المحسوسات فذلك خليق بذكر الصرائح واجتناب الكنايات والرموز ﴿ قوله تعالى

(قوله سقاه من العيمة) هى شهوة اللبن وقيل شدة شهوته أفاده الصحاح (قوله أو فى ضوء البرق) لعله وفى

وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ إِنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا

قراءة ابن أبى عبلة كلما ضاءلهم والمشى جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتدّ فهو سعى فإذا ازداد فهو عدو (فإن قلت) كيف قيل مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا (قلت) لأنهم حرّاص على وجود ماهمهم به معقود من إمكان المشى وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس ۝ وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر وأن يكون متعدياً منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب أظلم على مالم يسمّ فاعله وجاء فى شعر حبيب بن أوس

هما أظلما حالى ثمت أجليا ۝ ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

وهو وإن كان محدثا لايستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية فاجعل مايقوله بمنزلة مايرويه ألاترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه ومعنى (قاموا) وقفوا وثبتوا فى مكانهم ومنه قامت السوق إذا ركدت وقام الماء جمد ۝ ومفعول شاء محذوف لأنّ الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء وأراد لايكادون يبرزون المفعول إلا فى الشىء المستغرب كنحو قوله ۝ فلو شئت أن أبكى دماً لبكيته ۝ وقوله تعالى ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ﴾ و ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً ﴾ وأراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق ۝ وقرأ ابن أبى عبلة لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله ولاتلقوا بأيديكم ۝ والشىء ما صحّ أن يعلم ويخبر عنه قال سيبويه فى ساقة الباب المترجم بباب مجارى أواخر الكلم من العربية وإنما يخرج التأنيث من التذكير ألا ترى أنّ الشىء يقع على كل ماأخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى والشىء مذكر وهو أعم العام كما أنّ الله أخص الخاص يجرى على الجسم والعرض والقديم تقول شىء لا كالأشياء أى معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال (فإن قلت) كيف قيل (على كل شىء قدير) وفى الأشياء مالاتعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر (قلت) مشروط فى حد القادر أن لايكون الفعل مستحيلا

إنّ الله على كل شىء قدير (قال محمود رحمه الله وفى الأشياء مالا تعلق به للقادر كالمستحيل الخ) قال أحمد رحمه الله هذا الذى أورده خطأ على الأصل والفرع أمّا على الأصل فلأنّ الشىء لايتناول إلا الموجود عند أهل السنة وأمّا على الفرع فلأنا وإن فرعنا على معتقد القدرية والشىء عندهم إنمـا يتناول الموجود والمعدوم الذى يصح وجوده فلا يتناول المستحيل إذاً على هذا التفريع فإيراده إياه نقضاً غير مستقيم على المذهبين وأمّا المقدور بين قادرين فإنها ورطة إنمـا يساق إليها القدرية الذين يعتقدون أن ماتعلقت به قدرة العبد استحال أن يتعلق به قدرة الرب إذ قدرة العبد خالقة فيستغنى الفعل بها عن قدرة خالق آخر ﴿ تعالى الله عما يشركون علواً كبيرا ﴾ وأما أهل السنة فالقادر الخالق عندهم واحد وهو الله الواحد الأحد فتتعلق قدرته تعالى بالفعل فيخلقه وتتعلق به قدرة العبد تعلق اقتران لاتأثير فلذلك لم يخلق مقدور بين قادرين على هذا التفسير وقد حشى الزمخشرى فى أدراج كلامه هذا سلب القدرة القديمة وجحدها وجعل الله تعالى قادراً بالذات لا بالقدرة دس ذلك تحت قوله وفى الأشياء مالاتعلق به لذات القادر ولم يقل لقدرة القادر فليتفطن لدفائنه وكم من ضلالة استدسها فى هذه المقالة والله الموفق ۝ فإن قيل أيها الأشعرية إذا كان الشىء عندكم هو الموجود فما معنى القدرة عليه بعد وجوده وبقائه والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين ﴿ إنّ الله على كل شىء قدير ﴾ ۝ قلنا القدرة تتعلق بمقدورها فتوجده فيكون حينئذ شيئاً فلما كان مآل ماتعلقت به القدرة إلى الشىء حتما صحّ إطلاق الشىء عليه وهو من وادى من قتل قتيلا فله سلبه وإذا سموا الشىء باسم مايؤول إليه غالباً فمـا يؤول إليه حتما أجدر

(قوله منقولا من ظلم الليل) فى الصحاح ظلم الليل بالكسر وأظلم بمعنى عن الفرّاء (قوله وفعل قادر آخر) لعله مبنى على مذهب المعتزلة أنّ العبد هو الفاعل لأفعاله الاختيارية ومذهب أهل السنة أنّ فاعلها فى الحقيقة هو الله تعـالى

رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ

فالمستحيل مستثنى فى نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها فكأنه قيل على كل شىء مستقيم قدير ونظيره فلان أمير على الناس أى على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وإن كان من جملة الناس وأمّا الفعل بين قادرين فمختلف فيه (فإن قلت) ممّ اشتقاق القدير (قلت) من التقدير لأنه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز ▪ لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عندالله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله إياك نعبد وإياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما إنّ فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه مافرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يافلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة فى مجارى أمورك وتستوى على جادة السداد فى مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازاً من طبعه مالا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان فى الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول ۝ وبلغنا بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة أنّ كل شىء نزل فيه ياأيها الناس فهو مكى ويا أيها الذين آمنوا فهو مدنى فقوله (ياأيها الناس اعبدوا ربكم) خطاب لمشركى مكة وياحرف وضع فى أصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه وأمّا نداء القريب فله أى والهمزة ثم استعمل فى مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلا له منزلة من بعد فإذا نودى به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأنّ الخطاب الذى يتلوه معنىّ به جداً (فإن قلت) فما بال الداعى يقول فى جؤاره يارب وياألله وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر (قلت) هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظانّ الزلفى ومايقربه إلى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط فى جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله ▪ وأى وصلة إلى نداء مافيه الألف واللام كما أنّ ذو والذى وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم مفتقر إلى مايوضحه ويزيل إبهامه فلابدّ أن يردفه اسم جنس أو مايجرى مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذى يعمل فيه حرف النداء هو أى والاسم التابع له صفته كقولك يازيد الظريف إلا أنّ أيالايستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وفى هذا التدرج من الابهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أى من الاضافة (فإن قلت) لم كثر فى كتاب الله النداء على هذه الطريقة مالم يكثر فى غيره (قلت) لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة لأنّ كل مانادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ (فإن قلت) لايخلو الأمر بالعبادة من أن يكون متوجها إلى المؤمنين والكافرين جميعاً أو إلى كفار مكة خاصة على ماروى عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم ملتبسون به وهل هو إلا كقول القائل

فلو أنى فعلت كنت من تسـ ۝ أله وهو قائم أن يقوما

وأما الكفار فلايعرفون الله ولايقرون به فكيف يعبدونه (قلت) المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها وأمّا عبادة الكفار فمشروط فيها مالابدّ لها منه وهو الإقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما ومالابدّ للفعل منه فهو مندرج تحت الأمر به وإن لم يذكر حيث لم ينفعل إلا به وكان من لوازمه على أنّ

(قوله يقول فى جؤاره يارب) فى الصحاح جأر الثور يجأر أى صاح وجأر الرجل إلى الله عز وجل أى تضرع

مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله (فإن قلت) فقد جعلت قوله اعبدوا امتثالا لشيئين معاً الأمر بالعبادة والأمر بازديادها (قلت) الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئاً آخر (فإن قلت) ربكم ما المراد به (قلت) كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فإن خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها أرباباً وكان قوله (الذى خلقكم) صفة موضحة مميزة وإن كان الخطاب للفرق جميعاً فالمراد به ربكم على الحقيقة والذى خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه فى خطاب الكفرة خاصة إلا أن الأول أوضح وأصح والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ أبو عمرو خلقكم بالإدغام ، وقرأ أبو السميفع وخلق من قبلكم وفى قراءة زيد بن على والذين من قبلكم وهى قراءة مشكلة ووجهها على إشكالها أن يقال أقحم الموصول الثانى بين الأول وصلته تأكيداً كما أقحم جرير فى قوله ، ياتيم تيم عدى لا أبا لكم ، تيما الثانى بين الأول وما أضيف إليه وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه فى لا أبا لك ولعل للترجي أو الاشفاق تقول لعل زيداً يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى «لعله يتذكر أو يخشى» «لعل الساعة قريب» ألا ترى إلى قوله «والذين آمنوا مشفقون منها» وقد جاءت على سبيل الإطماع فى مواضع من القرآن ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم إذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجرى إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال إن لعل بمعنى كى ولعل لا تكون بمعنى كى ولكن الحقيقة ما ألقيت اليك وأيضا فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا فى مواعيدهم التى يوطنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا إخالة أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة الحلوة فإذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك فى النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذى العز والكبرياء أو يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله «ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم» (فإن قلت) فلعل التى فى الآية ما معناها وما موقعها (قلت) ليست مما ذكرناه فى شيء لأن (قوله خلقكم ، لعلكم تتقون) لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد أيضا ولكن لعل واقعة فى الآية موقع المجاز لا الحقيقة لأن الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلة فى أقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع فى أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم فى صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجى بين أن يفعل وأن لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار (فإن قلت) كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم (قلت) لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعا (فان قلت) فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم (قلت) ليست التقوى غير العبادة

قوله تعالى لعلكم تتقون (قال محمود رحمه الله لعل واقعة فى الآية موقع المجاز الخ) قال أحمد رحمه الله كلام سديد إلا قوله وأراد منهم التقوى والخير فإنه كلام أبرزه على قاعدة القدرية والصحيح والسنة أن الله تعالى أراد من كل أحد ما وقع منه من خير وغيره ولكن طلب الخير والتقوى منهم أجمعين والطلب والأمر عند أهل السنة مباين للإرادة ألهمنا الله صواب القول وسداده (قال محمود رحمه الله فإن قلت فهلا قيل تعبدون الخ) قال أحمد رحمه الله كلام حسن إلا قوله خلقكم للاستيلاء على أقصى غاية العبادة فإنه مفرع على تلك النزغة المتقدمة آنفا والعبارة المحررة فى ذلك على قاعدة السنة أن يقال اعبدوا ربكم الذى خلقكم على حالة من خلقكم معها أن تستولوا على أقصى غاية العبادة وهى التقوى لما

(قوله وأراد منهم الخير والتقوى) مبنى على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يريد إلا الخير وإن وقع خلافه ومذهب أهل السنة أنه يريد الخير والشر وكل ما أراده يقع لإجماع السلف على أنه ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن

بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَإِنْ كُنْتُمْ

حتى يؤدى ذلك إلى تنافر النظم وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا قال اعبدوا ربكم الذى خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة وأشد إلزاما لها وأثبت لها فى النفوس ونحوه أن تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يمينى إلا لجر الأثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع ۞ قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أولا لأنه سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب فى التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الأرض التى هى مكانهم ومستقرهم الذى لابد لهم منه وهى بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشة ثم خلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ماسواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقا لبنى آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا إلى النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون فى خلق أنفسهم وخلق مافوقهم وتحتهم وأن شيئا من هذه المخلوقات كلها لايقدر على إيجاد شىء منها فيتيقنوا عند ذلك أن لابد لها من خالق ليس كمثلها حتى لايجعلوا المخلوقات لله أندادا وهم يعلمون أنها لاتقدر على نحو ماهو عليه قادر والموصول مع صلته إما أن يكون فى محل النصب وصفا كالذى خلقكم أو على المدح والتعظيم وإما أن يكون رفعا على الابتداء وفيه مافى النصب من المدح ۞ وقرأ يزيد الشامى بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده (فإن قلت) هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكرية (قلت) ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها وإذا كان متسهلا فى الجبل وهو وتد من أوتاد الأرض فهو فى الأرض ذات الطول والعرض أسهل ۞ والبناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان أو قبة أو خباء أو طرافا وأبنية العرب أخبيتهم ومنه بنى على امرأته لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا ﴿ فإن قلت ﴾ مامعنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيئته (قلت) المعنى أنه جعل الماء سببا فى خروجها ومادة لها كماء الفحل فى خلق الولد وهو قادر على أن ينشئ الأجناس كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له فى إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال إلى حال وناقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما ودواعى يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وأفكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك فى إنشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ۞ ومن فى (من الثمر) للتبعيض بشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات وقوله فأخرجنا به ثمرات ولأن المنكرين أعنى ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لأنه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولاجعل الرزق كله فى الثمرات ويجوز أن تكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفا (فإن قلت) فيم انتصب (رزقا) (قلت) إن كانت من للتبعيض كان انتصابه بأنه مفعول له وإن كانت مبينة كان مفعولا لأخرج (فإن قلت) فالثمرات مخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التى فى قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للتقرية المدرة وإنما هى مدر متلاحق والثانى أن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها فى الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الأول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد

ركب فيكم من العقول وبينه لكم من البواعث على تقواه فكان جديرا بكم أن لاتدعوا من جهدكم فى التقوى شيئا

فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ

و(لكم) صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا إياكم (فإن قلت) بم تعلق (فلا تجعلوا) (قلت) فيه ثلاثة أوجه أن يتعلق بالأمر أى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له (أندادا) لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل لله ند ولا شريك أو بلعل على أن ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع فى قوله عز وجل لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى فى رواية حفص عن عاصم أى خلقكم لكى تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه أو بالذى جعل لكم إذا رفعته على الابتداء أى هو الذى خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ قال جرير

أتيما تجعلون إلىّ ندا * وماتيم لذى حسب نديد

وناددت الرجل خالفته ونافرته من ندندودا إذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفى مايسد مسده ونفى ماينافيه (فإن قلت) كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه (قلت) لما تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم كما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط وفى ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه

أربا واحداً أم ألف رب * أدين إذا تقسمت الأمور

وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا (فإن قلت) ما معنى (وأنتم تعلمون) (قلت) معناه وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال والإصابة فى التدابير والدهاء والفطنة بمنزل لاتدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لايصطلى بنارهم فى استحكام المعرفة بالأمور وحسن الإحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كأنه قيل وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد أى أنتم العرافون المميزون ثم إنّ ما أنتم عليه فى أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز أن يقدر وأنتم تعلمون أنه لا يماثل أو وأنتم تعلمون مابينه وبينها من التفاوت أو أنتم تعلمون أنها لاتفعل مثل أفعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء * لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الإشراك ويهدمه وعلم الطريق إلى إثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم أنّ من أشرك فقد كابر عقله وغطى على ماأنعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ماهو الحجة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومايدحض الشبهة فى كون القرآن معجزة وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعى أم هو من عند نفسه كما يدعون بإرشادهم إلى أن يحزروا أنفسهم ويذوقوا طباعهم وهم أبناء جنسه وأهل جلدته (فإن قلت) لم قيل (مما نزلنا) على لفظ التنزيل دون الإنزال (قلت) لأنّ المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من محازه لمكان التحدّى وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن مانرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود مايوجد منهم مفرقا حيناً فحيناً وشيئا فشيئا حسب مايعن لهم من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة لايلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بمجموع خطبه أو رسائله ضربة فلو أنزله الله لأنزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » فقيل إن ارتبتم فى هذا الذى وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم نوبة

(قوله لايصطلى بنارهم) لعله يصطلى بدون لا أو لعله لايصطلى إلا بنارهم بزيادة إلا فليحرر ويمكن أن يراد اختصاصهم بكمال المعرفة وأن غيرهم لا يصل إلى شىء مما لديهم من ذلك (قوله وكفاء الحوادث) أى مقابلها ومساويها أفاده الصحاح

واحدة من نوبه وهلموا نجما فرداً من نجومه سورة من أصغر السور أو آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى إزاحة العلل * وقرئ على عبادنا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته ▪ والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى أقلها ثلاث آيات وواوها إن كانت أصلا فإما أن تسمى بسورة المدينة وهى حائطها لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على مافيها وإمّا أن تسمى بالسورة التى هى الرتبة قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة * فى المجد ليس غرابها بمطار

لأحد معنيين لأنّ السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهى أيضاً فى أنفسها مترتبة طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها فى الدين وإن جعلت واوها منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التى هى البقية من الشىء والفضلة منه (فإن قلت) مافائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً (قلت) ليست الفائدة فى ذلك واحدة ولأمرمّا أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور وسائر ماأوحاه إلى أنبيائه على هذا المنهاج مسوّرة مترجمة السور وبوّب المصنفون فى كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده أنّ الجنس إذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون بيانا واحداً ومنها أنّ القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ فى آخر كان أنشط له وأهز لعطفه وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر إذا علم أنه قطع ميلا أو طوى فرسخا أو انتهى إلى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعا وأجزاء وعشوراً وأخماساً ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ماحفظه ويجل فى نفسه ويغتبط به ومنه حديث أنس رضى الله عنه كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا ومن ثمة كانت القراءة فى الصلاة بسورة تامة أفضل ومنها أنّ التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعانى ويتجاوب النظم إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع (من مثله) متعلق بسورة صفة لها أى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا أو لعبدنا ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد (فإن قلت) وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل (قلت) معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم أو فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربياً أو أمياً لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لأحملنك على الأدهم مثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب أراد من كان على صفة الأمير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد أحدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير إلى المنزل أوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب والكلام معردّ الضمير إلى المنزل أحسن ترتيبا وذلك أن الحديث فى المنزل لا فى المنزل عليه وهو مسوق إليه ومربوط به فحقه أن لا يفك عنه برد الضمير إلى غيره ألا ترى أن المعنى وإن ارتبتم فى أنّ القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذاً مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً

---

* قوله تعالى وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الآية (قال محمود رحمه الله الضمير يحتمل عوده لما نزلناه الخ) قال أحمد رحمه الله ومعنى هذا الترجيح أن المتحدى عليهم فى التفسير الأوجه جملة المخاطبين أى أنهم باجتماعهم ومظاهرة بعضهم بعضا عجزة عن الإتيان بطائفة منه وأمّا على التفسير المرجوح فهم مخاطبون بأن يعينوا واحداً منهم يكون معارضا للمتحدى بأنه يأتى بمثل ما أتى به أو ببعضه ولاشك أن عجز الخلائق أجمعين أبهى من عجز واحد منهم ويشهد لرجحان الأول قوله تعالى ولئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ▪

(قوله وأنبل وأفخم) أى أفضل وأعظم أفاده الصحاح (قوله إذا حذق السورة) حذق الشىء أى مهر فيه أفاده الصحاح

لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۞ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وإن ارتبتم فى أن محمداً منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولأنهم إذا خوطبوا جميعاً وهم الجم الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ماأتى به واحد منهم كان أبلغ فى التحدى من أن يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد ولأن هذا التفسير هو الملائم لقوله (وادعوا شهداءكم) والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة ۞ ومعنى دون أدنى مكان من الشىء ومنه الشىء الدون وهو الدنىّ الحقير ودون الكتب إذا جمعها لأن جمع الأشياء إدناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك إذا كان أحطّ منه قليلا ودونك هذا أصله خذه من دونك أى من أدنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت فى الأحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو فى الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راآه بالثناء عليه أنا دون هذا وفوق مافى نفسك واتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حدّ إلى حدّ وتخطى حكم إلى حكم قال الله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » أى لايتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين وقال أمية ۞ يانفس مالك دون الله من واق ۞ أى إذا تجاوزت وقاية الله ولم تناليها لم يقك غيره و (من دون الله) متعلق بادعوا أو بشهداءكم فإن علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدى الله من قول الأعشى ۞ تريك القذى من دونها وهى دونه ۞ أى تريك القذى قدامها وهى قدام القذى لرقتها وصفائها وفى أمرهم أن يستظهروا بالجماد الذى لاينطق فى معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم أو ادعوا شهداءكم من دون الله أى من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله وهذا من المساهلة وإرخاء العنان والإشعار بأن شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الإنسانية والأنفة أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلى فى عقولهم إحالته وتعليقه بالدعاء فى هذا الوجه جائز وإن علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعنى لاتستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد أن ماندعيه حق كما يقوله العاجز عن إقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم وأن الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثاً غير قولهم الله يشهد أنا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على أنفسهم بتناهى العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب أنه سئل عن نسبه فقال قرشى والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله فى هذا المقام ريبة . أو ادعوا من دون الله شهداءكم يعنى أن الله شاهدكم لأنه أقرب إليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم والجن والإنس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى لأنه القادر وحده على أن يأتى بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو فى معنى قوله قل لئن اجتمعت الإنس والجن الآية ۞ لما أرشدهم إلى الجهة التى منها يتعرفون أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم وماجاء به حتى يعثروا على حقيقته وسرّه وامتياز حقه من باطله قال لهم فإذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ماتبغون وبان لكم أنه معجوز عنه فقد صرّح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعدّ لمن كذب وفيه دليلان على إثبات النبوة صحة كون المتحدّى به معجزاً والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لايعلمه إلا الله (فإن قلت) انتفاء إتيانهم بالسورة واجب فهلا جىء بإذا الذى للوجوب دون إن الذى للشك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثانى أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه إن غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكما به (فإن قلت) لم عبر عن الإتيان بالفعل

(قوله مدارة القوم) المدارة جلد يدار ويخرز على هيئة الدلو لكنها تكون واسعة الجوف قصيرة الجوانب لتنغمس فى الماء وإن كان قليلا فتمتلئ منه أفاده الصحاح فهى هنا مجاز

وأى فائدة فى تركه إليه (قلت) لأنه فعل من الأفعال تقول أتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصاراً ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه ألاترى أن الرجل يقول ضربت زيداً فى موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وأفعالا فتقول له بئسما فعلت ولو ذكرت ما أنبته عنه لطال عليه وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله (فإن قلت) ولن تفعلوا ما محلها (قلت) لا محل لها لأنها جملة اعتراضية (فإن قلت) ما حقيقة لن فى باب النفى (قلت) لا ولن أختان فى نفى المستقبل إلا أن فى لن توكيداً وتشديداً تقول لصاحبك لا أقيم غداً فإن أنكر عليك (قلت) لن أقيم غداً كما تفعل فى أنا مقيم وإنى مقيم وهى عند الخليل فى إحدى الروايتين عنه أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نوناً وعند سيبويه وإحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفى المستقبل (فإن قلت) من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة (قلت) لأنهم لو عارضوه بشىء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لاسيما والطاعنون فيه أكثف عدداً من الذابين عنه فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة (فإن قلت) ما معنى اشتراطه فى اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله (قلت) إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم إن استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع (فاتقوا النار) موضعه لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث أنه من نتائجه لأن من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره أن يقول الملك لحشمه إن أردتم الكرامة عندى فاحذروا سخطى يريد فأطيعونى واتبعوا أمرى وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التى هى شعبة من شعب البلاغة وفائدته الإيجاز الذى هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه فى صورته مشيعاً ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها * والوقود ما ترفع به النار وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقوداً عاليا ثم قال والوقود أكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمدانى بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز أن يكون مثل قولك حياة المصباح السليط أى ليست حياته إلا به فكأن نفس السليط حياته (فإن قلت) صلة الذى والتى يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة (قلت) لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى فى سورة التحريم ناراً وقودها الناس والحجارة (فإن قلت) فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة فى سوة التحريم وههنا معرفة (قلت) تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها ناراً موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشاراً بها إلى ما عرفوه أولا (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) (قلت) معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبأنها لإفراط حرها وشدة ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها (فإن قلت) أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة أم هى نيران شتى منها نار بهذه الصفة (قلت) بل هى نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها فى قوله تعالى «قوا أنفسكم وأهليكم ناراً» «فأنذرتكم ناراً تلظى» ولعل لكفار الجن وشياطينهم ناراً وقودها الشياطين كما أن لكفرة الإنس ناراً وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب (فإن قلت) لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقوداً (قلت) لأنهم قرنوا بها أنفسهم فى الدنيا حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله أنداداً وعبدوها من دونه قال الله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه

قوله تعالى «فاتقوا النار التى وقودها الناس» الآية (قال محمود رحمه الله هذه الآية نزلت بالمدينة بعد نزول آية التحريم بمكة الخ) قال أحمد رحمه الله يعنى بالآية قوله تعالى «قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة» لكنى لم أقف على خلاف بين المفسرين أن سورة التحريم مدنية وما اشتملت عليه من القصة المشهورة أصدق شاهد على ذلك فالظاهر أن الزمخشرى وهم فى نقله أنها مكية

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا

فقوله إنكم وماتعبدون من دون الله فى معنى الناس والحجارة وحصب جهنم فى معنى وقودها ولما اعتقد الكفار فى حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة فى نار جهنم إبلاغا فى إيلامهم وإعراقا فى تحسيرهم ونحوه مايفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هى حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعانى التنزيل (أعدت) هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبدالله أعتدت من العتاد بمعنى العدة ۞ من عادته عزّ وجلّ فى كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب مايزلف والتثبيط عن اقتراف مايتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصى وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب (فإن قلت) من المأمور بقوله تعالى (وبشر) (قلت) يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون كل أحد كما قال عليه الصلاة والسلام بشر المشائين إلى المساجد فى الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يأمر بذلك واحداً بعينه وإنما كل أحد مأمور به وهذا الوجه أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به (فإن قلت) علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولانهى يصح عطفه عليه (قلت) ليس الذى اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أونهى يعطف عليه إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهى معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمراً بالعفو والإطلاق ولك أن تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يابنى تميم احذروا عقوبة ماجنيتم وبشر يافلان بنى أسد باحسانى اليهم وفى قراءة زيد بن على رضى الله عنه وبشر على لفظ المبنى للمفعول عطفا على أعدت والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء إذا قال لعبيده أيكم بشرنى بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو الذى أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرنى أخبرنى عتقوا جميعا لأنهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ماظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس فى الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزائد فى غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فأعتبوا بالصيلم ۞ والصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم قال الحطيئة

كيف الهجاء وماتنفك صالحة ۞ من آل لأم بظهر الغيب تأتينى

والصالحات كل ماستقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس (فان قلت) أى فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع (قلت) إذا دخلت على المفرد كان صالحا لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه وإذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس وأن يراد به بعضه لاإلى الواحد منه لأن وزانه فى تناول الجمعية فى الجنس وزان المفرد فى تناول الجنسية والجمعية فى جمل الجنس لافى وحدانه (فان قلت) فما المراد بهذا المجموع مع اللام (قلت) الجملة من الأعمال الصحيحة المستقيمة فى الدين على حسب حال المؤمن فى مواجب التكليف ۞ والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير ۞ تسقى جنة سحقا ۞ أى نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التى هى المرة من مصدر جنه إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان (فان قلت) الجنة مخلوقة أم لا (قلت) قد اختلف فى ذلك والذى يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها فى القرآن على نهج

(قوله وإعراقا فى تحسيرهم) لعله وإغراقا بالغين المعجمة

مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا

الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها (فان قلت) مامعنى جمع الجنة وتنكيرها (قلت) الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (فان قلت) أما يشترط فى استحقاق الثواب بالإيمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر وأن لايندم على ماأوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك (قلت) لما جعل الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز فى العقول أنّ الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وأنه لايبقى مع وجود مفسده إحسانا وأعلم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو أكرام الناس عليه وأعزهم لئن أشركت ليحبطنّ عملك وقال تعالى للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر * (فإن قلت) كيف صورة جرى الأنهار من تحتها (قلت) كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية وعن مسروق أنّ أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود وأنزه البساتين وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظللة والأنهار فى خلالها مطردة ولولا أنّ الماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان والرياض وإن كانت آنق شىء وأحسنه لاتروق النواظر ولاتبهج الأنفس ولاتجلب الأريحية والنشاط حتى يجرى فيها الماء وإلا كان الأنس الأعظم فائتا والسرور الأوفر مفقودا وكانت كتماثيل لاأرواح فيها وصور لاحياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لابد لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها * والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة وإسناد الجرى إلى الأنهار من الإسناد المجازى كقولهم بنوفلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان (فإن قلت) لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار (قلت) أماتنكير الجنات فقدذكر وأماتعريف الأنهار فأن يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب وألوان الفواكه تشير إلى الأجناس التى فى علم المخاطب أو يراد أنهارها فعوّض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة فى قوله فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه الآية * وقوله (كلما رزقوا) لايخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدإ محذوف أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إنّ لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لاتشابه هذه الأجناس فقيل إنّ ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أى أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لايعلمها إلا الله (فإن قلت) ماموقع (من ثمرة) (قلت) هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيأ حمدتك فوقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من أى ثمرة كانت من تفاحها أورمانها أوعنبها أوغير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأنّ الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل أن تقول رزقنى فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من رمان وتحريره أن رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير وإنما المراد النوع من أنواع الثمار ووجه آخر وهو أن يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك أسدا تريد أنت أسدا وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار والجنات الواحدة (فإن قلت) كيف قيل (هذا الذى رزقنا من قبل) وكيف تكون ذات الحاضر عندهم فى الجنة هى ذات الذى رزقوه فى الدنيا (قلت) معناه هذا مثل

---

* قوله تعالى « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا الآية » (قال محمود رحمه الله معناه هذا مثل

الذى رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى قوله (وأتوابه) (قلت) إلى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا لأنّ قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر مارزقوه فى الدارين ونظيره قوله تعالى «إن يكن غنيا أوفقيرا فالله أولى بهما» أى بجنسى الغنى والفقير لدلالة قوله غنيا أوفقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير إلى المتكلم به لقيل أولى به على التوحيد * (فإن قلت) لأى غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة ومابال ثمر الجنة لم يكن أجناسا أخر (قلت) لأنّ الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأى مالم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولأنه إذا ظفر بشىء من جنس ماسلف له به عهد وتقدّم له معه ألف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ماعهد بليغا أفرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وإن كان فائقا حسب أنّ ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها فى الحجم وأنّ الكبرى لاتفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا فى حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعه كان ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية وأجلب للسرور وأزيد فى التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهى الأمر وتمادى الحال فى ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى أنّ ذلك التفاوت العظيم هو الذى يستملى تعجبهم ويستدعى تبجحهم فى كل أوان عن مسروق «نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجرى فى غير أخدود والعنقود اثنتا عشرة ذراعا» ويجوز أن يرجع الضمير فى أتوا به إلى الرزق كما أنّ هذا إشارة إليه ويكون المعنى أنّ مايرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده إنّ الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك والتفسير الأوّل هو هو (فإن قلت) كيف موقع قوله وأتوا به متشابها من نظم الكلام (قلت) هو كقولك فلان أحسن بفلان ونعم مافعل ورأى من الرأى كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى «وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وكذلك يفعلون» وما أشبه ذلك من الجمل التى تساق فى الكلام معترضة للتقرير * والمراد بتطهير الأزواج أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة ومالا يختص بهنّ من الأقذار والأدناس ويجوز لمجيئه مطلقا أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذى عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بأنفسهنّ ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهنّ ومثالبهنّ وخبثهن وكيدهنّ (فإن قلت) فهلا جاءت الصفة مجموعة كما فى الموصوف (قلت) هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهنّ فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهى فاعلة ومنه بيت الحماسة

وإذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت

والمعنى وجماعة أزواج مطهرة وقرأ زيد بن على مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفى كلام بعض العرب ماأحوجنى إلى بيت الله فأطهر به أطهرةً أى فأتطهر به تطهرة (فإن قلت) هلا قيل طاهرة (قلت) فى مطهرة فخامة لصفتهنّ ليست فى طاهرة وهى الإشعار بأنّ مطهرا طهرهنّ وليس ذلك إلا الله عزّ وجلّ المريد بعباده الصالحين أن يخوّلهم كلّ مزية فيما أعدّ لهم * والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذى لاينقطع قال الله تعالى «وما جعلنا لبشر

الذى رزقناه من قبل الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من التشبيه بغير الأداة وهو أبلغ مراتب التشبيه كقولهم أبو يوسف أبو حنيفة

(قوله وجماعة أزواج مطهرة) لعلّ الواو مزيدة من الناسخ أو لعلّ أصله ولهم فيها جماعة أزواج

من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون » وقال امرؤ القيس

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى ٭ وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى
وهل ينعمن إلا سعيد مخلد ٭ قليل الهموم مايبيت بأوجال

سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة فى المضروب به المثل إذاً إلا أمراً تستدعيه حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ألاترى إلى الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التى جعلها الكفار أنداداً لله تعالى لاحال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذى دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب فى تمثيله محق فى قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال مايحتكمه ويستدعيه ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر فى الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذى لاتمر الشبهة بساحته والصواب الذى لايرتع الخطأ حوله وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولايلقون أذهانهم أوعرفوا أنه الحق إلا أن حب الرياسة وهوى الألف والعادة لايخليهم أن ينصفوا فإذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار وإن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين فى غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف أنكروا ذلك ومازال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة فى حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا فى البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتنى مخ البعوض ولقد ضربت الأمثال فى الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لاتغنى استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذى لا يبقى له متمسك بدليل ولامتشبث بأمارة ولا إقناع أن يرمى لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة إذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله عز وجل هذه الآية ٭ والحياء تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف مايعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كمايقال نسى وحشى وشظى الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحيى لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك فى وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد فى مكانه خجلا (فإن قلت) كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولايجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك فى حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله حيي كريم يستحيي إذا

٭ قوله تعالى إن الله لا يستحيي الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت كيف جاز وصف الله تعالى بالاستحيائية الخ) قال أحمد رحمه الله ولقائل أن يقول ما الذى دعاه إلى تأويل الآية مع أن الحياء الذى يخشى نسبة ظاهره إلى الله تعالى

(قوله فإذا سمعوه عاندوا) لعل زيادة الفاء فى خبر إن لشبه اسمها بالشرط (قوله وأصرد من جرادة) فى الصحاح صرد الرجل بالكسر فهو صرد ومصراد يجد البرد سريعا (قوله كالزوان والنخالة) فى الصحاح الزوان حب يخالط البر (قوله إذا اعتلت هذه الأعضاء) عرق النسا والحشا والشظى وفى الصحاح الشظى عظيم مستدق ملزق بالذراع فإذا

بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ

رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا» (قلت) هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج إليه حياء منه وكذلك معنى قوله (إن الله لا يستحي) أى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام

من مبلغ أفناء يعرب كلها ٭ أني بنيت الجار قبل المنزل

وشهد رجل عند شريح فقال إنك لسبط الشهادة فقال الرجل إنها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذى سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه

إذا ما استحين الماء يعرض نفسه ٭ كرعن بسبت فى إناء من الورد

وقرأ ابن كثير فى رواية شبل يستحى بياء واحدة وفيه لغتان التعدى بالجار والتعدى بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا ٭ وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفى الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتما من ذهب و (ما) هذه إبهامية وهى التى إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته شياعا وعموما كقولك أعطنى كتابا ما تريد أى كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتى فى قوله فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحي أن يضرب مثلا حقا أو البتة هذا إذا نصبت (بعوضة) فإن رفعتها فهى موصولة صلتها الجملة لأن التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف فى «تماما على الذى أحسن» ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التى فيها معنى الاستفهام

مسلوب فى الآية كقولنا الله ليس بجسم ولا بجوهر فى معرض التنزيه والتقديس وأما تأويل الحديث فمستقيم لأن الحياء فيه ثبت لله تعالى وللزمخشرى أن يجيب بأن السلب فى مثل هذا إنما يطرأ على ما يمكن نسبته إلى المسلوب عنه إذ مفهوم نفى الاستحياء عنه فى شىء خاص ثبوت الاستحياء فى غيره فالحاجة داعية إلى تأويله لما أفضى إليه مفهومه وإنما يتوجه السؤال لو كان الاستحياء مسلوبا مطلقا كقولنا الله لا يحول ولا يزول فإن ذلك لا يثبت ومحال بل يقال هو مقدس منزه مطلقا (قال محمود رحمه الله وما هذه إبهامية الخ) قال أحمد رحمه الله وفيها وهم إمام الحرمين فى تقرير نصوصية العموم فى قوله عليه الصلاة والسلام أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها الحديث فإنه قرر العموم والإبهام فى أى ثم قال فإذا انضافت إليها ما الشرطية كان ذلك أبلغ فى اقتضاء العموم فاعتقد أن المؤكدة هى الشرطية وإنما هى حرف مزيد لهذا الغرض وأما ما الشرطية فاسم كمن والله الموفق (قال محمود هذا إذا نصبت بعوضة فإن رفعتها فهى إذا موصولة إلى قوله ووجه آخر جميل وهو أن تكون الخ) قال أحمد حملها على الاستفهامية بالمعنى الذى قرره فيه نظر لأن قوله تعالى «فما فوقها» فى الحقارة فيكون معناه فما دونها وأما أن يراد به فما هو أكبر منها حجما وعلى كلا التقديرين يتقدر الاستفهام لأنه إنما يستعمل فى مثل ما دينار ودينار ان أى إذا جاد بالكثير فما القليل وإذا ذهبت فى الآية هذا المذهب لم تجد لصحته مجالا إذ يكون المراد إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا بالمحقرات فما البعوضة وما هو أحقر منها وقد فرضنا

تحرك فى موضعه قيل قد شظى الفرس (قوله بسبت فى إناء من الورد) فى الصحاح السبت بالكسر جلود البقر المدبوغة بالقرظ اه وهو فى البيت مجاز كالإناء من الورد

لما استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال إن الله لايستحي أن يضرب للأنداد ماشاء من الأشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لايبالى بما وهب مادينار ودیناران والمعنى أن الله أن يتمثل للأندادوحقارة شأنها بمالا شيء أصغر منه وأقل كما لو تمثل بالجزء الذى لايتجزأ وبما لايدركه لتناهيه فى صغره إلا هو وحده بلطفه أو بالمعدوم كما تقول العرب فلان أقل من لاشيء فى العدد ولقد ألم به قوله تعالى «إن الله يعلم مايدعون من دونه من شيء» وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن العجاج وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم والمشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما أظنه ذهب فى هذه القراءة إلا إلى هـذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بأنها عطف بيان لمثلا أو مفعول لبضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وأنشد

لنعم البيت بيت أبى دثار * إذا ما خاف بعض القوم بعضا

ومنه بعض الشيء لأنه قطعه منه والبعوض فى أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش (فما فوقها) فيه معنيان أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها فى المعنى الذى ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان أسفل الناس وأنذلهم هو فوق ذاك تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثانى فما زاد عليها فى الحجم كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذمّ من عرفته يشح بأدنى شيء فقال فلان يخل بالدرهم والدرهمين هو لايبالى أن يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه مابخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كأنك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه فى الاحتمالين ماسمعناه فى صحيح مسلم عن ابراهيم عن الأسود قال دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله عنها وهى بمنى وهم يضحكون فقالت مايضحككم قالوا فلان خرّ على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب فقالت لاتضحكوا إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة

أنها فى أحد الوجهين نهاية فى المحقرات وفى الوجه الآخر ليست نهاية بل النهاية فى قوله فما فوقها أى دونها فإذا حمل مابعد الاستفهام على النهاية فى الوجهين جميعاً لم ينتظم التنبيه المذكور بل ينعكس الغرض فيه إذ المقصود فى مثل قولنا فلان لايبالى بعطاء الألوف فما الدينار الواحد التنبيه على أن إعطاء القليل منه محقق بعطائه الكثير بطريق الأولى ولا يتحقق فى الآية على هذا التقدير أنه لايستحي من ضرب المثل بالمحقرات التى لاتبلغ النهاية فكيف يستحى من ضرب المثل بما يبلغ النهاية فى الحقارة كالبعوضة هذا عكس لنظم الأولوية ولو كانت الآية مثلا واردة على غير هذا التكلم كقول القائل إن الله لايستحي أن يضرب مثلا بالبعوضة التى هى نهاية فى الحقارة فما الأنعام التى هى أبهى من البعوضة أو أبعد منها عن الحقارة بما لا يخفى لكان تقرير الزمخشرى متوجها وما أراه والله أعلم إلا واهما فى هذا الوجه وما طولت النفس ووسعت العبارة فى الاعتراض عليه إلا أنه محل ضيق ومعنى متعاص لايخلص إلى الفهم إلا بهذا المزيد من البسط وناهيك بموضع العكس على فهم الزمخشرى بل مع تعوّد فهمه وإصابة نسجه خصوصا فى تنسيق المعانى وتفصيلها والله الموفق وما تبجحه بالعثور على الوجه الذى ظنّ أن رؤبة بن العجاج رعاه فى قراءته فكلام ركيك توهم أنّ القراءة موكولة إلى رأى القارئ وتوجيه لها ونصرته بالعربية وفصاحته فى اللغة وليس الأمر كذلك بل القراءة على اختلاف وجوهها وبعد حروفها سنة تتبع وسماع يقضى بنقله الفصيح وغيره على حدّ سواء لاحيلة للفصيح فى تعسر شيء منه عما سمعه عليه وما يصنع بفصاحته فى القرآن الذى بدّد كل فصاحة وعزل كل بلاغة فالصحيح والمعتقد أن كل قارئ معزول إلا عما سمعه فوعاه وتلقنه من الأفواه فأدّاه إلى أن ينتهى ذلك إلى استماع من أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فتأمل هذا الفصل فإن فاهمه قليل

(قوله وبمالايدركه) لعله أو بما (قوله وكذلك الخموش) فى الصحاح الخموش بالفتح البعوض

بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۞ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ

ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها فى القلة وهى نحو نخبة النملة فى قوله عليه الصلاة والسلام ما أصاب مؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهى عضتها ويحتمل ماهو أشد من الشوكة وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط (فإن قلت) كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهى النهاية فى الصغر (قلت) ليس كذلك فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضرب به رسول الله ﷺ مثلا للدنيا وفى خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها ربما رأيت فى تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لايكاد يجليها للبصر الحاد إلا تحركها فإذا سكنت فالسكون يواريها ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل فى خلقه ماهو أصغر منها وأصغر « سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون » وأنشدت لبعضهم :

يامن يرى مد البعوض جناحها ۞ فى ظلمة الليل البهيم الأليل ۞ ويرى عروق نياطها فى نحرها
والمخ فى تلك العظام النحل ۞ اغفر لعبد تاب من فرطاته ۞ ماكان منه فى الزمان الأول

و(أما) حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته فى الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت توكيد ذاك وأنه لامحالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه فى تفسيره مهما يكن من شىء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل لفائدتين بيان كونه توكيداً وأنه فى معنى الشرط ففى إيراد الجملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق ونعى على الكافرين إغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء و(الحق) الثابت الذى لايسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج و (ماذا) فيه وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذى فيكون كلمتين وأن يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحداً فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الأول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثانى منصوب المحل فى حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله والأصوب فى جوابه أن يجىء على الأول مرفوعا وعلى الثانى منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول فى جواب من قال ما رأيت خيراً أى المرئى خير وفى جواب ما الذى رأيت خيراً أى رأيت خيراً وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين ۞ والإرادة نقيض الكراهة وهى مصدر أردت الشىء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك وفى حدود المتكلمين الإرادة معنى يوجب للحى حالا لأجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا فى إرادة الله فبعضهم على أن للبارى مثل صفة المريد منا التى هى القصد وهو أمر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على أن معنى إرادته لأفعاله هو أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى إرادته لأفعال غيره أنه أمر بها والضمير فى أنه الحق للمثل أو لأن يضرب وفى قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة رضى الله عنها فى عبدالله بن عمرو بن العاصى ياعجباً لابن عمرو هذا (مثلا) نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث ماذا أردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية ۞ وقوله (يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقاً من باب الهدى الذى ازداد به المؤمنون نوراً إلى نورهم وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التى زادت الجهلة خبطا فى ظلماتهم (فإن قلت) لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادى الشكور وقليل ماهم الناس كإبل مائة

قوله تعالى يضل به كثيراً الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت كيف وصف المهديون بالكثرة الخ) قال أحمد رحمه الله جوابه صحيح وتنظيره بالبيت وهم لأن الشاعر إنما ذهب إلى أن عدد الكرام وإن كان قليلا منهم فى نفسه فالواحد منهم لعموم نفعه

لاتجد فيها راحلة وجدت الناس أخبر تقله (قلت) أهل الهدى كثير فى أنفسهم وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال وأيضاً فإنّ القليل من المهديين كثير فى الحقيقة وإن قلوا فى الصورة فسموا ذهاباً إلى الحقيقة كثيراً

إنّ الكرام كثير فى البلاد وإن ٭ قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا

وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد فقال يا أبا يحيى أما ترى مانحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لى فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك ٭ وقرأ زيد بن على يضل به كثير وكذلك ومايضل به إلا الفاسقون ٭ والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة ٭ فواسقاً عن قصدها جوائرا ٭ والفاسق فى الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أى بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء رضى الله عنه وعن أشياعه وكونه بين بين أنّ حكمه حكم المؤمن فى أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين وهو كالكافر فى الذمّ واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لاتقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية أنّ الصلاة لاتجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان فى كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان يريد اللمز والتنابز إنّ المنافقين هم الفاسقون ٭ النقض الفسخ وفك التركيب (فإن قلت) من أين ساغ استعمال النقض فى إبطال العهد (قلت) من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان فى بيعة العقبة يارسول الله إنّ بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى أنّ الله عزوجل أعزّك وأظهرك أن ترجع إلى قومك وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشىء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شىء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحو قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش

وانبساط كرمه يقوم مقام ألف من جنسه مثلا وعدد اللئام وإن كثروا فالأكثرون منهم يعدّون بواحد من غيرهم لغلّ أيديهم وانقباضها عن الجود وعدم تعدى نفع منهم إلى غيرهم كقول ابن يزيد :

الناس ألف منهم كواحد ٭ وواحد كألف إن أمر عرا

وأما الآية فمضمونها أن عدد المهديين كثير فى نفسه ومضمون الآيات الأخر أنّ عددهم قليل بالنسبة إلى كثرة عدد الضالين فمعبر عنه تارة بالكثرة نظراً إلى ذاته وتارة بالقلة نظراً إلى غيره فليس معنى البيت من الآية فى شىء (قال محمود رحمه الله ونسبة الإضلال إلى الله تعالى من إسناد الفعل إلى السبب الخ) قال أحمد رحمه الله جرى على سنة السبية فى اعتقاد أنّ الإشراك بالله وأن الإضلال من جملة المخلوقات الخارجة عن عدد مخلوقاته عزّ وجلّ بل من مخلوقات العبد لنفسه على زعم هذه الطائفة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وانظر إلى ضيق الخناق فغلبة الحكايات لإطلاقات المشايخ فرتب عليها حقائق العقائد وهذا من ارتكاب الهوى واقتحام الهلكة وما أشنع تصريحه بأنّ الله سبب الإضلال لاخالقه كما أنّ السلة سبب فى وضع القيود فى رجل المحبوس وإسناد الفعل لله عزّ وجلّ مجاز لاحقيقة كما أنّ إسناد الفعل إلى البلد كذلك ياله فى تمثيل صار به مثلة وتنظير صار به حائداً عن النظر الصحيح مردود على التفصيل والجملة ، نسأل الله تعالى العصمة من أمثال هذه الزلة وهو ولى التوفيق

(قوله وهو النازل بين المنزلتين) هذا عند المعتزلة وأمّا عند أهل السنة فهو مؤمن والفسق لا يخرجه عن الإيمان (قوله وعن أشياعه) هم المعتزلة (قوله وعلى المرأة بأنها فراش) بناء على أنّ الوثارة لين الفراش خاصة

مِيثَٰقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۞ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا

۞ والعهد الموثق وعهد إليه فى كذا إذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه إذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعاً (فإن قلت) فما المراد بعهد الله (قلت) ماركز فى عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله «وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم» وقوله فى الإنجيل لعيسى صلوات الله عليه ۞ سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بنى إسرائيل وما أريته إياهم من الآيات وما أنعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذى واثقوا به وما ضيعوا من عهده إليهم وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله تعالى وأوفوا بعهده ونصره إياهم وكيف أنزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقهم ولم يوفوا بعهده لأن اليهود فعلوا باسم عيسى مافعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغى بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود: العهد الأول الذى أخذه على جميع ذرية آدم الإقرار بربوبيته وهو قوله تعالى «وإذ أخذ ربك» وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله تعالى «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم» وعهد خصّ به العلماء وهو قوله «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه» والضمير فى ميثاقه للعهد وهو ماوثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى أى من بعد توثقته عليهم أو من بعد ماوثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله ۞ ومعنى قطعهم (ما أمر الله به أن يوصل) قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق فى إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض (فإن قلت) ما الأمر (قلت) طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمى الأمر الذى هو واحد الأمور لأن الداعى الذى يدعو إليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه أى قصدت قصده (هم الخاسرون) لأنهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها ۞ معنى الهمزة التى فى (كيف) مثله فى قولك أتكفرون بالله ومعكم مايصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح (فان قلت) قولك أتطير بغير جناح إنكار للطيران لأنه مستحيل بغير جناح وأما الكفر فغير مستحيل مع ماذكر من الإماتة والإحياء (قلت) قد أخرج فى صورة المستحيل لما قوى من الصارف عن الكفر والداعى إلى الإيمان (فان قلت) فقد تبين أمر الهمزة وأنها لانكار الفعل والإيذان باستحالته فى نفسه أو لقوة الصارف عنه فما تقول فى كيف حيث كان إنكارا للحال التى يقع عليها كفرهم (قلت) حال الشىء تابعة لذاته فإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان إنكار حال الكفر لأنها تبيع ذات الكفر ورديفها إنكاراً لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ وتحريره أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم أن كل موجود لاينفك عن حال وصفة عند وجوده ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهانى ۞ والواو فى قوله (وكنتم أمواتا) للحال (فان قلت) فكيف صح أن يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الأمير ولكن وقد قام لاأن يضمر قد (قلت) لم تدخل الواو على كنتم

(قوله الإقرار بربوبيته) لعله من الإقرار

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

أمواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم أمواتا إلى ترجعون كأنه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفا فى أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم (فان قلت) بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضى والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقعا حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ماهو حال عنه فما الحاضر الذى وقع حالا (قلت) هو العلم بالقصة كأنه قيل كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها (فان قلت) فقد آل المعنى إلى قولك على أى حال تكفرون فى حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته (قلت) قد ذكرنا أن معنى الاستفهام فى كيف الإنكار وإن إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية فكأنه قيل ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه (فان قلت) إن اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالإحياء الثانى والرجوع (قلت) قد تمكنوا من العلم بها بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا ۞ والأموات جمع ميت كالأقوال فى جمع قيل (فان قلت) كيف قيل لهم أموات فى حال كونهم جمادا وإنما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى (قلت) بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الأرض الميتة أموات غير أحياء ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما فى أن لا روح ولا إحساس (فان قلت) ما المراد بالإحياء الثانى (قلت) يجوز أن يراد به الإحياء فى القبر وبالرجوع النشور وأن يراد به النشور وبالرجوع المصير إلى الجزاء (فان قلت) لم كان العطف الأول بالفاء والإعقاب بثم (قلت) لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء والاحياء الثانى كذلك متراخ عن الموت إن أريد به النشور تراخيا ظاهرا وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور (فان قلت) من أين أنكر اجتماع الكفر مع القصة التى ذكرها الله لأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر أم على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر (قلت) يحتمل الأمرين جميعا لأن ماعدده آيات وهى مع كونها آيات من أعظم النعم (لكم) لأجلكم ولانتفاعكم به فى دنياكم ودينكم أما الانتفاع الدنيوى فظاهر وأما الانتفاع الدينى فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الأنس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والأحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على أن الأشياء التى يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات فى العقل خلقت فى الأصل مباحة مطلقا لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها (فان قلت) هل لقول من زعم أن المعنى خلق لكم الأرض وما فيها وجه صحة (قلت) إن أراد بالأرض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة فى الجهات السفلية و (جميعا) نصب على الحال من الموصول الثانى ۞ والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره إذا قام

قوله تعالى هو الذى خلق لكم الآية (قال محمود رحمه الله تعالى وقد استدل بقوله خلق لكم على أن الأشياء التى يصح أن ينتفع بها الخ) قال أحمد رحمه الله هذا استدلال فرقة من القدرية ذهبت إلى أن حكم الله تعالى الإباحة فى ذوات المنافع التى لا يدل العقل على تحريمها قبل ورود الرسل تلقيا من العقل وزعموا أنها اشتملت على منافع وحاجة الخلق داعية اليها فخلقها مع خطرها على العباد خلاف مقتضى الحكمة فوجب عندهم بمقتضى العقل أن يعتقدوا إباحتها فى حكم الله عز وجل وهذا زلل ناشئ عن قاعدة التحسين والتقبيح الباطلة وأما استدلال الزمخشرى لهذه الفرقة بالآية فغير مستقيم فإن دعواهم أن العقل كاف فى إباحة هذه الأشياء فان دلت الآية على الإباحة فنحن نقول بموجبها ويكون إذاً

(قوله كالأقوال فى جمع قيل) ملك من ملوك حمير وأصله قيل بالتشديد ومن جمعه على أقيال لم يجعل أصله مشددا كذا فى الصحاح

الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞

واعتدل ثم قيل استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى إلى السماء أى قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق مافى الأرض من غير أن يريد فيمابين ذلك خلق شيء آخر ۞ والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى إلى فوق ۞ والضمير فى (فسواهن) ضمير مبهم ۞ و (سبع سموات) تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع إلى السماء والسماء فى معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربى هو الأول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه من العوج والفطور أو إتمام خلقهن (وهو بكل شيء عليم) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق مافى الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم (فإن قلت) مافسرت به معنى الاستواء إلى السماء يناقضه ثم لإعطائه معنى التراخى والمهلة (قلت) ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الأرض لا للتراخى فى الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على أنه لو كان لمعنى التراخى فى الوقت لم يلزم ما اعترضت به لأن المعنى أنه حين قصد إلى السماء لم يحدث فيما بين ذلك أى فى تضاعيف القصد إليها خلقا آخر (فإن قلت) أما يناقض هذا قوله «والأرض بعد ذلك دحاها» (قلت) لا لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحاها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الأرض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق (وإذ) نصب بإضمار اذكر ويجوز أن ينتصب بقالوا ۞ والملائكة جمع ملأك على الأصل كالشمائل فى جمع شمأل وإلحاق التاء لتأنيث الجمع ۞ و (جاعل) من جعل الذى له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله فى الأرض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير (فى الأرض خليفة) والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لأنهم كانوا سكان الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته (فإن قلت) فهلا قيل خلائف أو خلفاء (قلت) أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر أبى القبيلة فى قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أو خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز أن يريد خليفة منى لأن آدم كان خليفة الله فى أرضه وكذلك كل نبى إنا جعلناك خليفة فى الأرض (فإن قلت) لأى غرض أخبرهم بذلك (قلت) ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته فى استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة فى وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة فى أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (أتجعل فيها) تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذى لا يفعل إلا الخير ولا يريد إلا الخير (فإن قلت) من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وإنما هو غيب (قلت) عرفوه بإخبار من الله أو من جهة اللوح أو ثبت فى علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة ۞ وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من أسفك وسفك ۞ والواو فى (ونحن) للحال كما تقول أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان والتسبيح تبعيد الله عن السوء ۞ وكذلك تقديسه من سبح فى الأرض والماء وقدس فى الأرض إذا ذهب فيها وأبعد ۞ و (بحمدك) فى موضع الحال أى نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لأنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك (أعلم مالا تعلمون) أى أعلم من المصالح فى ذلك ماهو خفى

إباحة شرعية سمعية وإن لم تدل على الإباحة لم يبق فى الاستدلال بها مطمع ۞ قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها الآية

(قوله وهو الحكيم الذى لا يفعل إلا الخير) هذا وما بعده عند المعتزلة وأما عند أهل السنة فهو تعالى يفعل الخير والشر ويريدهما

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ

عليكم (فإن قلت) هلا بين لهم تلك المصالح (قلت) كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة وإن خفى عليهم وجه الحسن والحكمة على أنه قد بين لهم بعض ذلك فيما أتبعه من قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) واشتقاقهم آدم من الأدمة ومن أديم الأرض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس وما آدم إلا اسم أعجمى وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ وأشباه ذلك ۝ الأسماء كلها أى أسماء المسميات لحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء لأن الاسم لابد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس (فإن قلت) هلا زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأن الأصل وعلم آدم مسميات الأسماء (قلت) لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات لقوله أنبؤنى بأسماء هؤلاء أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم فكما علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات ولم يقل أنبؤنى بهؤلاء وأنبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها (فإن قلت) فما معنى تعليمه أسماء المسميات (قلت) أراد الأجناس التى خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية (ثم عرضهم) أى عرض المسميات وإنما ذكر لأن فى المسميات العقلاء فغلبهم وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت (إن كنتم صادقين) يعنى فى زعمكم أنى أستخلف فى الأرض مفسدين سفاكين للدماء إرادة للرد عليهم وأن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما أجمل من ذكر المصالح فى استخلافهم فى قوله إنى أعلم ما لا تعلمون ۝ وقوله (ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض) استحضار لقوله لهم إنى أعلم ما لا تعلمون إلا أنه جاء به على وجه أبسط من ذلك وأشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ أبىّ عرضها والمعنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها لأن العرض لا يصح فى الأسماء ۝ وقرئ أنبيهم بقلب الهمزة ياء وأنبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما ۝ السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وأبو يوسف وإخوته له ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فيه وقرأ أبو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للإتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع إلا فى لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله (إلا إبليس) استثناء متصل لأنه كان جنيا واحداً

(قال محمود رحمه الله أى أسماء المسميات الخ) قال أحمد رحمه الله وهو يفر من اعتقاد أن الاسم هو المسمى لأن ذلك معتقد أهل السنة فيعمل الحيلة فى إبعاده عن مقتضى الآية بقوله أنبئهم بأسمائهم ويتغافل عن قوله ثم عرضهم على الملائكة فإن الضمير فيه عائد إلى المسميات اتفاقا ولم يجر إلا ذكر الأسماء فدل على أنها المسميات ويعرض أيضا عن حكمة التعليم وأن تعليقه بنفس الألفاظ لا كبير غرض فيه بل الغرض المهم تعليمه لذوات المسميات وإطلاعه على حقائقها وما أودع الله تعالى فيها من خواص وأسرار وعلى تسميتها أيضا فإن طريق التعليم يميز كل حقيقة باسمها فقد ثبت بهاتين النكتتين أن المراد بالأسماء المسميات وأما استدلاله بقوله أنبؤنى بأسماء هؤلاء فغايته إضافة الأسماء إلى الذوات فلهم أن يقولوا لو كانت الأسماء هى الذوات لزمت إضافة الشىء إلى نفسه وهذا مالا مطمع فيه فإن هذه الإضافة مثلها فى قولك

(قوله لآدم وأبو يوسف) لعله وأبوى يوسف (قوله وقوله ينهون عن أكل) فى الصحاح جزور نهية على فعيلة أى ضخمة سمينة

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّٰلِمِينَ ۞ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَٰنُ
عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۞

بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم فغلبوا عليه فى قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ويجوز أن يجعل منقطعاً
(أبى) امتنع مما أمر به (واستكبر) عنه (وكان من الكافرين) من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك أبى واستكبر
كقوله كان من الجن ففسق عن أمر ربه ۞ السكنى من السكون لأنها نوع من اللبث والاستقرار ۞ و (أنت) تأكيد للمستكن
فى اسكن ليصح العطف عليه و (رغداً) وصف للمصدر أى أكلا رغداً واسعا رافها و (حيث) للمكان المبهم أى أى مكان من
الجنة (شئتما) أطلق لهما الأكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الأكل ولا بعض
المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر فى التناول من شجرة واحدة من بين أشجارها الفائتة للحصر
وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة أو الكرمة أو التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء. وهذى والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر
الشين والياء وعن أبى عمرو أنه كرهها وقال يقرأ بها برابرة مكة وسودانها (من الظالمين) من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله
فتكونا جزم عطف على تقربا أو نصب جواب للنهى ۞ الضمير فى (عنها) للشجرة أى فحملهما الشيطان على الزلة بسببها
وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها فى قوله تعالى وما فعلته عن أمرى وقوله
۞ ينهون عن أكل وعن شرب ۞ وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عنى
ذاك إذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا. وقرئ فأزالهما (مما كانا فيه) من النعيم والكرامة أو من الجنة إن كان الضمير
للشجرة فى عنها وقرأ عبدالله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على أن الضمير للشجرة لأن المعنى صدرت وسوسته عنها
(فإن قلت) كيف توصل إلى إزلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فإنك رجيم (قلت) يجوز أن يمنع دخولها
على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان
يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروى أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل فى فم الحية حتى
دخلت به وهم لا يشعرون ۞ قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل والحية والصحيح أنه لآدم وحواء
والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها
جميعاً بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم ۞ ومعنى (بعضكم لبعض عدو) ما عليه الناس من
التعادى والتباغى وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول إلى الأرض (مستقر) موضع استقرار أو استقرار (ومتاع)
وتمتع بالعيش (إلى حين) يريد إلى يوم القيامة وقيل إلى الموت ۞ معنى تلقى الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل
بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به (فإن قلت) ماهن (قلت) قوله
تعالى ۞ ربنا ظلمنا أنفسنا ۞ الآية وعن ابن مسعود رضى الله عنه إن أحب الكلام إلى الله ما قاله أبونا آدم حين اقترف

نفس زيد وحقيقته فالمراد إذا أنبئونى بحقائق هؤلاء. ولا نكير فى هذه الإضافة فإن الأسماء بمعنى المسميات والحقائق
أعم من هؤلاء المشار إليهم والمضاف إليهم فصحت الإضافة لما بين الأعم والأخص من التغاير وهذا هو المصحح للإضافة
فى مثل نفس زيد وأشباهه فهذه نبذة من مسألة الاسم والمسمى تختص بهذه الآية وفيها إن شاء الله كفاية على أنها وإن عدها
المتكلمون من فن الكلام فالغالب عليها أنها مسألة لفظية لا يرجع اختلاف الأشعرية والمعتزلة فيها إلى كثير من حيث
الحقيقة ۞ قوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها (قال محمود رحمه الله وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما
كما تقول زل الخ) قال أحمد رحمه الله ويشهد له قوله تعالى كما أخرج أبويكم من الجنة ۞ قوله تعالى ۞ فإما يأتينكم

فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝

الخطيئة سبحانك اللهمّ وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ فىّ الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكنى جنتك قال بلى قال يارب إن تبت وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة قال نعم ۝ واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لأنها كانت تبعاً له كما طوى ذكر النساء فى أكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها فى قوله « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا » (فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة والقبول ۝ (فإن قلت) لم كرر (قلنا اهبطوا) (قلت) للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله (فإما يأتينكم منى هدى) (فإن قلت) ما جواب الشرط الأول (قلت) الشرط الثانى مع جوابه كقولك إن جئتنى فإن قدرت أحسنت إليك والمعنى فإما يأتينكم منى هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم بدليل قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) فى مقابلة قوله فمن تبع هداى (فإن قلت) فلم جىء بكلمة الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه (قلت) للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب وأنه إن لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الإيمان به وتوحيده واجباً لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة ومكنهم من النظر والاستدلال (فإن قلت) الخطيئة التى أهبط بها آدم إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء وإن كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والإخراج من الجنة والإهباط من السماء كما فعل بإبليس ونسبته إلى الغىّ والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة إلى التوبة (قلت) ما كانت إلا صغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة التى هى أجل الأعمال وأعظم الطاعات وإنما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعاً لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفاً له ولذريته فى اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة ۝ وقرئ فمن تبع هدى على لغة هذيل فلا خوف بالفتح (إسرائيل) هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه فى لسانهم

منى هدى الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت لم جىء بكلمة الشك وإتيان الهدى كائن الخ) قال أحمد رحمه الله هاتان زلتان زلهما فلزهما فى قرن : الأولى إيراد السؤال بناه على أن الهدى على الله تعالى واجب والثانية بناء الجواب على أن الوجوب الشرعى يثبت بالعقل قبل ورود الشرع والحق أن الله تعالى لا يجب عليه شىء تعالى عن الإيجاب رب الأرباب وإنما يدخل تحت ربقة التكاليف المربوب لا الربّ وأما وجوب النظر فى أدلة التوحيد فإنما يثبت بالسمع لا بالعقل وإن كان حصول المعرفة بالله وتوحيده غير موقوف على ورود السمع بل محض العقل كاف فيه باتفاق (قال محمود رحمه الله فإن قلت الخطيئة التى أهبط بها آدم من الجنة الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى مقتضاه تأويل الآى المشعر ظاهرها بوقوع الصغائر من الأنبياء تنزيهاً لهم عنها على أن تجويز الصغائر عليهم قد قال به طوائف من أهل السنة وفى طى وقوعها الطاف وزيادة فى الالتجاء إلى الله تعالى والتواضع له والإشفاق على الخطائين والدعاء لهم بالتوبة والمغفرة كما نقل عن داود أنه كان بعد ابتلاء الله له يدعو للخطائين كثيراً وعلى الجملة فالقدرىّ يجوز الصغائر على الأنبياء ويقول إن اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر فى حق آحاد الناس فلا جرم التزم الزمخشرى ورود السؤال لأن آدم عليه السلام معصوم

(قوله واجبا لما ركب فيهم) هذا عند المعتزلة واما عند اهل السنه فلا حكم قبل الشرع

وَءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَاتَّقُونِ ۝ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ

صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة إبراهيم وإسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ إسرائل وإسرائل وذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبشر به فى التوراة والإنجيل ۝ والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد جميعا يقال أوفيت بعهدى أى بما عاهدت عليه كقوله ومن أوفى بعهده من الله وأوفيت بعهدك أى بما عاهدتك عليه ۝ ومعنى (وأوفوا بعهدى) وأوفوا بما عاهدتمونى عليه من الإيمان بى والطاعة لى كقوله ومن أوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (أوف بعهدكم) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم (وإياى فارهبون) فلا تنقضوا عهدى وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد فى إفادة الاختصاص من إياك نعبد وقرئ أوف بالتشديد أى أبالغ فى الوفاء بعهدكم كقوله «من جاء بالحسنة فله خير منها» ويجوز أن يريد بقوله وأوفوا بعهدى ماعاهدوا عليه ووعدوه من الإيمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به) أول من كفر به أو أول فريق أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة أى كل واحد منا وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحى اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة» إلى قوله «وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة» فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعنى من أشرك به من أهل مكة أى ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا فى التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير فى به لما معكم لأنهم إذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به ۝ والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله تعالى اشتروا الضلالة بالهدى وقوله ۝ كما اشترى المسلم إذ تنصرا ۝ وقوله ۝ فإنى شريت الحلم بعدك بالجهل ۝ يعنى ولا تستبدلوا بآياتى ثمنا وإلا فالثمن هو المشترى به ۝ والثمن القليل الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهى بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذى كل كثير اليه قليل وكل كبير إليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الأموال ليكتموا أو يحرفوا ۝ الباء التى فى (بالباطل) إن كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشىء بالشىء خلطته به كأن المعنى ولا تكتبوا فى التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وإن كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذى تكتبونه (وتكتموا) جزم داخل تحت حكم النهى بمعنى ولا تكتموا أو منصوب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع أى ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن (فان قلت)

من الكبائر باتفاق فيلزم على قاعدة القدرية أن تكون صغيرة واجبة التكفير والمحو غير مؤاخذ عليها ولا مستوجب بسببها عقوبة ولا شيئا مما وقع وهذا لا جواب للزمخشرى عنه إلا الإنصاف والرجوع عن المعتقدات الباطلة والمذاهب الماحلة ولقد شنع السؤال بقوله إن الذى جرى على آدم عليه السلام كالذى جرى على إبليس عليه اللعنة ومعاذ الله أن يكون الحالان سواء والعاقبتان كما تعلم أن آدم عليه السلام خالد فى النعيم المقيم وأن إبليس خالد فى العذاب الأليم

الرَّاكِعِينَ ۝ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَٰشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَٰقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ يَٰبَنِيَ

ليسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لأنهم إذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق (قلت) بل هما متميزان لأن لبس الحق بالباطل ماذكرناه من كتابتهم فى التوراة ماليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لانجد فى التوراة صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو حكم كذا أو يمحوا ذلك أو يكتبوه على خلاف ماهو عليه وفى مصحف عبدالله وتكتمون بمعنى كاتمين (وأنتم تعلمون) فى حال علمكم أنكم لابسون كاتمون وهو أقبح لهم لأن الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه (وأقيموا الصلاة) يعنى صلاة المسلمين وزكاتهم (واركعوا مع الراكعين) منهم لأن اليهود لاركوع فى صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم فى دين الله ويجوز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمرا بأن يصلى مع المصلين يعنى فى الجماعة كأنه قيل وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين لامنفردين (أتأمرون) الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم ۝ والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الأحبار يأمرون من نصحوه فى السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد ﷺ ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وإذا أتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغنى أن ناسا من أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف إلى غيرها (وتنسون أنفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات (وأنتم تتلون الكتاب) تبكيت مثل قوله وأنتم تعلمون يعنى تتلون التوراة وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم أوفيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم فى ذلك مسلوبو العقول لأن العقول تأباه وتدفعه ونحوه أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (واستعينوا) على حوائجكم إلى الله (بالصبر والصلاة) أى بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها ومايجب فيها من إخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدى جبار السموات ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها أو واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وعن ابن عباس أنه نعى إليه أخوه قثم وهو فى سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشى إلى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لأنه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء وأن يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله تعالى فى دفعه (وإنها) الضمير للصلاة أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الأمور التى أمرها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتى إلى واستعينوا (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر علىّ هذا الأمر كبر على المشركين ماتدعوهم إليه (فإن قلت) مالها لم تثقل على الخاشعين والخشوع فى نفسه مما يثقل (قلت) لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى إلى قوله تعالى «الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم» أى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ماعنده ويطمعون فيه وفى مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون أن لابد

قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين الخ) قال أحمد رحمه الله السؤال غير موجه لأنه ادعى فيه عدم التميز بين الفعلين وغاية ماقدره تلازمهما والمتلازمان متغايران متميزان إلا أن يعنى بعدم التميز عدم الانفكاك فلا نسلم له تعذر جمعهما فى النهى إذ أبل النهى عن أحدهما على هذا التقدير مستلزم

إِسْرَٰءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ۞ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بأعمالهم ومثاله من وعد على بعض الأعمال والصنائع أجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كأنه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة وكان يقول يا بلال روحنا ۞ والخشوع الإخبات والتطامن ومنه الخشعة الرملة المتطامنة وأما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها إذا لينته (وأني فضلتكم) نصب عطف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي (على العالمين) على الجم الغفير من كقوله تعالى «باركنا فيها للعالمين» يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة (يوما) يريد يوم القيامة (لاتجزى) لاتقضى عنها شيأ من الحقوق ومنه الحديث في جذعة بن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك و(شيأ) مفعول به ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي قليلا من الجزاء كقوله تعالى «ولا يظلمون شيأ» ومن قرأ لاتجزئ من أجزأ عنه إذا أغنى عنه فلا يكون في قراءته إلا بمعنى شيأ من الإجزاء وقرأ أبو السرار الغنوى لاتجزى نسمة عن نسمة شيأ وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما (فإن قلت) فأين العائد منها إلى الموصوف (قلت) هو محذوف تقديره لاتجزى فيه ونحوه ما أنشده أبو علي ۞ تروحي أجدر أن تقيلي ۞ أي ماء أجدر بأن تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فأجرى مجرى المفعول به لحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله أم مال أصابوا ومعنى التنكير أن نفسا من الأنفس لاتجزى عن نفس منها شيأ من الأشياء وهو الإقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله «ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل» أي فدية لأنها معادلة للمفدى ومنه الحديث لايقبل منه صرف ولا عدل أي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا (فإن قلت) هل فيه دليل على أن الشفاعة لاتقبل للعصاة (قلت) نعم لأنه نفى أن تقضى نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لاتقبل للعصاة (فإن قلت) الضمير في ولا يقبل منها إلى أي النفسين يرجع (قلت) إلى الثانية العاصية غير المجزى عنها وهي التي لايؤخذ منها عدل ومعنى لايقبل منها شفاعة إن جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز أن يرجع إلى النفس الأولى على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لاتجزى عنها شيئا ولو أعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها (ولا هم ينصرون) يعني مادلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والأناسي كما تقول ثلاثة أنفس ۞ أصل (آل) أهل ولذلك

للنهي عن الآخر وإن لم يصرح به ۞ قوله تعالى «واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس» الآية (قال محمود رحمه الله هل فيه دليل على أن الشفاعة لاتقبل للعصاة الخ) قال أحمد رحمه الله أما من جحد الشفاعة فهو جدير أن لاينالها وأما من آمن بها وصدقها وهم أهل السنة والجماعة فأولئك يرجون رحمة الله ومعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين وإنما ادخرت لهم وليس في الآية دليل لمنكريها لأن قوله يوما أخرجه منكرا ولا شك أن في القيامة مواطن ويومها معدود بخمسين ألف سنة فبعض أوقاتها ليس زمانا للشفاعة وبعضها هو الوقت الموعود وفيه المقام المحمود لسيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام وقد وردت آي كثيرة ترشد إلى تعدد أيامها واختلاف أوقاتها منها قوله تعالى فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون مع قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فيتعين حمل الآيتين على يومين مختلفين ووقتين متغايرين أحدهما محل للتساؤل والآخر ليس محلا له وكذلك الشفاعة وأدلة ثبوتها لاتحصى كثرة رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة

سُوٓءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَالْفُرْقَانَ

يصغر بأهيل فأبدلت هاؤه ألفاً وخص استعماله بأولى الخطر والشأن كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الإسكاف والحجام و (فرعون) علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان إذا عتا وتجبر وفى ملح بعضهم

قد جاءه الموسى الكلوم فزاد فى ۞ أقصى تفرعنه وفرط عرامه

۞ وقرئ أنجينا كم ونجيتكم (يسومونكم) من سامه خسفاً إذا أولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم

إذا ما الملك سام الناس خسفا ۞ أبينا أن يقر الخسف فينا

وأصله من سام السلعة إذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم (سوء العذاب) ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء أشده وأفظعه كأنه قبحه بالإضافة إلى سائره ۞ و (يذبحون) بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله تعالى يضاهؤن قول الذين كفروا وقرأ الزهرى يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبدالله يقتلون وإنما فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما أنذر نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما فى التحفظ وكان ماشاء الله ۞ والبلاء المحنة إن أشير بذلكم إلى صنيع فرعون والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء (فرقنا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الأشياء لأن المسالك كانت اثنى عشر على عدد الأسباط (فإن قلت) مامعنى (بكم) (قلت) فيه أوجه أن يراد أنهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وأن يراد فرقناه بسببكم وبسبب إنجائكم وأن يكون فى موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله ۞ تدوس بنا الجماجم والتريبا ۞ أى تدوسها ونحن راكبوها وروى أن بنى إسرائيل قالوا لموسى أين أصحابنا لانراهم قال سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم قالوا لانرضى حتى نراهم فقال اللهم أعنى على أخلاقهم السيئة فأوحى إليه أن قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم (وأنتم تنظرون) إلى ذلك وتشاهدونه لاتشكون فيه ۞ لما دخل بنوإسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة ۞ وقيل (أربعين ليلة) لأن الشهور غررها بالليالى وقرئ واعدنا لأن الله تعالى وعده الوحى ووعد المجيء للميقات إلى الطور (من بعده) من بعد مضيه إلى الطور (وأنتم ظالمون) باشرا ككم (ثم عفونا عنكم)

۞ قوله تعالى وإذ فرقنا بكم البحر (قال محمود رحمه الله يحتمل أنهم كانوا يسلكون الخ) قال أحمد رحمه الله فتكون الباء على هذا الوجه استعانة مثلهافى كتبت بالقلم (قال محمود رحمه الله ويحتمل أن يكون المراد فرقناه بسببكم) قال أحمد رحمه الله وهى على هذا الوجه سببية كما تقول أكرمتك بإحسانك إلىّ (قال محمود رحمه الله ويحتمل أن يكون فى موضع الحال الخ) قال أحمد رحمه الله وهى على هذا الوجه للمصاحبة مثلها فى أسندت ظهرى بالحائط والوجه الأول ضعيف من حيث أن مقتضاه أن تفريق البحر وقع ببنى إسرائيل والمنقول بل المنصوص عليه فى الكتاب العزيز أن البحر إنما انفرق بعصا موسى يشهد لذلك قوله تعالى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فآلة التفريق

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞

حين تبتم (من بعد ذلك) من بعد ارتكابكم الأمر العظيم وهو اتخاذكم العجل (لعلكم تشكرون) إرادة أن تشكروا النعمة فى العفو عنكم (الكتاب والفرقان) يعنى الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعنى التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ۞ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا يعنى الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر ۞ حمل قوله (فاقتلوا أنفسكم) على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة وروى أن الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضى لأمر الله فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وأمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه أو حل حبوته أو اتقى بيد أو رجل فيقولون آمين فقتلوهم إلى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يارب هلكت بنو إسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من أيديهم وكانت القتلى سبعين ألفا (فإن قلت) ما الفرق بين الفاآت (قلت) الأولى للتسبيب لا غير لأن الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم من قبل أن الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو إما أن ينتظم فى قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كأنه قال فإن فعلتم فقد تاب عليكم وإما أن يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارؤكم ۞ (فإن قلت) من أين اختص هذا الموضع بذكر البارئ (قلت) البارئ هو الذى خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر إلى عبادة البقر التى هى مثل فى الغباوة والبلادة فى أمثال العرب أبلد من ثور حتى عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بأن يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم وأشكالهم حين لم يشكروا النعمة فى ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شىء منها قيل ۞ القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم (جهرة) عيانا وهى مصدر من قولك جهر بالقراءة والدعاء كأن الذى يرى بالعين

العصا لا بنو إسرائيل ۞ قوله تعالى « لعلكم تشكرون » (قال محمود ومعناه إرادة أن تشكروا) قال أحمد رحمه الله أخطأ فى تفسير لعل بالإرادة لأن مراد الله تعالى كائن لا محالة فلو أراد منهم الشكر لشكروا ولا بد وإنما أجراه الزمخشرى على قاعدته الفاسدة فى اعتقاد أن مراد الرب كمراد العبد منه ما يقع ومنه ما يتعذر تعالى الله عن ذلك ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والتفسير الصحيح فى لعل هو الذى حرره سيبويه رحمه الله فى قوله لعله يتذكر أو يخشى قال سيبويه الرجاء منصرف إلى المخاطب كأنه قال كونا على رجائكما فى تذكره وخشيته وكذلك هذه الآية معناها لتكونوا على رجاء الشكر لله عز وجل ونعمه فينصرف

(قوله وهو البخع) فى الصحاح بخع نفسه بخعا أى قتلها غما

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

جاهر بالرؤية والذى يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال بمعنى ذوى جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهى إما مصدر كالغلبة وإما جمع جاهر وفى هذا الكلام دليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام رادّهم القول وعرّفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون فى جهة محال وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض فرادّوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا فى الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة و (الصاعقة) ماصعقهم أى أماتهم قيل نار وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما أفاق والظاهر أنه أصابهم ماينظرون إليه لقوله (وأنتم تنظرون) وقرأ على رضى الله عنه فأخذتكم الصعقة (لعلكم تشكرون) نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعد ما كفرتموها إذا رأيتم بأس الله فى رميكم بالصاعقة وإذاقتكم الموت (وظللنا) وجعلنا الغمام يظلكم وذلك فى التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم (المن) وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم (السلوى) وهى السمانى فيذبح الرجل منها مايكفيه (كلوا) على إرادة القول (وماظلمونا) يعنى فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وماظلمونا عليه (القرية) بيت المقدس وقيل أريحاء من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه (الباب) باب القرية وقيل هو باب القبة التى كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه الصلاة والسلام ۞ أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع وإخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على أوراكهم (حطة) فعلة من

الرجاء إليهم وينزه الله تعالى ۞ قوله تعالى وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الآية (قال محمود رحمه الله فيه دليل على أن موسى عليه السلام رادّهم القول وعرّفهم أن رؤية من لا يجوز عليه الخ) قال أحمد رحمه الله لقد انتهز الزمخشرى ما اعتقده فرصة من هذه الآية التى لامطمع له عند التحقيق فى التشبث بها فبنى الأمر على أن العقوبة سببها طلب مالايجوز على الله تعالى من الرؤية على ظنه وأنى له ذلك وثم سبب ظاهر فى العقوبة سوى ماادعاه هو كل السبب وذلك أن موسى عليه السلام لما علم جواز رؤيته تعالى طلبها فى آية الأعراف فى دار الدنيا فأخبره الله تعالى أنه لايراه فى الدنيا وصار ذلك عنده وعند بنى إسرائيل أصلا مقررا كما هو عندنا الآن معاشر أهل السنة أن الله تعالى لا يرى فى دار الدنيا لأنه أخبر أنه لا يرى والخبر واجب الصدق وكما أخبر أنه لا يرى فى دار الدنيا فقد وعد الوعد الصادق عز وجلّ برؤيته فى الدار الآخرة وتخصيص ذلك بالمؤمنين وبعد استقرار هذا المعتقد طلب بنو إسرائيل الرؤية فى الدنيا تعنتا أو شكا فى الخبر فأنزل الله تعالى بهم تلك العقوبة وكيف تخيل الزمخشرى وشيعته أن موسى عليه السلام

(قوله أن يكون فى جهة محال) هذا مذهب المعتزلة ومن استجاز عليه الرؤية هم أهل السنة والجهة ليست شرطا للرؤية عندهم فلا يلزم كونه من جملة الأجسام أو الأعراض كما بين فى علم التوحيد

رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞

الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة وأمرك حطة والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله ۞ صبر جميل فكلانا مبتلي ۞ والأصل صبراً على اصبر صبراً وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الأصل وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونستقر فيها (فإن قلت) هل تجوز أن تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة (قلت) لا يبعد والأجود أن تنصب بإضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا ۞ وقرئ (يغفر لكم) على البناء للمفعول بالياء والتاء (وسنزيد المحسنين) أي من كان محسناً منكم كانت تلك الكلمة سبباً في زيادة ثوابه ومن كان مسيئاً كانت له توبة ومغفرة (فبدّل الذين ظلموا) أي وضعوا مكان حطة (قولا) غيرها يعني أنهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لأنهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب إليك أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا ۞ وفي تكرير (الذين ظلموا) زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الأعراف فأرسلنا عليهم على الإضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروى أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفاً عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له (اضرب بعصاك الحجر) واللام إما للعهد والإشارة إلى حجر معلوم فقد روى أنه حجر طوري حمله معه وكان حجراً مربعاً له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا ۞ وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب فدفعه إليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل إذ رموه بالأدرة ففرّ به فقال له جبريل يقول لك الله تعالى ارفع هذا الحجر فإن لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته وإما للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه قال وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة وروى أنهم قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض ليست فيها حجارة فحمل حجراً في مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا إن فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى إليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الإنسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت أو فإن ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان (كل أناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التي يشربون منها (كلوا) على إرادة القول (من رزق الله) مما

طلب من الله ما لا يجوز عليه وهل هو لو كان الأمر على ما تخيله إلا كبني إسرائيل ومعاذ الله لقد برأه من ذلك وكان عند الله وجيها وأما الأدلة العقلية على جواز رؤيته تعالى عقلا والسمعية على وقوعها في الدار الآخرة فأكثر من أن تحصى وهي مستقصاة في فن الكلام وإنما غرضنا في هذا الباب مباحثة الزمخشري والرد عليه من حيث يتمسك على ظنه وأخذه قوما منه والله الموفق ۞ قوله تعالى فبدّل الذين ظلموا الآية (قال محمود رحمه الله وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح الخ)

(قوله وقيل من آس الجنة) قوله آس الجنة ضبط في بعض النسخ بالضم والتشديد وكتب على هامشه كذا بخط جار الله ومعناه الأساس والصواب ضبطه بالفتح والمد والتخفيف أي شجر الآس لأنه صفة العصا سها فيها المصنف كذا بهامشه

وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا
وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَـٰرَىٰ وَالصَّـٰبِـِٔينَ

رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثى وهو أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا فى الفساد حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه . كانوا فلاحة فنزعوا إلى مكرهم فأجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت أنفسهم الشقاء (على طعام واحد) أرادوا ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى (فإن قلت) هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد (قلت) أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفى التبدل والاختلاف ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة أهل زرعات فما نريد إلا ما ألفناه وضرينا به من الأشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك ۔ ومعنى (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد ۔ والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايب البقول التى يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها ۔ وقرئ وقثائها بالضم ۔ والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا أى اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو العدس والبصل أوفق (الذى هو أدنى) الذى هو أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو دانى المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال هو بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبى أدنأ بالهمزة من الدناءة (اهبطوا مصرا) وقرئ اهبطوا بالضم أى انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى إذا نزل به وهبط منه إذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس إلى قنسرين وهى اثنا عشر فرسخا فى ثمانية فراسخ ويحتمل أن يريد العلم وإنما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وإن أريد به البلد فما فيه إلا سبب واحد وأن يريد مصرا من الأمصار وفى مصحف عبد الله وقرأ به الأعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم فعرب (وضربت عليهم الذلة) جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون فى القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية (وباؤا بغضب من الله) من قولك باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له ومكافأته أى صاروا أحقاء بغضبه (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب أى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وقد قتلت اليهود ـ لعنوا ـ شعياء وزكريا ويحيى وغيرهم (فإن قلت) قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق فما فائدة ذكره (قلت) معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا فى الأرض فيقتلوا وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ على رضى الله عنه ويقتلون بالتشديد (ذلك) تكرار للإشارة (بما عصوا) بسبب ارتكابهم أنواع المعاصى واعتدائهم حدود الله فى كل شىء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء وقيل هو اعتداؤهم فى السبت ويجوز أن يشار بذلك إلى الكفر وقتل الأنبياء

قال أحمد رحمه الله وفيه تهويل لظلمهم من حيث وضع الظاهر موضع المضمر وهو مفيد لذلك إذ هو من قبيل الإشهار لهذا المعين

(قوله فأجموا ما كانوا فيه) أى كرهوا أفاده الصحاح (قوله أهل مسكنة ومدقعة) اى متربة أفاده الصحاح

مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَٰسِرِينَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۞ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوٓا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَٰهِلِينَ

على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتداءهم لأنهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الأنبياء اوذلك الكفر والقتل مع ماعصوا (إن الذين آمنوا) بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون (والذين هادوا) والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود إذا دخل فى اليهودية وهو هائد والجمع هود (والنصارى) وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة لم تحنف والياء فى نصرانى للمبالغة كالتى فى أحمرى سموا لأنهم نصروا المسيح (والصابئين) وهو من صبأ إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة (من آمن) من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ودخل فى ملة الإسلام دخولا أصيلا (وعمل صالحا فلهم أجرهم) الذى يستوجبونه بإيمانهم وعملهم (فإن قلت) مامحل من آمن (قلت) الرفع إن جعلته مبتدا خبره فلهم أجرهم والنصب إن جعلته بدلا من اسم إن والمعطوف عليه فخبر إن فى الوجه الأول الجملة كما هى وفى الثانى فلهم اجرهم والفاء لتضمن من معنى الشرط (وإذ أخذنا ميثاقكم) بالعمل على مافى التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فراوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل فقلع الطور من أصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى إن قبلتم وإلا القى عليكم حتى قبلوا (خذوا) على إرادة القول (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا مافيه) واحفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه (لعلكم تتقون) رجاء منكم أن تكونوا متقين أو قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا (ثم توليتم) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به (فلولا فضل الله عليكم) بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا واذكروا (السبت) مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت وإن ناسا منهم اعتدوا فيه أى جاوزوا ماحد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك أن الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت فى البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت فإذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم (قردة خاسئين) خبران أى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد (فجعلناها) يعنى المسخة (نكالا) عبرة تنكل من اعتبر بها أى تمنعه ومنه النكل القيد (لما بين يديها) لما قبلها (وماخلفها) وما بعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت فى كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين أو أريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والأمم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لأجل ماتقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها (وموعظة للمتقين) للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم أو لكل متق سمعها ▪ كان فى بنى إسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله (قالوا أتتخذنا هزوا) أتجعلنا مكان هزو أو أهل هزو أو مهزوا بنا

(قوله وتذكروا واذكروا) أى بتشديد الذال والكاف أصله وتذكروا (قوله ومابعدها من الأمم والقرون) لعله والقرى نظير قوله الآتى من القرى والأمم

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۞
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ۞ قَالُوا ادْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۞ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ

أو الهزو نفسه لفرط الاستهزاء (من الجاهلين) لأن الهزو فى مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزأ بسكون الزاى نحو كفؤا وكفؤا وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا ۞ والعياذ واللياذ من واد واحد ۞ فى قراءة عبد الله سل لنا ربك ماهى سؤال عن حالها وصفتها وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر ۞ والفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهى فارض قال خفاف بن ندبة ۞ لعمرى لقد أعطيت ضيفك فارضا ۞ تساق إليه ماتقوم على رجل ۞ وكأنها سميت فارضا لأنها فرضت سنها أى قطعتها وبلغت آخرها ۞ والبكر الفتية ۞ والعوان النصف قال ۞ نواعم بين أبكار وعون ۞ وقد عونت (فإن قلت) (بين) يقتضى شيئين فصاعدا فمن أين جاز دخوله على (ذلك) (قلت) لأنه فى معنى شيئين حيث وقع مشارا به إلى ماذكر من الفارض والبكر (فإن قلت) كيف جاز أن يشار به إلى مؤنثين وإنما هو للإشارة إلى واحد مذكر (قلت) جاز ذلك على تأويل ماذكر وما تقدم للاختصار فى الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن أفعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم مافعلت وقد ذكر لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما أحسن ذلك وقد يجرى الضمير مجرى اسم الإشارة فى هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة فى قوله ۞ فيها خطوط من سواد وبلق ۞ كأنه فى الجلد توليع البهق ۞ إن أردت الخطوط فقل كأنها وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذاك ويلك والذى حسن منه أن أسماء الإشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع (ماتؤمرون) أى ماتؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله أمرتك الخير أو أمركم مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير ۞ الفقوع أشد مايكون من الصفرة وأنصعه يقال فى التوكيد أصفر فاقع ووارس كما يقال أسود حالك وحانك وأبيض يقق ولهق وأحمر قانى وذريحى وأخضر ناضر ومدهام وأورق خطبانى وأرمك ردانى (فإن قلت) فاقع ههنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء (قلت) لم يقع خبرا عن اللون إنما وقع توكيدا لصفراء إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها (فإن قلت) فهلا قيل صفراء فاقعة وأى فائدة فى ذكر اللون (قلت) الفائدة فيه التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها ۞ والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين وعن الحسن البصرى صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الإبل لأن سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى « جمالات صفر » قال الأعشى

تلك خيلى منه وتلك ركابى ۞ هن صفر أولادها كالزبيب

(ماهى) مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء

مع إمكان الاختصار بالإضمار . قوله تعالى عوان بين ذلك (قال محمود رحمه الله فإن قلت بين يقتضى شيئين الخ) قال أحمد رحمه الله : وقد مر نظير هذا عند قوله فإن تفعلوا ولن تفعلوا فجدد به عهدا

(قوله وقد عونت) فى الصحاح وتقول منه عونت المرأة تعوينا وعانت تعون عونا

ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّاشِيَةَ فِيهَا قَالُوا ٱلْـٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۞ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ

أنه كتب إلى عامله بأن يذهب إلى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم فكتب إليه بأيهما أبدأ فقال إن قلت لك بقطع الشجر سألتنى بأى نوع منها أبدأ وعن عمر بن عبدالعزيز إذا أمرتك أن تعطى فلانا شاة سألتنى أضائن أم ماعز فإن بينت لك قلت اذكر أم أنثى فإن أخبرتك قلت أسوداء أم بيضاء فإذا أمرتك بشىء فلا تراجعنى وفى الحديث أعظم الناس جرما من سأل عن شىء لم يحرم فحرم لأجل مسئلته (إنّ البقر تشابه علينا) أى إنّ البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وإدغامها فى الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة إنّ الباقر يشابه بالياء والتشديد ۞ جاء فى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد أى لو لم يقولوا إن شاء الله ۞ والمعنى إنا لمهتدون إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ماخفى علينا من أمر القاتل (لاذلول) صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للكراب وإثارة الأرض ولاهى من النواضح التى يسنى عليها لسق الحروث ولا الأولى للنفى والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأنّ المعنى لاذلول تثير وتسقى على أنّ الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية وقرأ أبو عبدالرحمن السلمى لاذلول بمعنى لاذلول هناك أى حيث هى وهو نفى لذلها ولأن توصف به فيقال هى ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لابخيل ولاجبان أى فيهم أو حيثهم ۞ وقرئ تسقى بضم التاء من أسقى (مسلمة) سلمها الله من العيوب أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه كقوله أو معبر الظهر ينبى عن وليته ۞ ماحج ربه فى الدنيا ولا اعتمرا أو مخلصة اللون من سلم له كذا إذا خلص له لم يشب صفرتها شىء من الألوان (لاشية فيها) لالمعة فى نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهى فى الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشى القوائم (جئت بالحق) أى بحقيقة وصف البقرة ومابقى إشكال فى أمرها (فذبحوها) أى فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها ۞ وقوله (وما كادوا يفعلون) استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ماكادوا يذبحونها وماكادت تنتهى سؤالاتهم وماكاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وماكادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل وروى أنه كان فى بنى إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إنى استودعكها لابنى حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة (فإن قلت) كانت البقرة التى تناولها الأمر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الأمر الأول (قلت) رجع منسوخا لانتقال الحكم إلى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على أنّ الخطاب كان لإبهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك إذا وقع عليها بعد التخصيص (وإذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم (فادارأتم) فاختلفتم واختصمتم فى شأنها لأنّ المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أى يدفعه ويزحمه أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح أو لأنّ الطرح فى نفسه دفع أو دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مظهر لامحالة ما كتمتم من أمر القتل لايتركه مكتوما (فان قلت) كيف أعمل مخرج وهو فى معنى المضىّ (قلت) وقد حكى ما كان مستقبلا فى وقت التدارؤ كما حكى الحاضر فى قوله باسط

(قوله لم تذلل للكراب) فى الصحاح كربت الأرض إذا قلبتها للحرث وفى المثل الكراب على البقر ويقال الكلاب على البقر (قوله لالمعة فى نقبتها) فى الصحاح النقبة اللون والوجه (قوله فأتى بها الغيضة) فى الصحاح الغيضة الأجمة وهى مغيض ماء يجتمع فيه فينبت فيه الشجر (قوله قلت وقد حكى ما كان) لعله قد بدون واو

ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا

ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف عليه وهما اداراتم وفقلنا ۞ والضمير فى (اضربوه) إمّا أن يرجع إلى النفس والتذكير على تأويل الشخص والإنسان وإمّا إلى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون (ببعضها) ببعض البقرة واختلف فى البعض الذى ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذى يلى الغضروف وهو أصل الأذن وقيل الأذن وقيل البضعة بين الكتفين ۞ والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيى الله الموتى . روى أنهم لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دماً وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ثم سقط ميتاً فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك (كذلك يحيى الله الموتى) إما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيى الله الموتى يوم القيامة (ويريكم آياته) ودلائله على أنه قادر على كل شىء (لعلكم تعقلون) تعملون على قضية عقو لكم وإن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث وإمّا أن يكون خطابا للمنكرين فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) هلا أحياه ابتداء ولم شرط فى إحيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها (قلت) فى الأسباب والشروط حكم وفوائد وإنما شرط ذلك لما فى ذبح البقرة من التقرب وأداء التكاليف واكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما فى التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين فى ترك التشديد والمسارعة إلى إمتثال أوامر الله تعالى وإرتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الأولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان أنّ من حق المتقرب إلى ربه أن يتنوق فى اختيار ما يتقرب به وأن يختاره فتى السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق من ينظر إليه وأن يغالى بثمنه كما يروى عن عمر رضى الله عنه أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وأنّ الزيادة فى الخطاب نسخ له وأن النسخ قبل الفعل جائز وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البداء وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر هو المسبب لا الأسباب لأنّ الموتين الحاصلين فى الجسمين لا يعقل أن تتولد منهما حياة (فإن قلت) فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها (قلت) كل ما قص من قصص بنى إسرائيل إنما قص تعديداً لما وجد منهم من الجنايات وتقريعاً لهم عليها ولما جدّد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض فى تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها إن وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح فى قوله اضربوه ببعضها حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة ۞ معنى (ثم قست) استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم أنتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوّها عن الاعتبار وأنّ المواعظ لا تؤثر فيها و (ذلك) إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة (فهى كالحجارة) فهى فى قسوتها مثل الحجارة (أو أشد قسوة) منها وأشد معطوف على الكاف إما على معنى أو

(قوله أن يتنوق فى اختيار) فى الصحاح تنوق فى الأمر أى تأنق فيه ويفيد أيضاً أن القحم المسن الفانى والضرع بالتحريك الضعيف النحيف والأنق الفرح والسرور

يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ وَمِنْهُمْ

مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وتعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفاً على الحجارة وأما على أو هى أنفسها أشد قسوة والمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هى أقسى من الحجارة (فإن قلت) لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب (قلت) لكونه أبين وأدل على فرط القسوة ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم ۞ وقوله (وإن من الحجارة) بيان لفضل قلوبهم على الحجارة فى شدة القسوة وتقرير لقوله أو أشد قسوة وقرئ وإن بالتخفيف وهى إن المخففة من الثقيلة التى تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله تعالى وإن كل لما جميع ۞ والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر بالنون (يشقق) يتشقق وبه قرأ الأعمش والمعنى أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضا (يهبط) يتردى من أعلى الجبل وقرئ بضم الباء ۞ والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله تعالى وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به ۞ وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد (أفتطمعون) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعنى اليهود (وقد كان فريق) طائفة فيمن سلف منهم (يسمعون كلام الله) وهو ما يتلونه من التوراة (ثم يحرفونه) كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول فى آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله (من بعد ما عقلوه) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة فى صحته (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مفترون والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك (وإذا لقوا) يعنى اليهود (قالوا) قال منافقوهم (آمنا) بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به (وإذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا (إلى بعض) الذين نافقوا (قالوا) عاتبين عليهم (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما بين لكم فى التوراة من صفة محمد أو قال المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلب فى دينهم أتحدثونهم إنكارا عليهم أن يفتحوا عليهم شيئا فى كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما

(قال محمود رحمه الله فإن قلت لم قيل أشد قسوة الخ) قال أحمد رحمه الله ولأن سياق هذه الأقاصيص قصد فيه الإسهاب لزيادة التقريع حتى جعلت القصة الواحدة قصتين كما مر الآن ولا شك أن قوله أو أشد قسوة أدخل فى الإسهاب من قول القائل أو أقسى ۞ قوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (قال محمود رحمه الله قال منافقوهم الخ) قال أحمد رحمه الله وصح عود الضمير فى اللفظ إلى جهة واحدة مع اختلاف المرجوع إليه لأنهما صنفان مندرجان فى الأول ونظيره قوله تعالى إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن فالضمير الأول للأزواج والثانى للأولياء وهو راجع إلى جهة واحدة وهى جهة المخاطبين لاشتمالهم على الصنفين جميعا والله أعلم ۞ قوله تعالى فويل

أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ * وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ

أنزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم بهوقولهم هوفى كتابكم هكذا محاجةعند الله الاتراك تقول هو فى كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد (يعلم) جميع (ما يسرون وما يعلنون) ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان (ومنهم أميون) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها (يعلمون الكتاب) التوراة (إلا أمانى) الاماهم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وماتمنيهم أحبارهم من أن النار لاتمسهم إلا أياما معدودة وقيل إلا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال أعرابى لابن دأب فى شىء حدث به أهذا شىء رويته أم تمنيته أم اختلقته وقيل إلا مايقرؤن من قوله * تمنى كتاب الله أول ليلة * والاشتقاق من منى إذا قدر لأن المتمنى يقدر فى نفسه ويحزر مايتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر أن كلمة كذا بعد كذا وإلا أمانى من الاستثناء المنقطع وقرئ أمانىّ بالتخفيف * ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على أنهم فى الضلال سواء لأن العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العامى أن لايرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم (يكتبون الكتاب) المحرف (بأيديهم) تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه ياهذا كتبته بيمينك هذه (مما يكسبون) من الرشا (إلا أياما معدودة) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (فلن يخلف الله) متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده و (أم) إما أن تكون معادلة بمعنى أى الأمرين كائن على سبيل التقرير لأن العلم واقع بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة (بلى) إثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار أى بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون (من كسب سيئة) من السيئات يعنى كبيرة من الكبائر (وأحاطت به خطيئته) تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتقص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل فى الإحاطة كان ذنبه أغلب من طاعته وسأل رجل الحسن عن الخطيئة قال سبحان الله ألا أراك ذا لحية وماتدرى ما الخطيئة انظر فى المصحف فكل آية نهى فيها الله عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهى الخطيئة المحيطة (لاتعبدون) إخبار فى معنى النهى كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد الأمر وهو أبلغ من صريح الأمر

للذين يكتبون الكتاب بأيديهم (قال محمود إن قلت مافائدة قوله بأيديهم الخ) قال أحمد رحمه الله وربما قال الزمخشرى فى مثل هذا إن فائدته تصوير الحالة فى النفس كما وقعت حتى يكاد السامع لذلك أن يكون مشاهداً للهيئة * قوله تعالى «وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل» الآية (قال محمود رحمه الله تعالى لاتعبدون إخبار فى معنى النهى الخ) قال أحمد رحمه الله وجه

(قوله أم تمنيته أم اختلقته) لعله أى أم الخ (قوله يعنى كبيرة من الكبائر) فسرها بذلك لتنطبق الآية على مذهب المعتزلة وهو أن فاعل الكبيرة مخلد فى النار ومذهب أهل السنة أنه لايخلد فيها إلا الكافر وفسروا الخطيئة بالشرك وفى الخازن قال ابن عباس هى الشرك يموت عليه صاحبه اه وهو الذى يحيط بفاعله ويسد أبواب النجاة أمامه فى كل جهة (قوله ولم يتقص عنها) أى يتخلص

إِحْسَانًا وَذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَمَى وَالْمَسَكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَءَاتُوا الزَّكَوةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ
إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَرِكُمْ
ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۞ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ
عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَى تُفَدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَبِ
وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ

والنهى لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبدالله وأبى لاتعبدوا ولابد من إرادة القول يدل عليه أيضا قوله وقولوا ▪ وقوله (وبالوالدين إحسانا) إماأن يقدر وتحسنون بالوالدين إحسانا أو وأحسنوا وقيل هو جواب قوله أخذنا ميثاق بنى إسرائيل إجراء له مجرى القسم كأنه قيل وإذ أقسمنا عليهم لاتعبدون وقيل معناه أن لاتعبدوا فلما حذفت أن رفع كقوله ۞ ألا يهذا الزاجرى أحضر الوغى ۞ ويدل عليه قراءة عبد الله أن لاتعبدوا ويحتمل أن لاتعبدوا أن تكون أن فيه مفسرة وأن تكون أن مع الفعل بدلا عن الميثاق كأنه قيل أخذنا ميثاق بنى إسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لأنهم غيب (حسنا) قولا هو حسن فى نفسه لإفراط حسنه وقرئ حسناً وحسنى على المصدر كبشرى (ثم توليتم) على طريقة الالتفات أى توليتم عن الميثاق ورفضتموه (إلا قليلا منكم) قيل هم الذين أسلموا منهم (وأنتم معرضون) وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن المواثيق والتولية (لاتسفكون دماكم ولاتخرجون أنفسكم) لايفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلا أودينا وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه (وأنتم تشهدون) عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وأنتم تشهدون اليوم يامعشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما أسند اليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعنى أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذى خرجت به ۞ وقوله (تقتلون) بيان لقوله (ثم أنتم هؤلاء) وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذى ▪ وقرئ تظاهرون بحذف التاء وإدغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون أى تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم وأسرى وأسارى (وهو) ضمير الشأن ويجوز أن يكون مبهما تفسيره (إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب) أى بالفداء (وتكفرون ببعض) أى بالقتال والإجلاء وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير

الدليل منه أن الأول لو لم يكن فى معنى النهى لما حسن عطف الأمر عليه لما بين الأمر والخبر المحض من التنافر ولا كذلك الأمر والنهى لالتقائهما فى معنى الطلب (قال محمود رحمه الله وقيل هو جواب قوله وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل الخ) قال أحمد رحمه الله لو قدر القسم مضافا إلى المذكورين لكان أوجه فيقول وإذ أقسمتم لاتعبدون إلا الله الخ ▪ قوله تعالى وقولوا للناس الآية (قال محمود أى قولا هو حسن فى نفسه الخ) قال أحمد وفيه من التأكيد والتخصيص على إحسان مقاولة الناس أنه وضع المصدر فيه موضع الاسم وهذا إنما يستعمل للمبالغة فى تأكيد الوصف كرجل عدل وصوم وفطر وقرئ حسنا فهو على هذا من الصفات المشبهة ۞ قوله تعالى ثم أنتم هؤلاء (قال محمود رحمه الله أدخل ثم استبعادا الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا نظير ما تقدم آنفا فى قوله تعالى «ثم قست قلوبكم» الآية (قال محمود رحمه الله المعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعنى أنكم قوم آخرون غير أولئك الخ) قال أحمد رحمه الله هو بيان لتغير الصفة الموجب لتنزيلهم منزلة المغايرين

(قوله موصول بمعنى الذى) لعله الذين

الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ
وَلَاهُمْ يُنْصَرُونَ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَاتَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ
وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَٰبٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا

كانوا خلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحي أن نذل حلفاءنا * والخزى قتل بنى قريظة وأسرهم وإجلاء بنى النضير وقيل الجزية وإنما ردّ من فعل منهم ذلك إلى أشد العذاب لأنّ عصيانه أشد * وقرئ يردون ويعملون بالياء والتاء (فلا يخفف عنهم) عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة (الكتاب) التوراة آتاه إياها جملة واحدة * ويقال قفاه إذا أتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به أتبعه إياه يعنى وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيي وغيرهم * وقيل (عيسى) بالسريانية أيشوع و (مريم) بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة * قلت لزير لم تصله مريمه * ووزن مريم عند النحويين مفعل لأنّ فعيلا بفتح الفاء لم يثبت فى الأبنية كما ثبت نحو عثير وعليب (البينات) المعجزات الواضحات والحجج كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات . وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم إذا قواه يقال الحمد لله الذى آجدنى بعد ضعف وأوجدنى بعد فقر (بروح القدس) بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لأنه لم تضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالإنجيل كما قال فى القرآن وروحا من أمرنا وقيل باسم الله الأعظم الذى كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بنى إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم (أفكلما جاءكم رسول) منهم بالحق (استكبرتم) عن الإيمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم ويجوز أن يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر (فإن قلت) هلا قيل وفريقا قتلتم (قلت) هو على وجهين أن تراد الحال الماضية لأنّ الأمر فظيع فأريد استحضاره فى النفوس وتصويره فى القلوب وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أنى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال صلى الله عليه وسلم عند موته مازالت أكلة خيبر تعاودنى فهذا أوان قطعت أبهرى (غلف) جمع أغلف أى هى خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه مستعار من الأغلف الذى

لهم بالذات * قوله تعالى ففريقا كذبتم الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت هلا قيل وفريقا قتلتم الخ) قال أحمد رحمه الله التعبير بالمضارع يفيد ذلك دون الماضى كقوله تعالى «ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء» فعبر بالماضى ثم قال فتصبح الأرض مخضرة فعدل عنه إلى المضارع إرادة لتصوير اخضرارها فى النفس وعليه قوله ابن معديكرب يصوّر شجاعته وجرأته * فإنى قد لقيت القرن يسعى * بسهب كالصحيفة صحصحان * فآخذه فأضربه فيهوى * صريعا لليدين وللجران * قوله تعالى «وقالوا قلوبنا

(قوله كالزير من الرجال) فى الصحاح هو الذى يحب محادثة النساء ومجالستهن والعثير الغبار وعليب اسم واد
(قوله ومنه آجده بالجيم) وأصله ما يقال ناقة أجد أى قوية موثقة الخلق . أفاده الصحاح
(قوله أن تراد الحال الماضية) لعله أن تراد حكاية الحال

مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *

لم يختن كقولهم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الألطاف التى تكون للمتوقع إيمانهم وللمؤمنين (فقليلا ما يؤمنون) فإيمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو إيمانهم ببعض الكتاب ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف أى قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروى أبى عمرو قلوبنا غلف بضمتين (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال (فإن قلت) كيف جاز نصبها عن النكرة (قلت) إذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما أشبه ذلك (يستفتحون على الذين كفروا) يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته وصفته فى التوراة ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة أى يسألون أنفسهم الفتح عليهم كالسين فى استعجب واستسخر أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم (فلما جاءهم ما عرفوا) من الحق (كفروا به) بغيا وحسداً وحرصاً على الرياسة (على الكافرين) أى عليهم وضعاً للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا (ما) نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئاً (اشتروا به أنفسهم) والمخصوص بالذم (أن يكفروا) واشتروا بمعنى باعوا (بغياً) حسداً وطلباً لما ليس لهم وهو علة اشتروا (أن ينزل) لأن ينزل أو على أن ينزل أى حسدوه على أن ينزّل الله (من فضله) الذى هو الوحى (على من يشاء) وتقتضى حكمته إرساله (فباؤا بغضب على غضب) فصاروا أحقاء بغضب مترادف لأنهم كفروا بنبىّ الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من أنواع كفرهم (بما أنزل الله) مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) مقيد بالتوراة (ويكفرون بما وراءه) أى قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة (وهو الحق مصدقاً لما معهم) منها غير مخالف له وفيه

غلف ، الآية (قال محمود رحمه الله ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من نوائب الزمخشرى على تنزل الآيات على عقائدهم الباطلة وأنى له ذلك فى الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ألا تراه كيف أخذ من رد الله على هذه الطائفة أن تكون قلوبهم مخلوقة على الكفر أن الكفر والامتناع من قبول الحق هم خلقوه لأنفسهم تمهيداً لقاعدته الفاسدة فى خلق الأعمال وسبيل الرد عليه أن الله تعالى إنما كذبهم ورد عليهم فى ادعاتهم عدم الاستطاعة للإيمان وسلب التمكن وعللوا ذلك بأن قلوبهم غلف وصدق الله ورسوله فى أنه إنما خلقهم على الفطرة والتمكن من الإيمان والتأتى والتيسر له وإنهام اختاروا الكفر على الإيمان فوقع اختيارهم الكفر مقارنا لخلق الله تعالى إياه فى قلوبهم بعد ما أنشأهم على الفطرة فقيام حجة الله تعالى عليهم بأنه خلقهم متمكنين من الإيمان غير مقسورين على الكفر وذلك لا ينافى توجيه أهل السنة فى اعتقاد أن الله تعالى خالق ذلك فى قلوبهم على وفق اختيارهم هذا هو الحق الأبلج

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ

ردّ لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ۝ ثم اعترض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الأنبياء (وأنتم ظالمون) يجوز أن يكون حالا أى عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها وأن يكون اعتراضاً بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم ۝ وكرّر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأول مع ما فيه من التوكيد (واسمعوا) ما أمرتم به فى التوراة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (فإن قلت) كيف طابق قوله جوابهم (قلت) طابقه من حيث أنه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لاسماع طاعة (وأشربوا فى قلوبهم العجل) أى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله فى قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله إنما يأكلون فى بطونهم ناراً (بكفرهم) بسبب كفرهم (بئس ما يأمركم به إيمانكم) بالتوراة لأنه ليس فى التوراة عبادة العجاجيل وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلاتك تأمرك وكذلك إضافة الإيمان إليهم ۝ وقوله (إن كنتم مؤمنين) تشكيك فى إيمانهم وقدح فى صحة دعواهم له (خالصة) نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة أى سالمة لكم خاصة بكم ليس لأحد سواكم فيها حق يعنى إن صحّ قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً و (الناس) للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون (فتمنوا الموت) لأنّ من أيقن انه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روى عن المبشرين بالجنة ما روى كان على رضى الله عنه يطوف بين الصفين فى غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزىّ المحاربين فقال يا بنىّ لا يبالى أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت وعن حذيفة رضى الله عنه أنه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم يعنى على التمنى وقال عمار بصفين الآن ألاقى الأحبة محمداً وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن إليه وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الأرض يهودى (بما قدمت أيديهم) بما أسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر أنواع الكفر والعصيان ۝ وقوله (ولن يتمنوه أبدا) من المعجزات لأنه إخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا (فإن قلت) ما أدراك أنهم لم يتمنوا (قلت) لأنهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاعن فى الإسلام أكثر من الذر وليس أحد منهم نقل ذلك (فإن قلت) التمنى من أعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت أنهم لم يتمنوا (قلت) ليس التمنى من أعمال القلوب إنما هو قول الإنسان بلسانه ليت لى كذا فإذا قاله قالوا

والصراط الأبهج والله الموفق وقول الزمخشرى أن كفرهم إنما خلقوه لأنفسهم بسبب منع ألطاف الله تعالى التى تسبب المؤمنون فى حصولها لهم وكانت سبباً فى خلقهم الإيمان فى قلوبهم كل هذا تستر من الإشراك واعتقاد آلهة غير الله تخلق لنفسها ما شاءت من إيمان وكفر « تعالى الله عما يشركون علواً كبيرا » ۝ قوله تعالى « ويكفرون بما وراءه وهو الحق » الآية (قال محمود رحمه الله لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة الخ) قال أحمد رحمه الله وهذه النكتة بعينها هى الموجب لكفر القدرية على أحد قولى مالك والشافعى والقاضى رضى الله عنهم فإنّ العقائد الصحيحة السنية متلازمة متوافقة يصدّق بعضها بعضاً فجحد أحدها كفر به ثم كفر بالجميع نسأل الله تعالى العصمة

عَلَى حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ

تمنى وليت كلمة التمنى ومحال أن يقع التحدّى بما فى الضمائر والقلوب ولو كان التمنى بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت فى قلوبنا ولم ينقل أنهم قالوا ذلك (فإن قلت) لم يقولوه لأنهم علموا أنهم لايصدّقون (قلت) كم حكى عنهم من أشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدّقين فيه ولا محمل له إلا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من أن يقولوا إنّ التمنى من أفعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال أن يكونوا صادقين فى قولهم وإخبارهم عن ضمائرهم و كان الرجل يخبر عن نفسه بالإيمان فيصدق مع احتمال أن يكون كاذبا لأنه أمر خاف لاسبيل إلى الاطلاع عليه (والله عليم بالظالمين) تهديد لهم (ولتجدنهم) هو من وجد بمعنى علم المتعدى إلى مفعولين فى قولهم وجدت زيداً ذا الحفاظ ومفعولاه هم (أحرص) (فإن قلت) لم قال (على حيوة) بالتنكير (قلت) لأنه أراد حياة مخصوصة وهى الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي على الحياة * (ومن الذين أشركوا) محمول على المعنى أحرص الناس أحرص من الناس (فإن قلت) ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس (قلت) بلى ولكنهم أفردوا بالذكر لأنّ حرصهم شديد ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا لحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لأنّ الذين أشركوا لايؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا لحرصهم عليها لايستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقرّ بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ (فإن قلت) لم زاد حرصهم على حرص المشركين (قلت) لأنهم علموا لعلمهم بحالهم أنهم صائرون إلى النار لامحالة والمشركون لايعلمون ذلك وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وألف مهرجان وعن ابن عباس رضى الله عنه هو قول الأعاجم زى هزار سال وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أى ومنهم ناس (يود أحدهم) على حذف الموصوف كقوله ومامنا إلا له مقام معلوم والذين أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله * والضمير فى (وماهو) لأحدهم و(أن يعمر) فاعل بمزحزحه أى وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وأن يعمر بدل منه ويجوز أن يكون هو مبهما وأن يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والإنحاء (فإن قلت) يودّ أحدهم ماموقعه (قلت) هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف (فإن قلت) كيف اتصل لو يعمر بيودّ أحدهم (قلت) هو حكاية لودادتهم ولو فى معنى التمنى وكان القياس لو أعمر إلا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله يودّ أحدهم كقولك حلف بالله ليفعلن * روى أنّ عبد الله بن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحى فقال جبريل فقال ذاك عدوّنا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدّها أنه أنزل على نبينا أنّ بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لايسلطكم عليه وإن لم يكن إياه فعلى أى حق تقتلونه وقيل أمره الله تعالى أن يجعل النبوّة فينا فجعلها فى غيرنا وروى أنه كان لعمر رضى الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممرّه على مدارس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا ياعمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ماأجيئكم لحبكم ولا أسألكم لأنى شاك فى دينى وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره فى كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدوّنا يطلع محمداً على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وإنّ ميكائيل يجىء بالخصب والسلام فقال لهم وأما منزلتهما من الله تعالى قالوا أقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدوّ لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوّين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدواً لأحدهما كان عدواً للآخر ومن كان عدواً لهما كان عدواً لله ثم رجع

(قوله وجدت زيداً ذا الحفاظ) فى الصحاح يقال إنه لذو حفاظ وذو محافظة إذا كانت له أنفة

(قوله زى هزار سال) زى بالفارسية بمعنى عش وهزار بمعنى ألف وسال بمعنى عام

بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۞ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ▪ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَٰفِرِينَ ۞ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَٰسِقُونَ ۞ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك ياعمر فقال عمر لقد رأيتنى فى دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرالّ بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله ۞ الضمير فى (نزله) للقرآن ونحو هذا الإضمار أعنى إضمار مالم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شىء من صفاته (على قلبك) أى حفظه إياك وفهمكه (بإذن الله) بتيسيره وتسهيله (فإن قلت) كان حق الكلام أن يقال على قلبى (قلت) جاءت على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به كأنه قيل قل ماتكلمت به من قولى من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك (فإن قلت) كيف استقام قوله فإنه نزله جزاء للشرط (قلت) فيه وجهان أحدهما إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه فى إنزاله ماينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثانى إن عاداه أحد فالسبب فى عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك إن عاداك فلان فقد آذيته وأسأت إليه ۞ أفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر وهو مما ذكر أن التغاير فى الوصف ينزل منزلة التغاير فى الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جنى: العرب إذا نطقت بالأعجمى خلطت فيه (عدو للكافرين) أراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة كفر وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرا فما بال الملائكة وهم أشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب (إلا الفاسقون) إلا المتمردون من الكفرة وعن الحسن إذا استعمل الفسق فى نوع من المعاصى وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى «قل من كان عدوا لجبريل» الآية (قال محمود رحمه الله فإن قلت كان حق الكلام أن يقال على قلبى الخ) قال أحمد رحمه الله الحكاية مرة تكون مع التزام اللفظ ومرة تكون بالمعنى غير متبعة اللفظ فلعل الأمر فى هذه الآية توجه على النبي عليه السلام أن يحكى معنى قول الله تعالى له من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بلفظ المتكلم ونظير هذا قوله تعالى «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهدا» إلى قوله والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا فانظر ماوقع بعد القول المنسوب إليهم مما يفهم أنه قول الله عز وجل لاعلى سبيل الحكاية عنهم إذ هم لايقولون فأنشرنا وإنما يقولون فأنشر على لفظ الغيبة ولكن جاء الكلام حكاية على المعنى لأن معنى قولهم فأنشر الله هو معنى قول الله عن ذاته فأنشرنا ولا يستتب لك أن يجعل هذا من باب الخروج من الغيبة إلى التكلم الذى يسمى التفاتا فإن فى هذا مزيدا ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام قال علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الأرض . إلى قوله . فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فأول الكلام يفهم قول موسى وآخره يفهم قول الله تعالى والطريق الجامع فى ذلك ماقررته والله أعلم (قال محمود رحمه الله فإن قلت كيف استقام قوله فإنه نزله جزاء للشرط الخ) قال أحمد رحمه الله ويكون دخول الفاء فى الجزاء على هذا

(قوله بوزن قفشليل) فى الصحاح القفشليل المغرفة فارسى معرب (قوله فما بال الملائكة وهم أشرف) هذا عند المعتزلة

لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ
ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ
ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ
أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ

ماجئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت . واللام فى الفاسقون للجنس والاحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب (أوكلما) الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ أبو السمال بسكون الواو على أنّ الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها إلا الذين فسقوا أو نقضوا عهد الله مراراً كثيرة ۞ وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرّة ۞ والنبذ الرمى بالذمام ورفضه ۞ وقرأ عبدالله نقضه (فريق منهم) وقال فريق منهم لأنّ منهم من لم ينقض (بل أكثرهم لايؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين فى شيء فلا يعدّون نقض المواثيق ذنباً ولا يبالون به (كتاب الله) يعنى التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدمالزمهم تلقيه بالقبول (كأنهم لايعلمون) أنه كتاب الله لايدخلهم فيه شك يعنى أنّ علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه وعن الشعبى هو بين أيديهم يقرؤنه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان أدرجوه فى الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه (واتبعوا) أى نبذوا كتاب الله واتبعوا (ماتتلوا الشياطين) يعنى واتبعوا كتب السحر والشعوذة التى كانت تقرؤها (على ملك سليمان) أى على عهد ملكه وفى زمانه وذلك أنّ الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ماسمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دوّنوها فى كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وماتم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه تسخر الإنس والجن والريح التى تجرى بأمره (وما كفر سليمان) تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفراً (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه (يعلمون الناس السحر) يقصدون به إغواءهم وإضلالهم (وما أنزل على الملكين) عطف على السحر أى ويعلمونهم ما أنزل على الملكين وقيل هو عطف على ماتتلو أى واتبعوا ما أنزل (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين علمان لهما والذى أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافراً ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا : عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ۞ كما ابتلى قوم لوط بالنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على أنّ المنزل عليهم علم السحر كانا ملكين ببابل ۞ وما يعلم الملكان أحدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له (إنما نحن فتنة) أى ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) فلا تتعلم معتقداً أنه حق فتكفر (فيتعلمون) الضمير لما دلّ عليه من أحد ۞ أى فيتعلم الناس من الملكين (مايفرقون به بين المرء وزوجه) أى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين من

الوجه مستحقا لسببين أحدهما أنه جملة إسمية والآخر أنه ماض صحيح

أمّا عند أهل السنة فالأنبياء أشرف (قوله بالذمام ورفضه) فى الصحاح الذمام الحرمة (قوله لا يدخلهم فيه شك) لعله علما لايدخلهم فيه شك (قوله لما بهتت به) أى قالت عليه مالم يفعله أفاده الصحاح

بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ

حيلة وتمويه كالنفث فى العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا أن السحر له فى نفسه بدليل قوله تعالى (وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) لأنه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث (ويتعلمون مايضرهم ولاينفعهم) لأنهم يقصدون به الشر وفيه أن اجتنابه أصلح كتعلم الفلسفة التى لا يؤمن أن تجر إلى الغواية ۞ ولقد علم هؤلاء اليهود أن من اشتراه أى استبدل ما تتلو الشياطين من كتاب الله (ماله فى الآخرة من خلاق) من نصيب (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أى باعوها ۔ وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهرى هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة ومايعلمان من أعلم وقرئ بين المرء بضم الميم و كسرها مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج وإجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الأعمش وماهم بضارى بطرح النون والإضافة إلى أحد والفصل بينهما بالظرف (فإن قلت) كيف يضاف إلى أحد وهو مجرور بمن (قلت) جعل الجار جزأ من المجرور (فإن قلت) كيف أثبت لهم العلم أولا فى قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمى ثم نفاه عنهم فى قوله لو كانوا يعلمون (قلت) معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه (ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن ۔ (واتقوا) الله فتركوا ماهم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين (لمثوبة من عند الله خير) وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم (فإن قلت) كيف أوثرت الجملة الإسمية على الفعلية فى جواب لو (قلت) لما فى ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب إلى الرفع فى سلام عليكم لذلك (فإن قلت) فهلا قيل لمثوبة الله خير (قلت) لأن المعنى لشىء من الثواب خير لهم ويجوز أن يكون قوله ولو أنهم آمنوا تمنيا لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ألقى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله أى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهى راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو فى معناها وهو (انظرنا) من نظره إذا انتظره وقرأ أبى أنظرنا من النظرة أى أمهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على أنهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج أى لاتقولوا قولا

قوله تعالى ولو أنهم آمنوا واتقوا الآية (قال محمود رحمه الله ويجوز أن يكون قوله تعالى آمنوا تمنيا الخ) قال أحمد رحمه الله التمنى مجاز عن إرادة الله تعالى لإيمانهم وتقواهم من طراز تفسيره للعل بالإرادة والرد عليه على سبيله ثم

(قوله الفرك والنشوز) فى الصحاح الفرك بالكسر البغض ولا يستعمل إلا بين الزوجين وقوله لا أن السحر الخ مبنى على مذهب المعتزلة من السحر لا حقيقة له ولا تأثير له وذهب أهل السنة إلى إثباته وإثبات تأثيره وإن كان تأثير كل شىء فى غيره لا يكون إلا بإذنه تعالى وهذا هو ظاهر الكتاب وظاهر السنة (قوله على تقرير التخفيف والوقف) أى فى لغة من وقف بالتضعيف (قوله قلت جعل الجار جزءا) ونظيره لا أباك

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۞ وَدَّ كَثِيرٌ

راعنا منسوبا إلى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما أشبه قولهم راعينا وكان سببا فى السب اتصف بالرعن (واسمعوا) وأحسنوا سماع مايكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا أو واسمعوا ماأمرتم به بجد حتى لاترجعوا إلى ما نهيتم عنه تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروى أن سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه فقالوا أو لستم تقولونها فنزلت (وللكافرين) ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه (عذاب أليم) من الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية ۞ والخير الوحى وكذلك الرحمة كقوله تعالى أهم يقسمون رحمة ربك والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى اليهم فيحسدونكم ومايحبون أن ينزل عليكم شىء من الوحى (والله يختص) بالنبوة (من يشاء) ولايشاء إلا ماتقتضيه الحكمة (والله ذو الفضل العظيم) إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله تعالى إن فضله كان عليك كبيرا ۞ روى أنهم طعنوا فى النسخ فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت ۞ وقرئ ماننسخ من آية وماننسخ بضم النون من أنسخ أو ننسأها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عبد الله ماننسك من آية أو ننسخها وقرأ حذيفة ماننسخ من آية أو ننسكها . ونسخ الآية إزالتها بابدال أخرى مكانها وإنساخها الأمر بنسخها وهو أن يأمر جبريل عليه السلام بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها وإذهابها لا إلى بدل وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى أن كل آية يذهب بها على ماتوجبه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معا أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل (نأت) بآية خير منها للعباد أى بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها فى ذلك (على كل شىء قدير) فهو يقدر على الخير وماهو خير منه وعلى مثله فى الخير (له ملك السموات والأرض) فهو يملك أموركم ويدبرها ويجريها على حسب مايصلحكم وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ ۞ لما بين لهم أنه مالك أمورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله ألم تعلم أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وأن لايقترحوا على رسولهم مااقترحه آباء اليهود على موسى عليه السلام من الأشياء التى كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا إلها أرنا الله جهرة وغير ذلك (ومن يتبدل الكفر بالإيمان) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) روى أن فنحاص ابن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار ابن ياسر بعد وقعة أحد ألم يروا ماأصابكم ولو كنتم على الحق ماهزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فإنى قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ماعشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة

مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ

قبلة وبالمؤمنين إخوانا ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال أصبتما خيرا وأفلحتما فنزلت (فان قلت) بم تعلق قوله (من عند أنفسهم) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بود على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لامن قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك من بعد ماتبين لهم أنكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق وإما أن يتعلق بحسدا أى حسدا متبالغا منبعثا من أصل أنفسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأتى الله بأمره) الذى هو قتل بنى قريظة وإجلاء بنى النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم (إن الله على كل شىء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (من خير) من حسنة صلاة أوصدقة أوغيرهما (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه عندالله (إن الله بما تعملون بصير) عالم لايضيع عنده عمل عامل ۞ الضمير فى (وقالوا) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وأمنا من الالباس لما علم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ۞ والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل (فان قلت) كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر (قلت) حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن إلا من هو صالو الجحيم وقوله فإن له نار جهنم خالدين فيها وقرأ أبىّ بن كعب إلا من كان يهوديا أو نصرانيا (فان قلت) لم قيل (تلك أمانيهم) وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة (قلت) أشير بها إلى الأمانى المذكورة وهو أمنيتهم أن لاينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفاراً وأمنيتهم أن لايدخل الجنة غيرهم أى تلك الأمانى الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض أو أريد أمثال تلك الأمنية أمانيهم على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه يريد أن أمانيهم جميعا فى البطلان مثل أمنيتهم هذه والأمنية أفعولة من التمنى مثل الأضحوكة والأعجوبة (هاتوا برهانكم) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة (إن كنتم صادقين) فى دعواكم وهذا أهدم شىء لمذهب المقلدين وأن كل قول لادليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاه بمعنى احضر (بلى) إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص نفسه له لايشرك به غيره (وهو محسن) فى عمله (فله أجره) الذى يستوجبه (فإن قلت) من أسلم وجهه كيف موقعه (قلت) يجوز أن يكون بلى رداً لقولهم ثم يقع من أسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله أجره وأن يكون من أسلم فاعلا لفعل محذوف أى بلى يدخلها من أسلم ويكون

قوله تعالى حسدا من عند أنفسهم (قال محمود رحمه الله إن قلت بم تعلق قوله من عند أنفسهم الخ) قال أحمد رحمه الله يبعد الوجه الثانى دخول عند ويقرب الأول قوله تعالى تلك أمانيهم (قال محمود رحمه الله فإن قلت لم قيل تلك أمانيهم وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة الخ) قال أحمد رحمه الله يبعد هذا الجواب قوله تعالى عقيب ذلك

(قوله وهو أمنيتهم) لعله وهى

عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصٰرٰى عَلٰى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصٰرٰى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلٰى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتٰبَ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسٰجِدَ اللّٰهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعٰى فِى خَرَابِهَا أُولٰٓئِكَ مَا كَانَ

قوله فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم (على شىء) أى على شىء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشىء فإذا نفى إطلاق اسم الشىء عليه فقد بولغ فى ترك الاعتداد به إلى ماليس بعده وهذا كقولهم أقل من لاشىء (وهم يتلون الكتاب) الواو للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقى لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثانى شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها بعضا (كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعت به على ذلك المنهاج (قال) الجهلة (الذين) لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لأهل كل دين ليسوا على شىء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم وروى أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم على شىء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة (فالله يحكم) بين اليهود والنصارى (يوم القيامة) بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذى استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار (أن يذكر) ثانى مفعولى منع لأنك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط فى الظلم والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه وأن الروم غزوا أهله فخربوه وأحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقيل أراد به منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية (فإن قلت) فكيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام (قلت) لا بأس ان يجىء الحكم عاما وإن كان السبب خاصا كما تقول لمن أذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن أذى الصالحين وكما قال الله عز وجل ويل لكل همزة

«قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون» فإن البرهان المطلوب منهم ههنا إنما هو على صحة دعواهم ان الجنة لا يدخلها غيرهم ويحقق هذا قوله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه فإنما يعنى الجنة ونعيمها رد أعليهم فى نفى غيرهم عن دخولها ففى هذا دليل بين على أن الأمانى المشار اليها ليس إلا ما طولبوا بإقامة البرهان على صحته وهو أمنيه واحدة والله أعلم والجواب القريب انهم لشدة تمنيهم لهذه الأمنية ومعاودتهم لها وتأكدها فى نفوسهم جمعت ليفيد جمعها أنها متأكدة فى قلوبهم بالغة منهم كل مبلغ والجمع يفيد ذلك وإن كان مؤداه واحداً ونظيره قولهم معاً جياع فجمعوا الصفة ومؤداها واحد لأن موصوفها واحد تأكيداً لثبوتها وتمكنها وهذا المعنى أحد ماروى فى قوله تعالى «إن هؤلاء لشرذمة قليلون» فإنه جمع قليلا وقد كان الأصل إفراده فيقال لشرذمة قليلة كقوله تعالى كم من فئة قليلة لولا ما قصد إليه من تأكيد معنى القلة بجمعها ووجه إفادة الجمع فى مثل هذا التأكيد أن الجمع يفيد بوضعه الزيادة فى الآحاد فنقل إلى تأكيد الواحد وإبانة زيادته على نظرائه نقلا مجازيا بديعا فتدبر هذا الفصل فإنه من نفائس صناعة البيان والله الموفق ▪ قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شىء الآية (قال محمود رحمه الله هذه مبالغة عظيمة لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشىء الخ) قال أحمد رحمه الله وتفسيره الشىء مخالف لفريق أهل السنة

(قوله إلى ماليس بعده) لعل المعنى إلى حد ليس بعده حد

لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ۞ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ

لمزة والمنزول فيه الأخنس بن شريق (وسعى فى خرابها) بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان وينبغى أن يراد بمن منع العموم كما أريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم من أولئك النصارى أو المشركين (أولئك) المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) أى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوا مساجد الله (إلا خائفين) على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم فى حكم الله يعنى أن الله قد حكم وكتب فى اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها إلا خائفين روى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكراً مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصرانى فى بيت المقدس إلا أنهك ضربا وأبلغ إليه فى العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبدالله إلا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء فى دخول الكافر المسجد فجوزه أبو حنيفة رحمه الله ولم يجوزه مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (خزى) قتل وسبى أو ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية (ولله المشرق والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها لله هو مالكها ومتوليها (فأينما تولوا) ففى أى مكان فعلتم التولية يعنى تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره (فثم وجه الله) أى جهته التى أمر بها ورضيها والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام أو فى بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة فى كل مكان لا يختص إمكانها فى مسجد دون مسجد ولا فى مكان دون مكان (إن الله واسع) الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم (عليم) بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فأينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة وقرأ الحسن فأينما تولوا بفتح التاء من التولى يريد فأينما توجهوا القبلة (وقالوا) وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما فى السموات والأرض) هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح (كل له قانتون) منقادون لا يمتنع شىء منه على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد والتنوين فى كل عوض من المضاف إليه أى كل ما فى السموات والأرض ويجوز أن يراد كل من جعلوه لله ولداً له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم (فإن قلت) كيف جاء بما التى لغير أولى العلم مع قوله قانتون (قلت) هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكأنه جاء بما دون من تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ۞ يقال بدع الشىء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع ۞ و (بديع السموات) من

والبدعة فإنه عند أهل السنة قاصر على الموجود وعند المعتزلة يطلق على الموجود وعلى المعدوم الذى يصح وجوده فليس متناولا للمحال بحال عندهما وقد تقدم له مثله

(قوله وهو مثل صيم) فى الصحاح قوم صوم وصيم (قوله بزع الرجل) بزع بالزاى كظرف وزنا ومعنى أفاده

لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ الْجَحِيمِ ۞ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ الَّذِى جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ۞ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ۞ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ

إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أى بديع سمواته وأرضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما أن السميع فى قول عمرو ۞ أمن ريحانة الداعى السميع ۞ بمعنى المسمع وفيه نظر (كن فيكون) من كان التامة أى احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول فى قوله ۞ إذ قالت الأنساع للبطن الحق ۞ وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذى يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الإباء أكد بهذا استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لأحوال الأجسام فى توالدها وقرئ بديع السموات مجروراً على أنه بدل من الضمير فى له وقرأ المنصور بالنصب على المدح (وقال الذين لا يعلمون) وقال الجهلة من المشركين وقيل من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكباراً منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جحوداً لأن يكون ما آتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (تشابهت قلوبهم) أى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى كقوله أتواصوا به (قد بينا الآيات لقوم) ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (إنا أرسلناك) لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على الإيمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لأنه كان يغتم ويضيق صدره لإصرارهم وتصميمهم على الكفر ۞ ولا نسألك (عن أصحاب الجحيم) مالهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك فى دعوتهم كقوله «فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب» وقرئ ولا تسأل على النهى روى أنه قال ليت شعر ما فعل أبواى فنهى عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع فى بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجرى على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الأولى قراءة عبد الله ولن تسئل وقراءة أبىّ وما تسئل ۞ كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا إقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم فى الإسلام فحكى الله عزّ وجلّ كلامهم ولذلك قال (قل إن هدى الله هو الهدى) على طريقة إجابتهم عن قولهم يعنى أن هدى الله الذى هو الإسلام هو الهدى بالحق والذى يصح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى ألا ترى إلى قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) أى أقوالهم التى هى أهواء وبدع (بعد الذى جاءك من العلم) أى من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة (الذين آتيناهم الكتاب) هم مؤمنو أهل الكتاب (يتلونه حق تلاوته) لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (أولئك يؤمنون) بكتابهم دون المحرفين (ومن يكفر به) من المحرفين (فأولئك هم الخاسرون) حيث

الصحاح وصرّح كقولك بأنه لا يوصف به الاحداث

يَنصَرُونَ ۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۞ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ

اشتروا الضلالة بالهدى (ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) اختبره بأوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه عن اختيار أحد الأمرين مايريد الله وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه مايكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبوحنيفة رضى الله عنه وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنه إبراهيم ربه رفع إبراهيم ونصب ربه والمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا (فان قلت) الفاعل فى القراءة المشهورة يلى الفعل فى التقدير فتعليق الضمير به إضمار قبل الذكر (قلت) الإضمار قبل الذكر أن يقال ابتلى ربه إبراهيم فأما ابتلى إبراهيم ربه أو ابتلى ربه إبراهيم فليس واحداً منهما بإضمار قبل الذكر أما الأول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا وأما الثانى فإبراهيم فيه مقدم فى المعنى وليس كذلك ابتلى ربه إبراهيم فإن الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلاسبيل إلى صحته ۞ والمستكن فى (فأتمهن) فى إحدى القراءتين لإبراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وإبراهيم الذى وفى وفى الأخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه ماطلبه لم ينقص منه شيأ ويعضده ماروى عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه فى قوله « رب اجعل هذا بلداً آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا منهم ربنا تقبل منا » ۞ (فان قلت) ماالعامل فى إذ (قلت) إما مضمر نحو واذكر إذ ابتلى أو وإذ ابتلاه كان كيت وكيت وإما (قال إنى جاعلك) (فان قلت) فما موقع قال (قلت) هو على الأول استئناف كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات فقيل قال إنى جاعلك للناس إماما وعلى الثانى جملة معطوفة على ماقبلها ويجوز أن يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيراً له فيراد بالكلمات ماذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام قبل ذلك فى قوله إذ قال له ربه أسلم وقيل فى الكلمات هن خمس فى الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الأبط وقيل ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهما عشر فى براءة التائبون العابدون وعشر فى الأحزاب إن المسلمين والمسلمات وعشر فى المؤمنون وسأل سائل إلى قوله «والذين هم على صلاتهم يحافظون» وقيل هى مناسك الحج كالطواف والسعى والرمى والإحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة ۞ والإمام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالإزار لما يؤتزر به أى يأتمون بك فى دينهم (ومن ذريتى) عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتى كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا (لاينال عهدى الظالمين) وقرئ الظالمون أى من كان ظالما من ذريتك لايناله استخلافى وعهدى إليه بالإمامة وإنما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا فى هذا دليل على أن الفاسق لايصلح للإمامة وكيف يصلح لها من لايجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان أبوحنيفة رحمه الله يفتى سراً بوجوب نصرة زيد بن على رضوان الله عليهما وحمل المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالإمام والخليفة كالدوانيقى وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابنى بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابنى عبدالله بن الحسن حتى قتل فقال ليتنى مكان ابنك وكان يقول فى المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادونى على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لايكون الظالم إماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالما فى نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم ۞ و (البيت) اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعاً للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أى يثوب إليه أعيان الذين يزورونه أو أمثالهم (وأمنا) وموضع أمن كقوله

(قوله تمكينه عن اختيار) لعله من

إبرهيم وإسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعكفين والركع السجود ۝ وإذ قال إبرهيم رب اجعل هذا بلدا ءامنا وارزق أهله من الثمرت من ءامن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ۝ وإذ يرفع إبرهيم القواعد من البيت وإسمعيل ربنا تقبل منا إنك

حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولأن الجانى يأوى إليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لأنه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد (واتخذوا) على إرادة القول أى وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى يريد أفلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم إبراهيم فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام إبراهيم الحجر الذى فيه أثر قدميه والموضع الذى كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذى يسمى مقام إبراهيم وعن عمر رضى الله عنه أنه سأل المطلب ابن أبى وداعة هل تدرى أين كان موضعه الأول قال نعم فأراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لأنه قام فى هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعى الحرم كله مقام إبراهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضى عطفا على جعلنا أى واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها (عهدنا) أمرناهما (أن طهرا بيتى) بأن طهرا او أى طهرا والمعنى طهراه من الأوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده أى أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعنى القائمين فى الصلاة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لأنّ القيام والركوع والسجود هيآت المصلى أى اجعل هذا البلد أو هذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن كقوله عيشة راضية أو آمنا من فيه كقوله ليل نائم و (من آمن منهم) بدل من أهله يعنى وارزق المؤمنين من أهله خاصة (ومن كفر) عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتى على الكاف فى جاعلك (فإن قلت) لم خص إبراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى ردّ عليه (قلت) قاس الرزق على الإمامة فعرف الفرق بينهما لأنّ الاستخلاف إسترعاء يختص بمن ينصح للمرعى وأبعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فإنه قد يكون استدراجا للمرزوق وإلزاما للحجة له والمعنى وأرزق من كفر فأمتعه ويجوز أن يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فأمتعه جوابا للشرط أى ومن كفر فأنا أمتعه وقرئ فأمتعه فأضطره فالزه فى عذاب النار لز المضطر الذى لا يملك الامتناع مما اضطر إليه وقرأ أبىّ فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فإضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلا ثم أضطره على لفظ الأمر والمراد الدعاء من إبراهيم دعا ربه بذلك (فإن قلت) فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة (قلت) فى قال ضمير إبراهيم أى قال إبراهيم بعد مسئلته إختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره وقرأ ابن محيصن فاطره بإدغام الضاد فى الطاء كما قالوا اطجع وهى لغة مرذولة لأنّ الضاد من الحروف الخمسة التى يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هى فيما يجاورها وهى حروف ضم شفر (يرفع) حكاية حال ماضية ۝ و (القواعد) جمع قاعدة وهى الأساس والأصل لما فوقه وهى صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله أى أسأل الله أن يقعدك أى يثبتك ورفع الأساس البناء عليها لأنها إذا بنى عليها نقلت عن هيئة

(قوله فأضطره) التلاوة ثم أضطره (قوله ورفع الأساس البناء) لعله الأسس بضمتين

أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي

الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لأن كل ساف قاعدة للذى يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لأنه إذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز أن يكون المعنى وإذ يرفع إبراهيم ماقعد من البيت أى استوطأ يعنى جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروى أنه كان مؤسسا قبل إبراهيم فبنى على الأساس وروى إن الله تعالى أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقى وغربى وقال لآدم عليه السلام أهبطت لك مايطاف به كما يطاف حول عرشى فتوجه آدم من أرض الهند إليه ماشياً وتلقته الملائكة فقالوا برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجليه فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة أظلته ونودى أن ابن على ظلها لاتزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودى وأسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الأسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبىء فيه فى أيام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض فى الجاهلية أسود وقيل كان إبراهيم يبنى وإسمعيل يناوله الحجارة (ربنا) أى يقولان ربنا وهذا الفعل فى محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله فى قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا (إنك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بضمائرنا ونياتنا (فإن قلت) هلا قيل قواعد البيت وأى فرق بين العبارتين (قلت) فى إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام ماليس فى إضافتها لما فى الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين (مسلمين لك) مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له وسلم واستسلم إذا خضع وأذعن والمعنى زدنا إخلاصا أو إذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما أرادا أنفسهما وهاجر أو أجريا التثنية على حكم الجمع لأنها منه (ومن ذريتنا) واجعل من ذريتنا (أمة مسلمة لك) ومن للتبعيض أو للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم (فإن قلت) لم خصا ذريتهما بالدعاء (قلت) لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة «قوا أنفسكم وأهليكم ناراً» ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير ألا ترى أن المقدمين من العلماء والكبراء إذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأرنا) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين أى وبصرنا متعبداتنا فى الحج أو وعرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وأرنا بسكون الراء قياسا على فخذ فى فخذ وقد استرذلت لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فإسقاطها إجحاف وقرأ أبو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وأرهم مناسكهم (وتب علينا) مافرط منا من الصغائر أو استتابا لذريتهما (وابعث فيهم) فى الأمة المسلمة (رسولا منهم) من أنفسهم وروى أنه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان فبعث الله فيهم محمداً صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى أخى عيسى ورؤيا أمى (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم مايوحى إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) الشريعة وبيان الأحكام (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث (ومن يرغب) إنكار واستبعاد لأن يكون فى العقلاء من يرغب عن

(قوله المراد بها سافات البناء) قوله سافات عبارة أبى السعود والفخر ساقات بالقاف بدل الفاء والصواب أنه بالفاء كما فى الصحاح فى باب الفاء: الساف كل عرق من الحائط (قوله وتب علينا مافرط منا) لعله على تضمين تب معنى اغفر

الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّـٰلِحِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ۞ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ

الحق الواضح الذى هو ملة إبراهيم ۞ و(من سفه) فى محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وصح البدل لأنّ من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد إلا زيد . سفه نفسه امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التميز نحو غبن رأيه وألم رأسه ويجوز أن يكون فى شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا ۞ أجب الظهر ليس له سنام ۞ وقيل معناه سفه فى نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظنى مقيم أى فى ظنى والوجه هو الأول وكفى شاهداً له بما جاء فى الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وذلك أنه إذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ فى إذلال نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة (ولقد اصطفيناه) بيان لخطإ رأى من رغب عن ملته لأنّ من جمع الكرامة عندالله فى الدارين بأن كان صفوته وخيرته فى الدنيا وكان مشهوداً له بالاستقامة على الخير فى الآخرة لم يكن أحد أولى بالرغبة فى طريقته منه (إذ قال) ظرف لاصطفيناه أى اخترناه فى ذلك الوقت أو انتصب بإضمار اذكر استشهاداً على ماذكر من حاله كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة مثله ۞ ومعنى قال (له أسلم) أخطر بباله النظر فى الدلائل المؤدية إلى المعرفة والإسلام (قال أسلمت) أى فنظر وعرف وقيل أسلم أى أذعن وأطع وروى أنّ عبدالله بن سلام دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما قد علمتا أنّ الله تعالى قال فى التوراة إنى باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فنزلت ۞ قرئ وأوصى وهى فى مصاحف أهل الحجاز والشام ۞ الضمير فى (بها) لقوله أسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير فى قوله وجعلها كلمة باقية إلى قوله إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى وقوله كلمة باقية دليل على أنّ التأنيث على تأويل الكلمة (ويعقوب) عطف على إبراهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها إبراهيم بنيه ونافلته يعقوب (يا بنى) على إضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لأنه فى معنى القول ونحوه قول القائل :

رجلان من ضبة أخبرانا ۞ أنا رأينا رجلا عريانا

بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الإخبار وفى قراءة أبىّ وابن مسعود أن يا بنى (أصطفى لكم الدين) أعطاكم الدين الذى هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام ووفقكم للأخذ به (فلا تموتنّ) معناه فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا كقولك لا تصلّ إلا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع فى حال صلاته (فإن قلت) فأى نكتة فى إدخال حرف النهى على الصلاة وليس بمنهى عنها (قلت) النكتة فيه إظهار أن الصلاة التى لا خشوع فيها كلا صلاة فكأنه قال أنهاك عنها إذا لم تصلها على هذه الحالة ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد فإنه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل إلا فى المسجد وكذلك المعنى فى الآية إظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وأنه ليس بموت السعداء وأن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم وتقول فى الأمر أيضا مت وأنت شهيد وليس مرادك الأمر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء إذا مات إنما أمرته بالموت اعتداداً منك بميتته وإظهاراً لفضلها على غيرها وأنها حقيقة بأن يحث عليها (أم كنتم شهداء) هى أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت أى حين احتضر

(قوله وتغمص الناس) أى تستصغرهم وتعيبهم أفاده الصحاح (قوله فى إذالة نفسه) أى إهانتها أفاده الصّحاح

(قوله هى أم المنقطعة) هى تفسر ببل والهمزة

إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۞ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ قُولُوا آمَنَّا

والخطاب للمؤمنين بمعنى ماشاهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون ما مات نبي إلا على اليهودية إلا أنهم لو شاهدوه وسمعوا ماقاله لبنيه وماقالوه لظهر لهم حرصه على ملة الإسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم أم كنتم شهداء ولكن الوجه أن تكون أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت يعني أن أوائلكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على التوحيد وملة الإسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الأنبياء ماهم منه براء. وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة (ماتعبدون) أي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فإذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم إلا أولي العلم وحدهم ويجوز أن يقال ماتعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول مازيد تريد أفقيه أم طبيب أم غير ذلك من الصفات و (إبراهيم وإسمعيل وإسحق) عطف بيان لآبائك وجعل إسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لأن العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لاتفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه أي لاتفاوت بينهما كما لاتفاوت بين صنوي النخلة وقال عليه الصلاة والسلام في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي أبي فإني أخشى أن تفعل به قريش مافعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ أبي وإله إبراهيم بطرح آبائك وقرئ أبيك وفيه وجهان أن يكون واحداً وإبراهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعاً بالواو والنون قال وفديننا بالأبينا (إلهاً واحداً) بدل من إله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أي نريد بإله آبائك إلهاً واحداً (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو من مفعوله لرجوع الهاء إليه في له ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة أي ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون (تلك) إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون ▪ والمعنى أن أحداً لاينفعه كسب غيره متقدماً كان أو متأخراً فكما أن أولئك لاينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لاينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك أنهم افتخروا بأوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يابني هاشم لايأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم (ولاتسألون عما كانوا يعملون) ولاتؤاخذون بسيآتهم كما لاتنفعكم حسناتهم (بل ملة إبراهيم) بل نكون ملة إبراهيم أي أهل ملته كقول عدي بن حاتم إني من دين يريد من أهل دين وقيل بل نتبع ملة إبراهيم وقرئ ملة إبراهيم بالرفع أي ملته ملتنا أو أمرنا ملته أو نحن ملته بمعنى أهل ملته و (حنيفاً) حال من المضاف إليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف إذا مال وأنشد :

قوله تعالى أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت (قال محمود رحمه الله الخطاب فيه للمؤمنين بمعنى ماشاهدتم الخ) قال أحمد رحمه الله وإنما اختار على هذا التفسير أن تكون متصلة لأنه لو جعلها منقطعة كالأول لكان مضمون الكلام نفي شهود المخاطبين وهم اليهود على هذا التفسير الثاني لوفاة يعقوب والوصية بالإسلام وحينئذ يكون ذلك كإقامة حجتهم على جحد الإسلام وإنكار أن يكون الأنبياء مسلمين والغرض ضد ذلك وإنما كان الكلام يقتضي النفي حينئذ لأن الاستفهام من الله تعالى لايحمل على ظاهره فتعين صرفه إلى الإنكار لأن السياق يقتضيه ولهذا كان نفياً لشهود المسلمين وفاة يعقوب ووصيته على التفسير الأول لاسيما والمعتاد خطاب اليهود المعاصرين للنبي عليه الصلاة والسلام بما يخاطب به أوائلهم وتنزيلا لعلمهم ورضاهم منزلة حضورهم وتعاطيهم كقوله تعالى « وإذ قتلتم نفسا » وإذ قلتم ياموسى إلى أشباه ذلك فإذا كانت أم متصلة والخطاب لليهود فقد جرى الأمر في خطابهم على المعتاد وإذا كانت منقطعة انعكس الأمر

بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۞ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ

ولكننا خلقنا إذ خلقنا ۞ حنيفاً ديننا عن كلّ دين

(وما كان من المشركين) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأنّ كلا منهم يدعى اتباع إبراهيم وهو على الشرك (قولوا) خطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون خطابا للكافرين أى قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة إبراهيم يجوز أن يكون على بل اتبعوا أنتم ملة إبراهيم أو كونوا أهل ملته ۞ والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والأسباط) حفدة يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر (لانفرق بين أحد منهم) لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد فى معنى الجماعة ولذلك صحّ دخول بين عليه (بمثل ما آمنتم به) من باب التبكيت لأنّ دين الحق واحد لامثل له وهو دين الإسلام ، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، فلا يوجد إذاً دين آخر يماثل دين الإسلام فى كونه حقاً حتى إن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أى فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مساوياً له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه أنّ دينهم الذى هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذى تشير عليه هذا هو الرأى الصواب فإن كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأى وراءه ويجوز أن لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم أى فإن دخلوا فى الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التى آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ أبىّ بالذى آمنتم به (وإن تولوا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم إلا (فى شقاق) أى فى مناوأة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق فى شىء أو وإن تولوا عن الشهادة والدخول فى الإيمان بها (فسيكفيكهم الله) ضمان من الله لإظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بنى النضير ومعنى السين أنّ ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين (وهو السميع العليم) وعيد لهم أى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغلّ وهو معاقبهم عليه أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك (صبغة الله) مصدر مؤكد منتصب على قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهى فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لأنّ الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهيرلهم وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا أو يقولون المسلمون صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وإنما

قوله تعالى لانفرق بين أحد منهم (قال محمود رحمه الله وأحد فى معنى الجماعة الخ) قال أحمد رحمه الله وفيه دليل على أن النكرة الواقعة فى سياق النفى تفيد العموم لفظاً حتى يتنزّل المفرد فيها منزلة الجمع فى تناوله الآحاد مطابقة لا كما ظنه بعض الأصوليين من أن مدلولها بطريق المطابقة فى النفى كمدلولها فى الإثبات وذلك الدلالة على الماهية وإنما لزم فيها العموم من حيث أنّ سلب الماهية يستوجب سلب الإفراد لما بين الأعمّ والأخصّ من التلازم فى جانب النفى

(قوله فى مناوأة ومعاندة) فى الصحاح ناوأت الرجل مناوأة ونواء عاديته وربما لم يهمز وأصله الهمز

اللهِ صبغةً ونحن له عـبدون ۞ قل أتحـاجوننا فى الله وهو ربنا وربـكم ولنـا أعملنا ولـكم أعمـلـكم ونحن له مخلصون ■ أم تقولون إن إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصـرى قل ءأنتم أعـلم أم الله ومن أظلم ممـن كتم شهـدة عنده من الله وما الله بغـفل عمـا تعملون ۞ تلك أمة قد خلت لهـا ما كسبت ولـكم ما كسبتم ولا تسئلون عمـا كانوايعملون ۞ سيقول السفهـاء من الناس ما ولـهم عن

جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الـكرم (ومن أحسن من الله صبغة) يعنى أنه يصبغ عباده بالإيمـان ويطهرهم به من أوضار الـكفر فلا صبغة أحسن من صبغته ۞ وقوله (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهـذا العطف يردّ قول من زعم أنّ صبغة الله بدل من ملة إبراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لمـا فيه من فك النظم وإخراج الـكلام عن التآمه واتساقه وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هوالذى ذكره سيبويه ■ والقول ماقالت حذام ۞ قرأ زيد بن ثابت أتحاجونا بإدغام النون والمعنى أتجادلوننا فى شأن الله واصطفائه النبى من العرب دونـكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونـكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا فى أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى فى ذلك لايختص به عجمى دون عربى إذا كان أهلا للكرامة (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى أنّ العمل هو أساس الأمروبه العبرة وكما أنّ لـكم أعمالا يعتبرها الله فى إعطاء الـكرامة ومنعها فنحن كذلك ۞ ثم قال (ونحن له مخلصون) فجاء بمـا هو سبب الـكرامة اى ونحن له موحدون نخلصه بالإيمـان فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل إخلاصه لـكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن أحق بأن تـكون النبوة فينا لأنا أهل كتاب والعرب عبدة أوثان (أم تقولون) يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تـكون أم معادلة للهمزة فى أتحاجوننا بمعنى أىّ الأمرين تأتون: المحاجة فى حكمة الله، أم ادّعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء ■ والمراد بالاستفهام عنهما إنـكارهما معا وأن تـكون منقطعة بمعنى بل أتقولون والهمزة للإنـكار أيضا وفيمن قرأ بالياء لاتـكون إلا منقطعة (قل أأنتم أعلم أم الله) يعنى أن الله شهد لهم بملة الإسلام فى قوله «ما كان إبراهيم يهوديا ولانصرانيا ولـكن كان حنيفا مسلما» (ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) أى كتم شهادة الله التى عنده أنه شهد بها وهى شهادته لإبراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما انّ أهل الـكتاب لااحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثانى إنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نـكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليـه وسلم بالنبوة فى كتبهم وسائر شهاداته ومن فى قوله شهادة عنده من الله مثلها فى قولك هذه شهادة منى لفلان إذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله (سيقول السفهاء) الخفاف الأحلام وهم اليهود لـكراهتهم التوجه إلى الـكعبة وأنهم لايرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم (فإن قلت) أى فائدة فى الاخبار بقولهم قبل وقوعه (قلت) فائدته

إذ سلب الأعم أخص من سلب الأخص فيستلزمه فلو كان لفظا مالاإشعار له بالتعدد والعموم وضعا لمـا جاز دخول بين عليها ۞ قوله تعالى سيقول السفهاء (قال محمود رحمه الله تعالى أى فائدة فى الإخبار بقولهم قبل وقوعه الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى ولهذه النـكتة أجرى من حذو النظار فى إدراج مناظرتهم العمل بمقتضى الذى هو كذا السالم عن معارضة كذا فسيقول دره للمعارض قبل ذكر الخصم له وهى نـكتة بديعة أحسن مايستدل على صحها بهذه الآية فتفطن لهـا فانها من الملح

(قوله واتساقه وانتصابها) فى الصحاح الاتساق الانتظام وفيه أيضا التنسيق التنظيم

قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ

أنّ مفاجأة المكروه أشدّ والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدّمه من توطين النفس وأنّ الجواب العتيد قبل الحاجة اليه أقطع للخصم وأرد لشغبه وقبل الرمى يراش السهم (ماولاهم) ماصرفهم (عن قبلتهم) وهى بيت المقدس (لله المشرق والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها (يهدى من يشاء) من أهلها (إلى صراط مستقيم) وهو ماتوجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة إلى بيت المقدس وأخرى إلى الكعبة (وكذلك جعلناكم) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم (أمة وسطا) خيارا وهى صفة بالاسم الذى هو وسط الشىء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام «وأنطوا الثبجة» يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر إلا أنه ألحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل الخيار وسط لأنّ الأطراف يتسارع اليها الخلل والأعوار والأوساط محمية محوطة ومنه قول الطائى

كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت ۞ بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

وقد اكتريت بمكة جمل أعرابى للحج فقال أعطى من سطاتهنه أراد من خيار الدنانير أوعدولا لأنّ الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض (لتكونوا شهداء على الناس) روى أنّ الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال أمّته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» (فان قلت) فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لاعليهم (قلت) لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جىء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى «والله على كل شىء شهيد» «كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد» وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لايصح إلا بشهادة العدول الأخيار (ويكون الرسول عليكم شهيدا) يزكيكم ويعلم بعدالتكم (فان قلت) لم أخرت صلة الشهاده أولا وقدمت آخرا (قلت) لأنّ الغرض فى الأوّل إثبات شهادتهم على الأمم وفى الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (التى كنت عليها) ليست بصفه للقبلة إنما هى ثانى مفعولى جعل يريد وماجعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول إلى الكعبة فيقول وماجعلنا القبلة التى تحب أن تستقبلها الجهة التى كنت

قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا (قال محمود رحمه الله وقيل للخيار وسط الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا مما اقتضى المجاز فيه التعميم ۞ قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا (قال محمود رحمه الله فإن قلت فهلا قيل لكم شهيداً وشهادته لهم لاعليهم الخ) قال أحمد رحمه الله وجه الاستدلال بالآية أنه وصف الله تعالى فى أوّلها بالرقيب وفى آخرها بالشهيد على وجه التخصيص أوّلا ثم التعميم ثانيا وإنما ينتظم التعميم والتخصيص مع اتحاد مؤدى الرقيب والشهيد إذ الآية فى مثل قول القائل لمن شكر ۞ كنت محسنا إلىّ وأنت بكل أحد محسن وكأنه لما قال كنت أنت الرقيب عليهم وكان ذلك مخصصا لرقيبيته تعالى على بنى إسرائيل أراد أن يصفه بما هو أهله حتى ينفى وهم الخصوصية فقال فى التقدير وأنت على كل شىء كذلك فوضع شهيدا موضع كذلك المشار به إلى رقيبيته فلايتم الاستدلال بها إلا على هذا الوجه وفيه غموض على كثير من الأفهام والله الموفق (قال محمود رحمه الله فإن قلت لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا الخ) قال أحمد رحمه الله لأن المنة عليهم فى الطرفين ففى الأول بثبوت كونهم

(قوله وأنطوا الثبجة) لغة فى أعطوا

مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

عليها أولا بمكة يعنى وماردد ناك إليها إلا امتحانا للناس وابتلاء (لنعلم) الثابت على الإسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص (على عقبيه) لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز أن يكون بيانا للحكمة فى جعل بيت المقدس قبلته يعنى أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وأن استقبالك بيت المقدس كان أمرا عارضا لغرض وإنما جعلنا الجهة التى كنت عليها قبل وقتك هذا وهى بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لايتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضى الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه (فان قلت) كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك (قلت) معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمه موجوداً حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وإنما أسند علمهم إلى ذاته لأنهم خواصه وأهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لأن العلم به يقع التمييز به (وإن كانت لكبيرة) هى إن المخففة التى تلزمها اللام الفارقة والضمير فى كانت لما دل عليه قوله وماجعلنا القبلة التى كنت عليها من الردة أو التحويل أو الجعلة ويجوز أن يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة (إلا على الذين هدى الله) إلا على الثابتين الصادقين فى اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا أهلا للطفه (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى ثباتكم على الإيمان وأنكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم ويجوز أن يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه أن تركه مفسدة وإضاعة لإيمانكم وقيل من كان صلى إلى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس رضى الله عنه لما وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من إخواننا فنزلت (لرؤف رحيم) لايضيع أجورهم ولا يترك مايصلحهم ويحكى عن الحجاج أنه قال للحسن ما رأيك فى أبى تراب فقرأ قوله «إلا على الذين هدى الله» ثم قال وعلى منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته وأقرب الناس إليه وأحبهم وقرئ إلا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز أن يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت أزيد فى الدار أم عمرو وقرأ ابن أبى إسحق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدى لكبيرة بالرفع ووجهها أن تكون كان مزيدة كما فى قوله

۞ وجيران لنا كانوا كرام ▪ والأصل وإن هى لكبيرة كقولك إن زيد لمنطلق ثم وإن كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد (قد نرى) ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله ▪ قد أترك القرن مصفراً أنامله ۞ (تقلب وجهك) تردد وجهك وتصرف نظرك فى جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه ابراهيم وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعى نزول جبريل عليه السلام والوحى بالتحويل (فلنولينك) فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا إذا جعلته

شهداء وفى الثانى بثبوت كونهم مشهوداً لهم بالتزكية خصوصاً من هذا الرسول المعظم ولو قدم شهيداً لانتقل الغرض إلى الامتنان على النبى عليه الصلاة والسلام بأنه شهيد وسياق الخطاب لهم والامتنان عليهم يأباه وإنما أخذ الزمخشرى الإختصاص من التقديم لأن فيه إشعاراً بالأهميه والعناية وكثيراً مايجرى أى ذلك فى أثناء كلامه وفيه نظر ۞ قوله تعالى «قد نرى تقلب وجهك فى السماء» (قال محمود رحمه الله معناه كثرة الرؤية الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من المواضع التى تبالغ العرب فيها بالتعبير عن المعنى بضد عبارته ومنه ربما يود الذين كفروا والمراد كثرة مودتهم للإسلام فى القيامة وعند معاينة جزائه وثوابه وكذلك وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم ومراده إظهار عنادهم بأن علمهم برسالته

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۞ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

واليا له أو فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس (ترضاه) تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التى أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته (شطر المسجد الحرام) نحوه قال ۞ وأظعن بالقوم شطر الملوك ۞ وقرأ أبىّ تلقاء المسجد الحرام وعن البراء بن عازب قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم وجه إلى الكعبة وقيل كان ذلك فى رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول فى الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف أى اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أى فى جهته وسمته لأنّ استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل فى أنّ الواجب مراعاة الجهة دون العين (ليعلمون أنه الحق) أن التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان فى بشارة أنبيائهم برسول الله أنه يصلى إلى القبلتين (يعملون) قرئ بالياء والتاء (ماتبعوا) جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط ۞ بكل آية بكل برهان قاطع أنّ التوجه إلى الكعبة هو الحق ماتبعوا (قبلتك) لأنّ تركهم اتباعك ليس عن شبه تزيلها بإيراد الحجة إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما فى كتبهم من نعتك أنك على الحق (وما أنت بتابع قبلتهم) حسم لأطماعهم إذ كانوا ماجوا فى ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذى ننتظره وطمعوا فى رجوعه إلى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الإضافة (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعنى أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون فى شأن القبلة لايرجى اتفاقهم كما لاترجى موافقتهم لك وذلك أنّ اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس أخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لايزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لايقلع عن باطله لشدة شكيمته فى عناده ۞ وقوله (ولئن اتبعت أهواءهم) بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده فى قوله وما أنت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر (إنك إذا لمن الظالمين) المرتكبين الظلم الفاحش وفى ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى وتهييج وإلهاب للثبات على الحق (فإن قلت) كيف قال وما أنت بتابع

يقبنى مؤكد ومع ذلك يكفرون به قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام (قال محمود رحمه الله الشطر النحو والسمت الخ) قال أحمد رحمه الله وقد نقل أصحابنا المالكية خلافا عن المذهب فى الواجب فقيل الجهة وقيل العين هذا مع البعد وأما حيث تشاهد الكعبة فى المسجد الحرام فمن خرج عن السمت ثم لم تصح صلاته قولا واحداً ثم لهم على كل واحد من القولين إشكال أما على قول العين فيلزم أن لاتصح صلاة الصف المستقيم المستطيل زيادة على مسامتة الكعبة شرفها الله تعالى لأنا نعلم بالضرورة وإن لم نشاهد أن بعضهم يصلى إلى غير عينها إذ لايفى سمتها بذلك على هذا التقدير لكن الجواز فى مثل هذا مع البعد متفق عليه وأما على قول الجهة فيلزم تجويز صلاة الكائن فى الشمال مثلا إلى الجهات الثلاث لأنها كلها جهات الكعبة والسمت غير مراعى على هذا المذهب وإنما جاء هذا الخبط من عدم التمييز بين مراعاة الجهة والسمت ولقد ميزهما أبو حامد بمثال هندسى فى كتاب الإحياء فلا نطول بذكره والتحقيق عند الفتوى أنّ المعتبر مع البعد الجهة لا السمت ۞ قوله تعالى وما أنت بتابع قبلتهم (قال محمود رحمه الله إن قلت لم جاء على التوحيد وهما قبلتان الخ) قال أحمد رحمه الله ومثل هذا ما أجيب به عن قوله تعالى لن نصبر على طعام واحد

الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن

قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة (قلت) كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد فى البطلان قبلة واحدة (يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص (كما يعرفون أبناءهم) لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم وعن عمر رضى الله عنه أنه سأل عبدالله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا أعلم به منى بابنى قال ولم قال لأنى لست أشك فى محمد أنه نبى فأما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الإضمار وان لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علماً معلوما بغير إعلام وقيل الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة وقوله كما يعرفون أبناءهم يشهد للأول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام (فإن قلت) لم اختص الأبناء (قلت) لأن الذكور أشهر وأعرف وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق وقال (فريق منهم) استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم الذين قالوا يقال فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب (الحق من ربك) يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدإ محذوف أى هو الحق أو مبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان أن تكون اللام للعهد والإشارة إلى الحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلى الحق الذى فى قوله ليكتمون الحق أى هذا الذى يكتمونه هو الحق من ربك وأن تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذى أنت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذى عليه أهل الكتاب فهو الباطل (فإن قلت) إذا جعلت الحق خبر مبتدإ فما محل من ربك (قلت) يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون حالا وقرأ على رضى الله عنه الحق من ربك على الإبدال من الأول أى يكتمون الحق : الحق من ربك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين فى كتمانهم الحق مع علمهم أو فى أنه من ربك (ولكل) من أهل الأديان المختلفة (وجهة) قبلة وفى قراءة أبى ولكل قبلة (هو موليها) وجهه فحذف أحد المفعولين وقيل هو لله تعالى أى الله موليها إياه وقرئ ولكل وجهة على الإضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها أى هو مولى تلك الجهة وقد وليها والمعنى لكل أمة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا) أنتم (الخيرات) واستبقوا اليها غيركم من أمر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو أن يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أى جهة يصلى اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً) للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز أن يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهى الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعاً يجمعكم ، يجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة وكأنكم

مع أنه متعدد وهو المن والسلوى فقيل إنهم أرادوا أنهما من طعام الترفه وآثروا طعام الفلاحة والأجلاف فلما اتحد الطعامان المذكوران فى الرفاهية جعلوهما طعاما واحداً وهذا المعنى فى إنكار الطعام أبلغ لأنهم لم يكتفوا فى إنكاره بقولهم لن نصبر على طعام حتى أكدوه بقولهم واحد وللزمخشرى عنه جواب آخر سلف بمكانه قوله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (قال محمود رحمه الله ان قلت لم خص الأبناء ولم يقل أولادهم الخ) قال أحمد رحمه الله بنى كلامه هذا على أن الإناث لا يدخلن فى لفظ الأبناء كما يدخلن فى لفظ الأولاد وليس الأمر كذلك بل اللفظان سواء فى شمول الإناث ولذلك يدخلن فى لفظ الواقف إذا وقف على بنيه وبنى بنيه كما يدخلن فى لفظ الأولاد هذا مذهب الإمام مالك رضى الله عنه

(قوله واستبقوا اليها) لعله واسبقوا

رَبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۞ فَٱذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۞ يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۞ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۞ أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ

تصلون حاضرى المسجد الحرام (ومن حيث خرجت) أى ومن أى بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) إذا صليت (وإنه) وإن هذا المأمور به وقرئ (يعملون) بالتاء والياء وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة إلى التفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولأنه نيط بكل واحد مالم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (إلا الذين ظلموا) استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين ماترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء (فإن قلت) أى حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين (قلت) كانوا يقولون ماله لا يحول إلى قبلة أبيه إبراهيم كما هو مذكور فى نعته فى التوراة (فإن قلت) كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين (قلت) لأنهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز أن يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى ترككم التوجه إلى الكعبة التى هى قبلة إبراهيم وإسمعيل أبى العرب إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بداله فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما ألا الذين ظلموا منهم على أن ألا للتنبيه ووقف على حجة ثم استأنف منبها (فلا تخشوهم) فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فانهم لايضرونكم (واخشونى) فلا تخالفوا أمرى وما رأيته مصلحة لكم ۞ ومتعلق اللام محذوف معناه ولإتمامى النعمة عليكم وإرادتى اهتداءكم أمرتكم بذلك أو يعطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشونى لأوفقكم ولأتم نعمتى عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام (كما أرسلنا) إما أن يتعلق بما قبله أى ولأتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم فى الدنيا بإرسال الرسول أو بما بعده أى كما ذكرتكم بإرسال الرسول (فاذكرونى) بالطاعة (أذكركم) بالثواب (واشكروا لى) ما أنعمت به عليكم (ولا تكفرون) ولا تجحدوا نعمائى (أموات بل أحياء) هم أموات بل هم أحياء (ولكن لاتشعرون) كيف حالهم فى حياتهم وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل إليها النعم وإن كانت فى حجم الذرة وقيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر (ولنبلونكم) ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لأمر الله وحكمه أم لا (بشىء) بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه (وبشر الصابرين)

صَلَوٰتٌ مِن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ * إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَـٰتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَـٰبِ أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّـٰعِنُونَ *

المسترجعين عند البلاء لأنّ الاسترجاع تسليم وإذعان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروى أنه طفى سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وإنما قلل في قوله بشيء ليؤذن أن كل بلاء أصاب الانسان وإن جل ففوقه ما يقل إليه وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وإنما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم * ونقص عطف على شيء أو على الخوف بمعنى وشيء من نقص الأموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الأموال الزكوات والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد * والصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة أي رحمة (وأولئك هم المهتدون) لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لأمر الله * والصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة أي من أعلام مناسكه ومتعبداته * والحج القصد * والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الأعيان * وأصل (يطوف) يتطوف فأدغم وقرئ أن يطوف من طاف (فإن قلت) كيف قيل أنهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه أن يطوف بهما (قلت) كان على الصفا أساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى أنهما كان رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما أن يتراجعا وغير ذلك ولقوله (ومن تطوع خيراً) كقوله فمن تطوع خيراً فهو خير له ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الأولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فأدغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير (إن الذين يكتمون) من أحبار اليهود (ما أنزلنا) في التوراة (من البينات) من الآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم (والهدى)

---

* قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع (قال محمود رحمه الله وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الأموال الزكوات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد) قال أحمد وفي تفسيره هذا نظر لأنّ هذا الابتلاء موعود به في المستقبل مذكور قبل وقوعه توطنا عليه عند الوقوع ولعله ما من بلية ذكرها إلا وقد تقدمت لهم قبل نزول الآية إذ الخوف من الله تعالى لم يزل مشحونا في قلوب المؤمنين ويبعد أن يعبر عن الصدقة بالنقص وقد عبر عنها الشرع بالزكاة التي هي النمو ضد النقص وورد ما نقص مال من صدقة ويمكن أن يقال هي نقص حساً وإنما سميت زكاة باعتبار ما يؤول إليه حال القيام بها من النمو فالعوض المرجو من كرم الله خلف فلما ذكرها الله تعالى في سياق

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَـٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۞ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۞ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى

والهداية بوصفه إلى اتباعه والإيمان به (من بعد ما بيناه) ولخصناه (للناس فى الكتاب) فى التوراة لم ندع فيه موضع إشكال ولا اشتباه على أحد منهم فعمدوا إلى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (وأصلحوا) ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وبينوا) ما بينه الله فى كتابهم فكتموه أو بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدى بهم غيرهم من المفسدين (إنّ الذين كفروا) يعنى الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنهم أمواتا ۞ وقرأ الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفاً على محل اسم الله لأنه فاعل فى التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من أن ضرب زيد وعمرو كأنه قيل أولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة (فإن قلت) ما معنى قوله والناس أجمعين وفى الناس المسلم والكافر (قلت) أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً (خالدين فيها) فى اللعنة وقيل فى النار إلا انها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا (ولاهم ينظرون) من الإنظار اى لا يمهلون ولا يؤجلون اولا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة (إله واحد) فرد فى الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره إلها و (لا إله إلا هو) تقرير الوحدانية بنفى غيره وإثباته (الرحمن الرحيم) المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شىء سواه بهذه الصفة فإنّ كلّ ماسواه إمّا نعمة وإمّا منعم عليه ۞ وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا إن كنت صادقاً فات بآية نعرف بها صدقك فنزلت (إنّ فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) واعتقابهما لأنّ كلّ واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة (بما ينفع الناس) بالذى ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس ۞ (فإن قلت) قوله (وبثّ فيها) عطف على أنزل أم أحيا (قلت) الظاهر أنه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لأنّ قوله فأحيا به الارض عطف على أنزل فاتصل به وصارا جميعاً كالشىء الواحد فكأنه قيل وما أنزل فى الأرض من ماء وبثّ فيها من كل دابة ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا بالمطر الأرض وبثّ فيها من كل دابة لأنهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا (وتصريف الرياح) فى مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفى أحوالها حارّة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب (والسحاب المسخر) سخر للرياح تقلبه فى الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء (لآيات لقوم يعقلون) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ويل

الابتلاء الموعود بها عبر عنها بالزكاة تسهيلا لإخراجها على المكلف لأنه إذا استشعر العوض من الله تعالى ونمو ماله بذلك هان عليه

(قوله ويعيشون بالحيا) فى الصحاح الحيا مقصور المطر والخصب

ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ۞ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟

لمن قرأ هذه الآية فمجّ بها أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الإفراد (أندادا) أمثالا من الأصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم واستدلّ بقوله إذ تبرّأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ۞ ومعنى (يحبونهم) يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب (كحب الله) كتعظيم الله والخضوع له أى كما يحب الله تعالى على أنه مصدر من المبنى للمفعول وإنما استغنى عن ذكر من يحبه لأنه غير ملبس وقيل كحبهم الله أى يسوون بينه وبينهم فى محبتهم لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (أشد حبا لله) لأنهم لايعدلون عنه إلى غيره بخلاف المشركين فإنهم يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره أو يأكلونه كما أكلت باهلة إلهها من حيس عام المجاعة (الذين ظلموا) إشارة إلى متخذى الأنداد أى ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شىء من العقاب والثواب دون أندادهم ويعلمون شدّة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم مالا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما فى قوله ولو ترى إذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه وقرئ ولو ترى بالتاء على خطاب الرسول أو كل مخاطب أى ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما ۞ وقرئ إذ يرون على البناء للمفعول وإذ فى المستقبل كقوله «ونادى أصحاب الجنة» (إذ تبرأ) بدل من إذ يرون العذاب أى تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الأتباع ۞ وقرأ مجاهد الأول على البناء للفاعل والثانى على البناء للمفعول أى تبرأ الأتباع من الرؤساء (ورأوا العذاب) الواو للحال أى تبرؤا فى حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت) عطف على تبرأ و(الأسباب) الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الأنساب والمحاب والأتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم (لو) فى معنى التمنى ولذلك أجيب بالفاء الذى يجاب به التمنى كأنه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم (كذلك) مثل ذلك الإراء الفظيع (يريهم الله أعمالهم حسرات) أى ندامات وحسرات ثالث مفاعيل أرى ومعناه أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم (وماهم بخارجين) هم بمنزلته فى قوله ۞ هم يفرشون اللبد كل طمرة ۞ فى دلالته على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص (حلالا) مفعول كلوا أو حال مما فى الأرض (طيبا) طاهرا من كل شبهة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فتدخلوا فى حرام أو شبهة أو تحريم حلال أو تحليل حرام ومن للتبعيض لأن كل

بذلها وسمحت نفسه لذلك ۞ قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا الآية (قال محمود رحمه الله يحبونهم كحب الله يعظمونهم كما يعظم الله الخ) قال أحمد فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول كالأول ولكن هذا مسمى الفاعل وفعله مبنى للفاعل عند فكه من السبك ۞ قوله تعالى كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم الآية (قال محمود رحمه الله هم ههنا بمنزلتها فى قوله هم يفرشون الخ) قال أحمد رحمه الله أشد ما أخفى فى هذه الكلمات معتقد أو رب صدره كلمات فهو ينفس عن نفسه خناق الكتمان بما ينفثه منه فى بعض الإحسان وكشف ذلك أن يقال لما استشعر دلالة الآية لأهل السنة على أنه لايخلد فى النار إلا الكافر وأما العاصى وإن أصر على الكبائر فتوحيده يخرجه منها ولابد وفاء بالوعد ووجه الدلالة

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ

مافى الأرض ليس بمأكول * وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة
على الطاء كأنها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة مابين قدمى
الخاطى وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه إذا اقتدى به واستن بسنته (مبين)
ظاهر العداوة لاخفاء به (إنما يأمركم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أى لايأمركم بخير قط إنما
يأمركم (بالسوء) بالقبيح (والفحشاء) ومايتجاوز الحد فى القبح من العظائم وقيل السوء مالا حد فيه والفحشاء مايجب
الحد فيه (وأن تقولوا على الله مالاتعلمون) وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل مايضاف إلى
الله تعالى بما لايجوز عليه (فان قلت) كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان (قلت) شبه تزيينه وبعثه
على الشر بأمر الآمر كما تقول أمرتنى نفسى بكذا وتحته رمز إلى أنكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه
ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء لما
كان الإنسان يطيعها فيعطيها مااشتهت (لهم) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم
لأنه لاضال أضل من المقلد كأنه يقول للعقلاء انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من
اليهود دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقالوا (بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا) فإنهم كانوا خيرا منا وأعلم وألفينا بمعنى
وجدنا بدليل قوله بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا (أو لو كان آباؤهم) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه
أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا من الدين ولايهتدون للصواب * لابد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعى
الذين كفروا (كمثل الذى ينعق) أو ومثل الذين كفروا كبهائم الذى ينعق والمعنى ومثل داعيهم إلى الإيمان فى أنهم لايسمعون
من الدعاء إلا جرس النغمة ودوى الصوت من غير إلقاء أذهان ولااستبصار كمثل الناعق بالبهائم التى لاتسمع إلا دعاء
الناعق ونداءه الذى هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولاتعى كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز أن يراد بمالايسمع
الأصم الأصلخ الذى لايسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء والتصويت لاغير من غير فهم للحروف وقيل
معناه ومثلهم فى اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التى لاتسمع إلا الظاهر الصوت ولاتفهم ماتحته فكذلك هؤلاء
يتبعونهم على ظاهر حالهم ولايفقهون أهم على حق أم باطل وقيل معناه ومثلهم فى دعائهم الأصنام كمثل الناعق بمالايسمع
إلا أن قوله إلادعاء ونداء لايساعد عليه لأن الأصنام لاتسمع شيأ * والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعى
بالضأن قال الأخطل　　فانعق بضأنك ياجرير فإنما * منتك نفسك فى الخلاء ضلالا
وأمانغق الغراب فبالغين المعجمة (صم) هم صم وهو رفع على الذم (من طيبات مارزقناكم) من مستلذاته لأن كل
مارزقه الله مايكون إلاحلالا (واشكروا لله) الذى رزقكموها (إن كنتم إياه تعبدون) إن صح أنكم تخصونه بالعبادة
وتقرون أنه مولى النعم وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى إنى والجن والإنس فى نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى

منها على ذلك أنه صدر الجملة بضمير مبتدأ ومثل هذا النظم يقتضى الاختصاص والحصر لغة وستمر للزمخشرى مواضع
يستدل فيها على الحصر بذلك فقد قال فى قوله تعالى أم اتخذوا آلهة فى الأرض هم ينشرون أن معناه لاينشر إلا هم وإن
المنكر عليهم مايلزمهم من حصر الألوهية فيهم وكذلك يقول فى أمثال قوله وهم بالآخرة هم يوقنون أن معناه الحصر

(قوله كل مارزقه الله لايكون إلا حلالا) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فقد يكون حراما كمابين فى موضعه

تعبدون ۞ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ۞ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ۞ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ۞ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد ۞ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

وأرزق ويشكر غيرى ▪ قرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم (أهل به لغير الله) أى رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى (غير باغ) على مضطر آخر بالاستيثار عليه (ولا عاد) سدّ الجوعة (فان قلت) فى الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان (قلت) قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه فى العادة ألا ترى أنّ القائل إذا قال أكل فلان ميتة لم يسبق الوهم إلى السمك والجراد كما لو قال أكل دما لم يسبق إلى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث وإن أكل لحما فى الحقيقة قال الله تعالى «لتأكلوا منه لحما طريا» وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وإن سماه الله تعالى دابة فى قوله إنّ شر الدواب عند الله الذين كفروا (فان قلت) فماله ذكر لحم الخنزير دون شحمه (قلت) لأنّ الشحم داخل فى ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم (فى بطونهم) ملء بطونهم يقال أكل فلان فى بطنه وأكل فى بعض بطنه (إلا النار) لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التى هى بدل منه قال ▪ أكلت دما إن لم أرعك بضرة ۞ وقال ▪ يأكلن كل ليلة أكافا ۞ أراد ثمن الأكاف فسماه أكافا لتلبسه بكونه ثمناله (ولا يكلمهم الله) تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة فى تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفى الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون (فما أصبرهم على النار) تعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرّض لما يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما أصبرهم فأى شئ صبرهم يقال أصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا أصل معنى فعل التعجب والذى روى عن الكسائى أنه قال قال لى قاضى اليمن بمكة اختصم إلىّ رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له ما أصبرك على الله فمعناه ما أصبرك على عذاب الله (ذلك بأن الله نزل) أى ذلك العذاب بسبب أنّ الله نزل ما نزل من الكتاب بالحق (وإنّ الذين اختلفوا) فى كتب الله فقالوا فى بعضها حق وفى بعضها باطل وهم أهل الكتاب (لفى شقاق) لفى خلاف (بعيد) عن الحق والكتاب للجنس أو كفرهم ذلك بسبب أنّ الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا

أنه لا يوقن بالآخرة إلاهم فإذا ابتنى الأمر على ذلك لزم حصر نفى الخروج من النار فى هؤلاء الكفار دون غيرهم من الموحدين لكن الزمخشرى يأبى ذلك فيعمل الحال من معارضة هذه الفائدة بفائدة تتم له على القاعدة فيجعل الضمير المذكور يفيد تأكيد نسبة الخلود اليهم لاختصاصه بهم وهم عنده بهذه المثابة لأنّ العصاة وإن خلدوا على زعمه إلا أنّ الكفار أحق بالخلود وأدخل فى استحقاقه منهم فسبحان من امتحنه بهذه المحنة على حذق وفطنة والله ولى التوفيق قوله تعالى

(قوله كل ليلة أكافا) هو ما يوضع على ظهر الحمار عند ركوبه أو تحميله أفاده الصحاح

وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا

فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم أساطير لفى شقاق بعيد يعنى أن أولئك لولم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء أن يكفروا (البر) اسم للخير ولكل فعل مرضى (أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) الخطاب لأهل الكتاب لأن اليهود تصلى قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك أنهم أكثروا الخوض فى أمر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين أن البر التوجه إلى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما أنتم عليه فإنه منسوخ خارج من البر ولكن البر ماننبينه وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب فى أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذى يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذى يجب الاهتمام به وصرف الهمة بر من آمن وقام بهذه الأعمال وقرئ وليس البر بالنصب على أنه خبر مقدم وقرأ عبدالله بأن تولوا على إدخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد (ولكن البر من آمن بالله) على تأويل حذف المضاف أى بر من آمن أو بتأول البر بمعنى ذى البر أو كما قالت ۞ فإنما هى إقبال وإدبار ۞ وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف (والكتاب) جنس كتب الله أو القرآن (على حبه) مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه ۞ وقدم ذوى القربى لأنهم أحق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان لأنها صدقة وصلة وقال عليه الصلاة والسلام أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح وأطلق (ذوى القربى واليتامى) والمراد الفقراء منهم لعدم الإلباس والمسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لاشىء له كالمسكير للدائم السكر (وابن السبيل) المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع وابن الطريق وقيل هو الضيف لأن السبيل يرعف به (والسائلين) المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وإن جاء على ظهر فرسه (وفى الرقاب) وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى ابتياع الرقاب وإعتاقها وقيل فى فك الأسارى ۞ (فإن قلت) قد ذكر إيتاء المال فى هذه الوجوه ثم قفاه بإيتاء الزكاة فهل دل ذلك على أن فى المال حقا سوى الزكاة (قلت) يحتمل ذلك وعن الشعبى أن فى المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكاة أو يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفى الحديث نسخت

«ليس البر أن تولوا وجوهكم الآية (قال محمود رحمه الله الخطاب فيه لليهود والنصارى الخ) قال أحمد رحمه الله: هذا منقول عن المبرد مصمى بسهام الرد فإن فيه إيهاما بأن اختلاف وجوه القراءة موكول إلى الاجتهاد وأنه مهما اقتضاه قياس اللغة جازت القراءة به لمن يعد أهلا للاجتهاد فى العربية واللغة وهذا خطأ محض فالقراآت سنة متبعة لا مجال فيها للدراية على أن ماقاله وقدر أنه الأوجه ليس ببالغ ذروة فصاحة الآية إلا على القراآت المستفيضة لأن الكلام مصدر بذكر البر الذى هو المصدر قولا واحدا فلو عدل إلى ذكر البر الذى هو الوصف لانفك المطابقة ومعنى النظام ولذلك كان تأويل الآية بحذف المضاف من الثانى على تأويل بر آمن أوجه وأحسن وأبقى على السياق ومن ظن أنه يشق غبارا أو يتعلق بأذيال فصاحة المعجز للفصحاء فقد سولت له نفسه محالا ومنته ضلالا ۞ قوله تعالى كتب عليكم

(قوله ذى الرحم الكاشح) فى الصحاح تقول طوى فلان عن كشحه إذا قطعك والكاشح الذى يضمر لك العداوة
(قوله لأن السبيل يرعف به) أى يتقدم به ويبرزه للمقيمين كما يرعف الأنف بدم الرعاف. أفاده الصحاح

عٰهَدُوا وَالصّٰبِرِينَ فِى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۞ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ

الزكاة كل صدقة يعنى وجوبها وروى ليس فى المال حق سوى الزكاة (والموفون) عطف على من آمن ۞ وأخرج (الصابرين) منصوبا على الاختصاص والمدح إظهاراً لفضل الصبر فى الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين (البأساء) الفقر والشدة (والضراء) المرض والزمانة (صدقوا) كانوا صادقين جادّين فى الدين ۞ عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصرى وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعى رحمة الله عليهم أنّ الحر لايقتل بالعبد والذكر لايقتل بالأنثى أخذا بهذه الآية ويقولون هى مفسرة لما أبهم فى قوله النفس بالنفس ولأنّ تلك واردة لحكاية ما كتب فى التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم مافيها وعن سعيد ابن المسيب والشعبى والنخعى وقتادة والثورى وهو مذهب أبى حنيفة وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والأنثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأنّ التفاضل غير معتبر فى الأنفس بدليل أنّ جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروى أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلنّ الحرّ منكم بالعبد منا والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحا كموا إلى رسول الله ﷺ حين جاء الله بالإسلام فنزلت وأمرهم أن يتباوؤا (فمن عفى له من أخيه شىء) معناه فمن عفى له من جهة أخيه شىء من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح أن يكون شىء فى معنى المفعول به لأن عفا لايتعدّى إلى مفعول به إلا بواسطة ۞ وأخوه هو ولى المقتول وقيل له أخوه لأنه لابسه من قبل أنه ولى الدم ومطالبه به كما تقول الرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ماهو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام (فإن قلت) إن عفى يتعدّى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفى له (قلت) يتعدّى بعن إلى الجانى وإلى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فإذا تعدّى إلى الذنب والجانى معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا مافى الآية كأنه قيل فمن عفى له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية (فإن قلت) هلا فسرت عفى بترك حتى يكون شىء فى معنى المفعول به (قلت) لأن عفا الشىء بمعنى تركه ليس يثبت ولكن أعفاه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام وأعفوا اللحى (فإن قلت) فقد ثبت قولهم

القصاص فى القتلى الآية (قال محمود رحمه الله مذهب مالك والشافعى رضى الله عنهما أنّ الحر لايقتل بالعبد والذكر لايقتل بالأنثى الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من الزمخشرى وهم على الإمامين فإنهما يقتصان من الذكر للأنثى بلا خلاف عنهما وأمّا الحر والعبد عندهما فهو الذى وهم الزمخشرى عنهما ۞ قوله تعالى فمن عفى له من أخيه شىء (قال محمود رحمه الله معنى الآية فمن عفى له من جهة أخيه الخ) قال أحمد رحمه الله ويقوى هذا التأويل القول بأن موجب العمد أحد الأمرين من القصاص أو الدية والخيار إلى الولىّ وهو أحد القولين فى مذهب مالك رضى الله عنه ومشهورهما إذ لو جعلنا موجب العمد القود على القول الآخر لكان فى ذلك تضييق على الولى والآية مشعرة بالتخفيف والسعة وتحتمل الآية وجها آخر وهو عود الضميرين جميعا إلى الولى وقالوا على هذا الوجه يكون العفو إعطاء البدل كأنه قال فمن أعطى شيئا من أخيه أى بدلا من أخيه ويكون من مثلها فى قوله تعالى : ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون . ونظيره فى استعمال العفو فى العطاء عندى قوله تعالى : إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح . إذا حمل الذى بيده العقدة على الزوج وهو مذهب الشافعى رضى الله عنه ويقول أصحابه عفوه على أحد وجهين إما من استرجاع النصف الواجب إن كان قد سلم جميع المهر وأما على دفع النصف الآخر الذى سقط عنه إن كان لم يسلمه فيكون العفو على هذا مستعملا فى الإعطاء ويقوى هذا الوجه فى أنه لاقصاص قوله فاتباع بالمعروف لأنّ المخاطب بالاتباع بالمعروف إنما هو الولى فإذا جعلنا

فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِى الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۞ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَآ

عفا أثره إذا محاه وأزاله فهلا جعلت معناه فمن محى له من أخيه شيء (قلت) عبارة قلقة فى مكانها والعفو فى باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة فى الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيراً ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب مالا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها (فإن قلت) لم قيل شيء من العفو (قلت) للإشعار بأنه إذا عفى له طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب إلا الدية (فاتباع بالمعروف) فليكن اتباع أو فالأمر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافى جميعا يعنى فليتبع الولى القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة وليؤد إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه (ذلك) الحكم المذكور من العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية وعلى أهل الإنجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الأمة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيراً (فمن اعتدى بعد ذلك) بالتخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية فقد كان الولى فى الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله (فله عذاب أليم) نوع من العذاب شديد الألم فى الآخرة وعن قتادة العذاب الأليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا أعافى أحداً قتل بعد أخذه الدية (ولكم فى القصاص حيوة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لأن المعنى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفنى بكر ابن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أى حياة أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص فارتدع منه سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة نفسين وقرأ أبو الجوزاء ولكم فى القصص حياة أى فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن أى ولكم فى القرآن حياة للقلوب كقوله تعالى روحا من أمرنا ويحيى من حى عن بينة (لعلكم تتقون) أى أريتكم ما فى القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل أهل التقوى فى المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالأئمة (إذا حضر أحدكم الموت) إذا دنا منه وظهرت أماراته

الضميرين له انساق الكلام سياقة واحدة إلى جهة واحدة وصار المعنى فمن أعطى من الأولياء بدلا من أخيه فليتبع بالمعروف فى طلب ما أعطى ولما خالفه الولى عن التقاضى خاطب القاتل بحسن الأداء فلينتظم الكلام موجها إلى وجهة واحدة وأما على الوجه الذى قرره الزمخشرى فالضميران جميعا راجعان إلى القاتل وتقدير الكلام فمن عفى له من القاتلين عن جنايته شيء من العفو فليتبع الولى هذا القاتل المعفو عنه بالمعروف فيكون المخاطب أول الآية القاتل وآخرها الولى بخلاف الوجه الذى قررته والله أعلم وكلا الوجهين حسن جيد ۞ قوله تعالى «ولكم فى القصاص حياة» (قال محمود رحمه الله كلام فصيح لما فيه من الغرابة الخ) قال أحمد رحمه الله قوله جعل أحد الضدين محلا للآخر كلام إمارهم فيه أو تسامح لأن شرط تضاد الحياة والموت اجتماعهما فى محل واحد تقديراً ولا تضاد بين حياة غير المقتص منه وموت المقتص والبلاغة التى أوضحها فى الآية بينة بدون هذا الإطلاق

(قوله من قتل غير القاتل) بيان للتجاوز والاعتداء

إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم * فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه
إن الله غفور رحيم * يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون
أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين

(خيراً) مالا كثيراً عن عائشة رضى الله عنها أنّ رجلا أراد الوصية وله عيال وأربعمائة دينار فقالت ما أرى فيه فضلا وأراد آخر أن يوصى فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله إن ترك خيراً وإنّ هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن على رضى الله عنه إنّ مولى له أراد أن يوصى وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى إن ترك خيراً والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولأنها بمعنى أن يوصى ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن بدّله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت فى بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث وبقوله عليه السلام إنّ الله أعطى كلّ ذى حق حقه ألا لا وصية لوارث وبتلقى الأمة إياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وإن كان من الآحاد لأنهم لايتلقون بالقبول إلا الثبت الذى صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ماهى بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين من قوله تعالى يوصيكم الله فى أولادكم أو كتب على المحتضر أن يوصى للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم عليهم وأن لاينقص من أنصبائهم (بالمعروف) بالعدل وهو أن لايوصى للغنى ويدع الفقير ولايتجاوز الثلث (حقاً) مصدر مؤكد أى حق ذلك حقاً (فمن بدّله) فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقاً للشرع من الأوصياء والشهود (بعد ما سمعه) وتحققه (فإنما إثمه على الذين يبدّلونه) فما إثم الإيصاء المغير أو التبديل إلا على مبدّليه دون غيرهم من الموصى والموصى له لأنهما بريان من الحيف (إنّ الله سميع عليم) وعيد للمبدّل (فمن خاف) فمن توقع وعلم وهذا فى كلامهم شائع يقولون أخاف أن ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجارى مجرى العلم (جنفا) ميلا عن الحق بالخطا فى الوصية (أو إثما) أو تعمداً للحيف (فأصلح بينهم) بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع (فلا إثم عليه) حينئذ لأنّ تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر من يبدّل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أنّ كل تبديل لايؤثم (كما كتب على الذين من قبلكم) على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم قال على رضى الله عنه أوّلهم آدم يعنى أنّ الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم (لعلكم تتقون) بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصى لأنّ الصائم أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فإنّ الصوم له وجاء أو لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين لأنّ الصوم شعارهم وقيل معناه أنه كصومهم فى عدد الأيام وهو شهر رمضان كتب على أهل الإنجيل فأصابهم موتان فزادوا عشراً قبله وعشراً بعده فجعلوه خمسين يوماً وقيل كان وقوعه فى البرد الشديد والحر الشديد فشقّ عليهم فى أسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته * وقيل الأيام المعدودات عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم أن يتقوا المفطر بعد أن يصلوا العشاء وبعد أن يناموا ثم نسخ ذلك بقوله أحلّ لكم ليلة الصيام الآية * ومعنى (معدودات) موقتات بعدد معلوم أو قلائل كقوله دراهم معدودة وأصله أنّ المال القليل يقدّر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثياً وانتصاب أياماً بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة

(قوله من توريث الوالدين والأقربين من) لعله فى (قوله أنّ كلّ تبديل لايؤثم) لعلّ المعنى أن ليس كلّ تبديل يؤثم (قوله لأنّ الصائم أظلف لنفسه) فى الصحاح ظلف نفسه عن الشيء منعها عنه وظلفت نفسى عن كذا بالكسر كلست (قوله قال عليه السلام فعليه بالصوم) صدره يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم

فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ

(أو على سفر) أوراكب سفر (فعدة) فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما أن يفطرا ويصوما عدة (من أيام أخر) واختلف فى المرض المبيح للإفطار فمن قائل كل مرض لأن الله تعالى لم يخص مرضاً دون مرض كما لم يخص سفراً دون سفر فكما أن لكل مسافر أن يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين أنه دخل عليه فى رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع أصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال إنه فى سعة من الإفطار وقائل هو المرض الذى يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى « يريد الله بكم اليسر » وعن الشافعى لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف أيضاً فى القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه إن الله لم يرخص لكم فى فطره وهو يريد أن يشق عليكم فى قضائه إن شئت فواتر وإن شئت ففرق وعن على وابن عمر والشعبى وغيرهم أنه يقضى كما فات متتابعاً وفى قراءة أبى فعدة من أيام أخر متتابعات (فإن قلت) فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها أى فعدة الأيام المعدودات (قلت) لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فأمر بأن يصوم أياما معدودة مكانها علم أنه لا يؤثر عدد على عددها فأغنى ذلك عن التعريف بالإضافة (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم إن أفطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أهل العراق وعند أهل الحجاز مد وكان ذلك فى بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم فى الإفطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق إما بمعنى الطاقة أو القلادة أى يكلفونه أو يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه أو يتقلدونه ويطوقونه بإدغام التاء فى الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطوقونه وأصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على أنهما من فيعل وتفعيل من الطوق فأدغمت الياء فى الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان أحدهما نحو معنى يطيقونه والثانى يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الإفطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه أى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم (فمن تطوع خيرا) فزاد على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع أخير له أو الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع (وأن تصوموا) أيها المطيقون أو المطوقون وحملتم على أنفسكم وجهدتم طاقتكم (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير ويجوز أن ينتظم فى الخطاب المريض والمسافر أيضا وفى قراءة أبى والصيام خير لكم ۝ الرمضان مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والألف والنون كما قيل ابن داية للغراب بإضافة الابن إلى داية البعير لكثرة وقوعه عليها إذا دبرت (فإن قلت) لم سمى (شهر رمضان) (قلت) الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لأنه كان ينتقهم أى يزعجهم إضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر (فإن قلت) فإذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعا فما وجه ما جاء فى الأحاديث من نحو قوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان إيمانا واحتسابا من أدرك رمضان فلم يغفر له (قلت) هو من باب الحذف لأمن الإلباس كما قال بما أعيا النطاسى حذيما : أراد ابن حذيم وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره (الذى أنزل فيه القرآن) أو على أنه بدل من الصيام فى قوله كتب عليكم الصيام أو على أنه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان أو على الإبدال من أياما معدودات

(قوله بإضافة الابن إلى دأية البعير) فى الصحاح الدأى من البعير الموضع الذى تقع عليه ظلفة الرحل فتعقره ومنه قيل للغراب ابن دأية وفيه أيضا الظلفة واحدة ظلفات الرحل وهن الخشبات الأربع اللواتى يكن على جنبى البعير (قوله عليها إذا دبرت) أى رقت من احتكاك الرحل فيها أفاده الصحاح

هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۞ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ

أوعلى أنه مفعول وأن تصوموا ومعنى أنزل فيه القرآن ابتدئ فيه إنزاله وكان ذلك فى ليلة القدر وقيل أنزل جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض نجوما وقيل أنزل فى شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول أنزل فى عمر كذا وفى على كذا وعن النبى عليه السلام نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين مضين (هدى للناس وبينات) نصب على الحال أى أنزل وهو هداية للناس إلى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدى إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل (فإن قلت) مامعنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس (قلت) ذكر أولا أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ماهدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن كان شاهدا أى حاضرا مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء فى فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر (يريد الله) أن ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج فى الدين وأمركم بالحنيفية السمحة التى لا إصر فيها ومن جملة ذلك مارخص لكم فيه من إباحة الفطر فى السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم أن من صام منهما فعليه الإعادة ۞ وقرئ اليسر والعسر بضمتين ۞ الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بماسبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) شرع ذلك يعنى جملة ماذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ماأفطر فيه ومن الترخيص فى إباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ماعلم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لايكاد يهتدى إلى تبيينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان وإنما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ماهداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وإرادة أن تشكروا ۞ وقرئ ولتكملوا بالتشديد (فإن قلت) هل يصح أن يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كأنه قيل لتعلموا ماتعملون ولتكملوا العدة أو على اليسر كأنه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفؤا (قلت) لايبعد ذلك والأول أوجه (فإن قلت) ماالمراد بالتكبير (قلت) تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الإهلال (فإنى قريب) تمثيل لحاله فى سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فإذا دعى أسرعت تلبيته ونحوه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقوله عليه الصلاة والسلام هو بينكم وبين أعناق رواحلكم وروى أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت (فليستجيبوا لى) إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أنى أجيبهم إذا دعونى لحوائجهم ۞ وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان

قوله تعالى ولتكملوا العدّة الآية (قال محمود رحمه الله الفعل المعلل محذوف تقديره شرع ذلك الخ) قال أحمد رحمه الله

(قوله عند الإهلال) أى الإحرام بالنسك أفاده الصحاح

كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْـٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ

الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلى العشاء الآخرة أو يرقد فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة ثم إن عمر رضى الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله إنى أعتذر إلى الله وإليك من نفسى هذه الخاطئة وأخبره بما فعل فقال عليه الصلاة والسلام ما كنت جديرا بذلك ياعمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت * وقرئ أحل لكم ليلة الصيام الرفث أى أحل الله وقرأ عبدالله الرفوث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك وقد أرفث الرجل وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه أنشد وهو محرم

وهنّ يمشين بنا هميساً * إن تصدق الطير ننك لميسا

فقيل له أرفثت فقال إنما الرفث ماكان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لأنه لايكاد يخلو من شيء من ذلك (فإن قلت) لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفضى بعضكم إلى بعض . فلماتغشاها . باشروهن . أولامستم النساء . دخلتم بهنّ . فأتواحرثكم . من قبل أن تمسوهنّ . فمااستمتعتم به منهنّ ولا تقربوهنّ (قلت) استهجانا لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم (فإن قلت) لم عدى الرفث بإلى قلت لتضمينه معنى الإفضاء * لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدى إذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا

(فإن قلت) ماموقع قوله (هنّ لباس لكم) (قلت) هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهنّ مثل هذه المخالطة والملابسة قلّ صبركم عنهنّ وصعب عليكم اجتنابهنّ فلذلك رخص لكم فى مباشرتهنّ (تختانون أنفسكم) تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة (فتاب عليكم) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ماقسم الله لكم وأثبت فى اللوح من الولد بالمباشرة أى لاتباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ماوضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهى عن العزل لأنه فى الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وحلله دون مالم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الأعمش وأتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب إن أصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير (الخيط الأبيض) هو أول مايبدو من الفجر المعترض فى الأفق كالخيط الممدود و (الخيط الأسود) مايمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين أبيض وأسود قال أبو داود فلما أضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط أنارا

ولقبه الخاص به فى صناعة البديع رد أعجاز الكلام إلى صدوره ولقد أحسن الزمخشرى فى التنقيب عنه فهو منظوم فى سلك حسناته * قوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم (قال محمود رحمه الله كان الرجل إذا أمسى حلّ له الأكل الخ) قال أحمد رحمه الله ويشهد لصحة هذا الجواب أنه لما استقرت الإباحة فيه قال فالآن باشروهنّ فكنى عنه بالكناية المألوفة فى الكتاب العزيز ويشكل بقوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج فإنّ هذه العبارة استعملت ولم ينقل فى الحج مانقل فى الصوم من سبب نزول الآية وهو مواقعة المكروه ويمكن أن يجاب عنه لما وقع فى آية الحج منهياً عنه أريد للشنعة عندهم كيلا يقعوا فيه فعبر عنه بماهجنه لكون ذلك منفراً لهم عن التورط * قوله تعالى كلوا واشربوا الآية

(قوله قال أبو داود) لعله دؤاد

وَأَنْتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞

وقوله (من الفجر) بيان للخيط الأبيض واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للثانى ويجوز أن تكون من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله (فإن قلت) أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه (قلت) قوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة كما أن قولك رأيت أسداً مجاز فإذا زدت من فلان رجع تشبيها (فإن قلت) فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التى هى أبلغ من التشبيه وأدخل فى الفصاحة (قلت) لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة (فإن قلت) فكيف التبس على عدىّ بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتى فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلا يتبين لى الأبيض من الأسود فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك وقال إن كان وسادك لعريضا وروى إنك لعريض القفا إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل (قلت) غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله ﷺ قفاه لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وأنشدتنى بعض البدويات لبدوى عريض القفا ميزانه فى شماله ۞ قد انحص من حسب القراريط شاربه (فإن قلت) فما تقول فيما روى عن سهل بن سعد الساعدى أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه إنما يعنى بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد إذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه إذن إلا الحقيقة وهى غير مرادة (قلت) أما من لم يجوز تأخير البيان وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب أبى على وأبى هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث وأما من يجوزه فيقول ليس بعبث لأن المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله إذا استوضح المراد منه (ثم أتموا الصيام إلى الليل) قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار فى صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر وعلى نفى صوم الوصال (عاكفون فى المساجد) معتكفون فيها والاعتكاف أن يحبس نفسه فى المسجد يتعبد فيه ۞ والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم فالآن باشروهنّ وقيل معناه ولا تلامسوهنّ بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك إذا لمس أو قبل فأنزل وعن قتادة كان الرجل إذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع إلى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا فى مسجد وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز إلا فى مسجد نبى وهو أحد المساجد الثلاثة وقيل فى مسجد جامع والعامة على أنه فى مسجد جماعة وقرأ مجاهد فى المسجد (تلك) الأحكام التى ذكرت (حدود الله فلا تقربوها) فلا تغشوها (فإن قلت) كيف قيل

(قال محمود رحمه الله قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار الخ) قال أحمد وجه استدلالهم من الآية على الحكم الأول متعذر لأن إقران النية بأول الصوم وجوداً غير معتبر باتفاق وتقديمها من الليل وتستصحب معتبر باتفاق فاذن لا تنافى بين الأكل والشرب إلى الفجر وبين نية الصوم المستقبل من الليل ووجودها من الليل متقدمة على الصوم مستفاد من دليل دلّ عليه وإنما لم يتم لهم الاستدلال بالآية على اعتبار النية فى النهار لو كان الأكل والشرب ليلا إلى الفجر ينافى صحة استصحاب النية وكان اقتضاء الآية جواز الأكل والشرب إلى الفجر يمنع من اعتبار النية من الليل إلى الفجر لوجود المنافى لها ولا بد منها فيتعين أن يوقع بعد الفجر على هذا التقدير وذلك التقدير كما علمت متفق على بطلانه وأما الاستدلال بها على الحكمين الآخرين فصحيح مستند والله أعلم ولتفطن الزمخشرى لبطلان الاستدلال بالآية على الحكم المذكور سلك سبيل النقل عنهم فقال قالوا لا يقولها إلا فى مثل هذا المعنى ولم يسعه التنبيه على بطلان الاستدلال لأنه على وفق مذهبه ۞ قوله تعالى « تلك حدود الله فلا تقربوها » الآية (قال محمود رحمه الله تعالى إن قلت كيف قال

وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ

فلاتقربوها مع قوله فلاتعتدوها ومن يتعد حدود الله (قلت) من كان فى طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف فى حيز الحق فنهى أن يتعداه لأن من تعداه وقع فى حيز الباطل ثم بولغ فى ذلك فنهى أن يقرب الحد الذى هو الحاجز بين حيزى الحق والباطل لئلا يدانى الباطل وأن يكون فى الواسطة متباعداً عن الطرف فضلا عن أن يتخطاه كما قال رسول الله ﷺ إنّ لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولاتباشروهنّ وهى حدود لاتقرب ۞ ولا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) بالوجه الذى لم يبحه الله ولم يشرعه ۞ ولا (تدلوابها) ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس بالإثم) بشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضى له ظالم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلىّ ولعلّ بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإن ما أقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقى لصاحبى فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل و تدلوا بها وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل فى حكم النهى أو منصوب بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق (وأنتم تعلمون) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه أحق بالتوبيخ ۞ وروى أن معاذ بن جبل وثعلبة ابن غنم الأنصارى قالا يارسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوى ثم لايزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت (مواقيت) معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته ۞ كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا داراً ولا فسطاطا من باب فإذا كان من أهل المدر نقب نقباً فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد فيه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم (ليس البر) بتحرجكم من دخول الباب (ولكن البرّ) برّ (من اتقى) ما حرم الله (فإن قلت) ما وجه اتصاله بما قبله (قلت) كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها معلوم أنّ كل ما يفعله الله عز وجل لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا فى واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر فى شىء وأنتم تحسبونها برّا ويجوز أن يجرى ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج لأنه كان من أفعالهم فى الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم فى سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغى أن تكونوا عليه بأن تعكسوا فى مسائلكم ولكن البرّ برّ من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال (وأتوا البيوت من أبوابها) أى وباشروا الأمور من وجوهها التى يجب أن تباشر عليها

فلاتقربوها الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى وفى هذه الآية دليل بين لمذهب مالك رضى الله تعالى عنه فى سد الذرائع والاحتياط للمحرمات لايدافع عنه ۞ قوله تعالى « يسألونك عن الأهلة » الآية (قال محمود رحمه الله فإن قلت ما وجه إيصال هذا الكلام الخ) قال أحمد رحمه الله ومثل هذا من الاستطراد فى كتاب الله تعالى قوله وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا إلى آخر الآية فإنه تعالى بين عدم الاستواء بينهما إلى قوله أجاج

(قوله فإن ما أقضى) لعله فإنما

يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين • واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم
والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك
جزاء الكافرين • فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم • وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله

ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك فى ذلك حتى لا يسأل عنه لما فى السؤال من الاتهام بمفارقة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون • المقاتلة فى سبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين (الذين يقاتلونكم) الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن أنس رضى الله عنه هى أول آية نزلت فى القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لأنهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم فى حكم المقاتلة قاتلوا أو لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون أن لا يفى لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم فى الحرم وفى الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم فى الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح فى ذلك (ولا تعتدوا) بابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهداً وبالمثلة أو بالمفاجأة من غير دعوة (حيث ثقفتموهم) حيث وجدتموهم فى حل أو حرم والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الأخذ لأقرانه قال ،

إما تثقفونى فاقتلونى • فمن أثقف فليس إلى خلود

(من حيث أخرجوكم) أى من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) أى المحنة والبلاء الذى ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما أشد من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التى يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل :

لقتل بحد السيف أهون موقعا • على النفس من قتل بحد فراق

وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك أعظم من القتل فى الحرم وذلك أنهم كانو يستعظمون القتل فى الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذى هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز أن يراد وفتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم إياهم فى الحرم أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم • وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم جعل وقوع القتل فى بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فإن تقتلونا نقتلكم (فإن انتهوا) عن الشرك والقتال كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (حتى لا تكون فتنة) أى شرك (ويكون الدين لله)

وبذلك تم القصد فى تمثيل عدم استواء الكافر والمسلم ثم قوله ومن كل تأكلون لا يتقرر به عدم الاستواء بل المفاد به استواؤهما فيما ذكر فهو من إجراء الله الكلام بطريق الاستطراد المذكور وإنما مثلت هذا النوع الذى نبه عليه الزمخشرى لأنه مفرد عن الاستطراد الذى بوّب عليه أهل صناعة البديع والمطابق لما بوّبوا عليه سواء قوله تعالى : لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور . فإنه ذم اليهود واستطرد بذلك ذم المشركين المنكرين للبعث على نوع من التشبيه لطيف المنزع وفى البديع التمثيل بقوله

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه • فليس به بأس وإن كان من جرم • وسيأتى فيه مزيد تقرير إن شاء الله

(قوله وكرهوا ذلك ونزلت) لعله فنزلت (قوله والصبيان والذين بينكم) لعله أو الذين

فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۞ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ

خالصا ليس للشيطان فيه نصيب (فإن انتهوا) عن الشرك (فلا عدوان إلا على الظالمين) فلا تعدوا على المنتهين لأن مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله إلا على الظالمين موضع على المنتهين أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وأريد أنكم إن تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم ۞ قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة (الشهر الحرام بالشهر الحرام) أى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (والحرمات قصاص) أى وكل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة أى حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله) فى حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم ۞ الباء فى (بأيديكم) مزيدة مثلها فى أعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة أيديكم أى لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم وقيل بأيديكم بأنفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب لهلاكها والمعنى النهى عن ترك الإنفاق فى سبيل الله لأنه سبب الهلاك أو عن الإسراف فى النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الاستقتال والإخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو وروى أن رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس ألقى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب الأنصارى نحن أعلم بهذه الآية وإنما أنزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الإقامة فى الأهل والمال وترك الجهاد وحكى أبو على فى الحلبيات عن أبى عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول أبى عبيدة على أن التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها فى الأعيان التنضلة والتنفلة ويجوز أن يقال أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار فى الجوار (وأتموا الحج والعمرة لله) ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال

تمام الحج أن تقف المطايا ۞ على خرقاء واضعة اللثام

جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذى لا يتم إلا به وقيل إتمامها أن تحرم بهما من دويرة أهلك روى ذلك عن على وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وقيل أن تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل أن تكون النفقة حلالا وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشىء من التجارة والأغراض الدنيوية (فإن قلت) هل فيه دليل على وجوب العمرة (قلت) ما هو إلا أمر بإتمامهما ولا دليل فى ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعا إلا أن تقول الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة والأمر للوجوب فى أصله إلا أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل فى قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفى الوجوب وهو ما روى أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع (فإن قلت) فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال إن العمرة لقرينة الحج وعن

مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ

عمر رضى الله عنه أنّ رجلا قال له إنى وجدت الحجّ والعمرة مكتوبين علىّ أهللت بهما جميعاً فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج فى الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج (قلت) كونها قرينة للحج أنّ القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان فى الذكر فيقال حجّ فلان واعتمر والحجاج والعمار ولأنها الحجّ الأصغر ولا دليل فى ذلك على كونها قرينته له فى الوجوب وأمّا حديث عمر رضى الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله أهللت بهما وإذا أهلّ بالعمرة وجبت عليه كما إذا كبر بالتطوّع من الصلاة والدليل الذى ذكرناه أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقى الحجّ وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوّال فى أنك تأمره بفرض وتطوّع وقرأ علىّ وابن مسعود والشعبى رضى الله عنهم والعمرة لله بالرفع كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحجّ وهو الوجوب (فإن أحصرتم) يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى الذين أحصروا فى سبيل الله وقال ابن ميادة

وما هجر ليلى أن تكون تباعدت * عليك ولا أن أحصرتك شغول

وحصر إذا حبسه عدوّ عن المضىّ أو سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لأنه محجوب هذا هو الأكثر فى كلامهم وهما بمعنى المنع فى كل شىء مثل صدّه وأصدّه وكذلك قال الفرّاء وأبو عمرو الشيبانى وعليه قول أبى حنيفة رحمهم الله تعالى كل منع عنده من عدوّ كان أو مرض أو غيرهما معتبر فى إثبات حكم الإحصار وعند مالك والشافعى منع العدو وحده وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حلّ وعليه الحج من قابل (فما استيسر من الهدى) فما تيسر منه يقال يسر الأمر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية كما يقال فى جدية السرج جدى وقرئ من الهدى بالتشديد جمع هدية كمطية ومطى يعنى فإن منعتم من المضى إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير أو بقرة أو شاة (فإن قلت) أين ومتى ينحر هدى المحصر (قلت) إن كان حاجا فبالحرم متى شاء عند أبى حنيفة يبعث به ويجعل المبعوث على يده يوم أمار وعندهما فى أيام النحر وإن كان معتمراً فبالحرم فى كل وقت عندهم جميعاً وما استيسر رفع بالابتداء أى فعليه ما استيسر أو نصب على فاهدوا ما استيسر (ولا تحلقوا رؤسكم) الخطاب للمحصرين أى لا تحلوا حتى تعلموا أنّ الهدى الذى بعثتموه إلى الحرم بلغ (محله) أى مكانه الذى يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب أبى حنيفة رحمه الله (فان قلت) إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم نحر هديه حيث أحصر (قلت) كان محصره طرف الحديبية الذى إلى أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه فى الحرم وقال الواقدى الحديبية هى طرف الحرم على تسعة أميال من مكة (فمن كان منكم مريضا) فمن كان به مرض يحوجه إلى الحلق (أو به أذى من رأسه) وهو القمل أو الجراحة فعليه إذا احتلق فدية (من صيام) ثلاثة أيام (أو صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (أو نسك) وهو شاة وعن كعب بن عجرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك أذاك هوامك قال نعم يارسول الله قال احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك شاة وكان كعب يقول فىّ نزلت هذه الآية وروى أنه مرّ به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا أذى وأمره أن يحلق ويطعم أو يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ

(قوله فى جدية السرج) فى الصحاح الجدية بتسكين الدال شىء محشو يجعل تحت دفتى السرج والرحل ثم قال وكذلك الجدية على فعيلة (قوله على يده يوم أمار) عبارة البيضاوى يوم أمارة فإذا جاء اليوم وظنّ أنه ذبح تحلل وفى الصحاح قال الأصمعى الأمار والأمارة الوقت والعلامة (قوله وقد قرح رأسه) فى الصحاح قرح جلده بالكسر خرجت به القروح

ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِى الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ

الحسن أونسك بالتخفيف (فإذا أمنتم) الإحصار يعنى فإذا لم تحصروا وكنتم فى حال أمن وسعة (فمن تمتع) أى استمتع (بالعمرة إلى الحج) واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل إذا حلّ من عمرته انتفع باستباحة ماكان محرما عليه إلى أن يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) هو هدى المتعة وهو نسك عند أبى حنيفة ويأكل منه وعند الشافعى يجرى مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه إذا أحرم بحجته (فمن لم يجد) الهدى (ف)عليه (صيام ثلاثة أيام فى الحج) أى فى وقته وهو أشهره مابين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله والأفضل أن يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وإن مضى هذا الوقت لم يجزئه إلا الدم وعند الشافعى لاتصام إلا بعد الإحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله (فى الحج وسبعة إذا رجعتم) بمعنى إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج عند أبى حنيفة وعند الشافعى هو الرجوع إلى أهاليهم وقرا ابن أبى عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام كأنه قيل فصيام ثلاثة أيام كقوله أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ۞ (فإن قلت) فما فائدة الفذلكة (قلت) الواو قد تجىء للإباحة فى نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما جميعا أو واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الإباحة وأيضا ففائدة الفذلكة فى كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به ومن جهتين فيتأكد العلم وفى أمثال العرب علمان خير من علم وكذلك (كاملة) تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وأن لايتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله لاتقصر وقيل كاملة فى وقوعها بدلا من الهدى وفى قراءة أبىّ فصيام ثلاثة أيام متتابعات (ذلك) إشارة إلى التمتع عند أبى حنيفة وأصحابه لامتعة ولاقران لحاضرى المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم وهو دم جناية لايأكل منه وأما القارن والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعى إشارة إلى الحكم الذى هو وجوب الهدى أو الصيام ولم يوجب عليهم شيأ وحاضر المسجد الحرام وأهل المواقيت فمن دونها إلى مكة عند أبى حنيفة وعند الشافعى أهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لاتقصر فيها الصلاة (واتقوا الله) فى المحافظة على حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم فى التقوى ۞ أى وقت الحج (أشهر) كقولك البرد شهران ۞ والأشهر المعلومات شوال وذو القعده وعشر ذى الحجة عند أبى حنيفة وعند الشافعى تسع ذى الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله (فان قلت) مافائدة توقيت

۞ قوله تعالى «الحج أشهر معلومات» (قال محمود رحمه الله هى شوال وذو القعدة الخ) قال أحمد الذى نقله عن مالك أحد قوليه وليس بالمشهور عنه وأما استدلاله لهذا القول بكراهية عمر الاعتمار إلى أن يهل المحرم فلا ينهض دليلا لمالك لأنه يقول لاتنعقد العمرة فى أيام منى خاصة لمن حج مالم يتم الرمى ويحل بالإفاضة فتنعقد وجميع السنة ماعدا ماذكر ميقات للعمرة ولا تظهر فائدة هذا القول عند مالك إلا فى إسقاط الدم عن مؤخر طواف الإفاضة إلى آخر ذى الحجة لا غير وهى الفائدة التى نقلها الزمخشرى عن عروة ولعمرى أن هذا القول حسن دليلا فلا يحتاج إلى مزيد ولكن ظاهر الآية ومقتضاها أن جملة الأشهر هى زمان الحج ألا ترى أن من قال وعشر من ذى الحجة يحتاج فى تنزيل الآية على مذهبه إلى تقرير أن بعض الشهر يتنزل منزلة جميعه ويستشهد على ذلك بقوله ۞ ثلاثون شهرا فى ثلاثة أحوال ۞ وإنما أحوجه إلى الاستشهاد خروج مقالته عن ظاهر الآية فالمتمسك بها على ظاهرها فى كمال الأشهر الثلاثة واقف مع

(قوله ولم يوجب عليهم شيأ) أى على حاضرى المسجد الحرام

فِى الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّٰهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَـٰٓأُولِى الْأَلْبَـٰبِ ۞ لَيْسَ

الحج بهذه الأشهر (قلت) فائدته أن شيأ من أفعال الحج لايصح إلا فيها والإحرام بالحج لاينعقد أيضا عند الشافعى فى غيرها وعند أبى حنيفة ينعقد إلا أنه مكروه (فإن قلت) فكيف كان الشهران وبعض الثالث أشهرا (قلت) اسم الجمع يشترك فيه ماوراء الواحد بدليل قوله تعالى «فقد صغت قلوبكما» فلا سؤال فيه إذن وإنما كان يكون موضعا للسؤال لوقيل ثلاثة أشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا أوعلى عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة أوأكثر وإنما رآه فى ساعة منها (فإن قلت) ماوجه مذهب مالك وهو مروى عن عروة بن الزبير (قلت) قالوا وجهه أن العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكأنها مخلصة للحج لامجال فيها للعمرة وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهنّ وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لرجل إن أطعتنى انتظرت حتى إذا أهللت المحرم خرجت إلى ذات عرق فأهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة إلى آخر الشهر (معلومات) معروفات عند الناس لايشكلن عليهم وفيه أنّ الشرع لم يأت على خلاف ماعرفوه وإنما جاء مقررا له (فمن فرض فيهنّ الحج) فمن ألزمه نفسه بالتلبية أوبتقليد الهدى وسوقه عند أبى حنيفة وعند الشافعى بالنية (فلارفث) فلاجماع لأنه يفسده اوفلا فحش من الكلام (ولافسوق) ولاخروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالألقاب (ولاجدال) ولامراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب فى قراءة القرآن والمراد بالنفى وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لاتكون ۞ وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع وقرأ أبوعمرو وابن كثير الأولين بالرفع والآخر بالنصب لأنهما حملا الأولين على معنى النهى كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولاخلاف فى الحج وذلك أنّ قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدّمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسىء فرد إلى وقت واحد ورد الوقوف إلى عرفة فأخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف فى الحج واستدل على أنّ المنهى عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه وأنه لم يذكر الجدال (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) حث على الخير عقيب النهى عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لايوجد منهم مانهوا عنه وينصره قوله تعالى (وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى) أى اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح فإنّ خير الزاد اتقاؤها وقيل كان أهل اليمن لايتزوّدون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت

اقتضائها غير مضطر إلى مزيد عليه ۞ قوله تعالى «فلا رفث ولافسوق» الآية (قال محمود رحمه الله إنما أمر باجتناب ذلك فى الحج واجتنابه واجب الخ) قال أحمد رحمه الله وفيه نكتة تتعلق بعلم البيان وهى أنّ تخصيص الحج بالنهى عن الرفث فيه والفسوق والجدال يشعر بأنها فى غير الحج وإن كانت منهيا عنها وقبيحة إلا أن ذلك القبح الثابت لها فى غير الحج كلا قبح بالنسبة إلى وقوعها فى الحج فاشتمل هذا التخصيص على هذا النوع من المبالغة البليغة والله أعلم على أنّ الرفث إن كان التحدث فى أمر الجماع خاصة فالنهى عنه خاص بالحج وهو جائز فى غيره على الوجه الشرعى وقد نبه مالك

(قوله وعن عمر) لعله ابن عمر (قوله حتى إذا أهللت المحرم) فى الصحاح أهل الهلال واستهل على مالم يسم فاعله (قوله والمكارين) فى الصحاح الكراء ممدود لأنه مصدر كاريت والدليل على ذلك أنك تقول رجل مكار ومفاعل إنما هو من فاعلته فالمكارين فى عبارة المفسر جمع للمكارى على زنة المفاعلين جمعا للمفاعل (قوله خرج كهيئة يوم) لعله كهيئة

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ

فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم فإن خير الزاد التقوى (واتقون) وخافوا عقابى (يأولى الألباب) يعنى أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لالب له (فضلا من ربكم) عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج وإذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق يسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم فى الجاهلية يتجرون فيها فى أيام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الإسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح فى ذلك وأبيح لهم وإنما يباح مالم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رجلا قال له إنا قوم نكرى فى هذا الوجه وإن قوما يزعمون أن لاحج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال أنتم حجاج وعن عمر رضى الله عنه أنه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة فى الحج فقال وهل كانت معايشنا إلا من التجارة فى الحج وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما فضلا من ربكم فى مواسم الحج ﴿ إن تبتغوا فى أن تبتغوا (أفضتم) دفعتم بكثرة وهو من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك فى دفعوا من موضع كذا وصبوا وفى حديث أبى بكر رضى الله عنه صب فى دقران وهو يخرش بعيره بمحجنه ويقال أفاضوا فى الحديث وهضبوا فيه ﴿ و (عرفات) علم للموقف سمى بجمع كأذرعات (فإن قلت)هلا منعت الصرف فيها السببان التعريف والتأنيث (قلت) لايخلو من التأنيث إما أن يكون بالتاء التى فى لفظها وإما بتاء مقدرة كما فى سعاد فالتى فى لفظها ليست للتأنيث وإنما هى مع الألف التى قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لأن هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لايقدر تاء التأنيث فى بنت لأن التاء التى هى بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها وقالوا سميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام فلما أبصرها عرفها وقيل إن جبريل حين كان يدور به فى المشاعر أراه إياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لأن الناس يتعارفون فيها والله أعلم بحقيقة ذلك وهى من الأسماء المرتجلة

رضى الله عنه على أنه لابأس للحاج بالسعى فى أمور النساء إلا أن ذلك قد يوقع فى الوهم أنه يؤدى إلى ترك المحظور وهذا يدل على تشديد مالك فى حظر الرفث للحاج وما يتعلق به والله أعلم وسمعت الشافعية يلهجون بالاعتراض على إسحق فى قوله من التنبيه وتحريم الغيبة على الصائم فيقولون وعلى المفطر فلا فائدة فى تخصيص الصائم ويعدون ذلك وهما منه وهم بمعزل عن هذه الآية وأمثالها فقد أوسعته عذراً فى عبارته تلك إذ الكتاب العزيز به تمتحن الفصاحة وصحة العبارات ﴿ قوله تعالى فإذا أفضتم من عرفات (قال محمود رحمه الله فإن قلت هلا منعت عرفات الصرف الخ (قال أحمد رحمه الله يلزمه إذا سمى امرأة بمسلمات أن لايصرفه فيقول هذا مسلمات بغير تنوين وهو قول ردىء بل الأفصح الصحيح فى مسلمات إذا سمى به أن ينون وإنما بنى الزمخشرى كلامه هذا على أن تنوين عرفات للتمكين لا للمقابلة ولذلك أسقط تنوين المقابلة من أنواع التنوين التى عدها فى مفصله على أنه راجع إلى تنوين التمكين ﴿ قوله تعالى ثم أفيضوا

(قوله وإبرام الناس) فى الصحاح أبرمه أى أمله وأضجره (قوله بالتجارة الداج) الدجيج الدبيب فى السير وقالوا الحاج والداج فالداج الأعوان والمكارون كذا فى الصحاح والمكارون جمع المكارى كالمغازين جمع المغازى (قوله أن تبتغوا) كان الأوجه تقديم هذا على تفسير قوله تعالى فضلا من ربكم (قوله دقران) فى بعض النسخ ذفران بالذال المعجمة والفاء ولعل الأول بالدال المهملة والفاء من الدفر بمعنى النتن خاصة والذفر بالمعجمة والفاء محركة ذكاء الرائحة طيبة أوخبيثة كما فى الصحاح أما الدقر بالمهملة والقاف فبمعنى الشدة والكذب والفحش والنميمة أفاده الصحاح وفيه الخرش مثل الخدش (قوله وهضبوا فيه) فى الصحاح الهضبة المطرة وهضب القوم فى الحديث واهتضبوا أى أفاضوا فيه

كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ

لأنّ العرفة لاتعرف فى أسماء الأجناس إلا أن تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأنّ الإفاضة لاتكون إلابعده وعن النبى صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء * و (المشعر الحرام) قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الإمام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام مابين جبلى المزدلفة من مأزمى عرفة إلى وادمحسر وليس المأزمان ولاوادى محسر من المشعر الحرام والصحيح أنه الجبل لماروى جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لماصلى الفجر يعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفاحتى أسفر وقوله تعالى عندالمشعر الحرام معناه ممايلى المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة وإلافالمزدلفة كلهاموقف إلاوادى محسر أوجعلت أعقاب المزدلفة لكونها فى حكم المشعر ومتصلة به عندالمشعر والمشعر المعلم لأنه معلم العبادة ووصف بالحرم لحرمته وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال لقد أدركت الناس هذه الليلة لاينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لأنّ آدم صلوات الله عليه اجتمع فيهامع حواء وازدلف اليها أى دنامنها وعن قتادة لأنه يجمع فيهابين الصلاتين ويجوز أن يقال وصفت بفعل أهلها لأنهم يزدلفون إلى الله أى يتقربون بالوقوف فيها (كماهداكم) مامصدرية أو كافة والمعنى واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة واذكروه كماعلمكم كيف تذكرونه لاتعدلوا عنه (وإن كنتم من قبله) من قبل الهدى (لمن الضالين) الجاهلين لاتعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وإن هى مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (ثم أفيضوا) ثم لتكن إفاضتكم (من حيث أفاض الناس) ولاتكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالى عليهم وتعظمهم عن أن يساوروهم فى الموقف وقولهم نحن أهل الله وقطان حرمه فلانخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات (فإن قلت) فكيف موقع ثم (قلت) نحو موقعها فى قولك أحسن إلى الناس ثم لاتحسن إلى غير كريم تأتى بثم لتفاوت مابين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبعدمابينهما فكذلك حين أمرهم بالذكر عندالإفاضة من عرفات قال ثم أفيضوا لتفاوت مابين الإفاضتين وأن أحدهماصواب والثانية خطأ وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس أى من المزدلفة إلى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث أفاض الناس بكسر السين أى الناسى وهو آدم من قوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى يعنى أن الافاضة من عرفات شرع قديم فلاتخالفوا عنه (واستغفروا الله) من مخالفتكم فى الوقف ونحو ذلك من جاهليتكم (فإذا قضيتم مناسككم) أى فإذا فرغتم من عبادتكم الحجية ونفرتم (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون فى ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعدّدون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم

من حيث أفاض الناس (قال محمود رحمه الله وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع فى الجاهلية الخ) قال أحمد رحمه الله وقد اشتملت الآية على نكتتين إحداهما عطف الافاضتين إحداهما على الأخرى ومرجعهما واحد وهو الافاضة المأمور بها فربما يتوهم متوهم أنه من باب عطف الشىء على نفسه فيزال هذا الوهم بأن بينهما من التغاير مابين العام والخاص والمخبر عنه أولا الإفاضة من حيث هى غير مقيدة والمأمور به ثانيا الافاضة مخصوصة بمساواة الناس والثانية بعد وضوح استقامة العطف كونه وقع بحرف المهلة وذلك يستدعى التراخى مضافا إلى التغاير وليس بين الاضافة المطلقة والمقيدة تراخ فالجواب غير ذلك أن التراخى كما يكون باعتبار الزمان قد يكون باعتبار علوّ المرتبة وبعدها فى العلوّ بالنسبة إلى غيرها وهو الذى أجاب به بعد

(قوله من مأزمى عرفة) فى الصحاح المأزم المضيق وموضع الحرب أيضا

رَبَّنَا ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۞ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ

(أو أشد ذكراً) فى موضع جر عطف على ما أضيف اليه الذكر فى قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكراً أو فى موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى أو أشد ذكراً من آبائكم على أن ذكراً من فعل المذكور (فمن الناس من يقول) معناه أكثروا ذكر الله ودعاءه فإن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين (آتنا فى الدنيا) اجعل إيتاءنا أى إعطاءنا فى الدنيا خاصة (وما له فى الآخرة من خلاق) أى من طلب خلاق وهو النصيب أو ما لهذا الداعى فى الآخرة من نصيب لأن همه مقصور على الدنيا ۞ والحسنتان ما هو طلبة الصالحين فى الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق فى الخير وطلبتهم فى الآخرة من الثواب وعن على رضى الله عنه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء (أولئك) الداعون بالحسنتين (لهم نصيب مما كسبوا) أى نصيب من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة أو من أجل ما كسبوا كقوله مما خطيآتهم أغرقوا أو لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم فى الدنيا واستحقاقهم فى الآخرة وسمى الدعاء كسباً لأنه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب بما كسبت أيديكم ويجوز أن يكون أولئك للفريقين جميعاً وأن لكل فريق نصيباً من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب) يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روى أنه يحاسب الخلق فى قدر حلب شاة وروى فى مقدار فواق ناقة وروى فى مقدار لمحة ۞ الأيام المعدودات أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير فى إدبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكبر فى فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس فى الطريق وفى الطواف (فمن تعجل) فمن عجل فى النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل فى الأمر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر كما هى كذلك فى قوله

قد يدرك المتأنى بعض حاجته ۞ وقد يكون مع المستعجل الزلل

مزيد نشيط وإيضاح ۞ قوله تعالى فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً (قال محمود رحمه الله أشد معطوف على ما أضيف اليه الذكر الخ) قال أحمد رحمه الله فعلى الأول يكون أشد واقعا على المذكور المفعول ومثاله على الأول أن يضرب اثنان زيداً مثلا فيقول أيهما أشد ضرباً لزيد فيوقعه على الضارب ومثال الثانى أن يضرب زيد اثنين مثلا فتقول أيهما أشد ضربا فتوقعه على المضروب وعلى الوجه الأول يكون التفضيل على الفاعل وهو القياس وعلى الثانى يكون التفضيل على المفعول وهو خلاف القياس وقد ذكر الزمخشرى فى مفصله أنه شاذ بقولهم أتسبل مرآة التحسين وأنا أسر منك هذا فى أمثلة عددها فليت شعرى كيف حمل الآية عليه وقد وجد غير ذلك سبيلا وفى الوجهين جميعا يفر من عطف أشد على الذكر الأول لئلا يكون واقعا على الذكر وقد انتصب الذكر تمييزاً عنه فيكون الذكر ذاكراً وهو محال لكن أبا الفتح صحح هذا الوجه وألحقه بباب قولهم شعر شاعر وجن جنونه ونحوه مما بالغت العرب فيه حتى جعلت للصفة صفة مثلها تمكيناً لثبوتها ووضح ذلك أن انتصاب الذكر تمييزاً يوجب أن لا يقع أشد عليه ويعين خروجه منه إما بأن يقع على الجثة الذاكرة بتأويل جعله ذكراً على ما صار اليه أبو الفتح إنك لو قلت زيد أكرم أبا لكان زيد من الأبناء ولو قلت زيد أكرم أب لكان من الآباء ويحتمل عطفه على الذكر أعنى وجهاً آخر سوى ما ذهب إليه أبو الفتح وهو أن يكون من باب ما ذكره سيبويه قال ويقولون هو أشح الناس

تُحْشَرُونَ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۞ وَإِذَا

لأجل المتأنى (فى يومين) بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذى يسميه أهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر إذا فرغ من رمى الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعى ويروى عن قتادة وعند أبى حنيفة وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر (ومن تأخر) حتى رمى فى اليوم الثالث والرمى فى اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند أبى حنيفة وعند الشافعى لايجوز ۞ (فإن قلت) كيف قال (فلا إثم عليه) عند التعجل والتأخر جميعاً (قلت) دلالة على أن التعجل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا أو تأخروا (فان قلت) أليس التأخر بأفضل (قلت) بلى ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل وقيل إن أهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثماً ومنهم من جعل المتأخر آثماً فورد القرآن بنفى المأثم عنهما جميعاً (لمن اتقى) أى ذلك التخيير ونفى الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقى لئلا يتخالج فى قلبه شىء منهما فيحسب أن أحدهما يرهق صاحبه آثام فى الإقدام عليه لأن ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولأنه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال (واتقوا الله) ليعبأ بكم ويجوز أن يراد ذلك الذى مر ذكره من أحكام الحج وغيره ۞ لمن اتقى لأنه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله (من يعجبك قوله) أى يروقك ويعظم فى قلبك ومنه الشىء العجيب الذى يعظم فى النفس وهو الأخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق إذا لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال يعلم الله أنى صادق وقيل هو عام فى المنافقين كانت تحلولى ألسنتهم وقلوبهم أمر من الصبر ۞ (فإن قلت) بم يتعلق قوله (فى الحياة الدنيا) (قلت) بالقول أى يعجبك ما يقوله فى معنى الدنيا لأن ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالإيمان الحقيقى والمحبة الصادقة للرسول فكلامه إذن فى الدنيا لا فى الآخرة ويجوز أن يتعلق بيعجبك أى قوله حلو فصيح فى الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك فى الآخرة لما يرهقه فى الموقف من الحبسة واللكنة أو لأنه لا يؤذن له فى الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه (ويشهد الله على ما فى قلبه) أى يحلف ويقول

رجلا وهما خير الناس رجلا وهما خير الناس اثنين فالمجرور هنا بمنزلة التنوين وانتصب الرجل والاثنين كما انتصب الوجه فى قولك هو أحسن منه وجهاً ولا يكون إلا نكرة كما لا تكون الحال إلا نكرة والرجل هو الاسم المبتدأ فإنما أراد بذلك أن هذا ليس بمثابة هو أشجع الناس غلاماً فإن هذا يجوز أن يكون غلاماً هو الاسم المبتدأ كما فى المثال الأول. ويجوز أن يكون غيره فالآية على هذا الوجه الذى أوضحته منزلة على المثال الأول فيكون ذكر المنصوب واقعاً على أشد كما كان الرجل المنصوب واقعاً على أشح فكأنه قال أو أشد الأذكار ذكراً فهذه وجوه أربعة كلها مطروقة إلا هذا الوجه الذى زدته فإن خاطرى أبو عذرته كخشية الله أو أشد خشية ولم أقف على كلام الزمخشرى فيها بعد ۞ قوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه الآية (قال محمود رحمه الله إنما نفى الإثم فى الطرفين جميعاً ليدل على التخيير بين الأمرين الفاضل والأفضل كما خير المسافر بين الصوم والفطر وإن كان الصوم أفضل) قال أحمد رحمه الله قوله إن التخيير يقع بين الفاضل والأفضل غير مستقيم فإن التخيير يوجب التساوى فى غرض المخير وينافى طلب أحد الطرفين والأمر به وكيف يستقيم اجتماع ما يوجب الطلب والترجيح وما يوجب التساوى والتخيير وقد وقع لإمام الحرمين قريب من هذا فإنه ميز الوجوب من الندب بأن الندب يشتمل على اقتران الأمر بخيرة الترك ولا كذلك الوجوب ولم يرضه محققو الفن وإنما أخل الزمخشرى فى تفسيره الآية فلزمه ذلك السؤال الوارد عليه وبيان عدم التطابق بين تفسيره والآية أن مضمونها نفى الإثم عن الطرفين جميعاً وهذا القدر مشترك بين الندب والكراهة والإباحة لكن يتميز الندب بترجيح الفعل على الترك وتتميز الكراهة والإباحة بالتخيير بينهما فلا تنافى إذاً بين الندب إلى التأخير وإنه أفضل وبين نفى الإثم عن تاركه إلى التعجيل وحينئذ لا يرد السؤال الذى لزمه فأجاب عنه

(قوله يوم النحر يوم القر) فى الصحاح لأن الناس يقرون فى منازلهم

تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱدْخُلُوا فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ

الله شاهد على مافى قلبى من محبتك ومن الإسلام وقرئ ويشهد الله وفى مصحف أبىّ ويستشهد الله (وهو ألدّ الخصام) وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم والخصام المخاصمة وإضافة الألدّ بمعنى فى كقولهم ثبت الغدر أوجعل الخصام ألدّ على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو أشد الخصوم خصومة (وإذا تولى) عنك وذهب بعد إلانة القول وأحلاء المنطق (سعى فى الأرض ليفسد فيها) كمافعل بثقيف وقيل وإذا تولى وإذا كان واليا فعل مايفعله ولاة السوء من الفساد فى الأرض بإهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على أنّ الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهى لغة نحو أبى يأبى وروى عنه ويهلك على البناء للمفعول (أخذته العزة بالإثم) من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه أى حملته العزة التى فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذى ينهى عنه وألزمته ارتكابه وأن لايخلى عنه ضرارا ولجاجا أوعلى رد قول الواعظ (يشرى نفسه) يبيعها أى يبذلها فى الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت فى صهيب ابن سنان أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فخلونى وماأنا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه ماله وأتى المدينة (والله رؤف بالعباد) حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء (السلم) بكسر السين وفتحها وقرأ الأعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة أى استسلموا لله وأطيعوه (كافة) لايخرج أحد منكم يده عن طاعته وقيل هو الإسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب قال

السلم تأخذ منها مارضيت به ۞ والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

على أنّ المؤمنين أمروا بأن يدخلوا فى الطاعات كلها وأن لايدخلوا فى طاعة دون طاعة أو فى شعب الإسلام وشرائعه كلها وأن لايخلوا بشىء منها وعن عبدالله بن سلام أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على السبت وأن يقرأ من التوراة فى صلاته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم (فإن زللتم) عن الدخول فى السلم (من بعد ماجاءتكم البينات) أى الحجج والشواهد على أنّ مادعيتم إلى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا أنّ الله عزيز) غالب لايعجزه الانتقام منكم (حكيم) لاينتقم إلا بحق وروى أنّ قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه إعرابى فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال إن كان هذا كلام الله فلايقول كذا الحكيم لايذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه وقرأ أبو السمال زلتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ظللت وظللت ۞ إتيان الله إتيان أمره وبأسه كقوله أو يأتى أمر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز أن يكون المأتى به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فإنّ الله عزيز (فى ظلل) جمع ظلة وهى ما أظلك وقرئ ظلال وهى جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل ۞ وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة

(قوله وقيل كان بينه وبين ثقيف) الضمير للأخنس بن شريق (قوله فى صلاته من الليل وكافة من) لعلّ هنا سقطا تقديره فنزلت

ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۞ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۞ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً

وبالجر عطف على ظلل أو على الغمام (فان قلت) لم يأتيهم العذاب فى الغمام (قلت) لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين فى كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (وقضى الأمر) وتم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضى الله عنه وقضاء الأمر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما (سل) أمر للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسئل الكفرة يوم القيامة (كم آتيناهم من آية بينة) على أيدى أنبيائهم وهى معجزاتهم أو من آية فى الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام ۞ و (نعمة الله) آياته وهى أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم ۞ (فان قلت) كم استفهامية أم خبرية (قلت) تحتمل الأمرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير (فان قلت) ما معنى (من بعد ما جاءته) (قلت) معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف ۞ المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها فى أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها أو جعل إمهال المزين له تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا على البناء للفاعل (ويسخرون من الذين آمنوا) كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم أى لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) لأنهم فى عليين من السماء وهم فى سجين من الأرض

۞ قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا (قال محمود رحمه الله المزين هو الشيطان الخ) قال أحمد رحمه الله وردت إضافة التزيين إلى الله تعالى وإضافته إلى غيره فى مواضع من الكتاب العزيز وهذه الآية تحتمل الوجهين لكن الإضافة إلى قدرة الله تعالى حقيقة والإضافة إلى غيره مجاز على قواعد السنة والزمخشرى يعمل على عكس هذا فإن أضاف الله فعلا من أفعاله إلى قدرته جعله مجازا وإن أضافه إلى بعض مخلوقاته جعله حقيقة وسبب هذا التعكيس باتباع الهوى فى القواعد الفاسدة ۞ قوله تعالى «ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا» الآية (قال محمود رحمه الله لأنهم فى عليين من السماء وهم فى سجين الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من وضع الظاهر موضع المضمر بصفة أخرى ومثله فى كتاب الله كثير قال الله تعالى «إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم» وكان الأصل ألا إنهم الآية فوضع الظاهر موضع المضمر بصفة أخرى وضمنه ذكر صفة الظلم بتلو صفة الخسران وفى كلام الزمخشرى طماح إلى قاعدته فى وجوب وعيد العصاة ألا تراه يقول ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقى إشارة إلى أن غير

(قوله أو حرفوا آيات الكتب) لعله عطف على المعنى أى أنهم جعلوا المعجزات أسباب ضلالهم وقد جعلها الله أسباب هداهم أو حرفوا آيات الكتب الخ

فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ▪ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ

أوحالهم عالية لحالهم لأنهم فى كرامة وهم فى هوان أوهم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم فى الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير يعنى أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهى استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحق بها منكم ▪ (فإن قلت) لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا (قلت) ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقى وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك (كان الناس أمة واحدة) متفقين على دين الإسلام (فبعث الله النبيين) يريد فاختلفوا فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفى قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول الوجه (فإن قلت) متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق (قلت) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه فى السفينة (وأنزل معهم الكتاب) يريد الجنس أومع كل واحد منهم كتابه (ليحكم) الله أو الكتاب أو النبى المنزل عليه (فيما اختلفوا فيه) فى الحق ودين الاسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) فى الحق (إلا الذين أوتوه) إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف أى ازدادوا فى الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا فى شدة الاختلاف واستحكامه (بغيا بينهم) حسداً بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم و(من الحق) بيان لما اختلفوا فيه أى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده ولما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجىء البينات تشجيعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التى هى أبلغ أم حسبتم (ولما) فيها معنى التوقع وهى فى النفى نظيرة قد فى الإثبات والمعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) حالهم التى هى مثل فى الشدة و(مستهم) بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء (وزلزلوا) وأزعجوا إزعاجا شديداً شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع (حتى يقول الرسول) إلى الغاية التى قال الرسول ومن معه فيها (متى نصر الله) أى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك

المتقى وهو المصر على الكبائر شق حتى كهؤلاء الذين يسخرون من الذين آمنوا ومنهم من يتمحل فيقول لأنه جعل المؤمن عين المتقى ومقتضى قاعدته الفاسدة أن الإيمان يستلزم التقوى حتى لا يفرض مؤمن إلا متقيا إذ الإيمان فيما فسره هو فى تفسيره هذا وفيما فسره أهل بدعته فى كتبهم هو تصديق الاعتقاد الصحيح والنطق به والعمل الصالح والمخل عندهم بالعمل إما بالإصرار على كبيرة أو بترك مهم من الواجبات فاسق ليس بمؤمن ولا كافر فمقتضى هذا التقرير على ما ترى أن كل مؤمن متق وقد علمت من كلامه على هذه الآية ما يأبى ذلك وينقضه

(قوله أم منقطعة ومعنى الهمزة) تفسر بمعنى بل والهمزة

نَصْرَ اللّٰهِ قَرِيبٌ ۞ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ بِهِ عَلِيمٌ ۞ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ

ومعناه طلب الصبر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفى هذه الغاية دليل على تناهى الأمر فى الشدة وتماديه فى العظم لأن الرسل لايقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية فى الشدة التى لامطمح وراءها (ألا إن نصر الله قريب) على إرادة القول يعنى فقيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال لأن أن علم له وبالرفع على أنه فى معنى الحال كقولك شربت الإبل حتى يجىء البعير يجر بطنه إلا أنها حال ماضية محكية ۞ (فإن قلت) كيف طابق الجواب السؤال فى قوله (قل ما أنفقتم) وهم قد سألوا عن بيان ماينفقون وأجيبوا ببيان المصرف (قلت) قد تضمن قوله ما أنفقتم (من خير) بيان ماينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ماهو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لايعتد بها إلا أن تقع موقعها قال الشاعر

إن الصنيعة لاتكون صنيعة ۞ حتى يصاب بها طريق المصنع

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ همّ وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت وعن السدى هى منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هى فى التطوع (وهو كره لكم) من الكراهة بدليل قوله (وعسى أن تكرهوا شيئاً) ثم إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فإنما هى إقبال وإدبار ۞ كأنه فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وإما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أى وهو مكروه لكم وقرأ السلمى بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز أن يكون بمعنى الإكراه على طريق المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وعلى قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً) جميع ماكلفوه فإن النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه (والله يعلم) مايصلحكم وماهو خير لكم (وأنتم لاتعلمون ذلك) ۞ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عير القريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا مانبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى وعن ابن عباس رضى الله عنه لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال فى الشهر الحرام و (قتال فيه) بدل الاشتمال من الشهر وفى قراءة عبدالله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير أى إثم كبير وعن عطاء أنه سئل عن القتال فى الشهر الحرام فحلف بالله مايحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصدّ عن سبيل الله) مبتدأ وأكبر

(قوله وهو شيخ همّ وله مال) فى الصحاح الهمّ بالكسر الشيخ الفانى (قوله ووضعته كرها وعلى قوله تعالى) أى جميع ما كلفوه جار على قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا الخ) فإن النفوس تكرهه وهو خير لهم وتحب خلافه وهو شرّ لهم (قوله ويبذعر فيه الناس) أى يتفرقون فيه أفاده الصحاح

عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ

خبره يعنى وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون (أكبر عند الله) مما فعلته السرية من القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن (والفتنة) الإخراج أو الشرك * والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز أن يعطف على الهاء فى به (ولا يزالون يقاتلونكم) إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أى يقاتلونكم كى يردوكم و (إن استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه إن ظفرت بى فلا تبق علىّ وهو واثق بأنه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم) ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على رده إليه (فيمت) على الردة (فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين فى الدنيا من ثمرات الإسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعى على أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت عليها وعند أبى حنيفة أنها تحبطها وإن رجع مسلما (إن الذين آمنوا والذين هاجروا) روى أن عبدالله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمى ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت (أولئك يرجون رحمة الله) وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وإنه من رجا طلب ومن خاف هرب * نزلت فى الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا فى الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت (فيهما إثم كبير ومنافع للناس) فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبدالرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون

---

* قوله تعالى يسألونك عن الخمر الآية (قال محمود رحمه الله نزلت فى الخمر أربع آيات نزلت بمكة الخ) قال أحمد ويظهر لى سر واقع مما ذكره فى هذا الغرض وذلك أن السؤال الأول من الأسئلة المقرونة بالواو عين السؤال الأول من الأسئلة المجردة عن الواو ولكن وقع جوابه أولا بالمصرف لأنه الأهم وإن كان المسؤل عنه إنما هو المنفق لا وجه مصرفه ثم لما لم يكن فى الجواب الأول تصريح بالمسؤل عنه أعيد السؤال ليجابوا عن المسؤل عنه صريحا فقيل العفو أى الفاضل من النفقة الواجبة على العيال أو نحو ذلك حسبما ورد فى تفسيره فتعين إذا اقتران هذا السؤال بالواو ليرتبط بالأول ويحتمل أنهم لما أجيبوا أولا ببيان جهة المصرف ولم يصرح لهم بالجواب على عين المنفق ماهو أعاد السؤال لكى يتلقوا جوابه صريحا فتعين دخول الواو وأما السؤال الثانى من الأسئلة المقرونة بالواو فقد وقع عن أحوالهم مع اليتامى وهل يجوز لهم مخالطتهم فى النفقة والكسوة والسكنى وقد كانوا يتحرجون من ذلك فى الجاهلية فلما كان مناسبا للسؤال عن الإنفاق باعتبار المنفق وباعتبار جهة المصرف عطف عليه ليكمل لهم بيان المشروعية فى النفقة وآدابها الدينية بيانا شافيا لأنه قد اجتمع فى علمهم ماينفقون وفيم ينفقون وعلى أى حالة ينفقون من مخالطة اليتيم وانفراد عنه وأما السؤال الثالث منها وهو الواقع عن النساء الحيض فقد ورد أنهم فى الجاهلية كانوا يعتزلون الحيض فى المؤاكلة والمساكنة يقتدون فى ذلك باليهود فسألوا السؤال المذكور كما كانوا يعتزلون اليتامى فى المساكنة والمؤاكلة تحرجا جاهليا وكان بين هذين السؤالين تناسب كما ترى فحسن أن يعطف الآخر على ماقبله تنبيها على مابينهما من المشاكلة والله أعلم

أعبد ماتعبدون فنزلت « لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى » فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصارى بلحى بعير فشجه موضحة فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر رضى الله عنه انتهينا يارب وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة فى بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر رضى الله عنهما لو أدخلت أصبعى فيه لم تتبعنى وهذا هو الإيمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ماغلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب أو التمر الذى لم يطبخ فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلى واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه مادون السكر إذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبى حنيفة وعن بعض أصحابه لأن أقول مرارا هو حلال أحب إلى من أن أقول مرة هو حرام ولأن أخر من السماء فأتقطع قطعا أحب إلى من أن أتناول منه قطرة وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ماأسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لأنها تسكرهما أى تحجزهما وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا إذا ستره للمبالغة • والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب أو من اليسار لأنه سلب يساره وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان الرجل فى الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال • أقول لهم بالشعب إذ ييسروننى • أى يفعلون بى مايفعل الياسرون بالميسور (فان قلت) كيف صفة الميسر (قلت) كانت لهم عشرة أقداح وهى الأزلام والأقلام والفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا الثلاثة وهى المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم

لى فى الدنيا سهام • ليس فيهن ربيح • وأساميهن وغد • وسفيح ومنيح

للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها فى الربابة وهى خريطة ويضعونها على يدى عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح ممالانصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولايأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفى حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم إياكم وهاتين اللعبتين المشؤمتين فإنهما من ميسر العجم وعن على رضى الله عنه أن النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شىء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما فى تعاطيهما بدليل قوله تعالى قل فيهما إثم كبير (وإثمهما) وعقاب الإثم فى تعاطيهما (أكبر من نفعهما) وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم

وإذا اعتبرت الأسئلة المجردة عن الواو لم تجد بينها مداناة ولا مناسبة البتة إذ الأول منها عن النفقة والثانى عن القتال فى الشهر الحرام والثالث عن الخمر والميسر فبين هذه الأسئلة من التباين والتقاطع مالا يخفى فذكرت كذلك مرسلة متعاطفة غير مربوطة بعضها ببعض فتنبه لهذا السر فإنه بديع لاتجده يراعى إلا فى الكتاب العزيز لاستيلائه على أسرار البلاغة ونكت الفصاحة ولا يستفاد منه إلا بالتنقب فى صناعة البيان وعلم اللسان وقد اشتمل جواب الزمخشرى المقدم على وهم أنبه عليه وذلك أنه قال الأسئلة الثلاثة الأخيرة وقعت فى وقت واحد وكانت فى حكم السؤال الواحد فربط بعضها ببعض بالواو وهذا يقتضى كما ترى أن يقترن السؤال الثانى والثالث بالواو خاصة دون الأول إذ الواو إنما يربط مابعدها بما قبلها فاقترانها بالأول لا يربطه بالثانى وإنما يربطه بما قبله وعلى هذا تكون الأسئلة التى وقعت فى وقت واحد أربعة أسئلة لا ثلاثة خاصة وقد قال إن الأسئلة المرتبطة الواقعة فى وقت واحد هى الثلاثة الأخيرة فهو واهم بلاشك وكل مأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم

مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۞ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ

وأعطياتهم وسلب الأموال بالقمار والافتحار على الابرام وقرئ إثم كثير بالثاء وفى قراءة أبىّ وإثمهما أقرب ومعنى الكثرة أنّ أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (العفو) نقيض الجهد وهو أن ينفق مالا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال ۞ خذى العفو منى تستديمى مودتى ۞ ويقال للأرض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنّ رجلا أتاه ببيضة من ذهب أصابها فى بعض المغازى فقال خذها منى صدقة فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه من الجانب الأيمن فقال مثله فأعرض عنه ثم أتاه من الجانب الأيسر فأعرض عنه فقال هاتها مغضبا فأخذها فخذفه بها خذفا لو أصابه لشجه أو عقره ثم قال يجىء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى (فى الدنيا والآخرة) إمّا أن يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أنّ العفو أصلح من الجهد فى النفقة أو تتفكرون فى الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يكون إشارة إلى قوله وإثمهما أكبر من نفعهما لتتفكروا فى عقاب الإثم فى الآخرة والنفع فى الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم وإمّا أن يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات فى أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم فى الحرج فقيل (إصلاح لهم خير) أى مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم (وإن تخالطوهم) وتعاشروهم ولم تجانبوهم (ف) هم (إخوانكم) فى الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة (والله يعلم المفسد من المصلح) أى لا يخفى على الله من داخلهم بإفساد وإصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل إصلاح إليهم ومعناه إيصال الصلاح وقرئ لعنتكم بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وكذلك فلا إثم عليه (إنّ الله عزيز) غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم ولكنه (حكيم) لا يكلف إلا ما تتسع فيه طاقتهم (ولا تنكحوا) وقرئ بضم التاء أى لا تتزوجوهنّ أو لا تزوجوهنّ و(المشركات) الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لأنّ أهل الكتاب من أهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله تعالى سبحانه عما يشركون وهى منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شىء قط وهو قول ابن عباس والأوزاعى وروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبى مرثد الغنوى إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة فى الجاهلية اسمها عناق فأتته وقالت ألا نخلو فقال ويحك إنّ الإسلام قد حال بيننا فقالت فهل لك أن تتزوج بى قال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره فاستأمره فنزلت (ولأمة مؤمنة خير) ولامرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لأنّ الناس كلهم عبيد الله وإماؤه (ولو أعجبتكم) ولو كان الحال أنّ المشركة تعجبكم وتحبونها فإنّ المؤمنة خير منها مع ذلك

(قوله والافتحار على الإبرام) جمع للبرم بالتحريك وهو الذى لا يدخل مع القدم فى الميسر كذا فى الصحاح
(قوله أكبر من نفعهما لتتفكروا) لعله فيكون المعنى لتتفكروا (قوله وكذلك فلا إثم عليه) لعله كذلك فى طرح الهمزة لا فى نقل الحركة وتطرح ألف المد لالتقاء الساكنين فليحرر

وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۞ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا

(أولئك) إشارة إلى المشركات والمشركين ۞ أى يدعون إلى الكفر فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين إلا المناصبة والقتال (والله يدعو إلى الجنة) يعنى وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة (والمغفرة) وما يوصل إليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وأن يؤثروا على غيرهم (بإذنه) بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذى تستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة بإذنه بالرفع أى والمغفرة حاصلة بتيسيره (المحيض) مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئاً وبات مبيتاً (قل هو أذى) أى الحيض شىء يستقذر ويؤذى من يقربه نفرة منه وكراهة له (فاعتزلوا النساء) فاجتنبوهن يعنى فاجتنبوا مجامعتهن روى أن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها فى بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الأعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وإن استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه الصلاة والسلام إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم وقيل إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن فى كل شىء فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين وبين الفقهاء خلاف فى الاعتزال فأبو حنيفة وأبو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الإزار ومحمد بن الحسن لا يوجب إلا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة رضى الله عنها أن عبد الله بن عمر سألها هل يباشر الرجل امرأته وهى حائض فقالت تشد إزارها على سفلتها ثم ليباشرها إن شاء وما روى زيد بن أسلم أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم ما يحل لى من امرأتى وهى حائض قال لتشد عليها إزارها ثم شأنك بأعلاها ثم قال وهذا قول أبى حنيفة وقد جاء ما هو أرخص من هذا عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك ۞ وقرئ يطهرن بالتشديد أى يتطهرن بدليل قوله فإذا تطهرن وقرأ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب أبو حنيفة إلى أن له أن يقربها فى أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل وفى أقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت صلاة وذهب الشافعى إلى أنه لا يقربها حتى تطهر وتطهر فتجمع بين الأمرين وهو قول واضح ويعضده قوله فإذا تطهرن (من حيث أمركم الله) من المأتى الذى أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل (إن الله يحب التوابين) مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك (ويحب المتطهرين) المتنزهين عن الفواحش أو إن الله يحب التوابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الأقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل وإتيان ما ليس بمباح وغير ذلك (حرث لكم) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبهن بالمحارث تشبيها لما يلقى فى أرحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور وقوله (فأتوا حرثكم أنى شئتم) تمثيل أى فأتوهن كما تأتون أراضيكم التى تريدون أن تحرثوها من أى جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من أى شق أردتم بعد أن يكون المأتى واحداً وهو موضع الحرث وقوله هو أذى: فاعتزلوا النساء: من حيث أمركم الله: فأتوا حرثكم أنى شئتم: من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه وأشباهها فى كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها فى محاوراتهم ومكاتبتهم وروى أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهى مجبية من دبرها فى قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت (وقدموا لأنفسكم) ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة

اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُلَـٰقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ◦ وَلَا تَجْعَلُوا اللّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ◦ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

وماهو خلاف مانهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء (واتقوا الله) فلا تجترئوا على المناهى (واعلموا أنكم ملاقوه) فتزودوا مالا تفضحون به (وبشر المؤمنين) المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات (فإن قلت) ماموقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله (قلت) موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله يعنى أن المأتى الذى أمركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسير أو إزالة للشبهة ودلالة على أن الغرض الأصيل فى الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتى الذى يتعلق به هذا الغرض (فإن قلت) ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا (قلت) كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع فى أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الأخر فى وقت واحد فجئ بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الإنفاق والسؤال عن كذا وكذا ◦ العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهى اسم ماتعرضه دون الشىء من عرض العود على الإناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة أيضا المعرض للأمر قال ◦ فلا تجعلونى عرضة للوائم ◦ ومعنى الآية على الأولى أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو إصلاح ذات بين أو إحسان إلى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله أن أحنث فى يمينى فيترك البر إرادة البر فى يمينه فقيل لهم (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) أى حاجزا لما حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك أى على شىء مما يحلف عليه وقوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا) عطف بيان لأيمانكم أى للأمور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والإصلاح بين الناس (فإن قلت) بم تعلقت اللام فى لأيمانكم (قلت) بالفعل أى ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخا وحجازا ويجوز أن يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضنى كذا ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أى ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا ومعناها على الأخرى ولا تجعلوا الله معرضا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من أنزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بأشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وأن تبروا علة للنهى أى إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لأن الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه فى وساطاتهم وإصلاح ذات بينهم ◦ اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به فى الدية من أولاد الإبل لغو واللغو من اليمين الساقط الذى لا يعتد به فى الأيمان وهو الذى لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند أبى حنيفة وأصحابه هو أن يحلف على الشىء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعى هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف فى المسجد الحرام لأنكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وفيه معنيان أحدهما لا يؤاخذكم أى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يحلفه أحدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم أى اقترفته من إثم القصد إلى الكذب فى اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهى اليمين الغموس والثانى لا يؤاخذكم أى لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذى لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم أى بما نوت قلوبكم وقصدت من الأيمان ولم يكن كسب اللسان وحده (والله غفور حليم) حيث لم يؤاخذكم

(قوله فيترك البر إرادة فى يمينه) لعل أصله إرادة البر فى يمينه فيكون مفعول يترك محذوفا أى فيترك فعل الخير إرادة البر ويمكن أن المعنى فيترك البر أى فعل الخير إرادة أى رغبة فى بقاء يمينه

لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ

باللغو فى أيمانكم * قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم (فإن قلت) كيف عدى بمن وهو معدى بعلى (قلت) قد ضمن فى هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين أومقسمين ويجوز أن يرادلهم (من نسائهم تربص أربعة أشهر) كقوله لى منك كذا والإيلاء من المرأة أن يقول والله لاأقربك أربعة أشهر فصاعداً على التقليد بالأشهر أولاأقربك على الإطلاق ولايكون فى مادون أربعة أشهر إلا مايحكى عن إبراهيم النخعى وحكم ذلك أنه إذا فاء إليها فى المدة بالوطء إن أمكنه أو بالقول إن عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وإن مضت الأربعة بانت بتطليقة عند أبى حنيفة وعند الشافعى لايصح الإيلاء إلافى أكثر من أربعة أشهر ثم يوقف المولى فإما أن يفيء وإما أن يطلق وإن أبى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله (فإن فاؤا) فإن فاؤا فى الأشهر بدليل قراءة عبد الله فإن فاؤا فيهن (فإنّ الله غفوررحيم) يغفر للمولين ماعسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالإيلاء وهو الغالب وإن كان يجوز أن يكون على رضا منهن إشفاقا منهن على الولد من الغيل أو لبعض الأسباب لأجل الفيئة التى هى مثل التوبة (وإن عزموا الطلاق) فتربصوا إلى مضى المدة (فإن الله سميع عليم) وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعى رحمه الله معناه فإن فاؤا وإن عزموا بعد مضى المدة (فإن قلت) كيف موقع الفاء إذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص (قلت) موقع صحيح لأن قوله فإن فاؤا وإن عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول إنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره وإلا لم أقم إلا ريثما أتحول (فإن قلت) ماتقول فى قوله فإن الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع

* قوله تعالى «للذين يؤلون من نسائهم» الآية (قال محمود رحمه الله وحكم ذلك أنه إذا فاء إليها فى المدة الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا التفسير منزل على مذهب أبى حنيفة لأنه لايرى الفيئة بعد انقضاء الأربعة الأشهر مقيدة إذا وقع الطلاق بنفس مضيها فلاتكون الفيئة معتبرة عنده إلافى أربعة الأشهر خاصة (قال محمود رحمه الله فإن قلت كيف موقع التاء إذا كانت الفيئة قبل انقضاء مدة التربص الخ) قال أحمد رحمه الله هذا جواب عن سؤال موجه على أبى حنيفة رضى الله عنه لأنه إذا رأى الفيئة فى الأشهر الأربعة خاصة لافيما بعدها والله تعالى عطف الفيئة على تربص أربعة أشهر بالفاء ومقتضاها كما علمت وقوع ماعطفه بعدما عطفه عليه فيلزم وقوع الفيئة المعتبرة بعد انقضاء الأشهر الأربعة وأبو حنيفة يأباه فلذلك أجاب عنه الزمخشرى بجوابه المتقدم والسؤال عندى يندفع بطريق آخر وهو أنّ المعطوف عليه التربص وهو حاصل من أول المدة فوقوع الفيئة فى المدة بعد التربص فلايحتاج إلى الجواب بالمثال المذكور وإنما أوقع الزمخشرى فى التزام السؤال تسليمه لتقدم الفيئة فى الأربعة الأشهر على تربصها بناء منه على أنه لايصدق قول القائل قد تربصت بفلان أربعة أشهر إلا إذا انقضت المدة وليس الأمر كذلك فإنه يصدق من الحاكم أن يقول عند ضرب أجل المولى قد تربصت لك أربعة أشهر كما قال الله تعالى لينظر أيفيء أم لا ويصدّق رب الدين فى أن يقول لمديانه حالة القرض قدأجلتك بهذا الدين سنة وإن كان المقتضى منها حينئذ دقيقة واحدة فلذلك التربص المعطوف عليه فى الآية واقع عند ضرب الأجل المذكور فالفيئة الواقعة فى الأجل إنما يقع بعده فالفاء على بابها المعروف (قال محمود رحمه الله فإن قلت ماالقول فى قوله فإنّ الله سميع عليم الخ)

(قوله على الولد من الغيل أو لبعض) فى الصحاح اخترت الغيلة بالكسر بولد فلان إذا أتيت أمه وهى ترضعه أو حملت وهى ترضعه والغيل بالفتح اسم ذلك الابن (قوله فإن فاؤا وإن عزموا) يعنى أنّ كلا من الشرطين عند الشافعى بعد مضى المدة

(قلت) الغالب أن العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لايخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لايسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان (والمطلقات) أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء (فإن قلت) كيف جازت إرادتهن خاصة واللفظ يقتضى العموم (قلت) بل اللفظ مطلق فى تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء فى أحد مايصلح له كالاسم المشترك (فإن قلت) فما معنى الاخبار عنهن بالتربص (قلت) هو خبر فى معنى الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات وإخراج الأمر فى صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجوداً ونحوه قولهم فى الدعاء رحمك الله أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة (فإن قلت) هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص أربعة أشهر وما معنى ذكر الأنفس (قلت) فى ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لأن فيه مايستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء أو قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه الصلاة والسلام دعى الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى «واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر» فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ولأن الغرض الأصيل فى العدة استبراء الرحم والحيض هو الذى تستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته إلى فلانة تقرئها أى تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء (فإن قلت) فما تقول فى قوله تعالى «فطلقوهن لعدتهن الطلاق الشرعى» وإنما هو فى الطهر (قلت) معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث (فإن قلت) فما تقول فى قول الأعشى * لما ضاع فيها من قروء نسائكا * (قلت) أراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم فى الاعتداد بهن أى من مدة

قال أحمد رحمه الله فى هذا الجواب إسلاف جواب عن سؤال آخر يتوجه على أبى حنيفة رضى الله عنه فيقال له إذا كان مضى الأربعة الأشهر يوجب عندك وقوع الطلاق بنفسه غير موقوف على إيقاع من أحدهما الذى يسمع إذا وهو أمكن من السؤال الذى قدره الزمخشرى فإن لقائل أن يقول عبر بالعزم عن الإيقاع لأنه يستلزمه غالبا وفى أثناء كلامه نكتة تحتاج إلى التنبيه عند قوله والعزم مما يعلم ولا يسمع والذى ننبه عليه أن قاعدة أهل السنة أن كل موجود يجوز أن يسمع حتى الجواهر والألوان والمعانى بجملتها وكذلك يعتقد أن موسى عليه السلام سمع الكلام القديم وليس بحرف ولا صوت فلا يتوقف السمع عندهم على أن يكون المسموع صوتا ولا نطقا غير أن المعتاد انقسام الموجودات إلى مسموع ومرئى وملموس ومشموم ومذوق وهو المعلوم بالحس وإلى معلوم بغير ذلك وعلى هذا المعتاد جرت عادة خطاب الله تعالى لعبده وإن كان الزمخشرى ثابتا فيما قاله على الأمر العرفى معتقدا ماذكرناه من حيث المعروف وما أراه كذلك فالأمر سهل وان كان أخرج كلامه المذكور على قاعدة الاعتزال وهو الظاهر من حاله فى اعتقاد أن ماعدا الأصوات لايجوز أن يسمع عقلا فالحذر الحذر من هذه القاعدة الفاسدة والله المستعان ثم لابد لنا فى مسئلة الايلاء من البصر لما يعتقده من مذهب مالك رضى الله عنه ومذهب مالك رضى الله عنه هو الذى اقتفاه الشافعى رضى الله عنه فى المسئلة فنقول مضى أربعة الأشهر بمجرده لايوجب وقوع الطلاق على الزوج لأن الأصل بقاء العصمة وقد جعل الله له الفيئة بعد تربص الأجل المذكور ونحن وإن بينا أولا أن الآية لاتأبى وقوع الفيئة فى الأجل وهى أيضا تأبى وقوعها بعد الأجل فينتظم من أصلية أعنى بقاء

(قوله لايخلو من مقاولة ودمدمة) فى الصحاح دمدمت الشىء إذا ألزقته بالأرض لكنه غير مناسب هنا فلعله زمزمة بالزاى وفى الصحاح الزمزمة صوت الرعد والزمزمة كلام المجوس عند أكلهم أو رمرمة بالراء وفى الصحاح ترمرم إذا حرك فاه للكلام اه وهذا أنسب

إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ
الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ
بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا

طويلة كالمدة التى تعتد فيها النساء. استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لاقتحامه فى الحروب والغارات وأنه تمر على نسائه
مدة كمدة العدة ضائعة لايضاجعن فيها أو أراد من أوقات نسائك فإن القرء والقارئ جا آ فى معنى الوقت ولم يرد لاحيضا
ولاطهراً (فإن قلت) فعلام انتصب ثلاثة قروء (قلت) على أنه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء أى يتربصن
مضى ثلاثة قروء أو على أنه ظرف أى يتربصن مدة ثلاثة قروء (فإن قلت) لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة
التى هى الأقراء (قلت) يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما فى الجمعية ألاترى
إلى قوله بأنفسهن وماهى إلا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت أكثر استعمالا فى جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلا
لقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ الزهرى ثلاثة قرو بغير همزة (ماخلق الله فى أرحامهن)
من الولد أو من دم الحيض وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا
يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهى حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز أن يراد
اللاتى يبغين إسقاط مافى بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان مافى أرحامهن كناية عن
إسقاطه (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وبعقابه لايجترئ على مثله من العظائم
والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما فى الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من
قولك بعل حسن البعولة يعنى وأهل بعولتهن (أحق بردهن) برجعتهن وفى قراءة أبى بردتهن (فى ذلك) فى
مدة ذلك التربص (فإن قلت) كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء حقاً فيها (قلت) المعنى أن الرجل إن أراد الرجعة
وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها إلا أن لها حقاً فى الرجعة (إن أرادوا) بالرجعة (إصلاحا)
لما بينهم وبينهن وإحسانا إليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذى عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال مثل
الذى يجب لهم عليهن (بالمعروف) بالوجه الذى لاينكر فى الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ماليس لهن ولايكلفونهن
ماليس لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب فى كونه حسنة لافى جنس الفعل فلا
يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال (درجة) زيادة فى الحق
وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة ماينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه فى مصالحها (الطلاق) بمعنى التطليق
كالسلام بمعنى التسليم أى التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد
بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من
التثانى التى يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك ۞ وقوله تعالى (فإمساك بمعروف
أو تسريح بإحسان) تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن
وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذى علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعى مرتان لأنه لارجعة بعد الثلاث فإمساك
بمعروف أى برجعة أو تسريح بإحسان أى بأن لايراجعها حتى تبين بالعدة أو بأن لايراجعها مراجعة يريد بها تطويل

العصمة والسلامة من معارضة الآية وقوع الفيئة المعتبرة بعد الأجل وبقاء العصمة بعد الأجل استصحابا للأصل غير
معارض بالآية وهو المطلوب

حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا

العدّة عليها وضرارها وقيل بأن يطلقها الثالثة فى الطهر الثالث وروى أنّ سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام أو تسريح بإحسان وعند أبى حنيفة وأصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة والسنة أن لايوقع عليها إلا واحدة فى طهر لم يجامعها فيه لما روى فى حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعى لابأس بإرسال الثلاث لحديث العجلانى الذى لاعن امرأته فطلقها ثلاثا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ✽ روى أنّ جميلة بنت عبدالله بن أبى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله لاأنا ولا ثابت ولا يجمع رأسى ورأسه شىء والله ماأعيب عليه فى دين ولا خلق ولكنى أكره الكفر فى الإسلام ما أطيقه بغضاً إنى رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل فى عدّة فإذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً فنزلت وكان قد أصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو أوّل خلع كان فى الإسلام (فإن قلت) لمن الخطاب فى قوله (ولا يحل لكم أن تأخذوا) إن قلت للأزواج لم يطابقه قوله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله وإن قلت للأئمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهنّ (قلت) يجوز الأمران جميعاً أن يكون أوّل الخطاب للأزواج وآخره للأئمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز فى القرآن وغيره وأن يكون الخطاب كله للأئمة والحكام لأنهم الذين يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (مما آتيتموهنّ) مما أعطيتموهنّ من الصدقات (إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) إلا أن يخاف الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (فلاجناح عليهما) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت (فيما افتدت به) فيما فدت به نفسها واختلعت به من بذل ماأوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز فى الحكم وروى أن امرأة نشزت على زوجها فرفعت إلى عمر رضى الله عنه فأباتها فى بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت مابت منذ كنت عنده أقر لعينى منهنّ فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعنى بمالها كله هذا إذا كان النشوز منها فإن كان منه كره له أن يأخذ منها شيئاً ✽ وقرئ إلا أن يخافا على البناء للمفعول وإبدال أن لايقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه إقامة حدود الله ونحوه وأسروا النجوى الذين ظلموا ويعضده قراءة عبد الله إلا أن تخافوا وفى قراءة أبى إلا أن يظنا ويجوز أن يكون الخوف بمعنى الظن يقولون أخاف أن يكون كذا وأفرق أن يكون يريدون أظنّ (فإن طلقها) الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار فى قوله تعالى الطلاق مرّتان واستوفى نصابه أو فإن طلقها مرّة ثالثة بعد المرتين (فلا تحل له من بعد) من بعد ذلك التطليق (حتى تنكح زوجا غيره) حتى تتزوج غيره والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح فى بنى فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد فى التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذى عليه الجمهور أنه لابد من الإصابة لما روى عروة عن عائشة رضى الله عنها أنّ امرأة رفاعة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت إن رفاعة طلقنى فبت طلاقى وإن عبدالرحمن بن الزبير تزوجنى وإنما معه مثل هدبة الثوب وإنه طلقنى قبل أن يمسنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين أن ترجعى إلى رفاعة لاحتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك وروى أنها لبثت ماشاء الله ثم رجعت فقالت إنه كان قد مسنى فقال لها كذبت فى قولك الأوّل فلن أصدقك فى الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر رضى الله عنه فقالت أأرجع إلى زوجى الأوّل فقال قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ماقال فلا ترجعى إليه فلما قبض أبوبكر رضى الله عنه قالت مثله لعمر رضى

أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ

الله عنه فقال إن أتيتنى بعد مرتك هذه لأرجمنك فمنعها (فإن قلت) فما تقول فى النكاح المعقود بشرط التحليل (قلت) ذهب سفيان والأوزاعى وأبو عبيد ومالك وغيرهم إلى أنه غير جائز وهو جائز عند أبى حنيفة مع الكراهة وعنه أنهما إن أضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضى الله عنه لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما وعن عثمان رضى الله عنه لا إلا نكاح رغبة غير مدالسة (فإن طلقها) الزوج الثانى (أن يتراجعا) أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج (إن ظنا) إن كان فى ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل إن علما أنهما يقيمان لأنّ اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله عز وجل ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لأنك لا تقول علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم ولأنّ الإنسان لا يعلم ما فى الغد وإنما يظن ظنا (فبلغن أجلهن) أى آخر عدتهنّ وشارفن منتهاها والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الإنسان أجل وللموت الذى ينتهى به أجل وكذلك الغاية والأمد يقول النحويون من لابتداء الغاية وإلى لانتهاء الغاية وقال

كل حى مستكمل مدّة العمـــر ومود إذا انتهى أمده

ويتسع فى البلوغ أيضاً فيقال بلغ البلد إذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وإنما شارف ولأنه قد علم أنّ الإمساك بعد تقضى الأجل لا وجه له لأنها بعد تقضيه غير زوجة له فى غير عدّة منه فلا سبيل له عليها (فأمسكوهن بمعروف) فإما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة (أو سرحوهنّ بمعروف) وإما أن يخليها حتى تنقضى عدّتها وتبين من غير ضرار (ولا تمسكوهنّ ضراراً) كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدّتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدّة عليها فهو الإمساك ضراراً (لتعتدوا) لتظلموهن وقيل لتلجئوهنّ إلى الافتداء (فقد ظلم نفسه) بتعريضها لعقاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) أى جدوا فى الأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد اتخذتموها هزواً ولعباً ويقال لمن لم يجد فى الأمر إنما أنت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا وإلا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوّج ويقول كنت لاعباً وعن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث جدّهنّ جد وهزلهنّ جد الطلاق والنكاح والرجعة (واذكروا نعمة الله عليكم) بالإسلام وبنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها (يعظكم به) بما أنزل عليكم (فبلغن أجلهنّ) فلا تعضلوهنّ إما أن يخاطب به الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدّة ظلما وقسراً ولحمية الجاهلية لا يتركونهنّ يتزوّجن من شئن من الأزواج والمعنى أن ينكحن أزواجهنّ الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهنّ وإما أن يخاطب به الأولياء فى عضلهنّ أن يرجعن إلى أزواجهنّ روى أنها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأوّل وقيل فى جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه أن يكون خطابا للناس أى لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج وأنشد لابن هرمة

(قوله وهزلهنّ جدّ الطلاق والنكاح) فى أبى السعود النكاح والطلاق والعتاق

إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ

وإن قصائدى لك فاصطنعنى ۞ عقائل قد عضلن عن النكاح

وبلوغ الأجل على الحقيقة وعن الشافعى رحمه الله دلّ سياق الكلامين على افتراق البلوغين (إذا تراضوا) إذا تراضى الخطاب النساء (بالمعروف) بما يحسن فى الدين والمروأة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب أبى حنيفة رحمه الله أنها إذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللأولياء أن يعترضوا (فان قلت) لمن الخطاب فى قوله (ذلك يوعظ به) (قلت) يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد ونحوه ذلك خير لكم وأطهر (أزكى لكم وأطهر) من أدناس الآثام وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب (والله يعلم) ما فى ذلك من الزكاء والطهر (وأنتم لا تعلمون) ه أو والله يعلم ما تستصلحون به من الأحكام والشرائع وأنتم تجهلونه (يرضعن) مثل يتربصن فى أنه خبر فى معنى الأمر المؤكد (كاملين) توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لأنه مما يتسامح فيه فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما ۞ وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وأن تتم الرضاعة وأن يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لأنّ بما لتأخيهما فى التأويل (فإن قلت) كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله (قلت) هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للهيت به أى هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال (لمن أراد أن يتم الرضاعة) أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون فى انفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أى يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأنّ الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئر إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهى مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم عند أبى حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعى يجوز فإذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق (فان قلت) فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن (قلت إما أن يكون أمرا على وجه الندب وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبى إلا ثدى أمه أو لم توجد له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار وقيل أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع (وعلى المولود له) وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم فى المغضوب عليهم (فان قلت) لم قيل المولود له دون الوالد (قلت) ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم لأنّ الأولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا إلى الأمهات وأنشد للمأمون بن الرشيد فإنما أمهات الناس أوعية ۞ مستودعات وللآباء أبناء

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا (بالمعروف) تفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يتضارا ۞ وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون ۞ وقرئ لا تضار بالرفع على الإخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرأ لا تضار بالفتح أكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهى وهو محتمل للبناءين أيضا ويبين ذلك أنه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها وقرأ أبو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الأعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه أبو جعفر أو اختلس الضمة فظنه الراوى سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه

بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا

ماليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط فى شأن الولد وأن تقول بعد ماألفها الصبى اطلب له ظئراً وما أشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئاً مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهى تريد إرضاعه ولا يكرهها على الإرضاع وكذلك إذا كان مبنياً للمفعول فهو نهى عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز أن يكون تضار بمعنى تضر وأن تكون الباء من صلته أى لا تضر والدة بولدها فلا تسىء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغى له ولا تدفعه إلى الأب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر فى حقها فتقصر هى فى حق الولد (فإن قلت) كيف قيل بولدها وبولده (قلت) لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافاً لها عليه وأنه ليس بأجنبى منها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد (وعلى الوارث) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة أى إن مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه فى أن يرزقها ويكسوها بالشريطة التى ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبى الذى لو مات الصبى ورثه واختلفوا فعند ابن أبى ليلى كل من ورثه وعند أبى حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعى لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العمّ وقيل المراد وارث الأب وهو الصبى نفسه وأنه إن مات أبوه وورثه وجبت عليه أجرة رضاعه فى ماله إن كان له مال فإن لم يكن له مال أجبرت الأمّ على إرضاعه وقيل على الوارث على الباقى من الأبوين من قوله واجعله الوارث منا (فإن أرادا فصالا) صادراً (عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) فى ذلك زادا على الحولين أو نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو فى غاية الحولين لا يتجاوز وإنما اعتبر تراضيهما فى الفصال وتشاورهما أما الأب فلا كلام فيه وأما الأمّ فلأنها أحق بالتربية وهى أعلم بحال الصبى وقرئ فإن أراد ۞ استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبى واسترضعتها الصبى لتعديه إلى مفعولين كما تقول أنجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الأول (إذا سلمتم) إلى المراضع (ما آتيتم) ما أردتم إيتاءه كقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة وقرئ ما أتيتم من أتى إليه إحساناً إذا فعله ومنه قوله تعالى إنه كان وعده مأتيا أى مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما أوتيتم أى ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة ونحوه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وإنما هو ندب إلى الأولى ويجوز أن يكون بعثاً على أن يكون الشىء الذى تعطاه المرضع من أهنى ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك إصلاحاً لشأن الصبى واحتياطاً فى أمره فأمرنا بإيتائه ناجزاً يداً بيد كأنه قيل إذا أديتم إليهن يداً بيد ما أعطيتموهن (بالمعروف) متعلق بسلمتم أمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن (والذين يتوفون منكم) على تقدير حذف المضاف أراد وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ

(قوله واجعله الوارث منا) الرواية المشهورة منى

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ▪ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِى أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللّٰهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا

يتوفون بفتح الياء أى يستوفون آجالهم وهى قراءة على رضى الله عنه والذى يحكى أن أبا الاسود الدؤلى كان يمشى خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر الفاء فقال الله تعالى وكان أحد الأسباب الباعثة لعلىّ رضى الله عنه على أن أمره بأن يضع كتابا فى النحو تناقضه هذه القراءة (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) يعتددن هذه المدة وهى أربعة أشهر وعشرة أيام وقيل عشراً ذهابا إلى الليالى والأيام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين إلى الأيام تقول صمت عشراً ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى إن لبثتم إلا عشراً ثم إن لبثتم إلا يوما (فإذا بلغن أجلهن) فإذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) أيها الائمة وجماعة المسلمين (فيما فعلن فى أنفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكره الشرع والمعنى أنهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة أن يكفوهن وإن فرطوا كان عليهم الجناح (فيما عرضتم به) هو أن يقول لها إنك لجميلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضى أن أتزوج وعسى الله أن ييسرلى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول إنى أريد أن أنكحك أو أتزوجك أو أخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على أبو جعفر محمد بن على وأنا فى عدتى فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الإسلام فقلت غفر الله لك أتخطبنى فى عدتى وأنت يؤخذ عنك فقال أوقد فعلت إنما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبى سلمة فتوفى عنها فلم يزل يذكرلها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير فى يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة (فإن قلت) أى فرق بين الكناية والتعريض (قلت) الكناية أن تذكر الشىء بغير لفظه الموضوع له كقولك طويل النجاد والحمائل لطول القامة وكثير الرماد للضيفان والتعريض أن تذكر شيأ تدل به على شىء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم ولذلك قالوا ＊ وحسبك بالتسليم منى تقاضيا ＊ وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريده (أو أكننتم فى أنفسكم) أو سترتم وأضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين (علم الله أنكم ستذكرونهن) لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم (فإن قلت) أين المستدرك بقوله (ولكن لا تواعدهن) (قلت) هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سراً والسر وقع كناية عن النكاح الذى هو الوطء لأنه مما يسر قال الأعشى　ولا تقربن جارة أن سرها ＊ عليك حرام فانكحن أو تأبدا

＊ قوله تعالى والذين يتوفون منكم الآية (قال محمود رحمه الله قرأها علىّ رضى الله عنه بفتح الياء الخ) قال أحمد رحمه الله ولعلّ السائل لأبى الأسود كان ممن يفهم عنه أنه لا فرق عنده بين الكسر والفتح وهو الظاهر وعلى ذلك أجابه أبو الأسود فلا تناقض حينئذ قال محمود رحمه الله تقول صمت عشراً الخ) قال أحمد رحمه الله ومنه من صام رمضان وأتبعه بستّ من شوال فكأنه صام الدهر فغلب الليالى وإن كان الصوم غير متصور فيها حتى قالوا إنّ شرطه النية وزمانها الليل فلهذا جعل لها حظاً فى الصوم وغلبها ＊ قوله تعالى علم الله أنكم ستذكرونهنّ الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت أين المستدرك بقوله ولكن الخ) قال أحمد رحمه الله وقويت دلالة هذا المذكور على ما حذف لأنّ المعتاد فى مثل هذه الصيغة ورود الإباحة عقيبها ونظير هذا النظم قوله تعالى «علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهنّ» الآية ولهذا الحذف سر والله

(قوله والحمائل لطول القامة) لعله لطويل　(قوله أو تأبدا ثم عبر به) فى الصحاح التأبد التوحش

قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۞ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۞ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ

ثم عبر به عن النكاح الذى هو العقد لأنه سبب فيه كما فعل بالنكاح (إلا أن تقولوا قولا معروفا) وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا (فإن قلت) بم يتعلق حرف الاستثناء (قلت) بلا تواعدوهنّ أى لا تواعدوهنّ مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة أو لا تواعدوهنّ إلا بأن تقولوا أى لا تواعدوهنّ إلا بالتعريض ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعا من الآدائه إلى قولك لا تواعدوهنّ إلا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهنّ جماعا وهو أن يقول لها إن نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجرى بينهما تحت اللحاف إلا أن تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا إفحاش فى الكلام وقيل لا تواعدوهنّ سرا أى فى السر على أنّ المواعدة فى السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لأن مسارتهنّ فى الغالب بما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس رضى الله عنهما إلا أن تقولوا قولا معروفا هو أن يتواثقا أن لا تتزوج غيره (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الأمر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقدة النكاح فى العدة لأن العزم على الفعل يتقدمه فإذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام (حتى يبلغ الكتاب أجله) يعنى ما كتب وفرض من العدة (يعلم ما فى أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) ولا تعزموا عليه (غفور حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة (لا جناح عليكم) لا تبعة عليكم من إيجاب مهر (إن طلقتم النساء مالم تمسوهنّ) مالم تجامعوهنّ (أو تفرضوا لهنّ فريضة) إلا أن تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك أن المطلقة غير المدخول بها إن سمى لها مهر فلها نصف المسمى وإن لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله وإن طلقتموهن إلى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم إثبات للجناح المنفى ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند أبى حنيفة إلا أن يكون مهر مثلها أقل من ذلك فلها الأقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لأنّ أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها و(الموسع) الذى له سعة و(المقتر) الضيق الحال و(قدره) مقداره الذى يطيقه لأنّ ما يطيقه هو الذى يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يسمّ لها مهراً ثم طلقها قبل أن يمسها أمتعتها قال لم يكن عندى شىء قال متعها بقلنسوتك وعند أصحابنا لا تجب المتعة إلا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب (متاعا) تأكيد لمتعوهنّ بمعنى تمتيعاً (بالمعروف) بالوجه الذى يحسن فى الشرع والمروءة (حقاً) صفة لمتاعا أى متاعا واجبا عليهم أو حق ذلك حقاً (على المحسنين) على الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه (إلا أن يعفون) يريد

أعلم وهو أنه اجتنب لأنّ الإباحة لم تنسحب على الذكر مطلقا بل اختصت بوجه واحد من وجوهه وذلك الوجه المباح عسر التميز عما لم يبح فذكرت مستثناة بقوله إلا أن تقولوا قولا معروفا تنبيها على أنّ المحل ضيق والأمر فيه عسر والأصل فيه الحظر ولا كذلك الوطء فى زمن ليل الصوم فإنه أبيح مطلقا غير مقيد فلذلك صدر الكلام بالإباحة والتوسعة وجاء النهى عن مباشرة المعتكفة فى المسجد تلوا للإباحة وتبعا فى الذكر لأنها حالة فاذة والمنع فيها لم يكن لأجل الصوم ولكن الأمر يتعلق به من حيث المصاحب وهو الاعتكاف فتفطن لهذا السر فإنه من غرائب النكت ۞ قوله تعالى

المطلقات (فإن قلت) أى فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون (قلت) الواو فى الأول ضميرهم والنون علم الرفع والواو فى الثانى لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبنى لا أثر فى لفظه للعامل وهو فى محل النصب * ويعفو عطف على محله و(الذى بيده عقدة النكاح) الولىّ يعنى إلا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآنى ولا خدمته ولا استمتع بى فكيف آخذ منه شيئا أو يعفو الولىّ الذى يلى عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعى وقيل هو الزوج وعفوه أن يسوق إليها المهر كاملا وهو مذهب أبى حنيفة والأول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر إلا أن يقال كان الغالب عندهم أن يسوق إليها المهر عند التزوج فإذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها أو سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وعنه أنه دخل على سعد بن أبى وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث إليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علىّ فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فأين

إلا أن يعفون الآية (قال محمود رحمه الله والذى بيده عقدة النكاح الولىّ الخ) قال أحمد رحمه الله هذا النقل وهم فيه الزمخشرى عن الشافعى رضى الله عنه فإن مذهبه موافق لمذهب أبى حنيفة رضى الله عنه فى أن المراد به الزوج وإنما ذهب إلى أن المراد الولىّ الإمام مالك رضى الله عنه وصدق الزمخشرى أنه قول ظاهر الصحة عليه رونق الحق وطلاوة الصواب لوجوه * الأول أن الذى بيده عقدة النكاح ثابتة مستقرة هو الولىّ وأما الزوج فله ذلك حالة العقد المتقدم خاصة ثم هو بعد الطلاق والكلام حينئذ ليس من عقدة النكاح فى شىء البتة فإن قيل أطلق عليه ذلك بعد الطلاق بتأويل كان مقدرة فلا يخفى على المنصف ما فى ذلك من البعد والخروج عن حد إطلاق الكلام وأصله * الثانى أن الخطاب الأول للزوجات اتفاقا بقوله إلا أن يعفون وفيهن من لا عفو لها البتة كالأمة والبكر فلولا استتمام التقسيم بصرف الثانى إلى الولىّ على ابنته البكر أو أمته وإلا لزم الخروج عن ظاهر عموم الأول وحيث حمل الكلام على الولىّ صار الكلام بمعنى إلا أن يعفون إن كن أهلا للعفو أو يعفو لهن إن لم يكن أهلا ولهذا كان الولىّ الذى يعفو ويعتبر عفوه عند مالك هو الأب فى ابنته البكر والسيد فى أمته خاصة * الثالث أن الكتاب العزيز جدير بتناسب الأقسام وانتظام أطراف الكلام والأمر فيه على هذا المحمل بهذه المثابة فإن الآية حينئذ مشتملة على خطاب الزوجات ثم الأولياء ثم الأزواج بقوله ولا تنسوا الفضل بينكم فتكون على هذا الوجه ملية بالفوائد جامعة للمقاصد * الرابع أن المضاف إلى صاحب عقدة النكاح العفو كما هو مضاف إلى الزوجات والعفو الإسقاط لغة وهو المراد فى الأول اتفاقا إذ المضاف إلى الزوجات هو الإسقاط بلا ريب ولو كان المراد بصاحب العقدة الزوج لتعين حمل العفو على تكميل المهر وإعطائه ما لا يستحق عليه وهذا إنما يطابقه من الأسماء التفضل ومن ثم قال فى خطاب الأزواج ولا تنسوا الفضل بينكم لأن المبذول من جهته غير مستحق عليه فهو فضل لا عفو * ولا يقال لعلّ الزوج تعجل المهر كاملا قبل الطلاق وطلق فيجب استرجاع النصف فيسقطه ويعفو عنه وحينئذ يبقى العفو من جانب الزوج على ظاهره وحقيقته * لأنا نقول حسبنا فى رد هذا الوجه ما فيه من الكلفة وتقدير ما الأصل خلافه * الخامس أن صدر الآية خطاب للأزواج فى قوله وإن طلقتموهن إلى قوله فرضتم فلو جاء قوله أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح مرادا به الزوج لكان عدولا والتفاتا من الخطاب إلى الغيبة وليس هذا من مواضعه ولأجل هذا جاء قوله ولا تنسوا الفضل بينكم على صيغة الخطاب لأن المراد به الأزواج لخطابهم أولا * السادس أن قوله إلا أن يعفون وما عطف عليه استثناء من قوله فنصف ما فرضتم وأصل الكلام فنصف ما فرضتم واجب عليكم إلا أن يعفو عنه الزوجات فليس بواجب عليكم إذا فإذا حمل الكلام على الولىّ استقام إذهم لو كملوا المهر لهن فالنصف واجب عليهم لا يتغير ولا يخالف الحالة المستثناة مما وقع منه الاستثناء فلا يجرى الاستثناء على حقيقته فى المخالفة بين الأول والثانى إلا أن يقال مقتضى قوله فنصف ما فرضتم واجب عليكم أن النصف الآخر غير مؤدى إليهن لأنه ساقط عن الزوج فإذا عفى بمعنى كمل المهر فقد صار النصف الآخر مؤدى إليهن ففى هذا التأويل من الكلفة ما يسقط مؤنة رده

وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۞ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ

الفضل ۞ و (الفضل) التفضل أى ولاتنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض وتتمرؤا ولاتستقصوا وقرأ الحسن أويعفو الذى بسكون الواو وإسكان الواو والياء فى موضع النصب تشبيه لهما بالألف لأنهما أختاها وقرأ أبو نهيك وأن يعفو بالياء وقرئ ولاتنسوا الفضل بكسر الواو (الصلاة الوسطى) أى الوسطى بين الصلوات أوالفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلاة لانفرادها بالفضل وهى صلاة العصر وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم ناراً وقال عليه السلام إنها الصلاة التى شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف إذا بلغت هذه الآية فلاتكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فأملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروى عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهم والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين إحداهما الصلاة الوسطى إمّا الظهر وإمّا الفجر وإمّا المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما فى وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما هى صلاة الظهر لأنها فى وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة أشد على أصحابه منها وعن مجاهد هى الفجر لأنها بين صلاتى النهار وصلاتى الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هى المغرب لأنها وتر النهار ولا تنقص فى السفر من الثلاث وقرأ عبدالله وعلى الصلاة الوسطى وقرأت عائشة رضى الله عنها والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد (وقوموا لله) فى الصلاة (قانتين) ذاكرين لله فى قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون فى الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الأيدى والبصر وروى أنهم كانوا إذا قام أحدهم إلى الصلاة هاب الرحمن أن يمد بصره أويلتفت أويقلب الحصا أويحدث نفسه بشىء من أمور الدنيا (فإن خفتم) فان كان بكم خوف من عدو أوغيره (فرجالا) فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام أورجل يقال رجل رجل أى راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند أبى حنيفة رحمه الله لايصلون فى حال المشى والمسايفة مالم يمكن الوقوف وعند الشافعى رحمه الله يصلون فى كل حال والراكب يومى ويسقط عنه التوجه إلى القبلة (فإذا أمنتم) فإذا زال خوفكم (فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون) من صلاة الأمن أوفإذا أمنتم فاشكروا الله على الأمن واذكروه بالعبادة كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون فى حال الخوف وفى حال الأمن ۞ تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون أووحكم الذين يتوفون وصية لأزواجهم أووالذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم وفيمن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك إنما أنت سير البريد بإضمار تسير أو والزم الذين يتوفون وصية وتدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لأزواجكم متاعا إلى الحول مكان قوله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول) وقرأ أبىّ متاع لأزواجهم متاعا وروى عنه فمتاع لأزواجهم ومتاعا نصب بالوصية إلا إذا أضمرت يوصون فإنه نصب بالفعل وعلى قراءة أبىّ متاعا نصب بمتاع لأنه فى معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين وأعجبنى ضرب لك زيداً ضربا شديداً و (غير إخراج) مصدر مؤكد كقولك

(قوله وعطفت على الصلاة) لعله على الصلوات

خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِى أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۞ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ

هذا القول غير ماتقول أوبدل من متاعا أوحال من الأزواج أى غير مخرجات والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أى ينفق عليهن من تركته ولايخرجن من مساكنهن وكان ذلك فى أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشراً وقيل نسخ مازاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالإرث الذى هو الربع والثمن واختلف فى السكنى فعند أبى حنيفة وأصحابه لاسكنى لهن (فيما فعلن فى أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (من معروف) مما ليس بمنكر شرعا (فإن قلت) كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة (قلت) قد تكون الآية متقدمة فى التلاوة وهى متأخرة فى التنزيل كقوله تعالى «سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء (وللمطلقات متاع) عم المطلقات بإيجاب المتعة لهن بعد ماأوجبها لواحدة منهن وهى المطلقة غير المدخول بها وقال (حقاً على المتقين) كما قال ثمة حقاً على المحسنين وعن سعيد بن جبير وأبى العالية والزهرى أنها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعاً وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين وتعجيب من شأنهم ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل فى معنى التعجيب ۞ وروى أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لامفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه تعجباً مما رأى فأوحى إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فنظر إليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لاإله إلا أنت وقيل هم قوم من بنى إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذراً من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم (وهم ألوف) فيه دليل على الألوف الكثيرة واختلف فى ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير ألوف متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود ۞ (فإن قلت) مامعنى قوله (فقال لهم الله موتوا) (قلت) معناه فأماتهم وإنما جىء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كأنهم أمروا بشىء فامتثلوه امتثالا من غير إباء ولا توقف كقوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون فى سبيل الله (لذو فضل على الناس) حيث يبصرهم مايعتبرون به ويستبصرون كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم البعث والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثاً على الجهاد ماأتبعه من الأمر بالقتال فى سبيل الله (واعلموا أن الله سميع) يسمع مايقوله المتخلفون والسابقون (عليم) بمايضمرونه وهو من وراء الجزاء ۞ إقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه والقرض الحسن إما المجاهدة فى نفسها وإما النفقة فى سبيل الله (أضعافا كثيرة) قيل الواحد بسبعمائة وعن السدى كثيرة لايعلم كنهها إلا الله (والله يقبض ويبسط) يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لايبدلكم الضيقة بالسعة (وإليه ترجعون) فيجازيكم

موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ٭ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى

على ماقدمتم (لنبى لهم) هو يوشع أوشمعون أو اشمويل (ابعث لنا ملكا) أنهض للقتال معنا أميراً نصدر فى تدبير الحرب عن رأيه وننتهى إلى أمره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التى كان يجهزها ومن أمرهم بطاعته وامتثال أوامره وروى أنه أمر الناس إذا سافروا أن يجعلوا أحدهم أميراً عليهم (نقاتل) قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على أنه حال أى ابعثه لنا مقدرين القتال أواستئناف كأنه قال لهم ماتصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على أنه صفة لملكا ٭ وخبر عسيتم (ألا تقاتلوا) والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم أن لاتقاتلوا يعنى هل الأمر كما أتوقعه أنكم لاتقاتلون أراد أن يقول عسيتم أن لاتقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب فى توقعه كقوله تعالى «هل أتى على الإنسان» معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهى ضعيفة (ومالنا ألا نقاتل) وأى داع لنا إلى ترك القتال وأى غرض لنا فيه (وقدأخرجنامن ديارنا وأبنائنا) وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين (إلا قليلا منهم) قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم فى القعود عن القتال وترك الجهاد (طالوت) اسم أعجمى كجالوت وداود وإنما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة فى الجسم ووزنه إن كان من الطول فعلوت منه أصله طولوت إلا أن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلا أن يقال هو اسم عبرانى وافق عربياً كما وافق حنطاً حنطة وبشمالاهيا رحمانا رخيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربياً وكان أحد سببيه العجمة لكونه عبرانياً (أنى) كيف ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له ٭ (فإن قلت) ما الفرق بين الواوين فى ونحن أحق ولم يؤت (قلت) الأولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قدانتظمتهما معاً فى حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال أنه لايستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولابد للملك من مال يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت فى سبط لاوى ابن يعقوب والملك فى سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين ولأنه كان رجلا سقاء أودباغا فقيراً وروى أن نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت (قال إن الله اصطفاه عليكم) يريد أن الله هو الذى اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ٭ ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر الحرب ويجوز أن يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد أوحى إليه ونبئ وذلك أن الملك لابد أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل مزدرى غير

٭ قوله تعالى قالوا أنى يكون له الملك علينا الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت ما الفرق بين الواوين الخ) قال أحمد رحمه الله وحاصل هذا أن الواو الأولى أفادت جملتها الحالية بنفسها وأفادت الجملة الثانية الحالية أيضاً لكن بواسطة الواو

(قوله وإنه صائب فى توقعه) فى الصحاح صاب السهم القرطاس يصيبه لغة فى أصابه

فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ

منتفع به وأن يكون جسيما يملأ العين جهارة لأنه أعظم فى النفوس وأهيب فى القلوب ۞ والبسطة السعة والامتداد وروى أن الرجل القائم كان يمدّ يده فينال رأسه (يؤتى ملكه من يشاء) أى الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك (والله واسع) الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (عليم) بمن يصطفيه للملك (والتابوت) صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرّون ۞ والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هى صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهرّ وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فإذا استقرّ ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علىّ رضى الله عنه كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح هفافة (وبقية) هى رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشىء من التوراة وكان رفعه الله تعالى بعد موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه فكان ذلك آية لاصفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع أنبياء بنى إسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان فى أرض جالوت فلما أراد الله أن يملك طالوت أصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين أظهرنا فوضعوه على ثورين فساقهما الملائكة إلى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموّها بالذهب نحواً من ثلاثة أذرع فى ذراعين وقرأ أبىّ وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهى لغة الأنصار (فإن قلت) ما وزن التابوت (قلت) لا يخلو من أن يكون فعلوتا أو فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولأنه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف إليه فهو إذاً فعلوت من التوب وهو الرجوع لأنه ظرف توضع فيه الأشياء وتودعه فلا يزال يرجع إليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مودعاته وأمّا من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده إلا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما فى الهمس وأنهما من حروف الزيادة ولذلك أبدلت من تاء التأنيث وقرأ أبو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء (فإن قلت) من (آل موسى وآل هرون) (قلت) الأنبياء من بنى يعقوب بعدهما لأنّ عمران هو ابن فاهث ابن لاوى بن يعقوب فكان أولاد يعقوب آلهما ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما ۞ فصل عن موضع كذا إذا انفصل عنه وجاوزه وأصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار فى حكم غير المتعدى كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز أن يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصدّ ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده (بالجنود) روى أنه قال لقومه لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا رجل متزوّج بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغى إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه مما اختاره ثمانون ألفاً وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا أن يجرى الله لهم نهرا ف(قال إنّ الله مبتليكم) بما اقترحتموه من النهر (فمن شرب منه) فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه (فليس منى) فليس بمتصل بى ومتحد معى من قولهم فلان منى كأنه بعضه لاختلاطهما

العاطفة وهذا النظر من السهل الممتنع (قال محمود رحمه الله وزن التابوت فعلوت الخ) قال أحمد رحمه الله يريد لأن الفاء تاء واللام كذلك والعرب تستثقل ما فاؤه ولامه حرف واحد لأنه توأم التكرار ۞ قوله تعالى فمن شرب منه فليس منى الآية (قال محمود مستثنى من قوله فمن شرب منه فليس منى الخ) قال أحمد رحمه الله وفى هذه الآية تقوية لمن ذهب

مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۞ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا

واتحادهما ويجوز أن يراد فليس من جملتى وأشياعى (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال ـ وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا ۞ ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ماذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ماابتلى الله به أهل أيلة من ترك الصيد من إتيان الحيتان شرعا بل هو أشد منه وأصعب وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي وإن كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحى ـ وقرئ بنهر بالسكون (فان قلت) مم استثنى قوله (إلامن اغترف) (قلت) من قوله فمن شرب منه فليس منى والجملة الثانية فى حكم المتأخرة إلا أنها قدمت للعناية كما قدم والصابئون فى قوله إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة فى اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله (فشربوا منه) أى فكرعوا فيه (إلاقليلا منهم) وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ أبيّ والأعمش إلا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى وإعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه إلا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق : لم يدع ۞ من المال إلا مسحت أو مجلف ۞ كأنه قال لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف وقيل لم يبق مع طالوت إلا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا (والذين آمنوا) يعنى القليل (قال الذين يظنون) يعنى الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون فى قوة اليقين ونصوع البصيرة ۞ وقيل الضمير فى قالوا لاطاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر أولئك عذرهم فى الانخزال ويرد عليهم هؤلاء مايعتذرون به وروى أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش ۞ وجالوت جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل (وثبت أقدامنا) وهب لنا ماتثبت به فى مداحض الحرب من قوة القلوب وإلقاء الرعب فى قلب العدو ونحو ذلك من الأسباب ۞ كان أيشى أبو داود فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى إلى إشمويل أن داود بن أيشى هو الذى يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر فى طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له إنك تقتل بنا جالوت فحملها فى مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروى أنه حسده وأراد قتله ثم تاب (وآتاه الله الملك) فى مشارق الأرض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك

إلى أن الاستثناء المتعقب للجمل لايتعين عوده إلى الأخيرة لاحتمال عوده إلى ماقبلها ورد على من منع ذلك محتجا بامتناع الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بأجنبى من الاستثناء ولذلك حقق عوده إلى الأخيرة وتوقف فى انعطافه على ماتقدمها فيجوز عنده أن يعود على الجميع مع الأخيرة وأما عوده على ماقبل الأخيرة دونها فمتعذر عند هذا القائل فلم يقف فى العود إلى الأخيرة لهذه الشبهة وقد بين القاضى أبو بكر صلاحية عوده إلى ماقبل الأخيرة دونها ردا على هذا القائل واستشهد بقوله تعالى ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم

(قوله لم أطعم نقاخا) هو الماء العذب الذى ينقخ الفؤاد ببرده والنقخ النقف وهو كسر الرأس عن الدماغ

دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ

قط قبل داود (والحكمة) والنبوة (وعلمه مما يشاء) من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك (ولولا دفع الله الناس) ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر مايعمر الأرض وقيل ولولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين أو لو لم يدفعهم بهم لعمّ الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض (تلك آيات الله) يعنى القصص التى اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره بالآية التى هى نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبى (بالحق) باليقين الذى لايشك فيه أهل الكتاب لأنه فى كتبهم كذلك (وإنك لمن المرسلين) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار (تلك الرسل) إشارة إلى جماعة الرسل التى ذكرت قصصها فى السورة أو التى ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (فضلنا بعضهم على بعض) لما أوجب ذلك من تفاضلهم فى الحسنات (منهم من كلم الله) منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وكلّم وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليمانى كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه (ورفع بعضهم درجات) أى ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر أنه أراد محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتى مالم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى ألف آية أو أكثر ولولم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفاً على سائر ما أوتى الأنبياء لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفى هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره مالا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذى لايشتبه والمتميز الذى لايلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم يريد به الذى تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح به وأنوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيراً والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسى لم يفخم أمره ويجوز أن يريد إبراهيم ومحمداً وغيرهما من أولى العزم من الرسل وعن ابن عباس رضى الله عنه كنا فى المسجد نتذاكر فضل الأنبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وإبراهيم بخلته وموسى بتكليم الله إياه وعيسى برفعه إلى السماء وقلنا رسول الله أفضل منهم بعث إلى الناس كافة وغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الأنبياء فدخل عليه السلام فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال لاينبغى لأحد أن يكون خيراً من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهمّ بها (فإن قلت) فلم خصّ موسى وعيسى من بين الأنبياء بالذكر (قلت) لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين

ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ووجه استشهاده أن المعنى يأبى انعطاف هذا الاستثناء إلى الجملة الأخيرة ويعين عوده إلى ماقبلها وسيأتى بيان ذلك عند الكلام على الآية ۞ قوله تعالى تلك الرسل فضلنا الآية (قال محمود رحمه الله والظاهر أنه أراد محمداً عليه الصلاة والسلام الخ) قال أحمد رحمه الله وإنما أوردت هذا الفصل من كلامه استحسانا له لفظاً ومعنى وتبركا بإعطاء المصطفى عليه الصلاة والسلام من الفضل بعض حقه وأصاب الزمخشرى فى قوله حيث أوتى النبى عليه الصلاة والسلام من الفضل المنيف على سائر ما أوتيه الأنبياء على الجميع الصلاة والسلام وليس كما يقال عن بعض أهل العصر من تفضيل النبىّ عليه الصلاة والسلام على كل واحد واحد من آحاد الأنبياء وينبغى الوقوف عن نسبته له فإنه من العلماء الأعلام وعمد دين الإسلام والوجه التوريك بالغلط على النقلة عنه ۞ قوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين

مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ

الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر فى باب التفضيل وهذا دليل بين أن من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذى أوتى منها مالم يؤت أحد فى كثرتها وعظمها كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهمّ ارزقنا شفاعته يوم الدين (ولو شاء الله) مشيئة الجاء وقسر (ما اقتتل الذين) من بعد الرسل لاختلافهم فى الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) لالتزامه دين الأنبياء (ومنهم من كفر) لإعراضه عنه (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرره للتأكيد (ولكنّ الله يفعل ما يريد) من الخذلان والعصمة (أنفقوا مما رزقناكم) أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به (من قبل أن يأتى يوم) لاتقدرون فيه على تدارك مافاتكم من الإنفاق لأنه (لابيع فيه) حتى تبتاعوا ماتنفقونه (ولاخلة) حتى يسامحكم أخلاؤكم به وإن أردتم أن يحط عنكم مافى ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم حط الواجبات لأنّ الشفاعة ثمة فى زيادة الفضل لاغير (والكافرون هم الظالمون) أراد

من بعدهم الآية (قال محمود رحمه الله كرر ولوشاء الله للتأكيد) قال أحمد رحمه الله ووراء التأكيد سر أخصّ منه وهو أن العرب متى بنت أول كلامها على مقصد ثم اعترضها مقصد آخر وأرادت الرجوع إلى الأول قصدت ذكره إما بتلك العبارة أو بقريب منها وذلك عندهم مهيع من الفصاحة مسلوك وطريق معتد وكان جدى لأمى أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير يعدّ فى كتاب الله تعالى مواضع فى هذا المعنى منها قوله تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا ومنها قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم إلى قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم وهذه الآية من هذا النمط لما صدر الكلام بأن اقتتالهم كان على وفق المشيئة ثم طال الكلام وأريد بيان أن مشيئة الله تعالى كما نفذت فى هذا الأمر الخاص وهو اقتتال هؤلاء فهى نافذة فى كل فعل واقع وهو المعنى المعبر عنه فى قوله ولكنّ الله يفعل ما يريد طرأ ذكر تعلق المشيئة بالاقتتال لتلوه عموم تعلق المشيئة لتناسب الكلام وتعرف كل بشكله فهذا سر ينشرح لبيانه الصدر ويرتاح السر والله الموفق وأى قدم يثبت للاعتزال قبالة هذا لأنه الدائرة القاطعة لدابره الكافلة بالرد على منتحله وناصره ولذلك جوزها الزمخشرى لاعتياصها على تأويله واعتصامها بالنصوصية من حيله ونحيله ▪ قوله تعالى «من قبل أن يأتى يوم لابيع» الآية (قال محمود رحمه الله ومعناه إن أردتم أن يحط عنكم مافى ذمتكم الخ) قال أحمد رحمه الله أما القدرية فقد وطنوا أنفسهم على حرمان الشفاعة وهم جدير أن يحرموها وأدلة أهل السنة على إثباتها للعصاة من المؤمنين أوسع من أن تحصى وما أنكرها القدرية إلا لإيجابهم مجازاة الله تعالى للمطيع على الطاعة وللعاصى على المعصية إيجابا عقليا على زعمهم فهذه الحالة فى إنكار الشفاعة نتيجة تلك الضلالة وقد تقدم جواب عن التمسك بإطلاق مثل هذه الآية فى نفى الشفاعة ونعيده فنقول أيام القيامة متعددة والشفاعة فى بعضها ثابتة فكل ماورد منفيها محمل على الأيام الخالية منها جمعا بين الأدلة كما ورد قوله تعالى «فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» وورد «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» وورد «فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان» وورد «وقفوهم إنهم مسئولون» ولا تخلص فى أمثال هذه الآى باتفاق إلا الحمل على تعدد أوقات القيامة واختلاف أحوالها وأيامها وكذلك أمر الشفاعة سواء رزقنا الله الشفاعة وحشرنا فى

(قوله مشيئة الجاء وقسر) يعنى أنه أراد عدم الاقتتال لكن لا إرادة قسر ولذلك تخلف المراد عنها وهذا مذهب المعتزلة وأما عند أهل السنة فليس هناك إرادة يتخلف عنها المراد بل كل ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن كما بين فى محله

(قوله لأنّ الشفاعة ثمة فى زيادة الفضل لاغير) هذا مذهب المعتزلة وعند أهل السنة قد تكون فى تخفيف العذاب أيضا

وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ

التاركون الزكاة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال فى آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار فى قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع (الحى) الباقى الذى لا سبيل عليه للفناء. وهو على اصطلاح المتكلمين الذى يصح أن يعلم ويقدر و(القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم * والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذى يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملى

وسنان اقصده النعاس فرنقت * فى عينه سـنة وليس بنائم

أى لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما ومنه حديث موسى أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوأتين فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب إحداهما على الأخرى فانكسرتا ثم أوحى إليه قل لهؤلاء إنى أمسك السموات والأرض بقدرتى فلو أخذنى نوم أو نعاس لزالتا (من ذا الذى يشفع عنده) بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له فى الكلام كقوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما فى السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء (من علمه) من معلوماته (إلا بما شاء) إلا بما علم * الكرسى ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفى قوله (وسع كرسيه) اربعة أوجه أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو

زمرة السنة والجماعة (قال محمود رحمه الله وفى قوله تعالى «وسع كرسيه السموات والأرض» أربعة اوجه الخ) قال أحمد رحمه الله قوله فى الوجه الأول أن ذلك تخييل للعظمة سوء أدب فى الإطلاق وبعد فى الإضرار فإن التخييل إنما يستعمل فى الأباطيل وما ليست له حقيقة صدق فإن يكن معنى ما قاله صحيحا فقد أخطأ فى التعبير عنه بعبارة موهمة لا مدخل لها فى الأدب الشرعى وسيأتى له امثالها مما يوجب الأدب أن يجتنب عاد كلامه قال فإن قلت كيف ترتبت الجمل فى آية الكرسى وما بالها لم تعطف بالواو قلت لأنها كلها فى حكم البيان والبيان متحد بالمبين فدخول الواو بينهما كما تقول العرب دخول بين العصا ولحائها فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لتدبيره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها وقد وردت آثار فى تفضيلها منها قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية فى دار إلا اجتنبتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا على علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن على رضى الله عنه سمعت نبيكم على أعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله وتذاكر الصحابة أفضل ما فى القرآن فقال على أين أنتم من آية الكرسى ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال طور سيناء وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى وإنما فضلت لما فضلت له سورة الإخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه

(قوله الحى الباقى الذى لا سبيل عليه) المعتزلة يفرون من أن يثبتوا الله صفة وجودية كالحياة التى تنافى الموت فلذا فسر الحى بما قال

إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسى ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطى ويمين وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسى ألاترى إلى قوله وماقدروا الله حقّ قدره والثانى وسع علمه وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك والرابع ماروى أنه خلق كرسيا هو بين يدى العرش دونه السموات والأرض وهو إلى العرش كأصغر شىء وعن الحسن الكرسى هو العرش (ولا يؤده) ولا يثقله ولا يشق عليه (حفظهما) حفظ السموات والأرض (وهو العلىّ) الشأن (العظيم) الملك والقدرة (فإن قلت) كيف ترتبت الجمل فى آية الكرسى من غير حرف عطف (قلت) مامنها جملة إلا وهى واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره (فإن قلت) لم فضلت هذه الآية حتى ورد فى فضلها ماورد منه قوله صلى الله عليه وسلم ماقرئت هذه الآية فى دار إلا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة ياعلى علمها ولدك وأهلك وجيرانك فمانزلت آية أعظم منها وعن علىّ رضى الله عنه سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم أفضل مافى القرآن فقال لهم علىّ رضى الله عنه أين أنتم عن آية الكرسى ثم قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلى سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى (قلت) لما فضلت له سورة الإخلاص من اشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم

وتمجيده وصفاته العظمى » قال أحمد وكان جدى رحمة الله عليه يقول اشتملت آية الكرسى على مالم تشتمل عليه آية من أسماء الله عزوجل وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا فى بعضها ومستكنا فى بعض ويظهر لكثير من العادّين منها ستة عشر إلا على بصير حاد البصيرة لدقة استخراجه الأول الله الثانى هو الثالث الحى الرابع القيوم الخامس ضمير لا تأخذه السادس ضمير له السابع ضمير عنده الثامن ضمير إلا بإذنه التاسع ضمير يعلم العاشر ضمير علمه الحادى عشر ضمير شاء الثانى عشر ضمير كرسيه الثالث عشر ضمير ولا يؤده الرابع عشر وهو الخامس عشر العلىّ السادس عشر العظيم فهذه عدة الأسماء البينة وأما الخفى فالضمير الذى اشتمل عليه المصدر فى قوله حفظهما فإنه مصدر مضاف إلى المفعول وهو الضمير البارز ولا بدله من فاعل وهو الله ويظهر عند فك المصدر فيقول ولا يؤده أن يحفظهما هو وكان الشيخ أبو عبدالله محمد بن أبى الفضل المرسى قدرام الزيادة على هذا العدد لما أخبرته به عن الجد رحمه الله فقال يمكن أن يعد مافى الآية من الأسماء المشتقة كل واحد منها باثنين لأنّ كل واحد يتحمل ضميرا ضرورة كونه مشتقا وذلك الضمير إنما يعود إلى الله تعالى وهى باعتبار ظهورها اسم وقد اشتملت على آخر مضمر فيكون جملة العدد على هذا النظر أحدا وعشرين اسما وكنت قد أجريت معه فى تعدد الزيادة المذكورة وجها لطيفا وهو أن الاسم المشتق لا يتحمل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علما على الأصح وهذه الصفات كلها أسماء الله تعالى ثم ولو فرضناها متحملة للضمائر بعد التسمية على سبيل التنزيل فالمشتقّ إنما يقع على موصوفه باعتبار تحمله ضميره ألا ترى أنك إذا قلت زيد كريم وجدت كريما إنما يقع على زيد لأنّ فيه ضميره حتى لو جرّدت النظر إليه لم تجده مختصا بزيد بل لك أن توقعه على كل موصوف بالكرم من الناس ولا تجده مختصا بزيد إلا باعتبار اشتماله على ضميره فليس المشتق إذاً مستقلا بوقوعه على موصوفه إلا بضميمة الضمير إليه فلا يمكن أن يجعل له حكم الانفراد عن الضمير مع الحكم برجوعه إلى معين ألبتة فرضى الشيخ المذكور

(قوله بين العصا ولحائها) فى الصحاح اللحاء ممدود قشر الشجر وفى المثل لا تدخل بين العصا ولحائها

الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَـٰتِ أُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَـٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ

من رب العزة فما كان ذكراً له كان أفضل من سائر الأذكار وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله علم أهل العدل والتوحيد ولايغرنك عنه كثرة أعدائه فإن العرانين تلقاها محسدة ۞ ولاترى للئام الناس حسادا (لاإكراه فى الدين) أى لم يجرالله أمر الإيمان على الإجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أى لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل وبنى الأمر على الاختيار (قد تبين الرشد من الغى) قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة (فمن يكفر بالطاغوت) فمن اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام والإيمان بالله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها أى انقطاعها وهذا تمثيل للعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو إخبار فى معنى النهى أى لاتكرهوا فى الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو فى أهل الكتاب خاصة لأنهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروى أنه كان لأنصارى من بنى سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لاأدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأنصارى يارسول الله أيدخل بعضى النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما (الله ولى الذين آمنوا) أى أرادوا أن يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر إلى الإيمان (والذين كفروا) أى صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولى المؤمنين يخرجهم من الشبه فى الدين إن وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين (والذين كفروا أولياؤهم) الشياطين (يخرجونهم) من نور البينات التى تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة (ألم تر) تعجيب من محاجة نمروذ فى الله وكفره به (أن آتاه الله الملك) متعلق بحاج على وجهين أحدهما حاج لأن آتاه الله الملك على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج لذلك أو على أنه وضع المحاجة فى ربه موضع ماوجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك فكأن المحاجة كانت لذلك كما تقول عادانى فلان لأنى أحسنت اليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان ونحوه قوله تعالى «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون» والثانى حاج وقت أن آتاه الله

عن هذا البحث وصوبه والله الموفق للصواب ۞ قوله تعالى «ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم» الآية (قال محمود أن آتاه متعلق بحاج على وجهين الخ) قال أحمد عفا الله عنه والوجهان قريبان من حيث المعنى إلا أن بينهما فى الصناعة فرقا وهو إنما استعمل المصدر فى الأول مفعولا من أجله وفى الثانى ظرفا وقد وقعت المصادر ظروفا فى مثل خفوق النجم ومقدم الحاج وأمثال ذلك وإنما وقعت محاجته بهذا الظرف لاشتماله على إيتاء الملك الحامل له على البطر أو على وضع كفر النعمة فيه مكان شكرها وهذان المعنيان هما المذكوران فى الوجه الأول بعينهما فلهذا نبهت على أن الفرق بين الوجهين

(قوله علم أهل العدل والتوحيد) المعتزلة سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وعلم التوحيد أشرف العلوم فى نفسه لابقيد إضافته إلى فرقة من أهله اللهم إلا عند المتعصب (قوله أو على أنه وضع المحاجة) لعله أو على معنى أنه

الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ

الملك (فإن قلت) كيف جاز أن يؤتى الله الملك الكافر (قلت) فيه قولان آتاه ماغلب به وتسلط من المال والخدم والأتباع وأما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده و(إذقال) نصب بحاج أو بدل من أن آتاه إذا جعل بمعنى الوقت (أنا أحيي وأميت) يريد أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض عتيداً ولكن إبراهيم لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل إلى مالايقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شىء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة * وقرئ فبهت الذى كفر أى فغلب إبراهيم الكافر وقرأ أبوحيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الأصنام وسجنه نمروذ ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعوا إليه فقال ربى الذى يحيي ويميت (أوكالذى) معناه أوأرأيت مثل الذى مر فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة تعجيب

صناعى لامعنوى والله الموفق لمعانى كلامه (قال محمود فإن قلت كيف جاز أن يؤتى الله الملك الكافر قلت ذلك على وجهين أحدهما آتاه ماغلب به وتساط من المال والخدم والأتباع فأما التغليب والتسليط فلا الثانى أن يكون ملكه امتحانا لعباده) قال أحمد السؤال مبنى وروده على قاعدة فاسدة وهى اعتقاد وجوب مراعاة مايتوهمه القدرية صلاحا أوأصلح على الله تعالى فى أفعاله وكل ذلك من أصول القدرية التى اجتثها البرهان القاطع فمالها من قرار وأما إيراد السؤال على صيغة لم آتاه الله الملك وهو كافر أولم فعل كذا وكذا فجواب ردّه على الاطلاق فى قوله تعالى «لايسئل عما يفعل وهم يسئلون» لوسمع الصم البكم والله ولى التوفيق (عاد كلامه) قال ومعنى قوله أنا أحيى وأميت أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض عتيداً ولكن إبراهيم عليه السلام لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه ولكنه انتقل إلى مالا يقدر فيه على مثل ذلك ليبهته أول شىء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة * قال أحمد وقد التزم غير واحد من العلماء أنّ هذا الذى صدر من الخليل عليه الصلاة والسلام ليس بانتقال من الحجة ولكن من المثال وأما الحجة فهى استدلاله على ألوهية الله تعالى بتعلق قدرته بمالايجوز تعلق قدرة الحادث به ثم هذا له أمثلة منها الإحياء والإماتة ومنها الإتيان بالشمس من المشرق والعدول بعد قيام الحجة وتمهيد القاعدة من مثال إلى مثال ليس ببدع عند أهل الجدل والله أعلم * قوله تعالى أوكالذى مر الآية: (قال محمود معناه أوأرأيت مثل الذى مر الخ) قال أحمد ومثل هذا النظم يحذف منه فعل الرؤية كثيراً كقوله : قال لها كلابها أسرعى * كاليوم مطلوبا ولا طالبا يريد لم أركاليوم فحذف الفعل وحرف النفى والظاهر حمل الآية على الوجه الأول لوجود نظيره والله أعلم (عاد كلامه) قال والمار كان كافراً بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ فى سلك واحد وقيل كان مؤمنا وهو عزير أوالخضر وأراد أن يعاين إحياء كما طلبه إبراهيم وقوله يوما بناه على الظن روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال أوبعض يوم انتهى كلامه (قال أحمد) أما استدلال الزمخشرى على أن المار كان كافراً بانتظامه مع نمروذ فى سلك واحد فمعارض بأنه نظمت قصته مع قصة إبراهيم عليه السلام فى نسق واحد فليس الاستدلال على كفره باقتران قصته مع قصة نمروذ أولى من الاستدلال على إيمانه بانتظامها أيضاً مع قصة إبراهيم إلا أن يقول إنّ قصة هذا المار معطوفة على قصة نمروذ عطف تشريك فى الفعل منطوقا به فى الأولى ومحذوفا من الثانية مدلولا عليه بذكره أو لا ولا كذلك عطف قصة إبراهيم فإنها مصدرة بالواو التى لاتدخل فى كثير من أحوالها للتشريك ولكن لتحسين النظم حتى تتوسط بين الجمل التى يعلم تعاطفها لذلك الغرض ولا كذلك عطفها فى قصة نمروذ فإنه بأو التى لا تستعمل إلا مشركة إذ عطف التحسين اللفظى خاص بالواو فنقول إذا انتهى الترجيح إلى هذا التدقيق فهو معارض

(قوله يريد أعفو عن القتل) فى الصحاح عفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه وفيه أعفنى من الخروج معك أى دعنى منه

خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٭

ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل أرأيت كالذى حاج إبراهيم أو كالذى مر على قرية والمار كان كافراً بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ فى سلك ولكلمة الاستبعاد التى هى أنى يحيى وقيل هو عزير أو الخضر أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم عليه السلام وقوله (أنى يحيى) اعتراف بالعجز عن معرفة طريقه الإحياء واستعظام لقدرة المحيى والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل هى التى خرج منها الألوف (وهى خاوية على عروشها) تفسيره فيما بعد (يوما أو بعض يوم) بناء على الظن روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم وروى أن طعامه كان تيناً وعنباً وشرابه عصيراً أو لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله (لم يتسنه) لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنه على الوجهين لأن لامها هاء أو واو وذلك أن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضى البازى ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التى مرت عليه يعنى هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة وفى قراءة عبد الله فانظر إلى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ أبى لم يسنه بإدغام التاء فى السين (وانظر إلى حمارك) كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز أن يراد وانظر إليه سالما فى مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير (ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك

بما بين قصة المار وقصة إبراهيم من التناسب المعنوى لأن طلبتهما واحدة إذ المار سأل معاينة الإحياء وكذلك طلبة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم التناسب المعنوى أرجح من التعلق بأمور لفظية ترد إلى أنحاء مختلفة ويؤيد القول بأن المار كان مؤمناً تحريه فى قوله تعالى يوما أو بعض يوم فإن ظاهره الاحتراز من التحريف فى القول حتى لا يعبر عن جل اليوم باليوم حذراً من إبهام طلبته لجملة اليوم ومثل هذا التحرى لا يصدر عن معطل والله أعلم ٭ ولا يقال إنما صدر منه هذا التحرى بعد أن حيى وآمن ٭ لأنا نقول إنما آمن على القول بكفره بعد ظهور الآيات يدل عليه قوله تعالى فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير وأما التحرى المذكور فكان أول القصة قبل الإيمان وماقدرت هذا السؤال إلا لنكتة يذكرها الزمخشرى الآن تشعر بإيراده على الترجيح المذكور ٭ ثم هذه الجراءة التى نقلها الزمخشرى فى خلال كلامه من أنه إنما قال أو بعض يوم لما رأى بقية من الشمس لم يكن رآها أول كلامه فاستدرك الأمر فيها نظر دقيق لم أقف عليه لأحد ممن أورد الحكاية فى تفسيره وذلك أن الأمر إذا كان على ما تضمنته وكلام المار المذكور بنى أولا على الجزم بأنه لبث يوما ثم جزم آخراً أن لبثه إنما كان بعض يوم لرؤية بقية من الشمس وكان مقتضى التعبير عن حاله أن يقول بل بعض يوم مضربا عن جزمه الأول إلى جزمه الثانى لأن أو إنما تدخل فى الخبر إذا انبنى أوله على الجزم ثم عرض فى آخره شك ولا جزم بالنقيض فالحكاية المذكورة توجب أن يكون الموضع لبل لا لأو إذ موضع بل جزم بنقيض الأول فإذا استقر ذلك فالظاهر من حال المار أنه كان أولا جازما ثم شك لا غير اتباعا لمقتضى الآية وعدولا عن الحكاية التى لا تثبت إلا بإسناد قاطع فيضطر إلى تأويل فتأمل هذا النظر فإنه من لطيف النكت والله الموفق (عاد كلامه) قال فإن قلت إذا كان المار كافراً الخ ٭ قال أحمد وهذا سؤال عجيب والجواب عنه أعجب منه ومن سلم لهذا السائل أن الله تعالى لا يسوغ أن يكلم الكافر وهل هذا إلا خطب بلا أصل أليس أن إبليس رأس الكفر ومعدنه ومع هذا قال الله تعالى اخرج منها فإنك رجيم إلى آخر الآية ويقول تعالى

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ

يريد إحياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل أتى قومه راكب حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون فى الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهراً أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب فإذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة (وانظر إلى العظام) هى عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من إحيائهم (كيف ننشرها) كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا وقرئ بالزاى بمعنى نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب وفاعل (تبين) مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شىء قدير (قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) فحذف الأول لدلالة الثانى عليه كما فى قولهم ضربنى وضربت زيداً ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعنى أمر إحياء الموتى وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الأمر وقرأ عبدالله قيل اعلم (فإن قلت) فإن كان المار كافراً فكيف يسوغ أن يكلمه الله (قلت) كان الكلام بعد البعث ولم يكن إذ ذاك كافراً (أرنى) بصرنى (فإن قلت) كيف قال له (أو لم تؤمن) وقد علم أنه أثبت الناس إيمانا (قلت) ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين و (بلى) إيجاب لما

للكفار وهم بين أطباقها يعذبون اخسؤا فيها ولا تكلمون ولأن هذا الأمر متيقن وقوعه فضلا عن جوازه أول العلماء قوله تعالى ولا يكلمهم الله بمعنى ولا يكلمهم بما يسرهم وينفعهم هذا وجه تعجبى من السؤال وأما الجواب فقد أسلفت آنفا رده بأن إيمان هذا المار على القول بأنه كان كافراً إنما حصل فى آخر القصة بعد أن تبينت له الآيات وأما كلام الله تعالى فمن أول القصة ٭ قلت الزمخشرى كفانا مؤنة هذا الفصل سؤالا وجوابا والله المستعان ٭ قوله تعالى وإذ قال ابراهيم رب أرنى إلى قوله ولكن ليطمئن قلبى (قال محمود إن قلت كيف قال له أو لم تؤمن وقد علم الخ) قال أحمد الأولى فى هذه الآية أن يذكر فيها المختار فى تفسيرها من المباحث الممتحنة بالفكر المحرر والنكت المفصحة بالرأى المخمر فما وافق من كلام المصنف ما يذكره فالحمد لله وما خالفه فالحق فيما ذكرناه والله الموفق فنقول أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله له كيف تحيى الموتى فليس عن شك والعياذ بالله فى قدرة الله عن الإحياء ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء ولا يشترط فى الإيمان الإحاطة بصورتها فإنما هى طلب علم ما لا يتوقف الإيمان على علمه ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة كيف وموضوعها السؤال عن الحال ونظير هذا السؤال أن يقول القائل كيف يحكم زيد فى الناس فهو لا يشك أنه يحكم فيهم ولكنه سأل عن كيفية حكمه لا ثبوته ولو كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق إلى إبراهيم شكا من هذه الآية وقد قطع النبى عليه الصلاة والسلام دابر هذا الوهم بقوله نحن أحق بالشك من إبراهيم أى ونحن لم نشك فلأن لا يشك إبراهيم أحرى وأولى (فإن قلت) إذا كان السؤال مصروفا إلى الكيفية التى لا يضر عدم تصورها ومشاهدتها بالإيمان ولا تخل به فما موقع قوله تعالى أو لم تؤمن (قلت) قد وقعت لبعض الحذاق فيه على لطيفة وهى أن هذه الصيغة تستعمل ظاهراً فى السؤال عن الكيفية كما مر وقد تستعمل فى الاستعجاز مثاله أن يدعى مدع أنه يحمل ثقلا من الأثقال وأنت جازم بعجزه عن حمله فتقول له أرنى كيف تحمل هذا فلما كانت هذه الصيغة قد يعرض لها هذا الاستعمال الذى أحاط علم الله تعالى بأن ابراهيم مبرأ منه أراد بقوله أو لم تؤمن أن ينطق إبراهيم بقوله بلى آمنت ليدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظى فى العبارة الأولى ليكون إيمانه مخلصا نص عليه بعبارة يفهمها كل من يسمعها فهما لا يلحقه فيه شك (فإن قلت) قد تبين لى وجه الربط بين الكلام على التقدير المبين فما موقع قول إبراهيم ولكن ليطمئن قلبى وذلك يشعر ظاهراً بأنه كان عند السؤال فاقداً للطمأنينة (قلت) معناه ولكن ليزول عن قلبى الفكر فى كيفية الحياة لأنى إذا شاهدتها سكن قلبى عن الجولان فى كيفياتها المتخيلة وتعينت عندى بالتصوير المشاهد

(قوله فأخذ يهذها) أى يسرع بها . أفاده الصحاح

ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ

بعد النفي معناه بلى آمنت (ولكن ليطمئن قلبي) ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك (فإن قلت) بم تعلقت اللام في ليطمئن (قلت) بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب (فخذ أربعة من الطير) قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة (فصرهن اليك) بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن إليك قال ۞ ولكن أطراف الرماح تصورها ۞ وقال

وفرع يصير الجيد وحف كأنه ۞ على الليت قنوان الكروم الدوالح

وقرأ ابن عباس رضي عنه فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه نحو ضره ويضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع أيضاً (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) يريد ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك قيل كانت أربعة اجبل وعن السدي سبعة (ثم ادعهن) وقل لهن تعالين بإذن الله (يأتينك سعيا) ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن (فإن قلت) مامعنى أمره بضمها إلى نفسه بعد أن يأخذها (قلت) ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروى أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين بإذن الله فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤسهن كل جثة إلى رأسها وقرئ جزأ بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما تشدد في الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف (مثل الذين ينفقون) لابد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة ۞ والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند اليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للإضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر (فان قلت) كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود (قلت) بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير (فإن قلت) هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر (قلت) هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها (والله يضاعف لمن يشاء) أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل

وجاءت الآية مطابقة لسؤاله لأنه شاهد صورة حياة الموتى تقديره الذي يحيي ويميت فهذا أحسن مايجري لي في تفسير هذه الآية وربك الفتاح العليم وأما قول الزمخشري إن علم الاستدلال يتطرق إليه التشكيك بخلاف العلم الضروري فكلام لم يصدر عن رأي منور ولا فكر محرر وذلك أن العلم الموقوف على سبب لايتصور فيه تشكيك مادام سببه مذكوراً في نفس العالم وإنما الذي يقبل التشكيك قبولا مطلقا هو الاعتقاد وإن كان صحيحاً وسببه باق في الذكر وبهذا ينحط الاعتقاد الصحيح عن ذروة العلم ولكن للقدماء من القدرية خبط طويل في تمييز العلم عن الاعتقاد حتى غالى أبو هاشم فقال العلم بالشيء

(قوله وفرع يصير الجيد وحف) الفرع الشعر التام والوحف الكثير الحسن والليت بالكسر صفحة العنق كذا في الصحاح والدوالح الثقيلات الأحمال أفاده الصحاح (قوله وهيآتها وحلاها) جمع حلية بالكسر أي صفاتها أفاده الصحاح

أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم ۞ يـأيها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقـتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء

منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستوجب ذلك ۞ المنّ أن يعتد على من أحسن اليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له وكانوا يقولون إذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم

وإن امرأ أسدى إلىّ صنيعة ۞ وذكرنيها مرة للئيم

وفى نوابغ الكلام صنوان من منح سائله ومنّ، ومن منع نائله وضنّ وفيها طعم الآلاء أحلى من المنّ وهى أمرّ من الآلاء مع المنّ ۞ والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أزلّ اليه ومعنى ثم إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى وان تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا (فان قلت) أىّ فرق بين قوله لهم أجرهم وقوله فيما بعد فلهم أجرهم (قلت) الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمّ والفرق بينهما من جهة المعنى انّ الفاء فيها دلالة على أنّ الإنفاق به استحق الأجر وطرحها عار عن تلك الدلالة (قول معروف) ردّ جميل (ومغفرة) وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤل أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل أو وعفو من جهة السائل لأنه إذا ردّه ردّا جميلا عذره (خير من صدقة يتبعها أذى) وصح الإخبار عن المبتدإ النكرة لاختصاصه بالصفة (والله غنى) لا حاجة به إلى منفق يمن ويؤذى (حليم) عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ فى ذلك بما أتبعه (كالذى ينفق ماله) أى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كابطال المنافق الذى ينفق ماله (رئاء الناس) لا يريد بإنفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة (فمثله كمثل صفوان) مثله ونفقته التى لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر أملس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان (فأصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) أجرد نقيا

والجهل به مثلان وهذا على الحقيقة جهل حتى لحقيقة الجهل والزمخشرى فى قواعد العقائد يقفو آثار هذا القائل أية سلك فعله من ثم طرق إلى العلم النظرى الشك حسب تطرقه إلى الاعتقاد الذى يكون مرة جهلا ومرة مطابقا والله الموفق ۞ قوله تعالى فصرهن إليك (قال محمود إن قلت ما معنى أمره بضمها الخ) قال أحمد يريد ولم يقل طيرانا لأنه إذا كانت ساعية كان أثبت لنظره عليها من أن تكون طائرة والله أعلم ۞ قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى (قال محمود فى نوابغ الكلم صنوان الخ) قال أحمد ثم فى أصل وضعها تشعر بتراخى المعطوف بها عن المعطوف عليه فى الزمان وبعد ما بينهما والزمخشرى يحملها على التفاوت فى المراتب والتباعد بينهما حيث لا يمكنه حملها على التراخى فى الزمان لسياق يأبى ذلك كهذه الآية وحاصله أنها استعيرت من تباعد الأزمنة لتباعد المرتبة وعندى فيها وجه آخر محتمل فى هذه الآية ونحوها وهو الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها وإرخاء الطول فى استصحابه فهى على هذا لم تخرج عن الإشعار ببعد الزمن ولكن معناها الأصلى تراخى زمن وقوع الفعل وحدوثه ومعناها المستعارة اليه دوام وجود الفعل وتراخى زمن بقائه وعليه حمل قوله تعالى ثم استقاموا أى داموا على الاستقامة دواما متراخيا ممتد الأمد وتلك الاستقامة هى المعتبرة لا ما هو منقطع إلى ضده من الحيد إلى الهوى والشهوات وكذلك قوله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى أى يدومون على تناسى الإحسان وعلى ترك الاعتداد به والامتنان ليسوا بتاركيه فى أزمنة إلى الإذاية

(قوله وفيها طعم الآلاء أحلى) فى الصحاح الآلاء النعم واحدها ألا بالفتح وفيه أيضا الألاء بالفتح شجر حسن المنظر مرّ الطعم اهـ واسم النعم على زنة أسباب والظاهر أنّ اسم الشجر على زنة سحاب فليحرر ما فى النوابغ

مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَـٰفِرِينَ ۞ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ

من التراب الذى كان عليه ومنه صلد جبين الأصلع إذا برق (لايقدرون على شىء مما كسبوا) كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز أن تكون الكاف فى محل النصب على الحال أى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق (فان قلت) كيف قال لايقدرون بعد قوله كالذى ينفق (قلت) أراد بالذى ينفق الجنس أو الفريق الذى ينفق ولأن من والذى يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق (وتثبيتا من أنفسهم) وليثبتوا منها ببذل المال الذى هو شقيق الروح وبذله أشق شىء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الإيمان لأنّ النفس إذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها مايصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها فى اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان إنفاق المال تثبيتا لها على الإيمان واليقين ويجوز أن يرادو تصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لأنه إذا أنفق المسلم ماله فى سبيل الله علم أنّ تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه ومن على التفسير الأوّل للتبعيض مثلها فى قولهم هزمن عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثانى لابتداء الغاية كقوله تعالى حسداً من عند أنفسهم ويحتمل أن يكون المعنى وتثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من أنفسهم (فان قلت) فما معنى التبعيض (قلت) معناه أنّ من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذى ثبتها كلها وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء فى زكائها عند الله (كمثل جنة) وهى البستان (بربوة) بمكان مرتفع وخصها لأنّ الشجر فيها ازكى وأحسن ثمرا (أصابها وابل) مطر عظيم القطر (فآتت أكلها) ثمرتها (ضعفين) مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل (فإن لم يصبها وابل فطل) فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أومثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما أنّ كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أوقليلة بعد أن يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث وأكلها بضمتين ۞ الهمزة فى (أيودّ) للإنكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والأعصار الريح التى تستدير فى الأرض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لايبتغى بها وجه الله فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضى الله عنه أنه سأل عنها الصحابة فقالوا الله أعلم فغضب وقال قولوا نعلم أولا نعلم فقال ابن عباس رضى الله عنه فى نفسى منها شىء ياأمير المؤمنين قال قل يا ابن أخى ولا تحقر نفسك قال ضربت مثلا لعمل قال لأى عمل قال لرجل غنى يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله كلها وعن الحسن رضى الله عنه هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته وإن

وتقليد المنن بسببه ثم يتوبون والله أعلم وقريب من هذا أو مثله أنّ السين يصحب الفعل لتنفيس زمان وقوعه وتراخيه ثم ورد قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام إنى ذاهب إلى ربى سيهدين وقد حكى الله تعالى فى مثل هذه الآية الذى خلقنى فهو يهدين فليس إلى حمل السين على تراخى زمان وقوع الهداية له من سبيل فيتعين المصير إلى حملها على الدلالة على تنفس دوام الهداية الحاصلة له وتراخى بقائها وتمادى أمدها ولعلّ الزمخشرى أشار إلى هذا المعنى فى آية إبراهيم عليه السلام فتأمل هذا الوجه فهو أوجه مما حمل الزمخشرى عليه آية البقرة وهذه الآية أبقى على الحقيقة وأقرب إلى الوضع على أحسن طريقة والله الموفق

(قوله أغرق أعماله كلها) فى بعض نسخ الجلال أحرق بالحاء وكذلك عبارة النسفى

وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ

أحدكم والله أفقر مايكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا (فإن قلت) كيف قال جنة من نخيل وأعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات (قلت) النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل (فان قلت) علام عطف قوله وأصابه الكبر (قلت) الواو للحال لا للعطف ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر وقيل يقال وددت أن يكون كذا وودت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر (من طيبات ما كسبتم) من جياد مكسوباتكم (ومما أخرجنا لكم) من الحب والثمر والمعادن وغيرها (فان قلت) فهلا قيل وما أخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الأرض (قلت) معناه ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات (ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا المال الردىء (منه تنفقون) تخصونه بالإنفاق وهو فى محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء فى معنى قصده (ولستم بآخذيه) وحالكم أنكم لا تأخذونه فى حقوقكم (إلا أن تغمضوا فيه) إلا بأن تتسامحوا فى أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أى لا تستقص كأنك لا تبصر وقال الطرماح

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيـ * ـم رجال يرضون بالإغماض

وقرأ الزهرى تغمضوا وأغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه وقيل إلا أن توجدوا مغمضين وعن الحسن رضى الله عنه لو وجدتموه فى السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه * أى يعدكم فى الإنفاق (الفقر) ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل فى الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا (ويأمركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل (والله يعدكم) فى الإنفاق (مغفرة) لذنوبكم وكفارة لها (وفضلا) وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو وثوابا عليه فى الآخرة (يؤتى الحكمة) يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله

---

* قوله تعالى أيود أحدكم أن تكون له جنة إلى آخر الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت لم ذكر النخيل والأعناب أولا الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من باب تثنية ذكر مايقع الاهتمام به مرتين عموما وخصوصا ومثله فيهما فاكهة ونخل ورمان إلا أنه فى تلك الآية بدأ بالتعميم وفى هذه الآية بدأ بالتخصيص والمقصود هو ما نبهنا عليه والله أعلم * قوله تعالى * ليس

(قوله لم يفتنا بالوتر قوم) فى الصحاح الموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه تقول منه وتره وترا وترة وكذلك وتره حقه أى نقصه (قوله والفاحش عند العرب البخيل) قال

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى * عقيلة مال الفاحش المتشدد

يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ۞ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۞ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ

هو العالم العامل ❁ وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الأعمش و (خيراً كثيرا) تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتى أى خير كثير (ومايذكر إلا أولوا الألباب) يريد الحكماء العلام العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآى فى معنى الانفاق (وما أنفقتم من نفقة) فى سبيل الله أو فى سبيل الشيطان (أو نذرتم من نذر) فى طاعة الله أو فى معصيته (فإن الله يعلمه) لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم فى المعاصى أو لا يفون بالنذور أو ينذرون فى المعاصى (من أنصار) ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ❁ ما فى نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى (فنعما هى) فنعم شيئا إبداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء) وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء (فهو خير لكم) فالإخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فإن الأفضل فى الفرائض أن يجاهر بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما صدقات السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً وإنما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفى التهمة حتى إذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل (ونكفر) قرئ بالنون مرفوعا عطفاً على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدإ محذوف أى ونحن نكفر أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوماً عطفاً على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله أو للإخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن رضى الله عنه بالياء والنصب بإضمار أن ومعناه إن تخفوها يكن خيراً لكم وأن يكفر عنكم (ليس عليك هداهم) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهى فحسب (ولكن الله يهدى من يشاء) يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهى عما نهى عنه (وما تنفقوا من خير) من مال (فلأنفسكم) فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وما تنفقون) وليست نفقتكم إلا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله إلى الله (وما تنفقوا من خير يوف إليكم) ثوابه أضعافاً مضاعفة فلا عذر لكم فى أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما فأتتها أمها تسألها وهى مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروى أن ناساً من المسلمين كانت لهم أصهار فى اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك

عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء (قال محمود رحمه الله لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الخ) قال أحمد رحمه الله المعتقد الصحيح أن الله هو الذى يخلق الهدى لمن يشاء هداه وذلك هو اللطف لا كما يزعم الزمخشرى أن الهدى ليس خلق الله وإنما العبد يخلقه لنفسه وإن أطلق الله تعالى إضافة الهدى إليه كما فى هذه الآية فهو مؤول على زعم الزمخشرى بلطف الله الحامل للعبد على أن يخلق هداه إن هذا إلا اختلاق وهذه النزغة من توابع معتقدهم السيء فى

(قوله كرهوا أن ينفقوهم) لعله على تضمين الفعل معنى الإعطاء أو لعله محرف وأصله ينفعوهم من النفع

لَا تُظْلَمُونَ ۞ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۞ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰا

ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز أبوحنيفة رضى الله عنه صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وأباه غيره ۞ الجار متعلق بمحذوف والمعنى أعمدوا للفقراء. أواجعلوا ماتنفقون للفقراء كقوله تعالى في تسع آيات ويجوز أن يكون خبر مبتدإ محذوف أى صدقاتكم للفقراء. و(الذين أحصروا في سبيل الله) هم الذين أحصرهم الجهاد (لايستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا في الأرض) للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولاعشائر فكانوا في صفة المسجد وهى سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى وعن ابن عباس رضى الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا ياأصحاب الصفة فمن بقى من أمتى على النعت الذى أنتم عليه راضيا بما فيه فإنه من رفقائى في الجنة (يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء من التعفف) مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة (تعرفهم بسيماهم) من صفرة الوجه ورثاثة الحال ۞ والإلحاف الإلحاح وهو اللزوم وأن لايفارق إلا بشىء يعطاه من قولهم لحفنى من فضل لحافه أى أعطانى من فضل ماعنده. وعن النبى صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يحب الحيىّ الحليم المتعفف ويبغض البذىّ السآل الملحف ومعناه أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفى للسؤال والإلحاف جميعا كقوله ۞ على لاحب لايهتدى بمناره ۞ يريد نفى المنار والاهتداء به (بالليل والنهار سرا وعلانية) يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولاحال وقيل نزلت في أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه حين تصدّق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السرّ وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في علىّ رضى الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن أبى هريرة رضى الله عنه كان إذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية (الربوا) كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع (لايقومون) إذا بعثوا من قبورهم (إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) أى

خالق الأفعال وليس علينا هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وهو المسؤول أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ۞ قوله تعالى الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ (قال محمود رحمه الله يعنى إذا بعثوا من قبورهم الخ) قال أحمد قوله وتخبط الشيطان من زعمات العرب أى كذباتهم وزخارفهم التى لاحقيقة لها كما يقال في الغول والعنقاء ونحو ذلك وهذا القول على الحقيقة من تخبط الشيطان بالقدرية في زعماتهم المردودة بقواطع الشرع فقد ورد مامن مولود يولد إلا يمسه الشيطان فيستهل صارخا وفى بعض الطرق إلا طعن الشيطان في خاصرته ومن ذلك يستهلّ صارخا إلا مريم وابنها لقول أمها إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وقوله عليه السلام التقطوا صبيانكم

(قوله ويرضخون النوى) في الصحاح رضخت الحصى والنوى كسرته ورضخت له رضخا وهو العطاء ليس بالكثير اهـ
(قوله على لاحب) أى طريق واضح. أفاده الصحاح

وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ

المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضا من زعماتهم وأن الجنى يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم فى الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات (فإن قلت) بم يتعلق قوله (من المس) (قلت) بلا يقومون أى لا يقومون من المس الذى بهم إلا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلق بيقوم أى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض (ذلك) العقاب بسبب قولهم (إنما البيع مثل الربوا) (فإن قلت) هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأن الكلام فى الربا لا فى البيع فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوى إلا درهما بدرهمين جاز فكذلك إذا باع درهما بدرهمين (قلت) جىء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع وقوله (وأحل الله البيع وحرم الربوا) إنكار لتسويتهم بينهما ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه (فمن جاءه موعظة) فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربا (فانتهى) فتبع النهى وامتنع (فله ما سلف) فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم (وأمره إلى الله) يحكم فى شأنه يوم القيامة وليس من

أول العشاء فإنه وقت انتشار الشياطين وفى حديث مكحول أنه مر برجل نائم بعد العصر فركضه برجله وقال لقد دفع عنك الشياطين أو لقد عوفيت إنها ساعة مخرجهم وفيها ينتشرون وفيها يكون الخبثة قال شمر كان فى لسان مكحول لكنة وإنما أراد الخبطة من الشيطان أى إصابة مس أو جنون وقد ورد فى حديث المفقود الذى اختطفته الشياطين وردته فى زمنه عليه الصلاة والسلام أنه حدث عن شأنه معهم قال فجاءنى طائر كأنه جمل فتعثرنى فاحتملنى على خافية من خوافيه إلى غير ذلك مما يطول الكتاب بذكره واعتقاد السلف وأهل السنة أن هذه أمور على حقائقها واقعة كما أخبر الشرع عنها وإنما القدرية خصماء العلانية فلا جرم أنهم ينكرون كثيرا مما يزعمونه مخالفا لقواعدهم من ذلك السحر وخبطة الشيطان ومعظم أحوال الجن وإن اعترفوا بشىء من ذلك فعلى غير الوجه الذى يعترف به أهل السنة وينبئ عنه ظاهر الشرع فى خبط طويل لهم فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ¤ قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا (قال محمود إن قلت لم لم يقولوا إنما الربا مثل البيع الخ) قال أحمد وعندى وجه فى الجواب عن السؤال الذى أورده غير ما ذكروهو أنه متى كان المطلوب التسوية بين المحلين فى ثبوت الحكم فللقائل أن يسوى بينهما طردا فيقول مثلا الربا مثل البيع وغرضه من ذلك أن يقول والبيع حلال فالربا حلال وله أن يسوى بينهما فى العكس فيقول البيع مثل الربا فلو كان الربا حراما كان البيع حراما ضرورة المماثلة ونتيجته التى دلت قوة الكلام عليها أن يقول ولما كان البيع حلالا اتفاقا غير حرام وجب أن يكون الربا مثله والأول على طريقة قياس الطرد والثانى على طريقة قياس العكس ومآلهما إلى مقصد واحد فلا حاجة على هذا التقرير إلى خروج عن الظاهر لعذر المبالغة أو غيره وليس الغرض من هذا كله إلا بيان هذا الذى تخيلوه على أنموذج النظم الصحيح وإن كان قياسا فاسد الوضع لاستعماله على مناقضة المعلوم من حكم الله أيضا فى تحريم الربا وتحليل البيع وقطع القياس بينهما ولكن إذا استعملت الطريقتين المذكورتين استعمالا صحيحا فقل فى الأولى النبيذ مثل الخمر فى علة التحريم وهو الإسكار والخمر حرام فالنبيذ حرام وقل فى الثانية إنما الخمر مثل النبيذ فلو كان النبيذ حلالا لكان الخمر حلالا وليست حلالا اتفاقا فالنبيذ كذلك ضرورة المماثلة المذكورة فهذا التوجيه أولى أن تحمل الآية عليه والله أعلم ¤ قوله تعالى «ومن عاد فأولئك

أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۞ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ

أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به (ومن عاد) إلى الربا (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لأن تأنيثها غير حقيقى ولأنها فى معنى الوعظ وقرأ أبىّ والحسن فمن جاءته (يمحق الله الربوا) يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه وعن ابن مسعود رضى الله عنه الربا وإن كثر إلى قل (ويربى الصدقات) ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذى أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفى الحديث ما نقصت زكاة من مال قط (كل كفار أثيم) تغليظ فى أمر الربا وإيذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين ۞ أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها روى أنها نزلت فى ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا وقرأ الحسن رضى الله عنه ما بقى بقلب الياء ألفا على لغة طيء وعنه ما بقى بياء ساكنة ومنه قول جرير

هو الخليفة فارضوا ما رضى لكموا ۞ ماضى العزيمة ما فى حكمه جنف

(إن كنتم مؤمنين) إن صح إيمانكم يعنى أن دليل صحة الإيمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك (فأذنوا بحرب) فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به وقرئ فآذنوا فأعلموا بها غيركم وهو من الأذن وهو الاستماع لأنه من طرق العلم وقرأ الحسن فأيقنوا وهو دليل لقراءة العامة (فإن قلت) هلا قيل بحرب الله ورسوله (قلت) كان هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله (فإن تبتم) من الارتباء (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون) المديونين بطلب الزيادة عليها (ولا تظلمون) بالنقصان منها (فإن قلت) هذا حكمهم إن تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا (قلت) قالوا يكون مالهم فيأ للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون (وإن كان ذو عسرة) وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة أى ذو إعسار وقرأ عثمان رضى الله عنه ذا عسرة على وإن كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة (فنظرة) أى فالحكم أو فالأمر نظرة وهى الإنظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره أى منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم

أصحاب النار هم فيها خالدون» (قال محمود رحمه الله فى هذه الآية دليل على تخليد الفساق الخ) قال أحمد هو يبنى على أن المتوعد عليه بالخلود العود إلى فعل الربا خاصة ولا يساعده على ذلك الظاهر الذى استدل به فإن الذى وقع العود إليه مسكوت عنه فى الآية ألا تراه قال ومن عاد فلم يذكر المعود إليه فيحمل على ما تقدم كأنه قال ومن عاد إلى ما سلف ذكره فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذى سلف ذكره فعل الربا واعتقاد جوازه والاحتجاج عليه بقياسه على البيع ولا شك عندنا أهل السنة والجماعة أن من تعاطى معاملة الربا مستحلا لها مكابرا فى تحريمها مسندا إحلالها إلى معارضة آيات الله البينات بما يتوهمه من الخيالات فقد كفر ثم ازداد كفرا وإذ ذاك يكون الموعود بالخلود فى الآية من يقول إنه كافر مكذب غير مؤمن وهذا لا خلاف فيه فلا دليل للزمخشرى إذاً على اعتزاله فى هذه الآية والله الموفق وإنما هو موكل بتحميل الآيات من المعتقدات الباطلة ما لا تحتمله وأنى له ذلك فى الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه

(قوله على تخليد الفساق) وهو مذهب المعتزلة ولا يخلدون عند أهل السنة كما بين فى محله

(قوله المديونين بطلب الزيادة) القياس المدينين فلعل هذا مسموع شذوذاً وسيعبر به فيما بعد أيضا

وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ

مكان عاشب وباقل أى ذوعشب وذو بقل وعنه فناظره على الأمر بمعنى فسامحه بالنظرة وياسره بها (إلى ميسرة) إلى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله * وأخلفوك عد الأمر الذى وعدوا * قوله تعالى وأقام الصلاة (وأن تصدقوا خير لكم) ندب إلى أن يتصدقوا برؤس أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها كقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل أريد بالتصدق الإنظار لقوله صلى الله عليه وسلم لايحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة (إن كنتم تعلمون) أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لايعمل به وإن علمه كأنه لايعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء (ترجعون) قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ أبى تصيرون وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحداً وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات (إذا تداينتم) إذا داين بعضكم بعضاً يقال داينت الرجل عاملته (بدين) معطيا أو آخذا كما تقول بايعته إذا بعته أو باعك قال رؤبة

داينت أروى والديون تقضى * فمطلت بعضاً وأدت بعضاً

والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه (فإن قلت) هلا قيل إذا تداينتم إلى أجل مسمى وأى حاجة إلى ذكر الدين كما قال داينت أروى ولم يقل بدين (قلت) ذكر ليرجع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال (فإن قلت) مافائدة قوله (مسمى) (قلت) ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام ولو قال إلى الحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وإنما أمر بكتبة الدين لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والأمر للندب وعن ابن عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وعنه أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم فى كتابه وأنزل فيه أطول آية (بالعدل) متعلق بكاتب صفة له أى كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لايزيد على مايجب أن يكتب ولاينقص وفيه أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجىء مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لايستكتبوا إلا فقيها دينا (ولايأب كاتب) ولايمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب (أن يكتب كما علمه الله) مثل ماعلمه الله كتابة الوثائق لايبدل ولايغير وقيل هو كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك أى ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبى هى فرض كفاية وكما علمه الله يجوز أن يتعلق بأن يكتب وبقوله فليكتب (فإن قلت) أى فرق بين الوجهين (قلت) إن علقته بأن يكتب فقد نهى عن

ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد * قوله تعالى إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه (قال محمود إن قلت هلا قيل إذا تداينتم الخ) قال أحمد الأجل المسمى هو المعلوم انتهاؤه ولعلم الانتهاء طرق منها التحديد بنفس الزمان كالسنة والشهر ومنها التحديد بما يعتاد وقوعه فى زمن مخصوص مضبوط بالعرف كالحصاد ومقدم الحاج وكيفما علم الأجل صح ضربه فمن ثم أجاز ملك البيع إلى الحصاد لأنه معلوم عندهم ثم المعتبر زمان وقوع هذه المسميات لانفس وقوعها حتى لوحل زمن قدوم الحاج فمنعه مانع من القدوم مثلا لم يكن به عبرة وحكمنا بحلول أجل الدين والله أعلم

(قوله ولاينقص أوفيه أن يكون) لعله وفيه

مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ

الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعنى فليكتب تلك الكتابة لايعدل عنها للتوكيد وإن علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق ثم أمر بها مقيدة (وليملل الذى عليه الحق) ولا يكن المملى إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته فى ذمته وإقراره به والإملاء والإملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهى تملى عليه (ولا يبخس منه) من الحق (شيئا) والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد (سفيها) محجوراً عليه لتبذيره وجهله بالتصرف (أو ضعيفا) صبيا أو شيخا مختلا (أو لا يستطيع أن يمل هو) أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لعىّ به أو خرس (فليملل وليه) الذى يلى أمره من وصى إن كان سفيها أو صبيا أو وكيل إن كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله تعالى أن يمل هو فيه أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذى يترجم عنه (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين (من رجالكم) من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام عند عامة العلماء وعن على رضى الله عنه لاتجوز شهادة العبد فى شىء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتى أنها جائزة ويجوز عند أبى حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل (فإن لم يكونا) فإن لم يكن الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبى حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص (ممن ترضون) ممن تعرفون عدالتهم (أن تضلّ إحداهما) أن لاتهتدى إحداهما للشهادة بأن تنساها من ضلّ الطريق إذا لم يهتد له وانتصابه على أنه مفعول له أى إرادة أن تضل (فان قلت) كيف يكون ضلالها مرادا لله تعالى (قلت) لما كان الضلال سببا للإذكار والإذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار فكأنه قيل إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه وأعددت السلاح أن يجىء عدو فأدفعه * وقرئ (فتذكر) بالتخفيف والتشديد وهما لغتان فتذاكر وقرأ حمزة أن تضل إحداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ أن تضل إحداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا يعنى أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر (إذا مادعوا) ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف فى الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم أحد فنزلت * كنى بالسأم عن الكسل لأن الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لايقول المؤمن كسلت ويجوز أن يراد من كثرت مداينا ته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغير أو كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب * والضمير فى (تكتبوه) للدين أو الحق (صغيرا أو كبيرا) على أى حال كان الحق من صغر أو كبر ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن يكتبوه مختصرا أو مشبعا ولا يخلو بكتابته (إلى أجله) إلى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته (ذلكم) إشارة إلى أن تكتبوه لأنه فى معنى المصدر أى ذلكم الكتب (أقسط) أعدل من القسط (وأقوم للشهادة) وأعون على إقامة الشهادة (وأدنى ألا ترتابوا) وأقرب من انتفاء الريب (فان قلت) مم بنى أفعلا التفضيل أعنى أقسط وأقوم (قلت) يجوز على مذهب سيبويه أن يكونا مبنيين من أقسط

(قوله يطوف فى الحواء) فى الصحاح الحواء جماعة بيوت من الناس مجتمعة

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ

وأقام وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذى قسط وأقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا أن يكتبوه بالياء فيهما (فان قلت) مامعنى (تجارة حاضرة) وسواء كانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حاضرة ومامعنى إدارتها بينهم (قلت) أريد بالتجارة مايتجر فيه من الأبدال ومعنى إدارتها بينهم تعاطيهم إياها يدا بيد والمعنى إلا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لاتكتبوه لأنه لايتوهم فيه مايتوهم فى التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هى الناقصة على أن الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب

بنى أسد هل تعلمون بلاءنا ۞ إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

أى إذا كان اليوم يوما (وأشهدوا إذا تبايعتم) أمر بالإشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا لأنه أحوط وأبعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز أن يراد وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على أن الإشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن إن شاء أشهد وإن شاء لم يشهد وعن الضحاك هى عزيمة من الله ولو على باقة بقل (ولا يضار) يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارر بالإظهار والكسر وقراءة ابن عباس رضى الله عنه ولا يضارر بالإظهار والفتح والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى مايطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهى عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم ويلزم أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر (وإن تفعلوا) وإن تضاروا (فإنه) فإن الضرار (فسوق بكم) وقيل وإن تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه (على سفر) مسافرين ۞ وقرأ ابن عباس وأبى رضى الله عنهما كتابا وقال ابن عباس أرأيت إن وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ أبو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب (فرهن) فالذى يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان (فإن قلت) لم شرط السفر فى الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله

۞ قوله تعالى وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة (قال محمود رحمه الله إن قلت لم شرط السفر فى الارتهان ولا يختص به سفر الخ) قال أحمد رحمه الله فالتخصيص بالسفر على هذا جرى على وفق الغالب فلا مفهوم له وفى هذه الآية دليل بين لمذهب مالك رضى الله عنه فى إقامة الرهن عند التنازع فى قدر الدين مقام شاهد للمرتهن إلى تمام قيمته حتى لو تنازعا فقال الراهن رهنتكه بمائة وقال المرتهن بل الرهن بمائتين لكان الرهن شاهدا بقيمته خلافا للشافعى رضى الله عنه فإنه يرى القول قول الراهن مطلقا لأنه غارم ووجه الدليل لمالك رضى الله عنه من الآية أن الله تعالى جعل الرهن فى التوثق عوضا من الإشهاد والكتابة وخصه بالسفر لإعوازهما حينئذ ولو كان القول قول الراهن شرعا لم يكن قائما مقام الإشهاد ولامفيدا فائدته بوجه إذ لولم يكن الراهن لكان القول قول المديان فى قدر الدين فلم يزد وجود الرهن فائدة على عدمه باعتبار نيابته عن الأشهاد ولا يقال إن فائدته الامتياز به على الغرماء لأن تلك فائدة الإشهاد حتى يكون نائبا عنه عند تعذره ولا فائدة إذ ذاك إلا جعل القول قول المرتهن فى قدر الدين عند التخالف وهو مذهب مالك المقدم ذكره ومن ثم لم يجعله شاهدا إلا فى قيمته لا فيما زاد عليها معتضدا بالعادة فى أن رب الدين لايقبل فى دينه إلا الموفى بقيمته فدعواه أن الدين أكثر من القيمة مردودة بالعادة والمديان أيضا لايسمح بتسليم ماقيمته أكثر فيما هو أقل فدعواه أن الدين أقل من القيمة مردودة بالعادة ولايبقى إلا النظر فى أمر واحد وهو أن المعتبر عند مالك فى القيمة يوم الحكم حتى لو تصادقا على أن القيمة كانت يوم الرهن أكثر أو أقل لم يلتفت إلى ذلك زادت أو نقصت وإنما يعتبر يوم القضاء

(قوله على باقة بقل) حزمة منه أفاده الصحاح (قوله مؤنة مجيئه من بلد) لعله من بلد بعيد

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ

صلى الله عليه وسلم درعه فى غير سفر (قلت) ليس الغرض تجويز الارتهان فى السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك أنهما لم يجوزاه إلا فى حال السفر أخذاً بظاهر الآية * وأما القبض فلابد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالإيجاب والقبول بدون القبض (فإن أمن بعضكم بعضاً) فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرأ أبى فإن أومن أى آمنه الناس ووصفوا المديون بالأمانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله (فليؤد الذى اؤتمن أمانته) حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه وأن يؤدى إليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة أن تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال أو ياء فتقول الذى اؤتمن أو الذى تمن وعن عاصم أنه قرأ الذى اتمن بإدغام الياء فى التاء قياسا على اتسر فى الافتعال من اليسر وليس بصحيح لأن الياء منقلبة عن الهمزة فهى فى حكم الهمزة واتزر عامى وكذلك ريا فى رؤيا (آثم) خبر إن و (قلبه) رفع بآثم على الفاعلية كأنه قيل فإنه يأثم قلبه ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء

ولقائل أن يقول إذا جعلتم الرهن مقام الشاهد عند عدمه لأن العادة تقتضى أن الناس إنما يرهنون فى الديون المساوى قيمته لها فينبغى أن تعتبروا القيمة يوم الرهن غير معرجين على زيادتها ونقصانها يوم القضاء وعند ذلك يتجاذب أطراف الكلام فى أن المقتضى لإقامته مقام الشاهد هو المعنى المتقدم أو غيره وليس غرضنا إلا أن الآية ترشد إلى إقامته مقام الشهادة فى الجملة وأما تفاصيل المسألة فذلك من حظ الفقه (قال محمود وأما القبض فلابد من اعتباره الخ) قال أحمد رحمه الله ليس بين مالك والشافعى خلاف فى صحة الارتهان بالإيجاب والقبول دون القبض ولكنه عند مالك رضى الله عنه يصح بذلك ويلزم الراهن بالعقد تسليمه للمرتهن وعند الشافعى لا يلزم بالعقد ولكن للقبض عند مالك اعتبار فى الابتداء والدوام ولا يشترط الشافعى كثيراً من أحكامه عند مالك وذلك أنهما لو تقاررا على القبض ثم قام الغرماء انتفع بالرهن عند الشافعى وامتاز به ولم ينتفع به عند مالك وكان أسوة الغرماء فيه حتى ينضاف إلى الشهادة عليهما بالقبض معاينة البينة لذلك لأنه يتهمهما بالتواطئ على إسقاط حق الغرماء فلا يعتبر إقرارهما إلا بانضمام المعاينة فالقبض من هذا الوجه أدخل فى الاعتبار على رأى مالك منه على رأى الشافعى هذا فى الابتداء وأما فى الدوام فمالك رضى الله عنه يشترط بقاءه فى يد المرتهن حتى لو عاد إلى يد الراهن بأن أودعه المرتهن إياه أو أجره منه أو أعاره إياه إعارة مطلقة فقد خرج من الرهن ولو قام الغرماء وهو بيد الراهن بوجه من الوجوه المذكورة كان أسوة الغرماء فيه والشافعى رضى الله عنه لا يشترط دوام القبض على هذا الوجه بل الراهن عند الشافعى أن ينتفع بالرهن ولو كره المرتهن إذا لم يكن الانتفاع مضراً بالرهن كسكنى الدار واستخدام العبد وله أن يستوفى منافعه بنفسه على الصحيح عنده المنصوص عليه فى الأم ولا يؤثر ذلك فى الرهن بطلانا ولا خللا فقد علمت أن القبض أدخل فى الاعتبار على مذهب مالك ابتداء ودواما والآية تعضده فإن الرهن فى اللغة هو الدوام أنشد أبو على فالخبز واللحم لهم راهن * وقهوة راووقها ساكب

ولعل القائل باشتراط دوام الرهن فى يد المرتهن تمسك بما فى لفظ الرهن من اقتضاء الدوام وله فى ذلك متمسك وما طولت فى حكاية مذهب مالك فى القبض إلا لأن المفهوم من كلام الزمخشرى إطراح القبض عند مالك لأنه فهم من قول أصحابه إن القبض لا يشترط فى صحة الرهن ولا فى لزومه أنه غير معتبر عنده بالكلية والله أعلم

(قوله المديونين لحسن ظنه به) لعله مسموع شاذ والقياس المدينين وكذا المديون قياسه المدين

بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ

وآثم خبر مقدم والجملة خبر إن (فإن قلت) هلا اقتصر على قوله فإنه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هى الآثمة لا القلب وحده (قلت) كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان إثما مقترفا بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التى يعمل بها أبلغ ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد هذا مما أبصرته عينى ومما سمعته أذنى ومما عرفه قلبى ولأن القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التى إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الإثم فى أصل نفسه وملك أشرف مكان فيه ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهى لها كالأصول التى تتشعب منها ألا ترى أن أصل الحسنات والسيآت الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أكبر الكبائر الإشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرأ ابن أبى عبلة أثم قلبه أى جعله آثما (وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه) يعنى من السوء (يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما أظهر منه أو أضمره (ويعذب من يشاء) ممن استوجب العقوبة بالإصرار ولا يدخل فيما يخفيه الإنسان الوساوس وحديث النفس لأن ذلك مما ليس فى وسعه الخلو منه ولكن مااعتقده وعزم عليه وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه تلاها فقال لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لأبى عبدالرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ماوجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفاً على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب (فإن قلت) كيف يقرأ الجازم (قلت) يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء فى اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن أبى عمرو مخطئ مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية مايؤذن بجهل عظيم والسبب فى نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب فى قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو وقرأ الأعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا ۞ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لأن التفصيل أوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال كقولك ضربت زيداً رأسه وأحب زيدا عقله وهذا البدل واقع فى الأفعال وقوعه فى الأسماء لحاجة القبيلين إلى البيان (والمؤمنون) إن عطف على الرسول كان الضمير الذى التنوين نائب عنه فى كل راجعا إلى الرسول والمؤمنين أى كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وإن كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل فى آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه داخرين ۞ وقرأ ابن عباس وكتابه

۞ قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (قال محمود نقل عن ابن عباس أنه قرأ وكتابه الخ) قال أحمد وقد قال مالك إن التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور فإن التمر استرسل على الجنس لا بصيغة لفظية والتمور يرده إلى تخيل الوحدان ثم الاستغراق بعده

(قوله أى آمنه الناس) الظاهر أنه من الإفعال بالكسر لا من المفاعلة أى جعل الناس البعض وهو الداين بحيث يأمن البعض الآخر وهو المدين وذلك بأن وصفوا له المدين بالأمانة الخ فصار الدائن بحيث يأمن المدين (قوله أثم قلبه أى جعله آثما) يحتمل أنه بعد الهمزة من الأفعال وأنه بتشديد الثاء من التفعيل فليحرر (قوله حتى سمع نشيجه) فى الصحاح نشج الباكى ينشج نشجاً ونشيجاً إذا غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب (قوله ورسله من المذكورين) لعل قبله سقطا تقديره أى كل من المذكورين

رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۞ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

يريد القرآن أو الجنس وعنه الكتاب أكثر من الكتب (فإن قلت) كيف يكون الواحد أكثر من الجمع (قلت) لأنه إذا أريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة فى وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شىء. فأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع (لا نفرق) يقولون لا نفرق، وعن أبى عمرو يفرق بالياء على أن الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون و (أحد) فى معنى الجمع كقوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين (سمعنا) أجبنا (غفرانك) منصوب بإضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك أى نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون ۞ الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أى لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا إخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لأنه كان فى إمكان الإنسان وطاقته أن يصلى أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة وقرأ ابن أبى عبلة وسعها بالفتح (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها (فإن قلت) لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب (قلت) فى الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهى منجذبة إليه وأمارة به كانت فى تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك فى باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال ۞ أى لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطأ إن فرط منا (فإن قلت) النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما (قلت) ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والإغفال ألا ترى إلى قوله وما أنسانيه إلا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وإنما يوسوس فتكون وسوسته سبباً للتفريط الذى منه النسيان ولأنهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة إلا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كأنه قيل إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة إلا الخطأ والنسيان ويجوز أن يدعو الإنسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه ۞ والإصر العبء الذى يأصر حامله أى يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصاراً على الجمع وفى قراءة أبىّ ولا تحمل علينا بالتشديد (فإن قلت) أىّ فرق بين هذه التشديدة والتى فى ولا تحملنا (قلت) هذه للمبالغة فى حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد إلى مفعولين (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التى كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم فى المحافظة عليها

بصيغة الجمع وفى صيغة الجمع مضطرب وهذا الكلام من الإمام لو ظفر له بقول ابن عباس هذا لأشهر الفرضية فى الاستشهاد به على صحة مقالته هذه فلا نعيده ۞ قوله تعالى «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا» (قال محمود فإن قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما الخ) قال أحمد ولا ورود لهذا السؤال على قواعد أهل السنة لأنا نقول إنما ارتفعت المؤاخذة بهذين بالسمع كقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن أمتى الخطأ والنسيان» وإذا كان كذلك فلعل رفع المؤاخذة بهما كان إجابة لهذه الدعوة فقد نقل أن الله تعالى قال عند كل دعوة منها قد فعلت وإنما التزم الزمخشرى ورود السؤال على قواعد القدرية الذاهبين إلى استحالة المؤاخذة بالخطأ والنسيان عقلا لأنه من تكليف ما لا يطيق وهو مستحيل عندهم تفريعا على قاعدة التحسين والتقبيح وكلها قواعد باطلة ومذاهب ماحلة فالله تعالى يجعل لنا من إجابة هذه الدعوات أوفر نصيب ويلهمنا المعتقد الحق والقول المصيب إنه سميع مجيب وهو حسبنا ونعم الوكيل

سورة آل عمران : مدنية
وآياتها ٢٠٠ نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۞ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ

وقيل المراد به الشاقّ الذى لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا إصراً (مولانا) سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولى أمورنا (فانصرنا) فمن حق المولى أن ينصر عبيده أو فإن ذلك عادتك أو فإنّ ذلك من أمورنا التى عليك توليها وعن ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وعنه عليه السلام أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهنّ نبى قبلى وعنه عليه السلام أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفى سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل (فإن قلت) هل يجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة (قلت) لا بأس بذلك وقد جاء فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وخواتيم البقرة وعن علىّ رضى الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما أنه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذى لا إله غيره رمى الذى أنزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة وسورة المجادلة وإذا قيل قرأت البقرة لم يشكل أنّ المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم أنه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التى تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإنّ تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

﴿سورة آل عمران مدنية وهى مائتا آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ ميم حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام وأن يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهى قراءة عاصم وأما فتحها فهى حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف (فإن قلت) كيف جاز إلقاء حركتها عليها وهى همزة وصل لا تثبت فى درج الكلام فلا تثبت حركتها لأنّ ثبات حركتها كثباتها (قلت) هذا ليس بدرج لأنّ ميم فى حكم الوقف والسكون والهمزة فى حكم الثابت وإنما حذفت تخفيفا وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال (فإن قلت) هلا زعمت أنها حركة لالتقاء الساكنين (قلت) لأنّ التقاء الساكنين لا يبالى به فى باب الوقف وذلك قولك هذا إبراهيم وداود وإسحق ولو كان التقاء الساكنين فى حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان فى ألف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر (فإن قلت) إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين فى ميم لأنهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين فإذا جاء ساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا (قلت) الدليل على أنّ الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا أصيم ومديق فلما حركوا الدال علم أنّ حركتها هى حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين (فإن قلت) فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر (قلت) هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هى بمقولة ۞ و(التوراة والإنجيل) اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وأفعيل إنما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الإنجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لأنّ أفعيل بفتح

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۞ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ

الهمزة عديم فى أوزان العرب (فان قلت) لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل (قلت) لأنّ القرآن نزل منجما ونزل الكتابات جملة ۞ وقرأ الأعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب (هدى للناس) أى لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم ۞ (فإن قلت) ما المراد بالفرقان (قلت) جنس الكتب السماوية لأنّ كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب التى ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وأنزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه أو من هذه الكتب أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال «وآتينا داود زبورا» وهو ظاهر أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه وإظهار لفضله (بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (ذو انتقام) له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم (لا يخفى عليه شىء) فى العالم فعبر عنه بالسماء والأرض فهو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن وهو مجازيهم عليه (كيف يشاء) من الصور المختلفة المتفاوتة ۞ وقرأ طاوس تصوركم أى صوركم لنفسه ولتعبده كقولك أثلت مالا إذا جعلته أثلة أى أصلا وتأثلته إذا أثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم أنّ عيسى كان ربا كأنه نبه بكونه مصورا فى الرحم على أنه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله (محكمات) أحكمت عبارتها بأن

﴿القول فى سورة آل عمران﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدّقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان (قال محمود فإن قلت لم قيل فى القرآن نزل على صيغة فعل الخ) قال أحمد يريد لأن فعل صيغة مبالغة وتكثير فلما كان نزول القرآن منجما كان أكثر تنزيلا من غيره لتفرقه فى مرار عديدة فعبر عنه بصيغة مطابقة لكثرة تنزيلاته وعبر عن الكتابين بصيغة خلية عن المبالغة والتكثير والله أعلم (عاد كلامه) قال والفرقان يحتمل أن يراد به جميع الكتب السماوية لأنها تفرق بين الحق والباطل أو الكتب التى ذكرها أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما أفرده وأخر ذكره فى قوله وآتينا داود زبورا أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله والله أعلم ۞ قال أحمد وقد جعل الزمخشرى سر التعبير عن نزول القرآن بصيغة فعل تفريقه فى التنزيل كما تقدّم آنفا ثم حمل الفرقان على أحد تأويلاته على القرآن والتعبير عنه بأفعل كغيره فإن يكن هذا والله أعلم فالوجه أنه لما عبر أولا عن نزوله الخاص به أتى بعبارة مطابقة لقصد الخصوصية فلما جرى ذكره ثانيا لينعت بصفة زائدة على اسم الجنس عبر عن نزوله من حيث الإطلاق اكتفاء بتميزه أولا وإجمالا لذلك فى غير مقصوده ومن العبارة السائرة عن هذا المعنى الكلام يجمل فى غير مقصوده ويفصل فى مقصوده ۞ قوله تعالى إنّ الله عزيز ذو انتقام (قال محمود معناه له انتقام شديد الخ) قال أحمد وإنما يلقى هذا التفخيم من التنكير وهو من علاماته مثله فى قوله «فقل ربكم ذو رحمة واسعة» قوله تعالى منه آيات محكمات الآية (قال محمود المحكمات التى أحكمت عبارتها الخ) قال أحمد هذا كما قدمته عنه من تكلفه لتنزيل الآى على وفق ما يعتقده وأعوذ بالله من جعل القرآن تبعا للرأى أوذلك أنّ معتقده إحالة رؤية الله تعالى بناء على زعم القدرية من أن الرؤية تستلزم الجسمية والجهة فإذا ورد عليهم النص القاطع الدال على وقوع الرؤية كقوله إلى ربها ناظرة مالوا إلى جعله من المتشابه حتى يردّوه بزعمهم إلى الآية التى يدعون أنّ ظاهرها يوافق رأيهم والآية

وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا

حفظت من الاحتمال والاشتباه ٭ متشابهات مشتبهات محتملات (هن أم الكتاب) أى أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها ومثال ذلك لاتدركه الأبصار إلى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء أمرنا مترفيها (فان قلت) فهلا كان القرآن كله محكما (قلت) لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذى لايتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به ولما فى المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء وإتعابهم القرائح فى استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولأن المؤمن المعتقد أن لامناقضة فى كلام الله ولا اختلاف إذا رأى فيه مايتناقض فى ظاهره وأهمه طلب مايوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوة فى إيقانه (الذين فى قلوبهم زيغ) هم أهل البدع (فيتبعون ماتشابه منه) فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل مايذهب إليه المبتدع مما لايطابق المحكم ويحتمل مايطابقه من قول أهل الحق (ابتغاء الفتنة) طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وابتغاء تأويله) وطلب أن يأولوه التأويل الذى يشتهونه (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم) أى لايهتدى إلا تأويله الحق الذى يجب أى يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا فى العلم أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله إلا الله ويبتدئ والراسخون فى العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية

قوله تعالى «لاتدركه الأبصار» وغرضنا الآن بيان وجوب الجمع بين الآيتين على الوجه الحق فنقول محمل قوله لاتدركه الأبصار فى دار الدنيا ومحمل الرؤية على الدار الآخرة جمعا بين الأدلة أو نقول الأبصار وإن كانت ظاهرة العموم إلا أن المراد بها الخصوص أى لاتدركه أبصار الكفار كقوله «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» أو نقول لاتعارض بين الآيتين فتقر كل واحدة منهما فى نصابها وبيان ذلك أن الأبصار عام بالألف واللام الجنسيتين ولا يتم غرض القدرية على زعمهم إلا بالموافقة على عمومها وحينئذ يكون فى العموم مرادفة لدخول كل لأن كليهما أعنى المعرف والجنسى وكلا يفيد الشمول والإحاطة وإذا أثبت ذلك فالسلب داخل على الكلية والقواعد مستقرة على أن سلب الكلية جزئى لغة وتعقلا ألا ترى أن القائل إذا قال لاتنفق كل الدراهم كان المفهوم من ذلك الإذن فى إنفاق البعض والنهى عن إنفاق البعض ومن حيث المعقول أن الكلية تسلب بسلب بعض الأفراد ولو واحدا وحينئذ يكون مقتضى الآية سلب الرؤية عن بعض الأبصار وثبوتها لبعض الأبصار وهذا عين مذهب أهل السنة لأنهم يثبتونها للموحدين ويسلبونها عن الكفار كما أنبأ عنه قوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقد ثبت أن هذه الآية إما محمولة على إثبات الرؤية وإما باقية على ظاهرها دليلا على ثبوتها على وفق السنة ٭ ولا يقال قد ثبت الفرق بين دخول كل على المعرف تعريف الجنس وبين عدم دخولها ألا ترى أنهم يقولون إن قولنا الإنسان كاتب مهمل فى قوة الجزئى وأن قولنا كل إنسان حيوان كلى لاجزئى ٭ لأنا نقول إنما جارتنا القدرية على مايلزمهم الموافقة فيه وهم قد وافقوا على تناول الأبصار لكل واحد واحد من أفراد الجنس ولولا ذلك لما تم لهم مرام ولكفونا مؤنة البحث فى ذلك وهذا القدر من الكلية المتفق عليها بين الفريقين لايثبت لما سماه أهل ذلك الفن مهملا بل هذا هو الكلى عندهم والله الموفق وأما الآيتان الأخريان اللتان إحداهما قوله تعالى «إن الله لايأمر بالفحشاء» والأخرى التى هى قوله تعالى «أمرنا مترفيها ففسقوا فيها» فلا ينازع الزمخشرى فى تمثيل المحكم والمتشابه بهما ٭ قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم (قال محمود معناه لايهتدى إلى تأويله الخ) قال أحمد رحمه الله وقوله لايهتدى إليه إلا الله عبارة قلقة ولم يرد إطلاق الاهتداء على علم الله تعالى مع أن فى هذه اللفظة إيهاما ما إذ الاهتداء لايكون فى الإطلاق إلا عن جهل وضلال جل الله وعز حتى أن الكافر إذا أسلم أطلق أهل العرف عليه فلان المهتدى ذلك مقتضى اللغة فيه فإنه مطاوع هدى يقال هديته فاهتدى الإجماع منعقد

الألبٰب * ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب * ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد * إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموٰلهم ولا أولٰدهم من الله شيئا وأولٰئك هم وقود النار * كدأب ءال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بأيٰتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب * قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد * قد كان لكم

ونحوه والأول هو الوجه * ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل (يقولون آمنا به) أى بالمتشابه (كل من عند ربنا) أى كلّ واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذى لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه (وما يذكر إلا أولو الألباب) مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز أن يكون يقولون حالا من الراسخين * وقرأ عبد الله إن تأويله إلا عند الله * وقرأ أبىّ ويقول الراسخون (لا تزغ قلوبنا) لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا (بعد إذ هديتنا) وأرشدتنا لدينك أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا (من لدنك رحمة) من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب (جامع الناس ليوم) أى تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع * وقرئ جامع الناس على الأصل (إنّ الله لا يخلف الميعاد) معناه أنّ الإلهية تنافى خلف الميعاد كقولك إنّ الجواد لا يخيب سائله * والميعاد الموعد * قرأ على رضى الله عنه لن تغنى بسكون الياء وهذا من الجد فى استثقال الحركة على حروف اللين * من فى قوله (من الله) مثله فى قوله وإنّ الظنّ لا يغنى من الحق شيئا والمعنى لن تغنى عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله (شيئا) أى بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك أى بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفى معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى * وقرئ وقود بالضم بمعنى أهل وقودها * والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير * الدأب مصدر دأب فى العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغنى أو بالوقود أى لن تغنى عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم تقول إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم وإنّ فلانا لمحارف كدأب أبيه تريد كما حورف أبوه (كذبوا بآياتنا) تفسير لدأبهم ما فعلوا وفعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم (قل للذين كفروا) هم مشركو مكة (ستغلبون) يعنى يوم بدر وقيل هم اليهود ولما غلب رسول الله

على أنّ ما لم يرد إطلاقه وكان موهما لا يجوز إطلاقه على الله عزّ وجلّ ولذا أنكر على القاضى إطلاقه المعرفة على علم الله تعالى حيث حدّ مطلق العلم بأنه معرفة المعلوم على ما هو عليه فلأن ينكر على الزمخشرى إطلاق الاهتداء على علم الله تعالى أجدر وما أراها صدرت منه إلا وهما حيث أضاف العلم إلى الله تعالى وإلى الراسخين فى العلم فأطلق الاهتداء على الراسخين أو غفل عن كونه ذكرهم مضافين إلى الله تعالى فى الفعل المذكور والله أعلم * قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا (قال محمود معناه ربنا لا تبتلنا ببلايا الخ) قال أحمد أمّا أهل السنة فيدعون الله بهذه الدعوة غير محرفة لأنهم يوحدون حق التوحيد فيعتقدون أنّ كلّ حادث من هدى وزيغ مخلوق لله تعالى وأمّا القدرية فعندهم أنّ الزيغ لا يخلقه الله تعالى وإنما يخلقه العبد لنفسه فلا يدعون الله تعالى بهذه الدعوة إلا محرفة إلى غير

﴿سورة آل عمران﴾

(قوله وإنّ فلانا لمحارف كدأب أبيه) فى الصحاح رجل محارف بفتح الراء أى محدود محروم وهو خلاف قولك مبارك

ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن

صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هـذا والله النبىّ الأمىّ الذى بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظر إلى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر فى سوق بنى قينقاع فقال يامعشر اليهود احذروا مثل مانزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم مانزل بهم فقد عرفتم أنى نبى مرسل فقالوا لايغرّنك أنك لقيت قوماً أغماراً لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله تعالى «قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم» على قل لهم قولى لك سيغلبون (فإن قلت) أى فرق بين القراءتين من حيث المعنى (قلت) معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجرى عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم فهو إخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذى يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكى لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه كأنه قال أدّ إليهم هـذا القول الذى هو قولى لك سيغلبون ويحشرون (قد كان لكم آية) الخطاب لمشركى قريش (فى فئتين التقتا) يوم بدر (يرونهم مثليهم) يرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين قريباً من ألفين أو مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفاً وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مدداً لهم من الله كما أمدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء أى ترون يامشركى قريش المسلمين مثلى فئتكم الكافرة أو مثلى أنفسهم (فإن قلت) فهذا مناقض لقوله فى سورة الأنفال ويقللكم فى أعينهم (قلت) قللوا أولا فى أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا فى أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى «فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولا جانّ» وقوله تعالى وقفوهم إنهم مسؤلون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى فى أعينهم أبلغ فى القدرة وإظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين على ماقرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين فى قوله تعالى «فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين» بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة فى قوله تعالى «إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين» ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لأنه قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم وقراءة نافع لاتساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء أى يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص أو على الحال من الضمير فى التقتا (رأى العين) يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لالبس فيها معاينة كسائر المعاينات (والله يؤيد بنصره) كما أيد أهل بدر

المراد بها كما أولها المصنف به وإن كنا ندعو الله تعالى مضافا إلى هذه الدعوة بأن لايبتينا ولا يمنعنا لطفه آمين لأن الكل فعله وخلقه ولا موجود إلا هو وأفعاله التى نحن وأفعالنا منها * قوله تعالى يرونهم مثليهم رأى العين (قال محمود معناه يرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين الخ) قال أحمد وكذلك آيات الشفاعة المقدمة على رأى أهل السنة (عاد كلامه) قال وقيل يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين الخ * قال أحمد إنما قال ذلك لأن الخطاب على قراءة نافع يكون للمسلمين أى ترونهم يامسلمون ويكون ضمير المثلين أيضاً للمسلمين وقد جاء على لفظ الغيبة فيلزم الخروج فى جملة واحدة من الحضور إلى الغيبة والالتفات وإن كان سائغا فصيحاً إلا أنه إنما يأتى فى الأغلب فى جملتين وقد جاء ههنا الكلام جملة واحدة لأن مثليهم مفعول ثان للرؤية ولو قال القائل ظننتك يقوم على لفظ الغيبة بعد الخطاب لم يكن بذاك فهذا هو الوجه الذى باعد الزمخشرى به بين قراءة نافع وبين هذا التأويل إلا أنه يلزم مثله على أحد وجهيه المتقدمين آنفا لأنه قال معناه على قراءة نافع ترون يامشركون المسلمين مثلى عددهم أو مثلى فئتكم الكافرة فعلى هذا الوجه الثانى

(قوله ولذلك وصف ضعفهم) لعل هذا فى قوله تعالى «وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا» أى وصف ضعف المسلمين وهو الستمائة بالقلة مع أن ضعف الشىء أكثر منه فتدبر

يَشَآءُ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِى الْأَبْصَـٰرِ ۝ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوٰتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَـٰطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَـٰمِ وَالْحَرْثِ ذٰلِكَ مَتَـٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ الْمَـَٔابِ ۝ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ

بتكثيرهم فى عين العدو (زين للناس) المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله «إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم» ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لأنا لا نعلم أحداً أذم لها من خالقها (حب الشهوات) جعل الأعيان التى ذكرها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال «زين للناس حب الشهوات» ثم جاء بالتفسير ليقرر أولا فى النفوس أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الأجناس فيكون أقوى لتخسيسها وأدل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله ۝ والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة ألف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا و(المقنطرة) مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة و(المسومة) المعلمة من السومة وهى العلامة أو المطهمة أو المرعية من أسام الدابة وسومها و(الأنعام) الأزواج الثمانية (ذلك) المذكور (متاع الحياة) ۝ (الذين اتقوا عند ربهم جنات) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل أدلك على رجل عالم عندى رجل من صفته كيت وكيت ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لأنهم هم المنتفعون به ۝ وترتفع (جنات) على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (والله بصير بالعباد) يثيب ويعاقب على الاستحقاق أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذلك أعد لهم الجنات (الذين يقولون) نصب على المدح أو رفع ويجوز الجر صفة للمتقين أو للعباد . والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم فى كل واحدة منها وقد مر الكلام فى ذلك ۝ وخص الأسحار لأنهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» وعن الحسن كانوا يصلون فى أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا فى الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم ۝ شهدت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التى لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد

يلزم الخروج من الخطاب إلى الغيبة فى الجملة بعينها كما ألزمه هو على ذلك الوجه والله أعلم ۝ قوله تعالى «زين للناس حب الشهوات» الآية (قال محمود المزين هو الله تعالى الخ) قال أحمد التزيين للشهوات يطلق ويراد به خلق حبها فى القلوب وهو بهذا المعنى مضاف إلى الله تعالى حقيقة لأنه لا خالق إلا هو خالق كل شىء من جوهر ومن عرض قائم بالجوهر حب أو غيره محمود فى الشرع أولا ويطلق التزيين ويراد به الحض على تعاطى الشهوات والأمر بها فهو بهذا الاعتبار لا يضاف إلى الله تعالى منه إلا الحض على بعض الشهوات المنصوص عليها شرعا كالنكاح المقترن بقصد التناسل واتباع السنة فيه وما يجرى مجراه وأما الشهوات المحظورة فتزيينها بهذا المعنى الثانى مضاف إلى الشيطان تنزيلا لوسوسته وتحسينه منزلة الأمر بها والحض على تعاطيها وكلام الحسن رضى الله عنه محمول على التزيين بالمعنى الثانى لا بالمعنى الأول فإنه يحاشا أن ينسب خلق الله إلى غير الله وإنما الزمخشرى كثيراً ما يورد أمثال هذه العبارة الملتبسة تنزيلا لها على قواعد القدرية الفاسدة فتفطن لها وبرئ قائلها من السلف الصالح عما يزعم الزمخشرى النقل عنه والله الموفق (عاد كلامه) قال جعل الأعيان التى ذكرها شهوات الخ ۝ قال أحمد يريد إلحاقها بباب رجل صوم وفطر مما يوضع فيه المعنى موضع الاسم مبالغة

(قوله أو المطهمة أو المرعية) عبارة أبى السعود أو المطهمة التامة الخلق اه وفى الفخر قال القفال المطهمة المرأة الجميلة المرتبة اه

وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ

كسورة الاخلاص وآية الكرسى وغيرهما بشهادة الشاهد فى البيان والكشف وكذلك إقرار الملائكة أولى العلم بذلك واحتجاجهم عليه (قائما بالقسط) مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب ومايأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيمابينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا (فإن قلت) لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءنى زيد وعمرو راكبا لم يجز (قلت) إنما جاز هذا لعدم الإلباس كما جاز فى قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة أن تنصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءنى زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح (فإن قلت) أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد إنا معشر الأنبياء لانورث إنا بنى نهشل لاندعى لأب (قلت) قدجاء نكرة كما جاء معرفة وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلى : ويأوى إلى نسوة عطل ۝ وشعثاً مراضيع مثل السعالى
(فإن قلت) هل يجوز أن يكون صفة للمنفى كأنه قيل لاإله قائما بالقسط إلا هو (قلت) لايبعد فقد رأيناهم يتسعون فى الفصل بين الصفة والموصوف (فإن قلت) قدجعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح أن ينتصب حالا عن هو فى لاإله إلا هو (قلت) نعم لأنها حال مؤكدة والحال المؤكدة لاتستدعى أن يكون فى الجملة التى هى زيادة فى فائدتها عامل فيها كقولك أنا عبدالله شجاعا وكذلك لو قلت لارجل إلا عبدالله شجاعا وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح (فإن قلت) هل دخل قيامه بالقسط فى حكم شهادة الله والملائكة وأولى العلم كما دخلت الوحدانية (قلت) نعم إذا جعلته حالا من هو أو نصباً على المدح منه أو صفة للمنفى كأنه قيل شهد الله والملائكة وأولوا العلم أنه لاإله إلا هو وأنه قائم بالقسط وقرأ عبدالله القائم بالقسط على أنه بدل من هو أو خبر مبتدإ محذوف وقرأ أبو حنيفة قيما بالقسط (العزيز الحكيم) صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعنى أنه العزيز الذى لايغالبه إله آخر ، الحكيم الذى لايعدل عن العدل فى أفعاله (فإن قلت) ما المراد بأولى العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة فى الشهادة على وحدانيته وعدله (قلت) هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد ۝ وقرئ أنه بالفتح و إن الدين بالكسر على أن الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه أو بأنه وقوله (إن الدين عندالله الإسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى (فإن قلت) مافائدة هذا التوكيد (قلت) فائدته أن قوله لاإله إلا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فإذا أردفه قوله إن الدين عندالله الإسلام فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عندالله وماعداه فليس عنده فى شىء من الدين وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو مايؤدى إليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلى الجبر الذى هو محض الجور لم يكن على دين الله الذى هو الإسلام وهذا بين جلى كما ترى وقرئا مفتوحين على أن الثانى بدل من الأول كأنه قيل شهد الله أن الدين عندالله الإسلام والبدل هو المبدل منه فى المعنى فكان بيانا صريحاً لأن دين الله هو التوحيد والعدل

(قوله والبراهين القاطعة وهم علماء العدل) تلميح بالمعتزلة حيث سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد لكن الإنصاف التعميم حتى يشمل أهل السنة والجماعة (قوله فقد آذن أن الإسلام هو العدل) تعسف لايقتضيه النظم الكريم لكن دعى إليه التعصب وقوله وفيه أن من ذهب الخ تورك على أهل السنة مبنى على ذلك وتحقيقه فى علم التوحيد وبالجملة فالعدل والتوحيد لم ينحصرا فى مذهب المعتزلة (قوله وقرئا مفتوحتين على أن الثانى) الضمير عائد إلى قوله تعالى أنه لاإله إلا هو وقوله إن الدين اهـ

أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ فَإِنْ

وقرئ الأول بالكسر والثانى بالفتح على أن الفعل واقع على أن وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا أيضا شاهد على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبدالله أن لا إله إلا هو وقرأ أبى إن الدين عندالله الإسلام وهى مقوية لقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية وقرئ شهداء الله بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء الله (فإن قلت) فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة وأولو العلم (قلت) على الضمير فى شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما ۞ (فإن قلت) لم كرر قوله لا إله إلا هو (قلت) ذكره أولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ماقرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالأمرين كأنه قال لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل (الذين أوتوا الكتاب) أهل الكتاب من اليهود والنصارى ۞ واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل (من بعد ما جاءهم العلم) أنه الحق الذى لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لأنهم أميون ونحن أهل كتاب وهذا تجوير لله (بغيا بينهم) أى ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب إلا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤن أعقابهم لا شبهة فى الإسلام وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هو اختلافهم فى الإيمان بالأنبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم أن موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بنى إسرائيل وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم فى أمر عيسى بعد ما جاءهم

۞ قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو إلى قوله إن الدين عند الله الإسلام (قال محمود رحمه الله إن قلت ما فائدة تكرار لا إله إلا هو الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا التكرار لما قدمته فى نظيره مما صدر الكلام به إذا طال عهده وذلك أن الكلام مصدر بالتوحيد ثم أعقب التوحيد تعداد الشاهدين به ثم قوله قائما بالقسط وهو التنزيه فطال الكلام بذلك فجدد التوحيد تلو التنزيه ليلى قوله إن الدين عند الله الإسلام ولولا هذا التجديد لكان التوحيد المتقدم كالمنقطع فى الفهم مما أريد إيصاله به والله أعلم قال وفيه أن من ذهب إلى تشبيه الخ ۞ قال أحمد هذ تعريض بخروج أهل السنة من ربقة الإسلام بل تصريح وما ينقم منهم إلا أن صدقوا وعد الله عباده المكرمين على لسان نبيهم الكريم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بأنهم يرون ربهم كالقمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته ولأنهم وحدوا الله حق توحيده فشهدوا أن لا إله إلا هو ولا خالق لهم ولأفعالهم إلا هو واقتصروا على أن نسبوا لأنفسهم قدر تقارن فعلهم لا خالق لها ولا تأثير غير التمييز بين أفعالهم الاختيارية والاضطرارية وتلك المعبر عنها شرعا بالكسب فى مثل قوله تعالى بما كسبت أيديكم هذا إيمان القوم وتوحيدهم لا كقوم يغيرون فى وجه النصوص فيجحدون الرؤية التى يظهر أن جحدهم لها سبب فى حرمانهم إياها ويجعلون أنفسهم الخسيسة شريكة لله فى مخلوقاته فيزعمون أنهم يخلقون لأنفسهم ماشاؤا من الأفعال على خلاف مشيئة ربهم محادة ومعاندة لله فى ملكه ثم بعد ذلك يتسترون بتسمية أنفسهم أهل العدل والتوحيد والله أعلم بمن اتقى والجبر خير من إشراك إن كان أهل السنة مجبرة فأنا أول المجبرين ولو نظرت أيها الزمخشرى بعين الإنصاف إلى جهالة القدرية وضلالها لا نبعثت إلى حدائق السنة وظلالها ولخرجت عن مزالق البدع ومزالها ولكن كره الله انبعاثهم ولعلمت أى الفريقين احق بالأمن وأولى بالدخول فى أولى العلم المقرونين فى التوحيد بالملائكة

(قوله واقع على إن وما بينهما) أى على إن الدين الخ (قوله تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل) مبنى على ماقاله آنفا

حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ

العلم أنه عبد الله ورسوله (فإن حاجوك) فإن جادلوك فى الدين (فقل أسلمت وجهى لله) أى أخلصت نفسى وجملتى لله وحده لم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعوه إلها معه يعنى أنّ دينى التوحيد وهو الدين القديم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وماجئت بشىء بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيأ فهو دفع للمحاجة بأنّ ماهو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذى لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت وحسن للفاصل ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والأميين) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) يعنى أنه قد أتاكم من البينات مايوجب الإسلام ويقتضى حصوله لامحالة فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا إلاسلكته هل فهمتها لاأم لك ومنه قوله عزّ وعلا فهل أنتم منتهون بعدما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفى هذا الاستفهام استقصار وتعبير بالمعاندة وقلة الإنصاف لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق وللمعاند بعد تجلى الحجة مايضرب أسدادا بينه وبين الإذعان وكذلك فى هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفى فهل أنتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطى المنهى عنه (فإن أسلموا فقد اهتدوا) فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور (وإن تولوا) لم يضروك فإنك رسول منبه عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى ۞ قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ أبىّ يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله وعن أبى عبيدة بن الجراح قلت يارسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال ياأبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار (فى الدنيا والآخرة) لأنّ لهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ۞ (فإن قلت) لم دخلت الفاء فى خبر إن (قلت) لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وإن لاتغير معنى الابتداء فكأن دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت أو لعلّ لامتنع إدخال الفاء لتغير معنى الابتداء (أوتوا نصيبا من الكتاب) يريد أحبار اليهود وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن إما للتبعيض وإما للبيان أو حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهى نصيب عظيم (يدعون إلى كتاب الله) وهو التوراة (ليحكم بينهم) وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم فقال لهم

المشرفين بعطفهم على اسم الله عزّ وجلّ اللهم ألهمنا على اقتفاء السنة شكرك ولا تؤمنا مكرك إنه لا يأمن من مكر الله

(قوله وفى هذا الاستفهام استقصار) أى عدالمخاطب قاصرا (قوله يضرب إسداد بينه وبين الإذعان) لعله إسدادا أى حجبا

فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ

نعيم بن عمر والحرث بن زيد على أى دين أنت قال على ملة إبراهيم قالا إنّ إبراهيم كان يهوديا قال لهما إنّ بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فأبيا وقيل نزلت فى الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لأنهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب (وهم معرضون) وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه أن يراد ماوقع من الاختلاف والتعادى بين من أسلم من أحبارهم وبين من لم يسلم وأنهم دعوا إلى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم فى صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك أنّ قوله ليحكم بينهم يقتضى أن يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذلك) التولى والاعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم فى الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) من أنّ آباءهم الأنبياء يشفعون لهم كما غرت أولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كبائرهم (فكيف إذا جمعناهم) فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم فى دفعه والخلاص منه وأن ماحدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروى إنّ أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار (وهم لا يظلمون) يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه فى معنى كل الناس كما تقول ثلاثة أنفس تريد ثلاثة أناسى ۝ الميم فى (اللهم) عوض من ياولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء فى القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته فى ياالله وبغير ذلك (مالك الملك) أى تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون (تؤتى الملك من تشاء) تعطى من تشاء النصيب الذى قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء) النصيب الذى أعطيته منه فالملك الأول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك وروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق

إلا القوم الخاسرون فليس ينجى من الخوف إلا الخوف والله ولى التوفيق ۝ قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون (قال محمود ذلك التولى والإعراض بسبب طمعهم فى الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت الحشوية والجبرة وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) قال أحمد رحمه الله هذا أيضا تعريض بأهل السنة فى اعتقادهم تفويض العفو عن كبائر المؤمن الموحد إلى مشيئة الله تعالى وإن مات مصرا عليها إيمانا بقوله تعالى «إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» وتصديقا بالشفاعة لأهل الكبائر وينقم عليهم ذلك حتى يجعلهم أصلا يقيس عليهم اليهود القائلين لن تمسنا النار إلا أياما معدودات فانظر اليه كيف أشحن قلبه بغضا لأهل السنة وشقاقا وكيف ملأ الأرض من هذه النزغات نفاقا فالحمد لله الذى أهل عبيده الفقير إلى التورك عليه لأن آخذ من أهل البدعة بثأر السنة فأصمى أفئدتهم من قواطع البراهين بمقومات الأسنة

(قوله كما طمعت الجبرة والحشوية) تورك على أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنّ من دخل النار من أهل الكبائر المؤمنين يخرج بالشفاعة أو يعفو الله كما نطقت به الأحاديث (قوله فكيف يصنعون فكيف تكون) لعله أو فكيف

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٭ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٭ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٭ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال أضاءت لى منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لى منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لى قصور صنعاء وأخبرنى جبريل عليه السلام أن أمتى ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت ٭ (فإن قلت) كيف قال (بيدك الخير) فذكر الخير دون الشر (قلت) لأن الكلام إنما وقع فى الخير الذى يسوقه إلى المؤمنين وهو الذى أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه ٭ ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى إخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فإن العباد أطاعونى جعلتهم لهم رحمة وإن العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلىّ أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم ٭ نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التى يتصادق بها ويتعاشروا وقد كرر ذلك فى القرآن ومن يتولهم منكم فإنه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان (من دون المؤمنين) يعنى أن لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء) ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله فى شىء يقع عليه اسم الولاية يعنى أنه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فإن موالاة الولىّ وموالاة عدوه متنافيان قال

تودّ عدوى ثم تزعم أننى ٭ صديقك ليس النوك عنك بعازب

(إلا أن تتقوا منهم تقاة) إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه ٭ وقرئ تقية قيل للمتقى تقاة وتقية كقولهم ضرب الأمير لمضروبه رخص لهم فى موالاتهم إذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا (ويحذركم الله نفسه) فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته (إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه) من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله (يعلمه) ولم يخف عليه وهو الذى (يعلم ما فى السموات وما فى الأرض) لا يخفى عليه منه شىء

(قوله ليس النوك عنك بعازب) أى الحمق

قَدِيرٌ ۞ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۞ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير) فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لأن نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتى لاتختص بمعلوم دون معلوم فهى متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لاتختص بمقدور دون مقدور فهى قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لامحالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ فى أمره واتقى كل مايتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم أن العالم الذات الذى يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك (يوم تجد) منصوب بتود ۞ والضمير فى بينه لليوم أى يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمداً بعيداً ويجوز أن ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ماعملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أى والذى عملته من سوء تود هى لو تباعد مابينها وبينه ولايصح أن تكون ماشرطية لارتفاع تود (فإن قلت) فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبدالله ودت (قلت) لا كلام فى صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع فى المعنى لأنه حكاية الكائن فى ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف وماعملت على ماعملت ويكون تود حالا أى يوم تجد عملها محضراً وادة تباعد مابينها وبين اليوم أو عمل السوء محضراً كقوله تعالى ووجدوا ماعملوا حاضراً يعنى مكتوبا فى صحفهم يقرؤنه ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ۞ والأمد المسافة كقوله تعالى ياليت بينى وبينك بعد المشرقين ۞ وكرر قوله (ويحذركم الله نفسه) ليكون على بال منهم لايغفلون عنه (والله رؤف بالعباد) يعنى أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذوراً لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ۞ محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة (فاتبعونى) حتى يصح ماتدعونه من إرادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلاتشك فى أنه لايعرف ما الله ولا يدرى مامحبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصور فى نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المنى قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة على حواليه قد ملؤا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله ۞ وقرئ تحبون ويحببكم ويحبكم من حبه يحبه قال

أحب أبا ثروان من حب تمره ۞ وأعلم أن الرفق بالجار أرفق
ووالله لولا تمره ما حببته ۞ ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

(قوله فما بال من علم أن العالم الذات) من إضافة الوصف إلى مرفوعه كالحسن الوجه يعنى أن علمه بذاته لا بعلم زائد على ذاته كعلم الحوادث وهذا عند المعتزلة (قوله ويقع على ما عملت وحده) أى يقع فعل الوجدان على ما عملت من خير وحده (قوله وينعر ويصعق) فى الصحاح النعرة صوت فى الخيشوم ويقال ما كانت فتنة إلا نعر فيها فلان أى نهض

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي

(فإن تولوا) يحتمل أن يكون ماضيا وأن يكون مضارعا بمعنى فإن تتولوا ويدخل فى جملة ما يقول الرسول لهم (آل إبراهيم) إسمعيل وإسحق وأولادهما و (آل عمران) موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة و (ذرّية) بدل من آل إبراهيم وآل عمران (بعضها من بعض) يعنى أنّ الآلين ذرّية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من إسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن إيشا بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق وقد دخل فى آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض فى الدين كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء أو يعلم أنّ بعضهم من بعض فى الدين أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها و (إذ) منصوب به وقيل بإضمار اذكر ۞ وامرأة عمران هى امرأة عمران بن ماثان أمّ مريم البتول جدّة عيسى عليه السلام وهى حنة بنت فاقوذ وقوله (إذ قالت امرأت عمران) على أثر قوله وآل عمران مما يرجح أنّ عمران هو عمران بن ماثان جدّ عيسى والقول الآخر يرجحه أنّ موسى يقرن بإبراهيم كثيراً فى الذكر (فإن قلت) كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما أدراك أنّ عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبى مريم التى هى أخت موسى وهرون (قلت) كفى بكفالة زكريا دليلا على أنه عمران أبو البتول لأنّ زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا فى عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته إيشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابنى خالة ۞ روى أنها كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت فبينا هى فى ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم إنّ لك علىّ نذرا شكرا إن رزقتنى ولدا أن أتصدّق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهى حامل (محرّرا) معتقا لخدمة بيت المقدس لا يدلى عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشىء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروى أنهم كانوا ينذرون هذا النذر فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وبين أن لا يفعل وعن الشعبى محرّرا مخلصا للعبادة وما كان التحرير إلا للغلمان وإنما بنت الأمر على التقدير أو طلبت أن ترزق ذكرا (فلما وضعتها) الضمير لما فى بطنى وإنما

▪ قوله تعالى إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين (قال محمود رحمه الله آل عمران موسى وهرون الخ) قال أحمد رحمه الله ومما يرجح هذا القول الثانى أنّ السورة تسمى آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم فى سورة أبسط من شرحها فى هذه السورة وأما موسى وهارون فلم يذكر من قصتهما فى هذه السورة فدلّ ذلك على أنّ عمران المذكور ههنا هو أبو مريم والله أعلم ۞ قوله تعالى إذ قالت امرأة عمران إلى قوله فلما وضعتها (قال محمود الضمير عائد إلى ما فى بطنى الخ) قال أحمد الضمير فى قوله وضعتها يتناول إذا ما ناسب إليها الوضع والأنوثة فالحال واقعة عليها من حيث الجهة العامة وتلك الجهة كونها شيئا وضع لا لخصوص نسبة الأنوثة إليها وقد مرّ هذا البحث بعينه عند قوله تعالى فإن لم يكونا رجلين (عاد كلامه) قال وإنما أرادت بقولها وضعتها أنثى التحسر والتأسف الخ ▪ قال أحمد هذا التأويل

(قوله ابن ماثان بن سليمان بن داود) قوله ابن سليمان أى من نسله وقوله ابن يهوذا أى من نسله كما صرّح به الفخر الرازى وذكر أبو السعود بين ماثان وسليمان نحو خمسة عشر جداً وبين إيشا ويهوذا تسعة جدود

وَضَعَتْهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ

أنث على المعنى لأن ما فى بطنها كان أنثى فى علم الله أو على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة ﴿فإن قلت﴾ كيف جاز انتصاب (أنثى) حالا من الضمير فى وضعتها وهو كقولك وضعت الأنثى أنثى (قلت) الأصل وضعته أنثى وإنما أنث لتأنيث الحال لأن الحال وذا الحال لشىء واحد كما أنث الاسم فى ما كانت أمك لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فإن كانتا اثنتين وأما على تأويل الحبلة أو النسمة فهو ظاهر كأنه قيل إنى وضعت الحبلة أو النسمة أنثى (فإن قلت) فلم قالت إنى وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول (قلت) قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً ولذلك نذرته محررا للسدانة ﴿ ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى (والله أعلم بما وضعت) تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله أعلم بالشىء الذى وضعت وما علق به من عظائم الأمور وأن يجعله وولده آية للعالمين وهى جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفى قراءة ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله تعالى لها أى أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلوّ قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعلّ لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعلّ هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها ﴿ (فإن قلت) فما معنى قوله (وليس الذكر كالأنثى) (قلت) هو بيان لما فى قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت لها واللام فيهما للعهد ﴿ (فإن قلت) علام عطف قوله (وإنى سميتها مريم) (قلت) هو عطف على إنى وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم (فإن قلت) فلم ذكرت تسميتها مريم لربها (قلت) لأن مريم فى لغتهم بمعنى العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها فالله أعلم بصحته فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان فى إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين وكذلك كل من كان فى صفتهما كقوله تعالى لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومى

على أنه من كلام الله تعالى لا حكاية عنها وقد ذكر أهل التفسير تأويلا آخر وهو أن يكون هذا القول قولها حكاه الله تعالى عنها أعنى قوله وليس الذكر كالأنثى ويرشد إليه عطف كلامها عليه وهو قوله وإنى سميتها مريم الخ ويوردون على هذا الوجه أن قياس كونه من قولها أن يكون وليست الأنثى كالذكر فإن مقصودها تنقيص الأنثى بالنسبة إلى الذكر والعادة فى مثله أن ينفى عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس وقد وجد الأمر فى ذلك مختلفا فلم يثبت لى عين ما قالوه ألا ترى إلى قوله تعالى لستن كأحد من النساء فنفى عن الكامل شبه الناقص مع أن الكمال لأزواج النبى عليه الصلاة والسلام ثابت بالنسبة إلى عموم النساء وعلى ذلك جاءت عبارة امرأة عمران والله أعلم ومنه أيضا أفمن يخلق كمن لا يخلق (عاد كلامه) قال وفائدة قولها وإنى سميتها مريم أن مريم فى لغتهم العابدة الخ (قال أحمد) أما الحديث فمذكور فى الصحاح متفق على صحته فلا محيص له إذاً عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا يحتمله جنوحا إلى اعتزال منتزع فى فلسفة منتزعة فى إلحاد ظلمات بعضها فوق بعض وقد قدمت عند قوله تعالى لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ ما فيه كفاية وما أرى الشيطان إلا طعن فى خواصر القدرية حتى بقرها ووكر فى قلوبهم حتى حمل الزمخشرى وأمثاله أن يقول فى كتاب الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام بما يتخيل كما قال فى هذا الحديث ثم نظره بتخييل ابن الرومى فى شعره جراءة وسوء أدب ولو كان معنى ما قاله صحيحا لكانت هذه العبارة واجبا أن تجتنب ولو كان الصراخ غير واقع من المولود لأمكن على بعد أن يكون تمثيلا وما هو واقع مشاهد فلا وجه لحمله على التخييل إلا الاعتقاد الوبىّ وارتكاب الهوى الوبيل

الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه (فتقبلها ربها) فرضى بها فى النذر مكان الذكر (بقبول حسن) فيه وجهان أحدهما أن يكون القبول اسم ماتقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر فى النذر ولم يقبل قبلها أنثى فى ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة * وروى أن حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى إسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها والثانى أن يكون مصدراً على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذى قبول حسن أى بأمر ذى قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز أن يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير فى كلامهم من استقبل الأمر إذا أخذه بأوله وعنفوانه قال القطامى

وخير الأمر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا

ومنه المثل «خذ الأمر بقوابله» أى فأخذها فى أول أمرها حين ولدت بقبول حسن (وأنبتها نباتا حسناً) مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها فى جميع أحوالها * وقرئ وكفلها زكرياء بوزن وعملها (وكفلها زكرياء) بتشديد الفاء ونصب زكرياء الفعل لله تعالى بمعنى وضمها إليه وجعله كافلا لها وضامناً لمصالحها ويؤيدها قراءة أبىّ وأكفلها من قوله تعالى فقال أكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وأنبتها وكفلها على لفظ الأمر فى الأفعال الثلاثة ونصب ربها تدعوا بذلك أى فاقبلها ياربها وربها واجعل زكريا كافلا لها * قيل بنى لها زكريا محرابا فى المسجد أى غرفة يصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروى أنه كان لايدخل عليها إلاهو وحده وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب (وجد عندها رزقا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الذى لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه والأبواب مغلقة عليك لاسبيل للداخل به إليك (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه جاع فى زمن قحط فأهدت له فاطمة رضى الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها إليها وقال هلمى يابنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم أنى لك هذا فقالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه

(قوله أنا أحق بها عندى خالتها) قوله خالتها يعنى زوجته أيشاع أخت حنة لكن تقدم أنها أخت مريم وقال صلى الله عليه وسلم فى يحيى وعيسى هما ابنا خالة وفى أبى السعود قيل فى تأويل ذلك أنّ الأخت كثيراً ماتطلق على بنت الأخت لجرى الحديث على ذلك وقيل أنّ أيشاع أخت حنة من الأم وأخت مريم من الأب بأن نكح عمران أم حنة فولدت إيشاع ثم نكح حنة ربيبته فولدت مريم بناء على حل نكاح الربائب عندهم (قوله ونصب زكريا الفعل لله تعالى) لعله والفعل

زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً

الصلاة والسلام الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى إسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته فأكلوا عليه حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها (إنّ الله يرزق) من جملة كلام مريم عليها السلام أومن كلام رب العزة عز من قائل (بغير حساب) بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق (هنالك) فى ذلك المكان حيث هوقاعد عند مريم فى المحراب أوفى ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب فى أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد أختها حنة فى النجابة والكرامة على الله وإن كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت أختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة فى غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (ذرية) ولداً والذرية يقع على الواحد والجميع (سميع الدعاء) مجيبه ۝ قرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل عليه السلام وإنما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل (إنّ الله يبشرك) بالفتح على بأن الله وبالكسر على إرادة القول أو لأنّ النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وأبشره ويبشرك بفتح الياء من بشره ۝ ويحى إن كان أعجمياً وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وإن كان عربياً فللتعريف ووزن الفعل كيعمر (مصدّقا بكلمة من الله) مصدّقا بعيسى مؤمناً به قيل هو أوّل من آمن به وسمى عيسى كلمة لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدّقا بكلمة من الله مؤمناً بكتاب منه وسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته ۝ والسيد الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف وكان يحى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم فى أنه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة والحصور الذى لايقرب النساء حصراً لنفسه أى منعا لها من الشهوات وقيل هو الذى لايدخل مع القوم فى الميسر قال الأخطل

وشارب مربح بالكأس نادمنى ۝ لابالحصور ولا فيها بسآر

فاستعير لمن لايدخل فى اللعب واللهو وقد روى أنه مرّ وهو طفل بصبيان فدعوه إلى للعب فقال ماللعب خلقت (من الصالحين) ناشئاً من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كائناً من جملة الصالحين كقوله وإنه فى الآخرة لمن الصالحين (أنى يكون لى غلام) استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم (وقد بلغنى الكبر) كقولهم أدركته السنّ العالية والمعنى أثر فىّ الكبر فأضعفنى وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (كذلك) أى يفعل الله مايشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفانى والعجوز العاقر أو كذلك الله مبتدأ وخبر أى على نحو هذه الصفة الله ويفعل مايشاء بيان له أى يفعل مايريد من الأفاعيل الخارقة للعادات (آية) علامة أعرف الحيل لأتلقى النعمة إذا

قوله تعالى هنا لك دعا زكريا ربه (قال محمود فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان الخ) قال أحمد لايليق بالنبى أن يقف علمه بجواز ولادة العاقر على مشاهدة مثله فإنّ العقل يقضى بجواز ذلك فى قدرة الله تعالى وإن لم يقع نظيره وأحسن من هذه العبارة وأسلم أن يقال لما شاهد وقوع هذا الحادث كرامة لمريم امتدّ أمله إلى حادث يناسبه كرامة له والله أعلم

(قوله من بشره وأبشره ويبشرك بفتح) لعل هذه بدون ضمير الخطاب وإن كانت السابقة من بشره بفتح الباء أيضاً
(قوله علامة أعرف الحبل) لعله أعرف بها الحبل

قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَٰرِ ۝ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَٰلَمِينَ ۝ يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّٰكِعِينَ ۝ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝ إِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ۝

جاءت بالشكر (قال آيتك أن لا) تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام) وإنما خص تكليم الناس ليعلمه أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشيّ والإبكار يعنى فى أيام عجزك عن تكليم الناس وهى من الآيات الباهرة (فإن قلت) لم حبس لسانه عن كلام الناس (قلت) ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفراً منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذى طلب الآية من أجله كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب وأوقعه ماكان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه (إلا رمزاً) إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرك يقال ارتمز إذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب إلا رمزاً بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزاً بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله : متى ماتلقنى فردين ترجف ۝ روانف أليتيك وتستطارا
بمعنى إلا مترامزين كما يكلم الناس الأخرس بالإشارة ويكلمهم ۝ والعشى من حين تزول الشمس إلى أن تغيب و (الإبكار) من طلوع الفجر إلى وقت الضحى وقرئ والأبكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وإسحار يقال أتيته بكراً بفتحتين (فإن قلت) الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه (قلت) لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه مايفهم منه سمى كلاما ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً (يامريم) روى أنهم كلموها شفاها معجزة لزكريا أو إرهاصا لنبوة عيسى (اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) مما يستقذر من الأفعال ومما قرفك به اليهود (واصطفاك) آخراً (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء ۝ أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيآت الصلاة وأركانها ثم قيل لها (واركعى مع الراكعين) بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين أى فى الجماعة أو انظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى معهم فى عدادهم ولا تكونى فى عداد غيرهم ويحتمل أن يكون فى زمانها من كان يقوم ويسجد فى صلاته ولا يركع وفيه من يركع فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع (ذلك) إشارة إلى ماسبق من نبإ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام يعنى أن ذلك من الغيوب التى لم تعرفها إلا بالوحى (فإن قلت) لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفى استماع الأنباء من حفاظها وهو موهوم (قلت) كان معلوما عندهم علما يقينا أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحى فلم يبق إلا المشاهدة وهى فى غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحى مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم (أقلامهم) أزلامهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهر مقترعين وقيل هى الأقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها (إذ يختصمون) فى شأنها تنافسا فى التكفل بها ۝ (فإن قلت) أيهم يكفل بم يتعلق (قلت) بمحذوف دلّ عليه يلقون أقلامهم كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل أو ليعلموا أو يقولون (المسيح) لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحاً بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلنى مباركا أينما كنت وكذلك (عيسى) معرب من أيشوع ومشتقهما من

(قوله أن تحبس لسانك) لعله يحبس

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ

المسح والعيس كالراقم فى الماء ۝ (فإن قلت) إذقالت بم يتعلق (قلت) هو بدل من وإذقالت الملائكة ويجوز أن يبدل من إذيختصمون على أن الاختصام والبشارة وقعا فى زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا ۝ (فإن قلت) لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم (قلت) لأن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات فأعلمت بنسبته اليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين (فإن قلت) لم ذكر ضمير الكلمة (قلت) لأن المسمى بها مذكر (فإن قلت) لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة (قلت) الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذى يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة (وجيها) حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين أى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة ۝ والوجاهة فى الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفى الآخرة الشفاعة وعلوّ الدرجة فى الجنة ۝ وكونه (من المقربين) رفعه إلى السماء وصحبته للملائكة ۝ والمهد مايمهد للصبى من مضجعه سمى بالمصدر و(فى المهد) فى محل النصب على الحال (وكهلا) عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التى يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء ۝ ومن بدع التفاسير أن قولها (رب) نداء لجبريل عليه السلام بمعنى ياسيدى (ونعلمه) عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء (فإن قلت) علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله أنى قد جئتكم ولما بين يدى يأبى حمله عليها (قلت) هو من المضائق وفيه وجهان أحدهما أن يضمر له وأرسلت على إرادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأنى قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى والثانى أن الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل وناطقا بأنى قد جئتكم وناطقا بأنى أصدق ما بين يدى وقرأ اليزيدى ورسول عطفاً على كلمة (أنى قد جئتكم) أصله أرسلت بأنى قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل و(أنى أخلق) نصب بدل من أنى قد جئتكم أوجر بدل من آية أو رفع على هى أنى أخلق لكم وقرئ إنى بالكسر على الاستئناف أى أقدر لكم شيئا مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشىء المماثل لهيئة الطير (فيكون طيراً) فيصير طيراً كسائر الطيور حياً طياراً وقرأ عبد الله فأنفخها قال ۝ كالهبرقى تنحى ينفخ الفحما ۝ وقيل لم يخلق غير الخفاش (الأكمه) الذى ولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن فى هذه الأمة أكمه غير قتادة بن دعامة

۝ قوله تعالى «إن الله يبشرك بكلمة منه» اسمه المسيح عيسى ابن مريم (قال محمود إن قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم الخ) قال أحمد ويحقق هذا الجواب قولها أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر فإنه لم يتقدم فى وعد الله لها بالولد مايدل على أنه من غير أب إلا أنه لما نسبه اليها دلّ على أنها فهمت من ذلك كونه من غير أب والله أعلم (عاد كلامه) قال فإن قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم الخ (قال أحمد) وفى هذا التقرير خلاص من إشكال يوردونه فيقولون المسيح فى الآية إن أريد به التسمية وهو الظاهر فما موقع قوله عيسى بن مريم والتسمية لا توصف بالنبوة وإن أريد بالمسيح المسمى بهذه التسمية لم يلتئم مع قوله اسمه ويجاب عن الإشكال بأن المسيح خبر عن قوله اسمه والمراد التسمية وأما عيسى ابن مريم فخبر مبتدإ محذوف تقديره هو عيسى بن مريم ويكون الضمير عائدا إلى المسمى بالتسمية المذكورة منقطعاً عن قوله المسيح والذى قرره الزمخشرى لا يرد عليه هذا الإشكال وهو حسن جداً والله أعلم

وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۞ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۞ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۞ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى

السدوسى صاحب التفسير وروى أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفاً من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده ۞ وكرر (بإذن الله) دفعاً لوهم من توهم فيه اللاهوتية ۞ وروى أنه أحيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يافلان أكلت كذا ويافلان خبئ لك كذا ۞ وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف (ولأحل) ردّ على قوله بآية من ربكم أى جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم ويجوز أن يكون مصدقا مردودا عليه أيضا أى جئتكم بآية وجئتكم مصدقا ۞ وما حرم الله عليهم فى شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الإبل والسمك وكل ذى ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك قيل أحل لهم من السمك والطير مالا صيصة له واختلفوا فى إحلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدى من التوراة أوالله عزّ وجلّ أو موسى عليه السلام لأنّ ذكر التوراة دلّ عليه ولأنه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم (وجئتكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتى وهى قوله (إنّ الله ربى وربكم) لأنّ جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله «فاتقوا الله وأطيعون» اعتراض (فان قلت) كيف جعل هذا القول آية من ربه (قلت) لأنّ الله تعالى جعله له علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر فى أدلة العقل والاستدلال ويجوز أن يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم أى جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والإبراء والإحياء والإنباء بالخفيات وبغيره من ولادتى بغير أب ومن كلامى فى المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبدالله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعونى فيما أدعوكم اليه ثم ابتدأ فقال إنّ الله ربى وربكم ومعنى قراءة من فتح ولأنّ الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله لإيلاف قريش فليعبدوا ويجوز أن يكون المعنى وجئتكم بآية على أنّ الله ربى وربكم وما بينهما اعتراض (فلما أحس) فلما علم منهم (الكفر) علما لاشبهة فيه كعلم مايدرك بالحواس و (إلى الله) من صلة أنصارى مضمنا معنى الإضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصروننى كما ينصرنى أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء أى من أنصارى ذاهبا إلى الله ملتجئا اليه (نحن أنصار الله) أى أنصار دينه ورسوله ۞ وحوارى الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال

فقل للحواريات يبكين غيرنا ۞ ولاتبكنا إلا الكلاب النوابح

وفى وزنه الحوالى وهو الكثير الحيلة ۞ وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدا لإيمانهم لأنّ الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم (مع الشاهدين) مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم شهداء على الناس (ومكروا) الواو لكفار بنى إسرائيل الذين أحس منهم الكفر ومكرهم

(قوله فى شريعة موسى الشحوم والثروب) الشحوم الرقيقة التى تغشى الكرش والأمعاء أفاده فى الصحاح

(قوله مالا صيصة له) شوكة كالتى فى رجل الديك أفاده الصحاح

مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فَنُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّـٰلِمِينَ ۞ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَـٰتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ۞ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا

أنهم وكلوا به من يقتله غيلة (ومكر الله) أن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل (والله خير الماكرين) أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا وأقدرهم على العقاب من حيث لايشعر المعاقب (إذ قال الله) ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله (إنى متوفيك) أى مستوفى أجلك ومعناه إنى عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لاقتلا بأيديهم (ورافعك إلى) إلى سمائى ومقر ملائكتى (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالى على فلان إذا استوفيته وقيل مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفى نفسك بالنوم من قوله والتى لم تمت فى منامها ورافعك وأنت نائم حتى لايلحقك خوف وتستيقظ وأنت فى السماء آمن مقرب (فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة وفى أكثر الأحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لأنهم متبعوه فى أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فأحكم بينكم) تفسير الحكم قوله (فأعذبهم ▪ فنوفيهم أجورهم) وقرئ فيوفيهم بالياء (ذلك) إشارة إلى ماسبق من نبإ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه) و (من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذى ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه (والذكر الحكيم) القرآن وصف بصفة من هو من سببه أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه (إن مثل عيسى) إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم وقوله (خلقه من تراب) جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم أى خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى (فإن قلت) كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم بغير أب وأم (قلت) هو مثيله فى أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة فى بعض الأوصاف ولأنه شبه به فى أنه وجد وجوداً خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لأنه لا أب له قال فآدم أولى لأنه لا أبوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص قال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالما ۞ خلقه من تراب قدره جسداً من طين (ثم قال له كن) أى أنشأه بشراً كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر (فيكون) حكاية حال ماضية (الحق من ربك) خبر مبتدإ محذوف أى هو الحق كقول أهل خيبر محمد والخميس ۞ ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وأن يكون لطفا لغيره (فمن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ماجاءك من العلم) أى من البينات الموجبة للعلم

(قوله أى مستوفى أجلك ومعناه إنى عاصمك) مبنى على أن القتيل يموت قبل استيفاء أجله وهو مذهب المعتزلة
(قوله فأعذبهم فنوفيهم) هذا فى الذين كفروا وقوله فنوفيهم الخ فى الذين آمنوا

نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ۞ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۞

(تعالوا) هلموا والمراد المجىء بالرأى والعزم كما تقول تعال نفكر فى هذه المسئلة (ندع أبناءنا وأبناءكم) أى يدع كل منى ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة (ثم نبتهل) ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك أبهله إذا أهمله وناقة باهل لاصرار عليها وأصل الابتهال هذا ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا ۞ وروى أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ياعبد المسيح ماترى فقال والله لقد عرفتم يامعشر النصارى أن محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ماباهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلىّ خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يامعشر النصارى إنى لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها فلاتباهلوا فتهلكوا ولايبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لانباهلك وأن نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ماللمسلمين وعليكم ماعليهم فأبوا قال فإنى أناجزكم فقالوا مالنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لاتغزونا ولاتخيفنا ولاتردنا عن ديننا على أن نؤدى إليك كل عام ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذى نفسى بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علىّ ثم قال «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» (فإن قلت) ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الأبناء والنساء (قلت) ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن فى الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق وقدمهم فى الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها وفيه دليل لاشىء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك (إن هذا) الذى قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص الحق) قرئ بتحريك الهاء على الأصل وبالسكون لأن اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو إما فصل بين اسم إن وخبرها وإما مبتدأ

(قوله لما له شبه) أى للأمر الذى لأجله كان ذلك التشبيه (قوله وناقة باهل لاصرار عليها) فى الصحاح صررت الناقة شددت عليها الصرار وهو خيط يشد فوق الخلف والتودية لئلا يرضعها ولدها وفيه الخلف حلمة ضرع الناقة وفيه التودية خشبة تشد عليه (قوله فقال أسقف نجران يامعشر النصارى) أى حبرهم عبدالمسيح اه (قوله وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه) فى الصحاح الفلذ كبد البعير والجمع أفلاذ والفلذة القطعة من الكبد واللحم والمال وغيرها والجمع فلذ اه فتدبر

قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝

والقصص الحق خبره والجملة خبرإن (فإن قلت) لم جاز دخول اللام على الفصل (قلت) إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدإ منه وأصلها أن تدخل على المبتدإ ومن فى قوله (وما من إله إلا الله) بمنزلة البناء على الفتح فى لاإله إلا الله فى إفادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى فى تثليثهم (فإن الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (ياأهل الكتاب) قيل هم أهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة (سواء بيننا وبينكم) مستوية بيننا وبينكم لايختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) يعنى تعالوا إليها حتى لانقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ماشرع الله كقوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا ألا ليعبدوا إلها واحداً وعن عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يارسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لاأبالى أطعت مخلوقا فى معصية الخالق أو صليت لغير القبلة ۝ وقرئ كلمة بسكون اللام ۝ وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء (فإن تولوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أى لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنامسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال أو صراع أو غيرهما اعترف بأنى أنا الغالب وسلم لى الغلبة ويجوز أن يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره ۝ زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه والمؤمنين فيه فقيل لهم إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة (أفلا تعقلون) حتى لاتجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره و (حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى يعنى أنتم هؤلاء الأشخاص الحمق وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم (فيما لكم به علم) مما نطق به التوراة والإنجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له فى كتابيكم من دين ابراهيم وعن الأخفش ها أنتم هو آأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته (والله يعلم) علم ماحاججتم فيه (وأنتم جاهلون به ۝ ثم أعلمهم بأنه برىء من دينكم وما كان إلا (حنيفا مسلما وما كان من المشركين) كما لم يكن منكم أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيراً والمسيح (إن أولى الناس بإبراهيم) إن أخصهم به وأقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) فى زمانه وبعده (وهذا النبى) خصوصاً (والذين آمنوا) من أمته وقرئ وهذا النبى

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۞ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ وَلَا تُؤْمِنُوٓا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۞ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ

بالنصب عطفاً على الهاء فى اتبعوه أى اتبعوه واتبعوا هذا النبى وبالجر عطفاً على إبراهيم (ودت طائفة) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية (وما يضلون إلا أنفسهم) وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم أو وما يقدرون على إضلال المسلمين وإنما يضلون أمثالهم من أشياعهم (بآيات الله) بالتوراة والإنجيل وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم اعترافهم بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول (وأنتم تشهدون) نعته فى الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعاً وأنتم تعلمون أنها حق ۞ قرئ تلبسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء أى تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبى زور وقوله ۞ إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا ۞ (وجه النهار) أوله قال

من كان مسروراً بمقتل مالك ۞ فليأت نسوتنا بوجه نهار

والمعنى أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين فى أول النهار (واكفروا) به فى آخره لعلهم يشكون فى دينهم ويقولون مارجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد أول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا إنا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه فى دينهم وقيل هذا فى شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة قال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها فى أول النهار ثم اكفروا به فى آخره وصلوا إلى الصخرة لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون (ولا تؤمنوا) متعلق بقوله أن يؤتى أحد وما بينهما اعتراض أى ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على أن يؤتى والضمير فى يحاجوكم لأحد لأنه فى معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم إن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله تعالى بالحجة (فإن قلت) فما معنى الاعتراض (قلت) معناه أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين

۞ قوله تعالى ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم (قال محمود أو يحاجوكم معطوف على أن يؤتى الخ) قال أحمد وفى هذا الوجه من الإعراب إشكال وهو وقوع أحد فى الواجب لأن الاستفهام هنا إنكار واستفهام الإنكار فى مثله إثبات إذ حاصله أنه أنكر عليهم ووبخهم على ما وقع منهم وهو إخفاء الإيمان بأن النبوة لا تختص ببنى إسرائيل لأجل العلتين المذكورتين فهو إثبات محقق ويمكن أن يقال روعيت صيغة الاستفهام وإن لم يكن المراد حقيقة فحسن لذلك دخول أحد فى سياقه والله أعلم (قال محمود والضمير فى يحاجوكم لأحد لأنه فى معنى الجمع الخ) قال أحمد أى حيث كان نكرة فى سياق النفى كما وصفه بالجمع فى قوله فما منكم من أحد عنه حاجزين

مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ

والمشركين وكذلك قوله تعالى (قل إنّ الفضل بيدالله يؤتيه من يشاء) يريد الهداية والتوفيق أو يتمّ الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأنّ رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولأنّ إسلامهم كان أغيظ لهم وقوله أن يؤتى معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعنى أنّ ما بكم من الحسد والبغى أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى أحد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى إلا أن يؤتى أحد (فإن قلت) فما معنى قوله أو يحاجوكم على هذا (قلت) معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز أن يكون هدى الله بدلا من الهدى وأن يؤتى أحد خبر إنّ على معنى قل إنّ هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم ۞ وقرئ أن يؤتى أحد على إن النافية وهو متصل بكلام أهل الكتاب أى ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعنى ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز أن ينتصب أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل إنّ الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لأنّ قولهم ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا ۞ عن ابن عباس (من إن تأمنه بقنطار) هو عبدالله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتى أوقية ذهباً فأداه إليه و (من إن تأمنه بدينار) فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم والخائنون فى القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم (إلا ما دمت عليه قائما) إلا مدة دوامك عليه ياصاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف أو بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه ۞ وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام (ذلك) إشارة إلى ترك الأداء الذى دلّ عليه لم يؤده أى تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم (ليس علينا فى الأميين سبيل) أى لا يتطرق علينا عتاب وذم فى شأن الأميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم فى كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء فى الجاهلية إلا وهو تحت قدمى إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البرّ والفاجر وعن ابن عباس أنه سأل رجل فقال إنا نصيب فى الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا فى ذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا فى الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لم يحلّ لكم أكل أموالهم إلا بطيبة أنفسهم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم أن ذلك فى كتابهم (وهم يعلمون) أنهم كاذبون (بلى) إثبات لما نفوه من السبيل عليهم فى الأميين أى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله (من أوفى بعهده) جملة مستأنفة مقررة للجملة التى سدّت بلى مسدها والضمير فى بعهده راجع إلى من أوفى على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى الله فى ترك الخيانة والغدر فإنّ الله يحبه (فإن قلت) فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله (قلت) أجل لأنهم إذا وفوا بالعهود وفوا أول شيء بالعهد الأعظم وهو ما أخذ عليهم فى كتابهم من الإيمان

وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَـٰئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى الْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن

برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله فى ترك الخيانة لاتقوه فى ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى على أن كل من وفى بعهد الله واتقاه فإن الله يحبه ويدخل فى ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء (فإن قلت) فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى من (قلت) عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت فى عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة أهل الكتاب (يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم (وإيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت فى أبى رافع ولبابة ابن أبى الحقيق وحيى بن أخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف فى سنة أصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت أن أميركم وأكسوكم فحرمكم الله خيراً كثيراً فقالوا لعله شبه علينا فرويداً حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذى نعت لنا ففرح ومارهم وعن الأشعث بن قيس نزلت فىّ كانت بينى وبين رجل خصومة فى بئر فاختصمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقلت إذن يحلف ولا يبالى فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت فى رجل أقام سلعة فى السوق فحلف لقد أعطى بها مالم يعطه والوجه أن نزولها فى أهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوى رجوع الضمير فى بعهده إلى الله (ولا ينظر اليهم) مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر إلى فلان تريد نفى اعتداده به وإحسانه اليه (ولا يزكيهم) ولا يثنى عليهم (فإن قلت) أى فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه (قلت) أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لأن من اعتد بالإنسان التفت اليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرداً لمعنى الإحسان مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر (لفريقا) هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيى بن أخطب وغيرهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرف وقرأ أهل المدينة يلوون بالتشديد كقوله لووا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه أنهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى (لتحسبوه) (قلت) إلى مادلّ عليه يلوّون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز أن يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب (ويقولون هو من عند الله) تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على أنهم لا يعرضون ولا يورون وإنما يصرحون بأنه فى التوراة هكذا وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذى عندهم (ما كان لبشر) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل إن أبا رافع القرظى والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى فنزلت وقيل قال رجل يارسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على

يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۞ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ

بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله (والحكم) والحكمة وهي السنة (ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الأمة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم (بما كنتم) بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم أوجب أن تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكدّ روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ۞ وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم (تدرسون) تقرؤن وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على أن أدرس بمعنى درس كأكرم وكرم وأنزل ونزل وتدرسون من التدرس ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناها معنى تدرسون من التدريس وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وأن السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة إليه إلا للمتمسكين بطاعته ۞ وقرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان أحدهما أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني أن تجعل لا غير مزيدة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة ۞ واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم وأيأمركم لبشر وقيل لله والهمزة في أيأمركم للإنكار (بعد إذ أنتم مسلمون) دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له (ميثاق النبيين) فيه غير وجه أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني أن يضيف الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الموثق لا إلى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم والثالث أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف والرابع أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكما بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة أبيّ وابن مسعود وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ۞ واللام في (لما آتيتكم) لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسدّ جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام

۞ قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة إلى قوله لتؤمنن به (قال محمود اللام في لما آتيتكم لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى القسم الخ) قال أحمد يريد على أن قوله رسول فاعل جاء لأنه لا يخلو من الضمير وإلا فهذا القول صحيح على أن يكون الفاعل مضمرا ورسول خبر الموصول ولم يرد الزمخشري إلا الأول وهو ظاهر الآية (عاد كلامه) قال مجيبا عن السؤال قلت بلى الخ. قال أحمد يريد أن الكلام وإن خلا من العائد إلا أنه في معنى كلام يتحقق فيه العائد فيجوز دخوله في الصلة والله أعلم

(قوله بسبب كونكم عالمين) تفسير لقراءة تعلمون من العلم

رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّٰهِدِينَ ۞ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ۞ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۞ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ

ومعناه لأجل إيتائى إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجىء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها أعنى آتيتكم وجاءكم فى معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أنى آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذى آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة (فإن قلت) كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصفة لأنك لا تقول للذى جاءكم رسول مصدق لما معكم (قلت) بلى لأن ما معكم فى معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذى آتيكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهى الميمان والنون المنقلبة ميما بإدغامها فى الميم فحذفوا إحداها فصارت لما ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة فى المعنى (إصرى) عهدى وقرئ أصرى بالضم وسمى إصرا لأنه مما يؤصر أى يشد ويعقد ومنه الأصار الذى يعقد به ويجوز أن يكون المضموم لغة فى أصر كعبر وعبر وأن يكون جمع إصار (فاشهدوا) فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار (وأنا على ذلكم) من إقراركم وتشاهدكم (من الشاهدين) وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة (فمن تولى بعد ذلك) الميثاق والتوكيد (فأولئك هم الفاسقون) أى المتمردون من الكفار ۞ دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره (أ) يتولون (فغير دين الله يبغون) وقدم المفعول الذى هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث أن الإنكار الذى هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل وروى أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين إبراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برىء من دين إبراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهى قراءة أبى عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا (طوعا) بالنظر فى الأدلة والإنصاف من نفسه (وكرها) بالسيف أو بمعاينة ما يلجىء إلى الإسلام كنتق الجبل على بنى إسرائيل وإدراك الغرق فرعون والإشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين ۞ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان فلذلك وحد الضمير فى (قل) وجمع فى (آمنا) ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نبيه ۞ (فإن قلت) لم عدى أنزل فى هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء (قلت) لوجود المعنيين جميعا لأن الوحى ينزل من فوق وينتهى إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر ومن قال إنما قيل علينا لقوله قل وإلينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لأن الرسول يأتيه الوحى على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف ألا ترى إلى

(قوله والإشفاء على الموت) أى الإشراف كما فى الصحاح

أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ

قوله بما أنزل اليك وأنزلنا إليك الكتاب وإلى قوله آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا (ونحن له مسلمون) موحدون مخلصون أنفسنا له لانجعل له شريكا فى عبادتها ثم قال (ومن يبتغ غير الإسلام) يعنى التوحيد وإسلام الوجه لله تعالى (دينا فلن يقبل منه ۝ من الخاسرين) من الذين وقعوا فى الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الإسلام بالإدغام (كيف يهدى الله قوما) كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودلّ على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعد ماشهدوا بأن الرسول حق وبعد ماجاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التى تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا مايوجب قوة إيمانهم من البينات وقيل نزلت فى رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة ابن أبيرق ووحوح بن الأسلت والحرث بن سويد بن الصامت ۝ (فإن قلت) علام عطف قوله (وشهدوا) (قلت) فيه وجهان أن يعطف على مافى إيمانهم من معنى الفعل لأنّ معناه بعد أن آمنوا كقوله تعالى «فأصدق وأكن» وقول الشاعر ۝ ليسوا مصلحين عشيرة ولاناعب ۝ ويجوز أن تكون الواو للحال بإضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا أنّ الرسول حق (والله لايهدى) لايلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أنّ اللطف لاينفعهم (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) الكفر العظيم والارتداد (وأصلحوا) ماأفسدوا أو ودخلوا فى الصلاح قيل نزلت فى الحرث ابن سويد حين ندم على ردّته وأرسل إلى قومه أن سلوا هل لى من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته (ثم ازدادوا كفرا) هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد والقرآن أو كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه فى كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدّهم عن الإيمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت فى الذين ارتدوا ولحقوا بمكة ازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وإن أردنا الرجعة نافقنا بإظهار التوبة (فإن قلت) قد علم أنّ المرتد كيفما ازداد كفرا فإنه مقبول التوبة إذا تاب فما معنى (لن تقبل توبتهم) (قلت) جعلت عبارة عن الموت على الكفر لأنّ الذى لاتقبل توبته من الكفار هو الذى يموت على الكفر كأنه قيل إنّ اليهود أو المرتدين الذين فعلوا مافعلوا مائتون على الكفر داخلون فى جملة من لاتقبل توبتهم (فإن قلت) فلم قيل فى إحدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفى الأخرى فلن يقبل (قلت) قد أوذن بالفاء أنّ الكلام بنى على الشرط والجزاء وأنّ سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء أنّ الكلام مبتدأ وخبر ولادليل فيه على التسبيب كما تقول الذى جاءنى له درهم لم تجعل المجئ سببا فى استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم (فإن قلت) فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلاجعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما فى ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجرّه إلى الموت على الكفر (قلت) لأنه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع إلى الإسلام ولايموت على الكفر (فإن قلت) فأى فائدة فى هذه الكناية أعنى أن كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة (قلت)

فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ۞ لَن

الفائدة فيها جليلة وهى التغليظ فى شأن أولئك الفريق من الكفار وإبراز حالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة التى هى أغلظ الأحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرحمة (ذهبا) نصب على التمييز وقرأ الأعمش ذهب بالرفع رداً على ملء كما يقال عندى عشرون نفساً رجال ۞ (فإن قلت) كيف موقع قوله (ولو افتدى به) (قلت) هو كلام محمول على المعنى كأنه قيل فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً ويجوز أن يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعاً ومثله معه والمثل يحذف كثيراً فى كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطىّ وقضية ولا أبا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل أبى حسن كما أنه يراد فى نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد أنت وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر فكانا فى حكم شىء واحد وأن يراد فلن يقبل من

قوله تعالى «إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به» (قال محمود رحمه الله إن قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به الخ) قال أحمد لم يبين تطبيق لفظ الآية على هذا التقدير الذى ذهب إليه بوجه ونحن نبين السبب الباعث له على إخراج الكلام عن ظاهره ثم نقرر وجها يطابق الآية وذلك أن هذه الواو المصاحبة للشرط تستدعى شرطا آخر يعطف عليه الشرط المقترنة به ضرورة والعادة فى مثل ذلك أن يكون المنطوق به منبها على المسكوت عنه بطريق الأولى مثاله قولك أكرم زيدا ولو أساء فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره أكرم زيدا لو أحسن ولو أساء إلا أنك نبهت بإيجاب إكرامه إن أساء على أن إكرامه إن أحسن بطريق الأولى ومنه كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم معناه والله أعلم لو كان الحق على غيركم ولو كان عليكم ولكنه ذكر ما هو أعسر عليهم فأوجبه تنبيها على ما هو أسهل وأولى بالوجوب فإذا تبين مقتضى الواو فى مثل هذه المواضع وجدت آية آل عمران هذه مخالفة لهذا النمط ظاهرا لأن قوله ولو افتدى به يقتضى شرطا آخر محذوفا يكون هذا المذكور منبها عليه بطريق الأولى وهذه الحال المذكورة وهى حالة افتدائهم بملء الأرض ذهبا هى حالة أجدر الحالات بقبول الفدية وليس وراءها حالة أخرى تكون أولى بالقبول منها فلذلك قدر الكلام بمعنى لن يقبل من أحد منهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا حتى تبين حالة أخرى يكون الافتداء الخاص بملء الأرض ذهبا هو أولى بالقبول منها فإذا انتفى حيث كان أولى فلأن ينتفى فيما عدا هذه الحالة أولى فهذا كله بيان للباعث له على التقدير المذكور وأما تنزيل الآية عليه فعسر جدا فالأولى ذكر وجه يمكن تطبيق الآية عليه على أسهل وجه وأقرب مأخذ إن شاء الله فنقول قبول الفدية التى هى ملء الأرض ذهبا يكون على أحوال منها أن يؤخذ منه على وجه القهر فدية عن نفسه كما تؤخذ الدية قهرا من مال القاتل على قول ومنها أن يقول المفتدى فى التقدير أفدى نفسى بكذا وقد لا يفعل ومنها أن يقول هذا القول وينجز المقدار الذى يفدى به نفسه ويجعله حاضرا عتيدا وقد يسلمه مثلا لمن يأمن منه قبول فديته وإذا تعددت الأحوال فالمراد فى الآية أبلغ الأحوال وأجدرها بالقبول وهو أن يفتدى بملء الأرض ذهبا افتداء محققا بأن يقدر على هذا الأمر العظيم ويسلمه وينجزه اختيارا ومع ذلك لا يقبل منه فمجرد قوله أبذل المال وأقدر عليه أو ما يجرى هذا المجرى بطريق الأولى فيكون دخول الواو والحالة هذه على بابها تنبيها على أن ثم أحوالا أخر لا ينفع فيها القبول بطريق الأولى بالنسبة إلى الحالة المذكورة وقد ورد هذا المعنى مكشوفا فى قوله تعالى إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم والله أعلم وهذا كله تسجيل بأنه لا محيص ولا تخلص لهم من الوعيد وإلا فمن المعلوم أنهم أعجز عن الفلس فى ذلك اليوم ونظير هذا التقدير من الأمثلة أن يقول القائل لا أبيعك هذا الثوب بألف دينار ولو سلمتها إلىّ فى يدى هذه فتأمل هذا النظر فإنه من السهل الممتنع والله ولى التوفيق (عاد كلامه) قال ويجوز أن يكون معنى الكلام ولو افتدى بمثله الخ قال أحمد وعلى هذا النمط يجرى الكلام على التأويل المتقدم لأنه نبه بعدم قبول مثلى ملء الأرض ذهباً على عدم قبول مثلها مرة واحدة بطريق الأولى

تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۞ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

أحدهم ملء الأرض ذهباً كان قد تصدق به ولو افتدى به أيضاً لم يقبل منه وقرئ فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً على البناء للفاعل وهو الله عزّ وعلا ونصب ملء وملرض بتخفيف الهمزتين (لن تنالوا البر) لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا أبراراً وقيل لن تنالوا برّ الله وهو ثوابه (حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله وروى أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يارسول الله إنّ أحب أموالي إليّ بيرحا فضعها يارسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله ﷺ بخ بخ ذاك مال رابح أو مال رائح وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة افعل يارسول الله فقسمها في أقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله ﷺ أسامة بن زيد فكأن زيداً وجد في نفسه وقال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله ﷺ أما إنّ الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت أعجبته فقال إنّ الله تعالى يقول لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها ونزل بأبي ذرّ ضيف فقال للراعي ائتني بخير إبلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الإبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال إنّ يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على أنّ من في مما تحبون للتبعيض ونحوه أخذت من المال ۞ ومن في (من شيء) لتبيين ما تنفقوا أي من أي شيء كان طيباً تحبونه أو خبيثاً تكرهونه (فإنّ الله) عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه (كلّ الطعام) كل المطعومات أو كل أنواع الطعام ۞ والحل مصدر يقال حلّ الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعزّ الرجل عزاً وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت أطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لاهنّ حلّ لهم ۞ والذي حرم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الإبل وألبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر إن شفي أن يحرم على نفسه أحبّ الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه فحرمه وقيل أشارت عليه الأطباء باجتنابه ففعل ذلك بإذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى أنّ المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم بما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم إلى قوله تعالى عذاباً أليماً وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كلّ ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحودهم غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا بأول من حرمت عليه وما هو إلا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلمّ جرا إلى أن انتهى التحريم إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصدّ عن سبيل الله وأكل الربا وأخذ أموال الناس بالباطل وما عدّد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها) أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم مما هو ناطق به من أنّ تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروى أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي ﷺ وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه (فمن افترى على الله الكذب) بزعمه أنّ ذلك كان

(قوله واشمأزوا منه وامتعضوا) أي غضبوا منه وشق عليهم . أفاده الصحاح

وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ

محرما على بنى إسرائيل قبل إنزال التوراة من بعد مالزمهم من الحجة القاطعة (فأولئك هم الظالمون) المكابرون الذين لاينصفون من أنفسهم ولايلتفتون إلى البينات (قل صدق الله) تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون أى ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) وهى ملة الإسلام التى عليها محمد ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التى أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه (وضع للناس) صفة لبيت والواضع هو الله عز وجلّ تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبداً لهم فكأنه قال إن أول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال أربعون سنة وعن علىّ رضى الله عنه أن رجلا قال له أهو أول بيت قال لاقد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة وأول من بناه إبراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض خلقه قبل الأرض بألفى عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض تحته وقيل هو أول بيت بناه آدم فى الأرض وقيل لما أهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بألفى عام وكان فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع فى الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات (للذى ببكة) البيت الذى ببكة وهى علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط فى اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب أمر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه إذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضاً الرجال والنساء يصلى بعضهم بين يدى بعض لايصلح ذلك إلا بمكة كأنها سميت ببكة وهى الزحمة قال

إذا الشريب أخذته الأكه ۞ فخله حتى يبك بكه

وقيل تبك أعناق الجبابرة أى تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله تعالى (مباركا) كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن فى الظرف لأن التقدير للذى ببكة هو والعامل فيه المقدر فى الظرف من فعل الاستقرار (وهدى للعالمين) لأنه قبلتهم ومتعبدهم (مقام إبراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات (فإن قلت) كيف صح بيان الجماعة بالواحد (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يجعل

۞ قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا (قال محمود إن قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد الخ) قال أحمد ونظير هذا التأويل ماتقدم لى عند قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قال محمود فيما تقدم والذى صدر منهم أمنية واحدة فما وجه جمعها وبينت فيها هذا بعينه وهو أن الشىء الواحد متى أريد تمكينه وامتيازه عن غيره من صفة جمع أفاد الجمع فيه ذلك وقد لاح لى الآن فى جمع الأمانى ثم وجه آخر وذلك أن كل واحد منهم صدرت منه هذه الأمنية فجمعها بهذا الاعتبار تنبيها على تعددها بتعددهم والعجب أن الجمع فى مثل هذا هو الأصل وأن الإفراد إنما يقع فيه على نوع ما من الاختصار ومنه كلوا فى بعض بطنكم تصحوا (عاد

(قوله وحمى مغمطة ومغبطة) فى الصحاح أغمطت عليه الحمى لغة فى أغبطت أى دامت اه من موضعين (قوله إذا الشريب أخذته الأكه) فى الصحاح الأكه شدة الحر الذى لاريح فيه

وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة إبراهيم من تأثير قدمه فى حجر صلد كقوله تعالى إن ابراهيم كان أمة والثانى اشتماله على آيات لأن أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها إلى الكعبين آية وإلانة بعض الصخر دون بعض آية وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنة آية ويجوز أن يراد فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله لأن الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والأربعة ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما ونحوه فى طى الذكر قول جرير

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهمو ۞ من العبيد وثلث من مواليها

ومنه قوله عليه السلام حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة وقرأ ابن عباس وأبىّ ومجاهد وأبوجعفر المدنى فى رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على أن مقام ابراهيم واقع وحده عطف بيان (فإن قلت) كيف أجزت أن يكون مقام إبراهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستأنفة إما ابتدائية وإماشرطية (قلت) أجزت ذلك من حيث المعنى لأن قوله ومن دخله كان آمنا دلّ على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن داخله ألاترى أنك لوقلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صحّ لأنه فى معنى قولك فيه آية بينة أمن من دخله (فإن قلت) كيف كان سبب هذا الأثر (قلت) فيه قولان أحدهما أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل إنه جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسمعيل انزل حتى يغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه ۞ ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رضى الله عنه لوظفرت فيه بقاتل الخطاب مامسسته حتى يخرج منه وعند أبى حنيفة من لزمه القتل فى الحل بقصاص أوردة أوزنا فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلاأنه لايؤوى ولا يطعم ولايسقى ولايبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبى صلى الله عليه وسلم من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم من صبر على حرّ مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام (من استطاع) بدل من الناس وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه أكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لايقدر على السفر وقد يقدر عليه من لازاد له ولاراحلة وعن الضحاك إذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له فى ذلك فقال إن كان لبعضهم ميراث بمكة أ كان يتركه بل كان ينطلق اليه ولوحبوا فكذلك يجب عليه الحج ۞ والضمير فى (اليه) للبيت أو للحج وكل مأتىّ إلى الشىء فهو سبيل اليه وفى هذا الكلام أنواع

كلامه) قال الوجه الثانى اشتماله على آيات لأن أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها إلى الكعبين آية وإلانة بعض الصخر دون بعض آية وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آية وحفظه مع كثرة عدوه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنة آية ويجوز أن يريد مقام إبراهيم وأمن من دخله وكثيراً سواهما والله أعلم قوله تعالى لله على الناس حج البيت الآية (قال محمود وفى هذا الكلام أنواع من التوكيد منها قوله ولله على الناس

ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۞ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا

من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعنى أنه حق واجب لله فى رقاب الناس لاينفكون عن أدائه والخروج من عهدته ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد أحدهما أنّ الإبدال تثنية للمراد وتكرير له والثانى أنّ الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له فى صورتين مختلفين ومنها قوله (ومن كفر) مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله (عن العالمين) وإن لم يقل عنه ومافيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لامحالة ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدلّ على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت فى اليهود فإنهم قالوا الحج إلى مكة غير واجب وروى أنه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لانؤمن به ولانصلى اليه ولانحجه فنزل ومن كفر وعن النبى صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لاتحجوا فإنه قد هدم البيت مرتين ويرفع فى الثالثة وروى حجوا قبل أن لاتحجوا حجوا قبل أن يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل أن تنبت فى البادية شجرة لاتأكل منها دابة إلا نفقت وعن عمر رضى الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا مانوظروا وقرئ حج البيت بالكسر (والله شهيد) الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التى دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم والحال أنّ الله شهيد على أعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب أن لاتجسروا على الكفر بآياته ۞ قرأ الحسن تصدون من أصدّه (عن سبيل الله) عن دين حق علم أنه سبيل الله التى أمر بسلوكها وهو الإسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدّهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم وقيل أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم فى الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله (تبغونها عوجا) تطلبون لها اعوجاجاً وميلا عن القصد والاستقامة (فإن قلت) كيف تبغونها عوجا وهو محال (قلت) فيه معنيان أحدهما أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أنّ فيها عوجا بقولكم إنّ شريعة موسى لاتنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثانى أنكم تتبعون أنفسكم فى إخفاء الحق وابتغاء مالايتأتى لكم من وجود العوج

أى فى رقابهم لاينفكون عنه الخ) قال أحمد قوله إنّ المراد بمن كفر من ترك الحج وعبر عنه بالكفر تغليظا عليه فيه نظر فإن قاعدة أهل السنة توجب أن تارك الحج لا يكفر بمجرد تركه قولا واحداً فيتعين حمل الآية على تارك الحج جاحد الوجوب به وحينئذ يكون الكفر راجعا إلى الاعتقاد لا إلى مجرد الترك وأما الزمخشرى فيستحل ذلك لأنّ تارك الحج بمجرد الترك يخرج من ربقة الإيمان ومن اسمه ومن حكمه لأنه عنده غير مؤمن ومخلد تخليد الكفار وعلى قاعدة السنة يتعين المصير إلى ماذكرناه هذا إن كان المراد بمن كفر من ترك الحج ويحتمل أن يكون استئنافا وعيدا للكافر فيبقى على ظاهره والله أعلم ۞ قوله تعالى «ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا» الآية (قال محمود أى تطلبون لها اعوجاجاً الخ) قال أحمد وفى تقديره الجار مع ضمير المفعول حيث قال تطلبون لها اعوجاجا تنقيص من المعنى وأتم من إعرابه معنى أن تجعل الهاء هى المفعول به وعوجا حالا وقع فيها المصدر الذى هو عوجا موقع الاسم وفى هذا الإعراب من المبالغة أنهم يطلبون أن تكون الطريقة المستقيمة نفس العوج على طريقة المبالغة فى مثل رجل صوم ويكون ذلك أبلغ فى ذمهم وتوبيخهم والله أعلم

(قوله فإن قلت كيف تبغونها عوجا) لعله كيف قال تبغونها أولعله كيف يبغونها

الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ۞ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟

فيما هو أقوم من كل مستقيم (وأنتم شهداء) أنها سبيل الله التى لا يصدّ عنها إلا ضالّ مضلّ أو وأنتم شهداء بين أهل دينكم عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم فى عظائم أمورهم وهم الأحبار (وما الله بغافل) وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال ۞ قيل مرشاس بن قيس اليهودى وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذى كان بينهم فى الجاهلية من العداوة وقال مالنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود أن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ماقيل فيه من الأشعار وكان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم (وكيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجيب والمعنى من أين يتطرق اليكم الكفر والحال أن آيات الله وهى القرآن المعجز (تتلى عليكم) على لسان الرسول غضة طرية وبين أظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه ويجوز أن يكون حثا لهم على الالتجاء اليه فى دفع شرور الكفار ومكايدهم (فقد هدى) فقد حصل له الهدى لامحالة كما تقول إذا جئت فلانا فقد أفلحت كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فى قد ظاهر لأن المعتصم بالله متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده (حق تقاته) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ونحوه «فاتقوا الله ما استطعتم» يريد بالغ وافى التقوى حتى لاتتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروى مرفوعا وقيل هو أن لاتأخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل لايتقى الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد (ولا تموتن) معناه ولاتكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لاتأتنى إلا وأنت على حصان فلا تنهاه عن الإتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التى شرطت عليه فى وقت الإتيان ۞ قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وأن يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه أو واجتمعوا على التمسك بعهده إلى عباده وهو الإيمان والطاعة أو بكتابه لقول النبى صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لاتنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم (ولا تفرقوا) ولاتتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين فى الجاهلية متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويحاربه أو ولاتحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التى أنتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالإسلام

(قوله يوم بعاث) بعاث بالضم يوم وقعة للأوس والخزرج (قوله فقال أتدعون الجاهلية) فى الشهاب على البيضاوى أنه محرف والرواية أبدعوى الجاهلية أى أتأخذون بها (قوله على لسان الرسول غضة طرية) فى الصحاح شىء غض أى طرى وكل ناضر غض نحو الشباب وغيره وفيه شىء طرى أى غض بين الطراوة

وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ❊ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

كانوا فى الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالإسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا (إخوانا) متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قدنظم بينهم وأزال الاختلاف وهو الأخوة فى الله وقيل هم الأوس والخزرج كانا أخوين لأب وأم فوقعت بينهما العدواة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة إلى أن أطفا الله ذلك بالإسلام وألف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شفا حفرة من النار) وكنتم مشفين على أن تقعوا فى نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (فأنقذكم منها) بالإسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وإنما أنث لإضافته إلى الحفرة وهو منها كما قال ❊ كما شرقت صدر القناة من الدم ❊ وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو إلا أنها فى المذكر مقلوبة وفى المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة (فان قلت) كيف جعلوا على حرف حفرة من النار (قلت) لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا فى النار فمثلت حياتهم التى يتوقع بعدها الوقوع فى النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها (كذلك) مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) إرادة أن تزدادوا هدى (ولتكن منكم أمة) من للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من

قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (قال محمود الضمير للشفا وهو مذكر وإنما أنثه للإضافة الخ) قال أحمد ويجوز عود الضمير إلى الحفرة فلا يحتاج إلى تأويله المذكور كما تقول أكرمت غلام هند وأحسنت إليها والمعنى على عوده إلى الحفرة أتم لأنها التى يمتن بالإنقاذ منها حقيقة وأما الامتنان بالإنقاذ من الشفا فلا يستلزمه الكون على الشفا غالبا من الهوى إلى الحفرة فيكون الإنقاذ من الشفا إنقاذاً من الحفرة التى يتوقع الهوىّ فيها فإضافة المنة إلى الإنقاذ من الحفرة تكون أبلغ وأوقع مع أن اكتساب التأنيث من المضاف إليه قد عده أبو على فى التعاليق من ضرورة الشعر خلاف رأيه فى الإيضاح نقله ابن يسعون وما حمل الزمخشرى على إعادة الضمير إلى الشفا إلا أنه هو الذى كانوا عليه ولم يكونوا فى الحفرة حتى يمتن عليهم بالإنقاذ منها وقد بينا فى أدراج هذا الكلام مايسوغ الامتنان عليهم بالإنقاذ من الحفرة لأنهم كانوا صائرين إليها غالبا لولا الإنقاذ الربانى ألا ترى إلى قوله عليه السلام المرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه وإلى قوله تعالى أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم وانظر كيف جعل تعالى كون البنيان على الشفا سببا مؤديا إلى انهياره فى نار جهنم مع تأكيد ذلك بقوله هار والله أعلم ❊ قوله تعالى ولتكن منكم أمة الآية (قال محمود من للتبعيض الخ) قال أحمد وفى هذا التبعيض وتنكير أمة تنبيه على قلة العاملين بذلك وأنه لا يخاطب به إلا الخواص ومن هذا الأسلوب قوله تعالى اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد فإنما وجه الخطاب على نفس منكرة تنبيها على قلة الناظر فى معاده وكذلك قوله وتعيها أذن واعية حتى ورد فى التفسير أن المراد أذن واحدة مخصوصة وهى أذن على بن أبى طالب رضى الله عنه (عاد كلامه) قال وقوله يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صدر الكلام بالدعاء الخ قال أحمد عطف الخاص على العام يؤذن بمزيد اعتناء بالخاص لامحالة إذا اقتصر على بعض متناولات العام كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وكقوله فيهما فاكهة ونخل ورمان وكقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وشبه ذلك لأن الاقتصار على تخصيص مايفرد بالذكر يفيده تميزا عن غيره من بقية المتناولات وأما هذه الآية فقد ذكر بعد العام فيها جميع مايتناوله إذ الخير المدعو إليه إما فعل مأمور أو ترك منهى لا يعدو واحدا من هذين حتى يكون تخصيصها يميزها عن بقية المتناولات فالأولى فى ذلك

(قوله وكنتم مشفين على أن تقعوا) أى مشرفين . أفاده الصحاح

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا

فروض الكفايات ولأنه لايصلح له إلا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر فى إقامته وكيف يباشر فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة وينكر على من لايزيده إنكاره إلا تماديا أو على من الإنكار عليه عبث كالإنكار على أصحاب المآصر والجلادين وأضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون (وأولئك هم المفلحون) هم الأخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال: آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم. وعنه عليه السلام: من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه. وعن على رضى الله عنه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتى على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثورى إذا كان الرجل محببا فى جيرانه محموداً عند إخوانه فاعلم أنه مداهن والأمر بالمعروف تابع للمأمور به إن كان واجبا فواجب وإن كان ندبا فندب وأما النهى عن المنكر فواجب كله لأن جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح (فإن قلت) ما طريق الوجوب (قلت) قد اختلف فيه الشيخان فعند أبى على السمع والعقل وعند أبى هاشم السمع وحده (فإن قلت) ما شرائط النهى (قلت) أن يعلم الناهى أن ما ينكره قبيح لأنه إذا لم يعلم لم يأمن أن ينكر الحسن وأن لا يكون ما ينهى عنه واقعا لأن الواقع لايحسن النهى عنه وإنما يحسن الذم عليه والنهى عن أمثاله وأن لا يغلب على ظنه أن المنهى يزيد فى منكراته وأن لايغلب على ظنه أن نهيه لايؤثر لأنه عبث (فإن قلت) فما شروط الوجوب (قلت) أن يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر بإعداد آلاته وأن لايغلب على ظنه أنه إن أنكر لحقته مضرة عظيمة (فإن قلت) كيف يباشر الإنكار (قلت) يبتدئ بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب لأن الغرض كف المنكر قال الله تعالى فأصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا (فإن قلت) فمن يباشره (قلت) كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد أجمعوا أن من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الإنكار لأنه معلوم قبحه لكل أحد وأما الإنكار الذى بالقتال فالإمام وخلفاؤه أولى لأنهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها (فإن قلت) فمن يؤمر وينهى (قلت) كل مكلف وغير المكلف إذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لايتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها (فإن قلت) هل يجب على مرتكب المنكر أن ينهى عما يرتكبه (قلت) نعم يجب عليه لأن ترك ارتكابه وإنكاره واجبان عليه فبتركه أحد الواجبين لايسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وإن لم تفعلوا وعن الحسن أنه سمع مطرف بن عبد الله يقول لاأقول مالاأفعل فقال وأينا يفعل مايقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر (فإن قلت) كيف قيل يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف (قلت) الدعاء إلى الخير عام فى التكاليف من الأفعال والتروك والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خاص فجىء بالعام ثم عطف عليه الخاص إيذانا بفضله كقوله والصلاة

أن يقال فائدة هذا التخصيص ذكر الدعاء إلى الخير عاما ثم مفصلا وفى تنبيه أن الذكر على وجهين مالايخفى من العناية والله أعلم إلا أن يثبت عرف يخص الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ببعض أنواع الخير فإذ ذاك يتم مراد الزمخشرى وما أرى هذا العرف ثابتا والله أعلم

(قوله كالإنكار على أصحاب المآصر) جمع مأصر وهو المحبس أى السجن أفاده الصحاح (قوله على ظنه إن أنكر لحقته مضرة) لعله أنه إن أنكر

مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ

الوسطى (كالذين تفرقوا واختلفوا) وهم اليهود والنصارى (من بعد ماجاءهم البينات) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق وقيل هم مبتدعو هذه الأمة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية وأشباههم (يوم تبيض وجوه) نصب بالظرف وهو لهم أو بإضمار اذكر وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل وأهله (أكفرتم) فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتاب وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والأنصار وتسود وجوه بنى قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل أهل البدع والأهواء وعن أبى أمامة هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشىء تقوله برأيك أم شىء سمعته من رسول الله ﷺ قال بل سمعت من رسول الله ﷺ غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال إن بأرضك منهم كثيراً فأعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لإعراضهم عما أوجبه الإقرار حين أشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى (ففى رحمة الله) فى نعمته وهى الثواب المخلد ۝ (فإن قلت) كيف موقع قوله (هم فيها خالدون) بعد قوله ففى رحمة الله (قلت) موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك آيات الله) الواردة فى الوعد والوعيد (نتلوها عليك) ملتبسة (بالحق) والعدل من جزاء المحسن والمسىء بما يستوجبانه (وما الله يريد ظلماً) فيأخذ أحداً بغير جرم أو يزيد فى عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن ونكر ظلماً وقال (للعالمين) على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح والرضا بها ۝ كان عبارة عن وجود الشىء فى زمان ماض على سبيل الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفوراً رحيماً ومنه قوله تعالى (كنتم خير أمة) كأنه قيل وجدتم خير أمة وقيل كنتم فى علم الله خير أمة وقيل كنتم فى الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به (أخرجت) أظهرت وقوله (تأمرون) كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم (وتؤمنون بالله) جعل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إيماناً بالله لأن من آمن ببعض ما يجب

(قوله وهم المشبهة والمجبرة والحشوية) إن أراد بهم أهل السنة ومن وافقهم كعادته فقد أفرط فى التعصب للمعتزلة
(قوله فسبحان من يحلم عن من يصفه بإرادة القبائح) يريد أهل السنة القائلين ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن كما أجمع عليه السلف

الْفَاسِقُونَ ۞ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۞ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ

الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه فكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً والدليل عليه قوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) مع إيمانهم بالله (لكان خيراً لهم) لكان الإيمان خيراً لهم مما هم عليه لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حباً للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين (منهم المؤمنون) كعبدالله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر (لن يضروكم إلا أذى) إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول من طعن فى الدين أو تهديداً ونحو ذلك (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار) منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بالتلهى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبالى به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وإنّ عاقبة أمرهم الخذلان والذلّ (فإن قلت) هلا جزم المعطوف فى قوله ثم لا ينصرون (قلت) عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون (فإن قلت) فأى فرق بين رفعه وجزمه فى المعنى (قلت) لو جزم لكان نفى النصر مقيداً بمقاتلتهم كتولية الإدبار وحين رفع كان نفى النصر وعداً مطلقاً كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التى أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية إنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر (فإن قلت) فما الذى عطف عليه هذا الخبر (قلت) جملة الشرط والجزاء كأنه قيل أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون (فإن قلت) فما معنى التراخى فى ثم (قلت) التراخى فى المرتبة لأنّ الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار (فإن قلت) ما موقع الجملتين أعنى منهم المؤمنون ولن يضروكم (قلت) هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فإنّ من شأنه كيت وكيت ولذلك جاآ من غير عاطف (بحبل من الله) فى محل النصب على الحال بتقدير إلا معتصمين أو متمسكين أو ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الأحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة فى عامة الأحوال إلا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعنى ذمة الله وذمة المسلمين أى لا عزلهم قط إلا هذه الواحدة وهى التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية (وباؤا بغضب من الله) استوجبوه (وضربت عليهم المسكنة) كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون فى المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذله والمسكنة والبواء بغضب الله أى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء ثم قال (ذلك بما عصوا) أى ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم أنّ الكفر وحده ليس بسبب فى استحقاق سخط الله وأنّ سخط الله يستحق بركوب المعاصى

۞ قوله تعالى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون (قال محمود إن قلت هلا جزم المعطوف فى قوله ثم لا ينصرون الخ) قال أحمد وهذا من الترقى فى الوعد عما هو أدنى إلى ما هو أعلى لأنهم وعدوا بتولية عدوّهم الأدبار عند المقابلة ثم ترقى الوعد إلى ما هو أتم فى النجاح من أنّ هؤلاء لا ينصرون مطلقاً ويزيد هذا الترقى بدخول ثم دون الواو فإنها تستعار ههنا للتراخى فى الرتبة لا فى الوجود كأنه قال ثم ههنا ما هو أعلى فى الامتنان وأسمع فى رتب الإحسان وهو أن هؤلاء

الآيت إن كنتم تعقلون ۞ هـأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتب كله وإذا لقوكم قالوا ءامنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ۞ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله

ألوك جهدا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه والخبال الفساد (ودوا ما عنتم) ودوا عنتكم على أن ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة وأصله انهياض العظم بعد جبره أى تمنوا أن يضروكم فى دينكم ودنيا كم أشد الضرر وأبلغه (قدبدت البغضاء من أفواههم) لأنهم لايتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم مايعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفى قراءة عبدالله قد بدأ البغضاء (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الإخلاص فى الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه (إن كنتم تعقلون) مابين لكم فعملتم به (فإن قلت) كيف موقع هذه الجمل (قلت) يجوز أن يكون لايألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة (ها) للتنبيه و (أنتم) مبتدأ و (أولاء) خبره أى أنتم أولاء الخاطئون فى موالاة منافقى أهل الكتاب وقوله (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء وقيل أولاء موصول تحبونهم صلته ۞ والواو فى (وتؤمنون) للحال وانتصابها من لا يحبونكم أى لايحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لايؤمنون بشىء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بأنهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون ۞ ويوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام قال الحرث بن ظالم المرى

فاقتل أقواما لئاما أذلة ▪ يعضون من غيظ رؤس الأباهم

(قل موتوا بغيظكم) دعا عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة مايغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى والتبار (إن الله عليم بذات الصدور) فهو يعلم مافى صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم فى حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل فى جملة المقول أو خارج منها (فإن قلت) فكيف معناه على الوجهين (قلت) إذا كان داخلا فى جملة المقول فمعناه أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا وقل لهم إن الله عليم مما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه وإذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعى إياك على مايسرون فإنى أعلم ماهو أخفى من ذلك وهو ماأضمره فى صدورهم ولم يظهروه بألسنتهم ويجوز أن لا يكون ثم قول وأن يكون قوله قل موتوا بغيظكم أمرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظا بإعزاز الإسلام وإذلالهم به كأنه قيل حدث نفسك بذلك ۞ الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع ۞ والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة (فإن قلت) كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة

ضلت وأن أدعم بها الحائط إذا مال وأمثال ذلك كثيرة والله الموفق ▪ قوله تعالى إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها (قال محمود إن قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة الخ) قال أحمد يمكن أن يقال المس أقل تمكنا من الإصابة وكأنه أقل درجاتها فكأن الكلام والله أعلم إن تصبكم الحسنة أدنى إصابة تسؤهم ويحسدوكم عليها وإن تمكنت الإصابة منكم وانتهى الأمر فيها إلى الحد الذى يرثى الشامت عنده منها فهم لايرثون لكم ولا ينفكون عن حسدهم ولا فى هذه الحال بل يفرحون ويسرون والله أعلم

الْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَمَايَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ مَثَلُ مَايُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ

كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيآتهم أغرقوا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ۞ الضمير فى (ليسوا) لأهل الكتاب أى ليس أهل الكتاب مستوين ۞ وقوله (من أهل الكتاب أمة قائمة) كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة ۞ أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم ۞ وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون وأدلّ على حسن صورة أمرهم وقيل عنى صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لايصلونها وعن ابن مسعود رضى الله عنه أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما أنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية ۞ وقوله (يتلون) و (يؤمنون) فى محل الرفع صفتان لأمة أى أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيراً وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة فى الخيرات لأنهم كانو متباطئين عنها غير راغبين فيها ۞ والمسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب فى الأمر سارع فى توليه والقيام به وآثر الفور على التراخى (وأولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من) جملة (الصالحين) الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين (فلن تكفروه) لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر فى قوله «والله شكور حليم» فى معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك (فإن قلت) لم عدى إلى مفعولين وشكر وكفر لايتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها (قلت) ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه ۞ وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لايفوز عنده إلا أهل التقوى ۞ الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال

لاتعدلن أتاو بين تضربهم ۞ نكباء صر بأصحاب المحلات

كما قالت ليلى الأخيلية ولم تغلب الخصم الألد وتملا الجفان سديفا يوم نكباء صرصر

(فإن قلت) فامعنى قوله (كمثل ريح فيها صر) (قلت) فيه أوجه أحدها أن الصر فى صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثانى أن يكون الصر مصدراً فى الأصل بمعنى البرد فجىء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ومن قولك أن ضعينى فلان فى الله

قوم لاينصرون ألبتة والله أعلم ۞ قوله تعالى مثل ماينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وماظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون (قال أبو القاسم محمود الصر الريح الباردة الخ) قال أحمد كلها أوجه وجيهة وهذا الأخير أحسنها وأوجهها لكن لم يبين الزمخشرى وجه الظرفية فى الأمثلة المذكورة ونحن نبينها فنقول إذا قلت مثلا إن ضيعنى زيد فى عمرو بعدالله كاف فقولك كاف أثبت منكر أمجرداً من القيود المشخصة المخصصة ثم جعلت المعين الذى هو عمرو محلاله فشخصت ذلك المطلق المجرد بهذا المعين فهى ظرفية صحيحة إذ كل مقيد ظرف لمطلقه إذ المطلق

ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن
دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ

كاف وكافل قال ■ وفى الرحمن للضعفاء كافى * شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم فى المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن
الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذى حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع
كفرهم وقيل ما أنفقوا فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله وشبه
بحرث (قوم ظلموا أنفسهم) فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ (فإن قلت) الغرض
تشبيه ما أنفقوا فى قلة جدواه وضياعه بالحرث الذى ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون
ممثلا بالريح (قلت) هو من التشبيه المركب الذى مر فى تفسير قوله كمثل الذى استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل إهلاك
ما ينفقون كمثل إهلاك الريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء (وما ظلمهم الله)
الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول
أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أى وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا
به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن أنفسهم يظلمونها هم ولا يجوز أن يراد ولكنه أنفسهم يظلمون على
إسقاط ضمير الشأن لأنه إنما يجوز فى الشعر * بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذى يفضى إليه بشقوره ثقة
به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعارى وعن النبى صلى الله عليه وسلم الأنصار شعار والناس دثار (من دونكم)
من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وببطانة على الوصف أى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة
لكم (لا يألونكم خبالا) يقال ألا فى الأمر يألو إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين فى قولهم لا آلوك نصحا ولا

بعض المقيد فتنبه لهذه النكتة فإنها لطيفة والله الموفق (قال محمود فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا فى قلة جدواه الخ)
قال أحمد أما إيراد السؤال فلا ترتضى صيغته لما فيها من حيف بالأدب إذ جزم السائل المقدر بأن كلام الله تعالى غير
مطابق لمراده واللائق بالسؤال الوارد عن كتاب الله تعالى أن يذكر بصيغته الاسترشاد الصريحة لا بصيغة الاعتراض المحضة
والعبارة الصحيحة أن يقال فما وجه مطابقة الكلام للغرض ولا ينبغى التساهل فى ذلك فإن أحدنا لو أورد سؤالا على
كلام إمام معتبر بمرأى منه ومسمع تحيل فى أنواع التلطف فى إيراده وبعد عن أمثال هذه العبارة ولعل الاعتراض على ذلك الإمام
يكون واردا لا يمكن عنه جواب فكيف يليق التسامح فى إيراد الأسئلة على كتاب الله تعالى بصيغ الاعتراضات وإنما يسئل عن كتاب
الله تعالى بمرأى منه ومسمع على علم بأنه كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فما أجدره أن يتوفر فى
الاسترشاد وأن يتأدب فى الإيراد ثم نعود إلى جواب الزمخشرى الثانى وهو قوله أن المراد مثل إهلاك ما ينفقون فنقول لم يكشف
الغطاء بهذا الجواب عن المطابقة المسئول عنها والسؤال باق وذلك أن الريح المشبه بها ليست الإهلاك وإنما هى المهلكة ولا
مطابقة بين المصدر والاسم إلا بتأويل آخر وحينئذ يبعد هذا الوجه وأقرب منه أن يقول أصل الكلام والله أعلم مثل
ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر فأهلكته ولكن خولف هذا النظم
فى المثل المذكور لفائدة جليلة وهو تقديم ما هو أهم لأن الريح التى هى مثل العذاب ذكرها فى سياق الوعيد والتهديد
أهم من ذكر الحرث فقدمت عناية بذكرها واعتمادا على أن الأفهام الصحيحة تستخرج المطابقة برد الكلام إلى أصله
على أيسر وجه ومثل هذا فى تحويل النظم لمثل هذه الفائدة قوله تعالى فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن
تضل إحداهما الآية ومثله أيضا أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه والأصل أن تذكر إحداهما الأخرى إن

(قوله بشقوره ثقة به) فى الصحاح الشقور بالضم الأمور اللاصقة بالقلب المهمة له الواحد شقر

بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ

(قلت) المس مستعار لمعنى الإصابة فكان المعنى واحداً ألا ترى إلى قوله إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك إذا مسه الشرجزوعا وإذامسه الخيرمنوعا (وإن تصبروا) على عداوتهم (وتتقوا) مانهيتم عنه من موالاتهم أو وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله فى اجتنابكم محارمه كنتم فى كنف الله فلا يضركم كيدهم ۞ وقرئ لايضركم من ضاره يضيره ويضركم على أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مديا هذا وروى المفضل عن عاصم لايضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازددفضلافى نفسك (إن الله بما تعملون) من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) ففاعل بكم ماأنتم أهله وقرئ بالياء بمعنى أنه عالم بما يعملون فى عداوتكم فمعاقبهم عليه ۞ (و) اذكر (إذ غدوت من أهلك) بالمدينة وهو غدوه إلى أحد من حجرة عائشة رضى الله عنها روى إن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبىّ ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبدالله وأكثر الأنصار يارسول الله أقم بالمدينة ولاتخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها إلى عدو قط إلاأصاب منا ولادخلها علينا إلاأصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يارسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لايرون أنا قد جبنا عنهم فقال صلى الله عليه وسلم إنى قد رأيت فى منامى بقرا مذبحة حولى فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه وقالوا اصنع يارسول الله مارأيت فقال لاينبغى لنبى أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لايأتونا من ورائنا (تبوّئ المؤمنين) تنزلهم وقرأ عبدالله للمؤمنين بمعنى تسوى لهم وتهيء (مقاعد للقتال) مواطن ومواقف وقداتسع فى قعد وقام حتى أجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام فى معنى المكان ومنه قوله تعالى فى مقعد صدق قبل أن تقوم من مقامك من مجالسك وموضع حكمك (والله سميع) لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم (إذ همت) بدل من إذغدوت أوعمل فيه معنى سميع عليم ۞ والطائفتان حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف وقيل فى تسعمائة وخمسين والمشركون فى ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخزل عبدالله ابن أبىّ بثلث الناس وقال ياقوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصار فقال أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لونعلم قتالا لاتبعناكم فهمّ الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنه أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس وكما لاتخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو ابن الأطنابة

أقول لها إذا جشأت وجاشت ۞ مكانك تحمدى أو تستريحى

حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلى فى الركاب يوم صفين فما ثبت منى إلا قول عمرو بن الأطنابة

(قوله كأنما يقوم بهم القدح) فى الصحاح القدح بالكسر السهم قبل أن يراش ويركب نصله

مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ۞ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۞ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ

ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول (والله وليهما) ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولى أمرهما فمالهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (فإن قلت) فما معنى ماروى من قول بعضهم عند نزول الآية والله مايسرنا أنالم نهم بالذى هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا (قلت) معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سبباً لنزولها ۞ والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ۞ أمرهم بألا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا اليه ۞ ثم ذكرهم مايوجب عليهم التوكل مما يسرلهم من الفتح يوم بدر وهم فى حال قلة وذلة ۞ والأذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوّهم فى حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدراً فسمى به (فاتقوا الله) فى الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بتقواكم ماأنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له (إذ تقول) ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقوله لهم يوم أحد (فإن قلت) كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة (قلت) قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تمواعلى ماشرط عليهم لنزلت وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى (ألن يكفيكم) إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة وإنما جىء بلن الذى هو لتأكيد النفى للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوّهم وشوكته كالآيسين من النصر و (بلى) إيجاب لما بعد لن بمعنى بلى يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال (أن تصبروا وتتقوا) يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسوّمين للقتال (ويأتوكم) يعنى المشركين (من فورهم هذا) من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول أبى حنيفة رحمه الله الأمر على الفور لا على التراخى وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التى لاريث فيها ولا تعريج على شىء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم) بالملائكة فى حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يريد أنّ الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم ۞ وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاى بمعنى منزلين النصر ومسوّمين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبى معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض فى نواصى الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه تسوّموا فإنّ الملائكة قد تسوّمت (وماجعله الله) الهاء لأن يمدكم أى وماجعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون (ولتطمئن

(قوله والشكة والشوكة وبدر) فى الصحاح الشكة بالكسر السلاح والشوكة شدة البأس

الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ۞ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ۞ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۞ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

به قلوبكم) كما كانت السكينة لبنى إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (وما النصر إلا من عند الله) لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع فى الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين (العزيز) الذى لا يغالب فى حكمه (الحكيم) الذى يعطى النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم (أو يكبتهم أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة (فينقلبوا خائبين) غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل فى قول أبى الطيب

۞ لا كبت حاسدا وأرى عدوا ۞ هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر إلا من عند الله (أو يتوب) عطف على ماقبله ۞ وليس لك من الأمر شىء اعتراض والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شىء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم وقيل إن يتوب منصوب بإضمار أن وأن يتوب فى حكم اسم معطوف بأو على الأمر أو على شىء أى ليس لك من أمرهم شىء أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم أو ليس لك من أمرهم شىء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل أو بمعنى إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطينى حقى على معنى ليس لك من أمرهم شىء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن أبى وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى أبى حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فنزلت وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه أن فيهم من يؤمن ۞ وعن الحسن (يغفر لمن يشاء) بالتوبة ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين (ويعذب من يشاء) ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب إليه ويعذب من لقيه ظالما وإتباعه قوله أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وأنهم المتوب عليهم أو الظالمون ولكن أهل الإهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير ۞ (لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة) نهى عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد فى الأجل فاستغرق بالشىء الطفيف مال المديون (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هى أخوف آية فى القرآن

۞ قوله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (قال محمود معناه يغفر لمن يشاء بالتوبة الخ) قال أحمد هذه الآية واردة فى الكفار ومعتقد أهل السنة أن المغفرة فى حقهم مشروطة بالتوبة من الكفر والرجوع إلى الإيمان وليسوا محل خلاف بين الطائفتين وعندهم أن المؤمن التائب من كفره هو المعنى فى قولهم يغفر لمن يشاء كما قاله الزمخشرى وأما تسلقه من ذلك على تعميم هذ الحكم وتعديته إلى الموحدين فمن التعامى والتصام حقيقة وإلا فهو أحذق من ذلك وأما نسبته إلى أهل السنة التعامى والتصام والهوى والبدعة والافتراء فالله حسيبه فى ذلك والسلام

(قوله بالتوبة ولا يشاء أن يغفر إلا) هذا عند المعتزلة (قوله ولكن عند أهل الأهواء والبدع يتصامون) يريد أهل السنة وتحقيق المبحث فى علم التوحيد (قوله بالشىء الطفيف مال المديون) لعله المدين أو هو لغة شاذة

وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا

حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدّة للكافرين إن لم يتقوه فى اجتناب محارمه ﴿ وقد أمدّ ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآية وأمثالها لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتمنى على الله تعالى ﴿ وفى ذكره تعالى لعلّ وعسى فى نحو هذه المواضع وإن قال الناس ماقالوا مالايخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضا الله وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه ﴿ فى مصاحف أهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وتنصره قراءة أبى وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة الإقبال على مايستحقان به (عرضها السموات والأرض) أى عرضها عرض السموات والأرض كقوله عرضها كعرض السماء والأرض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ماعلمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لأنه فى العادة أدنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من إستبرق . وعن ابن عباس رضى الله عنه كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض (فى السراء والضراء) فى حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لايخلون بأن ينفقوا فى كلتا الحالتين ماقدروا عليه من كثير أو قليل كما حكى عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضى الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب أوفى جميع الأحوال لأنها لاتخلو من حال مسرّة ومضرّة لاتمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم فى عرس أوفى حبس فإنه لايدع الإحسان وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شىء على النفس وأدله على الإخلاص ولأنه كان فى ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه فى مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين ﴿ كظم القربة إذا ملأها وشدّ فاها وكظم البعير إذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على مافى نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا وعن عائشة رضى الله عنها أن خادماً لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذى غيظ شفاء (والعافين عن الناس) إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروى ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلايقوم إلا من عفا وعن ابن عيينة أنه رواه الرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبى صلى الله عليه وسلم: إن هؤلاء فى أمتى قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيراً فى الأمم التى مضت (والله يحب المحسنين) يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن تكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء (والذين) عطف على المتقين أى أعدّت للمتقين وللتائبين وقوله أولئك إشارة إلى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك (فاحشة) فعلة متزايدة القبح (أوظلموا أنفسهم) أوأذنبوا أى ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس مادونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة (ذكروا الله) تذكروا عقابه أو وعيده أونهيه أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه (فاستغفروا لذنوبهم) فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين (ومن يغفر الذنوب إلا الله) وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وإنّ التائب من الذنب عنده كمن لاذنب له وإنه لامفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه وأنّ عدله يوجب المغفرة للتائب لأنّ العبد إذا جاء فى الاعتذار والتنصل بأقصى مايقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وإنّ الذنوب

(قوله لقبحها ونادمين عازمين) لعله عازمين على عدم العود (قوله بأقصى ممايقدر عليه وجب العفو) أمّا سمعاً فباتفاق وأمّا عقلا فعند المعتزلة فقط

عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۞ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۞ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۞ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ إِن

وإن جلت فإنّ عفوه أجل وكرمه أعظم والمعنى أنه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه (ولم يصرّوا) ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ماأصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار (وهم يعلمون) حال من فعل الإصرار وحرف النفي منصب عليهما معاً والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع أنّ الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرّون وأنّ الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرّين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه ۞ قال (أجر العاملين) بعد قوله جزاؤهم لأنهما في معنى واحد وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أنّ ذلك جزاء واجب على عمل وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروى أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى ما أقلّ حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن رضي الله عنه يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية رضي الله عنها أنها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ۞ إن السفينة لا تجري على اليبس

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات (قد خلت من قبلكم سنن) يريد ماسنه الله في الأمم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل (هذا بيان للناس) إيضاح لسوء عاقبة ماهم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم (وهدى وموعظة للمتقين) يعني أنه مع كونه بيانا وتنبيهاً للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز أن يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين ويكون قوله هذا بيان إشارة إلى ما لخص وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرّين (ولا تهنوا ولا تحزنوا) تسلية من الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم أي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح (وأنتم الأعلون) وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الأعلون شأنا لأنّ قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر ولأنّ قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار أو هي بشارة لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الأعلون في العاقبة وإن جندنا لهم الغالبون (إن كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا إن صح إيمانكم على أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالأعلون أي إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة ۞ قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرأ أبو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى إن

(قوله والتائبين منهم دون المصرّين) يعني أنّ الإصرار كبيرة وفاعل الكبيرة يخلد في النار لكن هذا عند المعتزلة وخالف أهل السنة لأنه مؤمن عندهم والمؤمن لا يخلد فيها وتحقيقه في علم التوحيد (قوله وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون) يريد بهم أهل السنة حيث قالوا لا يجب على الله شيء (قوله والغلبة وأنتم الأعلون) لعله أي وأنتم

يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ

نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى أن لاتضعفوا ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالايرجون وقيل كان ذلك يوم أحد فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) كيف قيل (قرح مثله) وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين (قلت) بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار ألا ترى إلى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون (وتلك الأيام) تلك مبتدأ والأيام صفته و(نداولها) خبره ويجوز أن يكون تلك الأيام مبتدأ وخبراً كما تقول هى الأيام تبلى كل جديد والمراد بالأيام أوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من أبيات الكتاب

فيـــوما علينا ويوما لنا ۝ ويوما نساء ويوما نسر

ومن أمثال العرب الحرب سجال وعن أبى سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال فقال عمر رضى الله عنه لاسواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة وقال يرد المياه فلايزال مداولا ۝ فى الناس بين تمثل وسماع يقال داولت بينهم الشىء فتداولوه (وليعلم الله الذين آمنوا) فيه وجهان أحدهما أن يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت وإلا فالله عزوجل لم يزل عالما بالأشياء قبل كونها وقيل معناه ليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجوداً منهم الثبات والثانى أن تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم أن العبد يسوءه مايجرى عليه من المصائب ولايشعر أن لله فى ذلك من المصالح ماهو غافل عنه (ويتخذ منكم شهداء) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس (والله لايحب الظالمين) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لايحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين فى سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية (ويمحق الكافرين) ويهلكهم يعنى إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو أصلح لهم وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار (ولما يعلم الله) بمعنى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفى العلم منزلة نفى متعلقة

۝ قوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الآية (قال محمود ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم الخ) قال أحمد التعبير عن نفى المعلوم بنفى العلم خاص بعلم الله تعالى لأنه يلزم من عدم تعلق علمه بوجود شىء ما عدم ذلك الشىء ضرورة أنه لايعزب عن علمه شىء لعموم تعلقه فاستقام التعبير عن نفى الشىء بنفى تعلق العلم

(قوله الذين فيه وجهان أحدهما) لعله الذين آمنوا (قوله أم منقطعة) هى المفسرة ببل والهمزة

فقد رأيتموه وأنتم تنظرون * وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على

لأنه منتف بانتفائه يقول الرجل ماعلم الله فى فلان خيراً يريد مافيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيها ضربا من التوقع فدلّ على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدنى أن يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وأنا أتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها (ويعلم الصابرين) نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك لاتأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبدالوارث عن أبى عمرو ويعلم بالرفع على أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) خوطب به الذين لم يشهدوا بدراً وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة مانال شهداء بدروهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى المشركين وكان رأيه فى الإقامة بالمدينة يعنى وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أى رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ماتسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده (فإن قلت) كيف يجوز تمنى الشهادة وفى تمنيها تمنى غلبة الكافر المسلم (قلت) قصد متمنى الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لاغير ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصرانى قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه حين نهض إلى موتة وقيل له ردكم الله

لكننى أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرع تقذف الزبدا * أو طعنة بيدى حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا * حتى يقولوا إذا مروا على جدثى * أرشدك الله من غاز وقد رشدا

لمارمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمداً وصرخ صارخ ألا أن محمداً قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا فى الناس خبر قتله فانكفؤا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلىّ عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروى أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبىّ يأخذ لنا أمانا من أبى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا ماقتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك ياقوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حى لايموت وماتصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ماقاتل عليه وموتوا على مامات عليه ثم قال اللهم إنى

القديم بوجوده المصحح للملازمة ولا كذلك علم آحاد المخلوقين فإنه لايعبر عن نفى شىء بنفى تعلق علم الخلق به لجواز وجود ذلك الشىء غير معلوم للخلق والزمخشرى يظهر من كلامه صحة هذا التعبير مطلقاً ويعتقد الملازمة المذكورة عامة فلذلك قال فى قول فرعون ماعلمت لكم من إله غيرى أنه عبر عن نفى المعلوم بنفى العلم لأنه من لوازمه وسيأتى بيان أن الزمخشرى وهم فى هذا الموضع وإلا فهو يحاشى عن الوقوع فى مثله اعتقاداً والله أعلم وإنما عبر فرعون بذلك تلبيسا على ملئه وتتميما لدعوى ألوهيته الكاذبة بأنه لايعزب عن علمه شىء فلوكان إله سواه على دعواه لتعلق علمه به وهذا يعد من حماقات فرعون ودعاويه الفارغة والله الموفق

(قوله النون الخفيفة ولما يعلمن) لعله اى ولما (قوله فى الخروج إلى المشركين) لعل قبله سقطا تقديره وكان رأيهم فى الخروج (قوله وقيل له ردكم الله لكننى) لعله ردكم الله سالمين

أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ۞ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ۞ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۞ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ

أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مرّ بأنصارى يتشحط فى دمه فقال يافلان أشعرت أن محمداً قد قتل فقال إن كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأنّ الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لاوجوده بين أظهر قومه (أفإن مات) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أنّ خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه (فإن قلت) لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل (قلت) لكونه مجوزا عند المخاطبين (فإن قلت) أما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس (قلت) هذا مما يختص بالعلماء منهم ذوى البصيرة ألا ترى أنهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس وإذلالهم ▪ والانقلاب على الأعقاب الإدبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من أمر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإسلامه (فلن يضر الله شيئاً) فما ضر إلا نفسه لأنّ الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع (وسيجزى الله الشاكرين) الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا ▪ المعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله فأخرجه مخرج فعل لا ينبغى لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله له فيه تمثيلا ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض نفساً إلا بإذن من الله وهو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم أن الحذر لا ينفع وأن أحداً لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوض المهالك واقتحم المعارك والثانى ذكر ماصنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه وإسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل (كتابا) مصدر مؤكد لأنّ المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا) تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نؤته منها) أى من ثوابها (وسنجزى) الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شىء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزى بالياء فيهما ۞ قرئ قاتل وقتل وقتّل بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبى و (معه ربيون) حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الأول وعن سعيد بن جبير رحمه الله ماسمعنا بنبى قتل فى القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب ۞ وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى (فما وهنوا) عند قتل النبى (وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن

(قوله لأن الغرض من بعثة الرسل) لعله الرسول (قوله من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه) أى تركه للعدو

أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴿ فَآتَٰهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّٰصِرِينَ ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّٰلِمِينَ ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم

يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبيّ فى طلب الأمان من أبى سفيان (وما كان قولهم إلا) هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصاراً والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الأقدام فى مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع وأقرب إلى الاستجابة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر ﴿ وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتدّ به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة (إن تطيعوا الذين كفروا) قال علىّ رضى الله عنه نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا فى دينهم وعن الحسن رضى الله عنه إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه فى الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدى إن تستكينوا لأبى سفيان وأصحابه وتستأمنوهم (يردوكم) إلى دينهم وقيل هو عام فى جميع الكفار وإنّ على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم فى شىء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم (بل الله مولاكم) أى ناصركم لا تحتاجون معه إلى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم (سنلقى) قرئ بالنون والياء ﴿ والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله فى قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن فاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب فى قلوبهم فأمسكوا (بما أشركوا) بسبب إشراكهم أى كان السبب فى إلقاء الله الرعب فى قلوبهم إشراكهم به (مالم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة (فإن قلت) كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الإشراك (قلت) لم يعن أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأنّ الشرك لا يستقيم أن يقوم عليه حجة وإنما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله ﴿ ولا ترى الضب بها ينجحر ﴿ (ولقد صدقكم الله وعده) وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى فى قوله تعالى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من

﴿ قوله تعالى سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا (قال محمود إن قلت أكان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الإشراك الخ) قال أحمد إنما يرد هذا السؤال لو أفهم ظاهر اللفظ أن ثم حجة وليس فى ظاهره ما يفهم ذلك ولو كانت الآية كقول القائل بما أشركوا بالله مالم ينزل سلطانه بإضافة السلطان إلى ما أشركوا به لكان للسائل مقال ولكان كقول القائل ﴿ على لاحب لا يهتدى بمناره ﴿ فإنه بإضافة المنار إليه يوهم أن فيه مناراً فيحتاج الناظر إلى حمله على معنى لا منار فيه فيهتدى به ولو أطلق الشاعر فقال على لاحب لا يهتدى فيه بمنار مثلا لاستغنى عن تأويل الكلام وكذلك الآية غنية عن التأويل والله أعلم

(قوله ونحن فاهرون ارجعوا) لعله فارهون والفاره الحاذق بالشىء . أفاده الصحاح
(قوله فإن قلت كان هناك حجة) لعله أكان

مِّن بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم

المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم ۞ يحسونهم أى يقتلونهم قتلا ذريعا ۞ حتى إذا فشلوا والفشل الجبن وضعف الرأى وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لانخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثبت مكانه عبدالله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابهم ينهبون وهم الذين أرادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبدالله بن جبير رضى الله عنه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صباحتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها (ولقد عفا عنكم) لما علم من ندمكم على مافرط منكم من عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم فى جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأنّ الابتلاء رحمة كما أنّ النصرة رحمة (فإن قلت) أين متعلق حتى إذا (قلت) محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره ويجوز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم (إذ تصعدون) نصب بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو بإضمار اذكر والإصعاد الذهاب فى الأرض والإبعاد فيه يقال صعد فى الجبل وأصعد فى الأرض يقال أصعدنا من مكة إلى المدينة وقرأ الحسن رضى الله عنه تصعدون يعنى فى الجبل وتعضد الأولى قراءة أبىّ إذ تصعدون فى الوادى وقرأ أبو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد فى السلم ۞ وقرأ الحسن رضى الله عنه تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء (والرسول يدعوكم) كان يقول إلىّ عباد الله إلىّ عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة ۞ (فى أخراكم) فى ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهى المتأخرة يقال جئت فى آخر الناس وأخراهم كما تقول فى أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى (فأثابكم) عطف على صرفكم أى فجازاكم الله (غما) حين صرفكم عنهم وابتلاكم (ب) سبب (غم) أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له أو غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز أن يكون الضمير فى فأثابكم من رسول أى فآساكم فى الاغتمام وكما غمكم مانزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه مانزل بكم فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتممتموه لأجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على مافاتكم من نصر الله ولا على ما أصابكم من غلبة العدو ۞ وأنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذى كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن أبى طلحة رضى الله عنه غشينا النعاس ونحن فى مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أحد إلا ويميل تحت جحفته وعن ابن الزبير رضى الله عنه لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله إنى لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى لو

(قوله فآساكم فى الاغتمام) لعله فآساكم أى فصار أسوتكم . أفاده الصحاح

مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

كان لنا من الأمر شىء ماقتلناههنا * والأمنة الأمن وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الأمن (نعاسا) بدل من أمنة ويجوز أن يكون هو المفعول وأمنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا أو مفعولا له بمعنى نعستم أمنة ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوى أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة (يغشى) قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس أو على الأمنة (طائفة منكم) هم أهل الصدق واليقين (وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) مابهم إلا همّ أنفسهم لاهمّ الدين ولاهمّ الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين أو قد أوقعتهم أنفسهم وما حلّ بهم من الهموم والأشجان فهم فى التشاكى والتباث (غير الحق) فى حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذى يجب أن يظن به و (ظنّ الجاهلية) بدل منه ويجوز أن يكون المعنى يظنون بالله ظنّ الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ماتقول وهذا القول لاقولك وظنّ الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية أى لايظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون) لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه (هل لنا من الأمر من شىء) معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والإظهار على العدوّ (قل إنّ الأمر كله لله) ولأوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبن أنا ورسلى وإن جندنا لهم الغالبون يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك) معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الأمر من شىء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون فى أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم أنّ الأمر كله لله (لو كان لنا من الأمر شىء) أى لو كان الأمر كما قال محمد أنّ الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة (قل لو كنتم فى بيوتكم) يعنى من علم الله منه أنه يقتل ويصرع فى هذه المصارع وكتب ذلك فى اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم فى بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين) علم الله أنهم يقتلون (إلى مضاجعهم) وهى مصارعهم ليكون ماعلم الله أنه يكون والمعنى أنّ الله كتب فى اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أنّ العاقبة فى الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله وأن ماينكبون به فى بعض الأوقات تمحيص لهم وترغيب فى الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شىء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة إلى أحد وكان علينا أن نقيم ولا نبرح كما كان رأى عبد الله بن أبىّ وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا فى هذه المعركة قل إنّ التدبير كله لله يريد أن الله عزّ وجلّ قد دبر الأمر كما جرى ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء (وليبتلى الله) وليمتحن مافى صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص مافى قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة للابتلاء والتمحيص (فإن قلت) كيف مواقع الجمل التى بعد قوله وطائفة (قلت) قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى قد أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون (فإن قلت) كيف صح أن يقع ماهو مسألة عن الأمر بدلا من الإخبار بالظنّ (قلت) كانت مسئلتهم صادرة عن الظنّ فلذلك جاز إبداله

---

* قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله الآية (قال محمود إن قلت كيف صح أن يقع ماهو مسئلة عن الأمر الخ) قال أحمد

الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۞ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ۞ فَبِمَا

منه ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذوى الحال ويقولون بدل من يخفون والأجود أن يكون استئنافا (استزلهم) طلب منهم الزلل ودعاهم إليه (ببعض ما كسبوا) من ذنوبهم ومعناه إن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب فى توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان إياهم هو التولى وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم لأن الذنب يجر إلى الذنب كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون لطف فيها وقال الحسن رضى الله عنه استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل ببعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك إلى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية (فإن قلت) لم قيل ببعض ما كسبوا (قلت) هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (إن الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بالعقوبة (وقالوا لإخوانهم) أى لأجل إخوانهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ومعنى الأخوة اتفاق الجنس أو النسب (إذا ضربوا فى الأرض) إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها (لو كانوا غزى) جمع غاز كعاف وعفى كقوله عفى الحياض أجون وقرئ بتخفيف الزاى على حذف التاء من غزاة (فإن قلت) كيف قيل إذا ضربوا مع قالوا (قلت) هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون فى الأرض (فإن قلت) ما متعلق ليجعل (قلت) قالوا أى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون (حسرة فى قلوبهم) على أن اللام مثلها فى ليكون لهم عدواً وحزنا أو لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم (فإن قلت) ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى (قلت) معناه أن الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغمّ والحسرة فى قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله «يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء» ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دلّ عليه النهى أى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادّتهم مما يغمهم ويغيظهم (والله يحيى ويميت) رد لقولهم أى الأمر بيده قد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه قال عند موته ما فىّ موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء (والله بما تعملون بصير) فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعنى الذين كفروا (لمغفرة)

ويلاحظ هذا النظر فى قوله تعالى عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية فإن هذا السؤال استفهام والاستفهام لا يتصف بما يتصف به الخبر من الصدق ونقيضه ومع ذلك ورد قوله تعالى فى خطابهم أنبؤنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين يعنى فى قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها فأجرى استفهامهم مجرى الخبر لاستلزامه الإخبار بأن هذا النوع الإنسانى ليس بمعصوم عن الفساد وسفك الدماء إلا من عصمه الله تعالى منهم والله أعلم

(قوله وعفى كقوله عفى الحياض أجون) فى الصحاح العفى جمع عاف وهو الدارس والآجن الماء المتغير الطعم واللون وأجن الماء يأجن ويأجن أجناً وأجونا اه وجمع الآجن على أجون كالركع على ركوع والشاهد على شهود

رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ❊ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ❊ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ

جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لإلى الله تحشرون كذب الكافرين أولا فى زعمهم أن من سافر من إخوانهم أوغزا لوكان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ماتخافونه من الهلاك بالموت والقتل فى سبيل الله فإن ماتنالونه من المغفرة والرحمة بالموت (فى سبيل الله خير مما تجمعون) من الدنيا ومنافعها لولم تموتوا وعن ابن عباس رضى الله عنهما خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ بالياء أى يجمع الكفار (لإلى الله تحشرون) لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفى ❊ وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات ❊ ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم» ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه الرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه (ولو كنت فظا) جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لايبقى حولك أحد منهم (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله إتماما للشفقة عليهم (وشاورهم فى الأمر) يعنى فى أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم وعن الحسن رضى الله تعالى عنه قد علم الله أنه مابه إليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده وعن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ماتشاور قوم قط إلاهدوا لأرشد أمرهم وعن أبى هريرة رضى الله عنه مارأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب إذا لم يشاوروا فى الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأى دونهم وقرئ وشاورهم فى بعض الأمر (فإذا عزمت) فإذا قطعت الرأى على شىء بعد الشورى (فتوكل على الله) فى إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح فإن ماهو أصلح لك لايعلمه إلا الله لاأنت ولا من تشاور وقرئ فإذا عزمت بضم التاء بمعنى فإذا عزمت لك على شىء وأرشدتك إليه فتوكل على ولاتشاور بعد ذلك أحدا (إن ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم (وإن يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذى ينصركم) فهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده (من بعده) من بعد خذلانه أو هو من قولك ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وإن يخذلكم من أخذله إذا جعله مخذولا وفيه ترغيب فى الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله تعالى والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان (وعلى الله) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم أنه لاناصر سواه ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه ❊ يقال غل شيئا من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه فى خفية يقال أغل الجازر إذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن فى الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله صلى الله عليه وسلم هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لاإغلال ولاإسلال ويقال أغله إذا وجده غالا كقولك أبخلته وأفحمته ومعنى (وما كان لنبى أن يغل) وماصح له ذلك يعنى أن النبوة تنافى الغلول

(قوله خير من طلاع الأرض ذهبة) فى الصحاح طلاع الأرض ملؤها . والذهبة القطعة من الذهب
(قوله كقولك أبخلته وأفحمته) فى الصحاح أفحمته أى وجدته مفحما لايقول الشعر

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي

وكذلك من قرأ على البناء المفعول فهو راجع إلى معنى الأوّل لأنّ معناه وماصح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا وفيه وجهان أحدهما أن يبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته بأنّ النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وأن لا يستريب به أحد كما روى أنّ قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وروى أنها نزلت فى غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى فقالوا تركنا بقية إخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم والثانى أن يكون مبالغة فى النهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماروى أنه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعنى وما كان لنبى أن يعطى قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الأمر ولو قرئ أن يغل من أغلّ بمعنى غلّ لجاز (يأت بما غلّ يوم القيامة) يأت بالشيء الذى غله بعينه يحمله كما جاء فى الحديث جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وروى ألا لا أعرفن أحدكم يأتى ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادى يامحمد يامحمد فأقول لا أملك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الأعراب أنه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال إذاً أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز أن يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته وإثمه * (فإن قلت) هلاقيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به (قلت) جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ وأثبت لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيرا أو شرا مجزى فموفى جزاءه علم أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب (وهم لا يظلمون) أى يعدل بينهم فى الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه (هم درجات) أى هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله

انصب للمنية تعتريهم * رجالى أم هم درج السيول

وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين أو التفاوت بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها (لقد منّ الله على المؤمنين) على من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه (من أنفسهم) من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد إسمعيل كما أنهم من ولده (فان قلت) فما وجه المنة عليهم فى أن كان من أنفسهم (قلت) إذا كان

---

* قوله تعالى وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة (قال محمود فيه توجيهان أحدهما أن يكون ذلك تنزيها لرسول الله عليه الصلاة والسلام الخ) قال أحمد رحمه الله حمل الآية على الوجه الثانى يشهد له ورود هذه الصيغة كثيرا فى النهى فى أمثال قوله تعالى ما كان لنبى أن تكون له أسرى . ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله . إلى غير ذلك على أنّ الزمخشرى حاف فى العبارة إذ يقول عبر عن الحرمان بالغلول تغليظا وتقبيحا وما كان له أن يعبر عن هذا المعنى بهذه العبارة فإن عادة لطف الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم

(قوله جاء يوم القيامة يحمله على عنقه) لعلّ صدره من غلّ شيئا (قوله وروى ألا لا أعرفنّ أحدكم يأتى) قوله لا أعرفنّ بلفظ المنفى المؤكد بالنون ومعناه النهى أى لا يغل أحدكم فأعرفه اه قسطلانى

ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ

منهم كان اللسان واحداً فسهل أخذ مايجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله فى الصدق والأمانة فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه والوثوق به وفى كونه من أنفسهم شرف لهم كقوله وأنه لذكر لك ولقومك وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضى الله عنها من أنفسهم أى من أشرفهم لأن عدنان ذروة ولد إسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد ابن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به أبو طالب فى تزويج خديجة رضى الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبدالله من لايوزن به فتى من قريش إلا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ۞ وقرئ لمن من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم وفيه وجهان أن يراد لمن منّ الله على المؤمنين منه أو بعثه إذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة أو يكون إذ فى محل الرفع كإذا فى قولك أخطب مايكون الأمير إذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه (يتلو عليهم آياته) بعد ما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شىء من الوحى (ويزكيهم) ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكاة (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة بعد ما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم (وإن كانوا من قبل) من قبل بعثة الرسول (لفى ضلال) إن هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وإنّ الشأن والحديث كانوا من قبل فى ضلال (مبين) ظاهر لاشبهة فيه (أصابتكم مصيبة) يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين ۞ ولما نصب بقلتم وأصابتكم فى محل الجر بإضافة لما إليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم و (أنى هذا) نصب لأنه مقول والهمزة للتقرير والتقريع (فإن قلت) علام عطفت الواو هذه الجملة (قلت) على ما مضى من قصة أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا أنى هذا من أين هذا كقوله تعالى أنى لك هذا لقوله (من عند أنفسكم) وقوله من عند الله والمعنى أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة أو لتخليتكم عن المركز وعن علىّ رضى الله عنه لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم (إنّ الله على كل شىء قدير) فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى أن يصيبكم تارة ويصيب منكم أخرى (وما أصابكم) يوم أحد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين (ف) هو كائن (بإذن الله) أى بتخليته استعار الإذن لتخليته الكفار وأنه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لأنّ الآذن مخل بين المأذون له ومراده (وليعلم) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء (وقيل لهم) من جملة الصلة عطف على نافقوا وإنما لم يقل فقالوا لأنه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم إلى القتال كأنه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز أن تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين أن يقاتلوا إن لم يكن بهم غمّ الآخرة دفعا عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأساً لنفاقهم ودغلهم وذلك ماروى أن عبد الله بن أبيّ انخزل

فى التأديب أن يكون ممزوجا بغاية التخفيف والتعطف ألا ترى إلى قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم قال بعض العلماء بدأه بالعفو قبل العتب ولو لم يبدأه بالعفو لانفطر قلبه صلى الله عليه وسلم

(قوله إن لم يكن بهم غمّ الآخرة) لعله همّ (قوله لنفاقهم ودغلهم) فى الصحاح الدغل بالتحريك الفساد مثل الدخل

يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ

مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل (أو ادفعوا) العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدى وقد كف بصره لو أمكننى لبعت دارى ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله أو ادفعوا أراد كثروا سوادهم ووجه آخر وهو أن يكون معنى قولهم (لو نعلم قتالا) لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا (لاتبعناكم) يعنون أن ما أنتم فيه لخطإ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشىء ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة لأن رأى عبد الله كان فى الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) يعنى أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين (يقولون بأفواههم) لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعى قلوبهم منه شيئا وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وأن إيمانهم موجود فى أفواههم معدوم فى قلوبهم خلاف صفة المؤمنين فى مواطأة قلوبهم لأفواههم (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق وبما يجرى بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لأنكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بأمارات وأنا أعلم كله علم إحاطة بتفاصيله وكيفياته (الذين قالوا) فى إعرابه أوجه أن يكون نصبا على الذم أو على الرد على الذين نافقوا أو رفعا على هم الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير فى بأفواههم أو قلوبهم كقوله ۝ على جوده لضن بالماء حاتم (لإخوانهم) لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم فى النسب وفى سكنى الدار (وقعدوا) أى قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعنا إخواننا فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) معناه قل إن كنتم صادقين فى أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت سبيلا يعنى أن ذلك الدفع غير مغن عنكم لأنكم إن دفعتم القتل الذى هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها وروى أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا (فإن قلت) فقد كانوا صادقين فى أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود فما معنى قوله إن كنتم صادقين (قلت) معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره لأن أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم

۝ قوله تعالى « قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين » (قال محمود إن قلت فقد كانوا صادقين فى أنهم دفعوا الخ) قال أحمد السؤال المذكور إنما يرد على معتزلى من مثله فإنهم يعتقدون أن الموت قد يكون بحلول الأجل وقد يكون قبله وأن المقتول لولا القتل لاستوفى أجله المكتوب له الزائد على ذلك فلا جرم أن الإنسان على زعمهم يدفع عن نفسه العارض قبل حلول الأجل بتوقى الأسباب الموجبة لذلك فعلى ذلك ورد السؤال المذكور وأما أهل السنة فمعتقدهم أن كل ميت بأجله يموت ويقولون إن الخارجين إلى القتال فى المعركة لم يكن بد من موتهم فى ذلك الوقت وأن ذلك الحين هو وقت حينهم فى علم الله عز وجل إيمانا بقوله تعالى « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » وخلافا للمنافقين وللموافقين لهم من المعتزلة فى قولهم لو أطاعونا ما ماتوا ولعمرى إنهم فى هذا المعتقد مقلدون لنمروذ فى قوله أنا أحيى وأميت فإن الأحمق ظن أنه يقتل إن شاء فيكون ذلك إماتة ويعفو عن القتل فيكون ذلك إحياء وغاب عنه أن الذى عفا عن قتله إنما حيى لاستيفاء الأجل الذى كتبه الله له وأن الذى قتله إنما مات لأنه استوفى تلك الساعة أجله والله الموفق

أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ

يقاتل لقتل فما يدريكم أنّ سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون فى مقالتكم وما أنكرتم أن يكون السبب غيره ووجه آخر إن كنتم صادقين فى قولكم لوأطاعونا وقعدوا ماقتلوا يعنى أنهم لوأطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرؤا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أى إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت فادرؤا جميع أسبابه حتى لا تموتوا (ولا تحسبن) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولكل أحد وقرىء بالياء على ولا يحسبنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ولا يحسبنّ حاسب ويجوز أن يكون (الذين قتلوا) فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا أى ولا يحسبنّ الذين قتلوا أنفسهم أمواتا (فإن قلت) كيف جاز حذف المفعول الأوّل (قلت) هو فى الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ فى قوله (أحياء) والمعنى هم أحياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبنّ بفتح السين وقتلوا بالتشديد وأحياء بالنصب على معنى بل أحسبهم أحياء (عند ربهم) مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك (يرزقون) مثل مايرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق فى الشهادة وماساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لما أصيب إخوانكم بأحدجعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضرتدور فى أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش (ويستبشرون ب) إخوانهم المجاهدين (الذين لم يلحقوابهم) أى لم يقتلوافيلحقوابهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قدبقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (ألا خوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفى ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجدّ فى الجهاد والرغبة فى نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم وإحماد لحال من يرى نفسه فى خير فيتمنى مثله لإخوانه فى الله وبشرى للمؤمنين بالفوز فى المآب وكرر (يستبشرون) ليعلق به ماهو بيان لقوله «ألاخوف عليهم ولاهم يحزنون» من ذكر النعمة والفضل وأنّ ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب فى عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولايضيع ۞ وقرئ وأن الله بالفتح عطفاً على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى أنّ الجملة اعتراض وهى قراءة الكسائى وتعضدها قراءة عبد الله والله لايضيع (الذين استجابوا) مبتدأ خبره للذين أحسنوا أوصفة للمؤمنين أونصب على المدح روى أنّ أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان وقال لايخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لايفوتهم الأجر وألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ۞ ومن فى (للذين أحسنوا منهم) للتبيين مثلها فى قوله تعالى « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة » لأنّ الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لابعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لى عائشة رضى الله عنها إن أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعنى أبا بكر والزبير (الذين قال لهم الناس إن الناس قدجمعوا لكم) روى أنّ أباسفيان نادى عند انصرافه من

مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ◼ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ◼ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟

أحد يامحمد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبوسفيان فى أهل مكة حتى نزل مرالظهران فألقى الله الرعب فى قلبه فبداله أن يرجع فاتى نعيم بن مسعود الأشجعى وقدقدم معتمراً فقال يانعيم إنى واعدت محمداً أن نلتقى بموسم بدر وإن هذا عام جدب ولايصلحنا إلاعام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدالى ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشر من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ماهذا بالرأى أتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلاشريد أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لايفلت منكم أحد وقيل مر بأبى سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لأخرجن ولولم يخرج معى أحد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل. وقيل هى الكلمة التى قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار حتى وافوا بدراً وأقاموا بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ورجع أبوسفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق قالوا إنما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الأولون المثبطون والآخرون أبوسفيان وأصحابه (فإن قلت) كيف قيل الناس إن كان نعيم هو المثبط وحده (قلت) قيل ذلك لأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وماله إلافرس واحد وبرد فرد أولأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه (فإن قلت) إلام يرجع المستكن فى (فزادهم) (قلت) إلى المقول الذى هو إن الناس قد جمعوالكم فاخشوهم كأنه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم إيمانا أوإلى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيراً له أوإلى الناس إذا أريد به نعيم وحده (فإن قلت) كيف زادهم نعيم أومقوله إيمانا (قلت) لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الاسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج ولأن خروجهم على أثر تثبيطه إلى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الإيمان لأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يارسول الله إن الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد إيمانا وعنه لووزن إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به (حسبنا الله) محسبنا أى كافينا يقال أحسبه الشىء إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لأن إضافته لكونه فى معنى اسم الفاعل غير حقيقة (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا) فرجعوا من بدر (بنعمة من الله) وهى السلامة وحذر العدو منهم (وفضل) هو الربح فى التجارة كقوله ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم (لم يمسسهم سوء) لم يلقوا مايسوءهم من كيد عدو (واتبعوا رضوان الله) بجرأتهم وخروجهم (والله ذوفضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفى ذلك تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم مافاز به هؤلاء وروى أنهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم (الشيطان) خبر ذلكم بمعنى إنما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف أولياءه جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم أو أبوسفيان ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى إنما ذلكم قول الشيطان أى قول إبليس لعنه الله (يخوف أولياءه) يخوفكم أولياءه الذين هم أبوسفيان وأصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله ﷺ (فإن قلت) فإلام رجع الضمير فى (فلا تخافوهم) على هذا التفسير (قلت) إلى الناس فى قوله إن الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا (وخافون) فجاهدوا مع رسولى وسارعوا

اللّهَ شيئاً يريد اللّهُ ألّا يجعل لهم حظًّا فى الآخرة ولهم عذابٌ عظيمٌ ٭ إنّ الذين اشتروا الكفر بالإيمـٰن لن يضرّوا اللّهَ شيئاً ولهم عـذابٌ أليمٌ ٭ ولا يحسبنّ الذين كفروا أنّمـا نملى لهم خيرٌ لأنفسهم إنّمـا نملى

إلى ما يأمركم به (إن كنتم مؤمنين) يعنى أن الإيمـان يقتضى أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون أحداً إلا الله (يسارعون فى الكفر) يقعون فيه سريعاً ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام ٭ (فإن قلت) فمـا معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد (قلت) معناه لا يحزنوك لخوف أن يضرّوك ويعينوا عليك ألا ترى إلى قوله (إنهم لن يضروا الله شيئاً) يعنى إنهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائداً على غيرهم ٭ ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله (يريد الله ألا يجعل لهم حظاً فى الآخرة) أى نصيباً من الثواب (ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم) وذلك أبلغ ما ضرّ به الإنسان نفسه (فإن قلت) هلا قيل لا يجعل الله لهم حظاً فى الآخرة وأىّ فائدة فى ذكر الإرادة (قلت) فائدته الإشعار بأنّ الداعى إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصاً لم يبق معه صارف قط حين سارعوا فى الكفر تنبيهاً على تماديهم فى الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى أنّ أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم (إنّ الذين اشتروا الكفر بالإيمـان) إمّا أن يكون تكريراً لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بمـا أضاف إليهم وإمّا أن يكون عاما للكفار والأول خاصاً فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام أو على العكس و (شيئاً) نصب على المصدر لأنّ المعنى شيئاً من الضرر وبعض الضرر (الذين كفروا) فيمن قرأ بالتاء نصب و (أنمـا نملى لهم خير لأنفسهم) بدل منه أى ولا تحسبنّ أنّ ما نملى للكافرين خير لهم وأنّ مع ما فى حيزه ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبنّ أنّ إملاءنا خير وكان حقها فى قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت فى الإمام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الإمام فى خط المصاحف (فإن قلت) كيف صحّ مجىء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد (قلت) صحّ ذلك من حيث أنّ التعويل على البدل والمبدل منه فى حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبنّ الذين كفروا أصحاب أنّ الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبنّ حال الذين كفروا أنّ الإملاء خير لأنفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بأنّ وما فى حيزه والإملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو إمهالهم وإطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبنّ أنّ الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم (إنمـا نملى لهم) ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهـذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيـل ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيراً لهم فقيل إنمـا نملى لهم ليزدادوا إثمـا (فإن قلت) كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضاً لله تعالى فى إملائه لهم (قلت) هو علة للإملاء وما كل علة بغرض إلا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شىء منها بغرض لك وإنمـا هى علل وأسباب فكذلك ازدياد الإثم جعل علة للإمهال وسبباً فيه (فإن قلت) كيف يكون ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب (قلت) لمـا كان فى علم الله المحيط بكل شىء أنهم مزدادون إثمـا فكان الإملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز ٭ وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الأولى وفتح الثانية

٭ قوله تعالى ولا يحسبنّ الذين كفروا أنمـا نملى لهم خير لأنفسهم إنمـا نملى لهم ليزدادوا إثمـا (قال محمود إن قلت كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضاً لله تعـالى فى إملائه لهم الخ) قال أحمد بنى الزمخشرى هـذا الجواز على شفا جرف هار فانهار لأنّ معتقده أنّ الإثم الواقع منهم ليس مراداً لله تعالى بل هو واقع على خلاف الإرادة الربانية فلما وردت الآية مشعرة بأنّ ازدياد الإثم مراد الله تعالى إشعاراً لا يقبل التأويل أخذ يعمل الحيلة فى وجه من التعطيل التزاماً لإتمـام الفاسد وضربا فى حديد بارد فجعل ازدياد الإثم سبباً وليس بغرض

لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ لَقَدْ

ولايحسبنّ بالياء على معنى ولايحسبنّ الذين كفروا أنّ إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا فى الإيمان وقوله إنما نملى لهم خير لأنفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه أنّ إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله عليهم بتفسح المدّة وترك المعاجلة بالعقوبة ۞ (فإن قلت) فما معنى قوله (ولهم عذاب مهين) على هذه القراءة (قلت) معناه ولا تحسبوا إن إملاءنا لزيادة الإثم وللتعذيب والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا إثما معدّاً لهم عذاب مهين ۞ اللام لتأكيد النفى على (ما أنتم عليه) من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفى رواية عن ابن كثير يميز من أماز بمعنى ميز (فإن قلت) لمن الخطاب فى أنتم (قلت) للمصدّقين جميعاً من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وأنه لايعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعاً حتى يميزهم منكم بالوحى إلى نبيه وإخباره بأحوالكم ثم قال (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أى وما كان الله ليؤتى أحداً منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند إخبار الرسول عليه الصلاة والسلام بنفاق الرجل وإخلاص الآخر إنه يطلع على ما فى القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها (ولكن الله) يرسل الرسول فيوحى إليه ويخبره بأنّ فى الغيب كذا وأن فلانا فى قلبه النفاق وفلانا فى قلبه الإخلاص فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز أن يراد لايترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التى لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح فى الجهاد وإنفاق الأموال فى سبيل الله فيجعل ذلك عياراً على عقائدكم وشاهداً بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما فى قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فإن ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع أحداً منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعاً عليها ولكن الله (يجتبى من رسله من يشاء) فيخبره ببعض المغيبات (فآمنوا بالله ورسله) بأن تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعاً على الغيوب وأن تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عباداً مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يخبرون إلا بما أخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب فى شىء وعن السدى قال الكافرون إن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت (ولا تحسبن) من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم وكذلك من قرأ بالياء وجلّ فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الأوّل عنده محذوفا تقدير ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم (هو خيراً لهم) والذى سوّغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الأعمش بغير هو (سيطوقون) تفسير لقوله هو شر لهم أى سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق وفى أمثالهم تقلدها طوق الحمامة إذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها فى عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى مانع الزكاة يطوق بشجاع أقرع وروى بشجاع أسود وعن النخعى سيطوقون بطوق من نار (ولله ميراث السموات والأرض) أى وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيله ونحوه قوله وأنفقوا مما جعلكم

سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۞ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۞

مستخلفين فيه ۞ وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهى أبلغ فى الوعيد والياء على الظاهر ۞ قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فلا يخلو إما أن يقولوه عن اعتقاد لذلك أو عن استهزاء بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة لاتصدر عن متمردين فى كفرهم ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه وأنه أعدّ له كفاءه من العقاب (سنكتب ماقالوا) فى صحائف الحفظة أو سنحفظه ونثبته فى علمنا لاننساه كما يثبت المكتوب (فإن قلت) كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا (قلت) ذكر وجود السماع أولا مؤكداً بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا أبداً إثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانا بأنهما فى العظم إخوان وبأن هذا ليس بأول ماركبوه من العظائم وأنهم أصلاء فى الكفر ولهم فيه سوابق وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع أبى بكر رضى الله عنه إلى يهود بنى قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فقال فنحاص اليهودى إنّ الله فقير حين سألنا القرض فلطمه أبو بكر فى وجهه وقال لولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ماقاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة (ونقول) لهم (ذوقوا) وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة ذوقوا (عذاب الحريق) كما أذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه أحسن وذق وقال أبو سفيان لحمزة رضى الله عنه ذق عقق ۞ وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والأعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا (ذلك) إشارة إلى ماتقدم من عقابهم ۞ وذكر الأيدى لأن أكثر الأعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالأيدى على سبيل التغليب (فإن قلت) فلم عطف قوله (وأن الله ليس بظلام للعبيد) على ماقدمت أيديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات فى استحقاق التعذيب (قلت) معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل عليهم ومن العدل أن يعاقب المسىء منهم ويثيب المحسن (عهد إلينا) أمرنا فى التوراة وأوصانا بأن لانؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو أن يرينا قربانا تنزل ناراً من السماء فتأكله كما كان أنبياء بنى إسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان للرسول الآتى به إلا لكونه آية ومعجزة فهو إذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز أن يعينه الله تعالى من بين الآيات ۞ وقد ألزمهم الله أن أنبياءهم جاؤا بالبينات الكثيرة التى أوجبت عليهم التصديق وجاؤهم أيضا بهذه الآية التى اقترحوها فلم قتلوهم إن كانوا صادقين إن الإيمان يلزمهم بإتيانها ۞ وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان (فإن قلت) مامعنى قوله (وبالذى قلتم) (قلت) معناه وبمعنى الذى قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا أى لمعنى ماقالوا ۞ فى مصاحف أهل الشام وبالزبر وهى الصحف (والكتاب المنير) التوراة والإنجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود ۞ وقرأ اليزيدى ذائقة الموت على الأصل وقرأ الأعمش ذائقة الموت بطرح التنوين على النصب كقوله

(قوله لحمزة رضى الله عنه ذق عقق) فى الصحاح عاق وعقق مثل عامر وعمر وذق عقق أى ذق جزاء فعلك ياعاق

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ الْغُرُورِ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِى أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۞ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَـٰقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ

۞ ولا ذاكر الله إلا قليلا ۞ (فإن قلت) كيف اتصل به قوله (وإنما توفون أجوركم) (قلت) اتصاله به على أن كلكم تموتون ولابد لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وإنما توفونها يوم قيامكم من القبور (فإن قلت) فهذا يوهم نفى ما يروى أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار (قلت) كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الأجور ۞ الزحزحة التنحية والإبعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (فقد فاز) فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز فى المآب وعن النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد ۞ شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير إنما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه ۞ والبلاء فى الأنفس القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وفى الأموال الإنفاق فى سبل الخير وما يقع فيها من الآفات ۞ وما يسمعون من أهل الكتاب المطاعن فى الدين الحنيف وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الأشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بنى قريظة والنضير (فإن ذلك) فإن الصبر والتقوى (من عزم الأمور) من معزومات الأمور أى مما يجب العزم عليه من الأمور أو مما عزم الله أن يكون يعنى إن ذلك عزمة من عزمات الله لابد لكم أن تصبروا وتتقوا (وإذ أخذ الله) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لتبيننه) الضمير للكتاب أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل إذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعنى لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه وإلقاه بين عينيه وكفى به دليلا على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة وحطام دنيا أو لتقية مما لا دليل عليه ولا إمارة أو لبخل بالعلم وغيره أن ينسب اليه غيرهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن طاوس أنه قال لوهب إنى أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله

۞ قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت الآية (قال محمود لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها تكون الخ) قال أحمد هذا كما ترى صريح فى اعتقاده حصول بعضها قبل يوم القيامة وهو المراد بما يكون فى القبر من نعيم وعذاب ولقد أحسن الزمخشرى فى مخالفة أصحابه فى هذه العقيدة فإنهم يجحدون عذاب القبر وها هو قد اعترف به والله الموفق

(قوله وما يسمعون من أهل الكتاب) بقى ما يسمعون من الذين أشركوا

مَا يَشْتَرُونَ ۞ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لايحل لأحد من العلماء أن يسكت على علمه ولايحل لجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل وعن على رضى الله عنه ماأخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا ۔ وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لأنهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن (لاتحسبن) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المفعولين (الذين يفرحون) والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لاتحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين ۞ وقرئ لاتحسبن فلاتحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولايحسبن فلايحسبنهم بالياء وفتح الياء فيهما على أن الفعل للرسول وقرأ أبوعمرو بالياء وفتح الباء فى الأول وضمها فى الثانى على أن الفعل للذين يفرحون والمفعول الأول محذوف على لايحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لايحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين فلايحسبنهم تأكيد ومعنى (بما أتوا) بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى إنه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة أبىّ يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى أعطوا وعن على رضى الله عنه بما أوتوا ومعنى (بمفازة من العذاب) بمنجاة منه روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شىء مما فى التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قدصدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أى لاتحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما أوتوا بما أتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين إبراهيم حيث ادعوا أنّ إبراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا اليه بأنهم رأوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك إلى إغراضهم ويستحمدون اليهم بالإيمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة لإبطانهم الكفر ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتى بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه (ولله ملك السموات والأرض) فهو يملك أمرهم ۞ وهو على كل شىء قدير فهو يقدر على عقابهم (لآيات) لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته (لأولى الألباب) للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولاينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفى النصائح الصغار إملأ عينيك من زينة هذه الكواكب وأجلهما فى جملة هذه العجائب متفكرا فى قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضى الله عنهما قلت لعائشة رضى الله عنها أخبرينى بأعجب مارأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجب أتانى فى ليلتى فدخل فى لحافى حتى ألصق جلده بجلدى ثم قال ياعائشة هل لك أن تأذنى لى الليلة فى عبادة ربى فقلت يارسول الله إنى لأحب قربك وأحب هواك قدأذنت لك فقام إلى قربة من ماء فى البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلى فقرأ من القرآن فجعل يبكى حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكى ثم رفع يديه فجعل يبكى حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكى

(قوله أن يسكت على علمه ولا يحل) لعلّ هنا سقط تقديره حتى يعلم –

وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا

فقال له يارسول الله أتبكى وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقال يابلال أفلا أكون عبداً شكورا ثم قال ومالى لا أبكى وقدأنزل الله علىّ فى هذه الليلة إنّ فى خلق السموات والأرض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لا كهابين فكيه ولم يتأملها وعن على رضى الله عنه أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذاقام من الليل يتسوك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول إنّ فى خلق السموات والأرض وحكى أن الرجل من بنى إسرائيل كان إذا عبدالله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له أمه لعلّ فرطة فرطت منك فى مدّتك فقال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرّة إلى السماء ولم تعتبر قال لعلّ قالت فما أتيت إلا من ذاك (الذين يذكرون الله) ذكراً دائباً على أى حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لايخلون بالذكر فى أغلب أحوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم أما قال الله تعالى يذكرون الله قياماً وقعوداً فقاموا يذكرون الله على إقدامهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من أحبّ أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكرالله وقيل معناه يصلون فى هذه الأحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب تومئ إيماء وهذه حجة للشافعى رحمه الله فى اضجاع المريض على جنبه كما فى اللحد وعند أبى حنيفة رحمه الله أنه يستلقى حتى إذا وجد خفة قعد ۞ ومحل (على جنوبهم) نصب على الحال عطفاً على ماقبله كأنه قيل قياما وقعوداً ومضطجعين (ويتفكرون فى خلق السموات والأرض) وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها ومادبر فيها مما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثورى أنه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء فلما رأى الكواكب غشى عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال أشهد أنّ لك رباً وخالقاً اللهمّ اغفر لى فنظر الله إليه فغفر له وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاعبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وماجليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى فإنه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكر فى أمر الله الذى هو عمل القلب لأنّ أحداً لايقدر أن يعمل بجوارحه فى اليوم مثل عمل أهل الأرض (ماخلقت هذا باطلا) على إرادة القول أى يقولون ذلك وهو فى محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ماخلقته خلقاً باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعى حكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين أدلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله (فقنا عذاب النار) لأنه جزاء من عصى ولم يطع (فإن قلت) هذا إشارة إلى ماذا (قلت) إلى الخلق على أنّ المراد به المخلوق كأنه قيل ويتفكرون فى مخلوق السموات والأرض أى فيما خلق منها ويجوز أن يكون إشارة إلى السموات والأرض لأنها فى معنى المخلوق كأنه قيل ماخلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفى هذا ضرب من التعظيم كقوله إنّ هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويجوز أن يكون باطلا حالا من هذا ۞ وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وأن يخلق شيئاً بغير حكمة (فقد أخزيته) فقد أبلغت فى إخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه فى كلامهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك ومن سبق فلانا فقد سبق (وما للظالمين) اللام إشارة إلى من يدخل النار وإعلام بأنّ من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها ۞ تقول سمعت رجلا يقول

(قوله عجائبه على عظم شأن الصانع) لعله من عظم الخ فيكون بيانا لما يدل عليه (قوله من أدرك مرعى الصمان) فى الصحاح موضع إلى جنب رمل عالج وعالج موضع بالبادية به رمل. (قوله فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها) هذا

بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۞

كذا وسمعت زيداً يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لأنك وصفته بما يسمع أوجعلته حالا عنه فأغناك عن ذكره ولولا الوصف أوالحال لم يكن منه بد وأن يقال سمعت كلام فلان أو قوله (فإن قلت) فأى فائدة فى الجمع بين المنادى وينادى (قلت) ذكر النداء مطلقاً ثم مقيداً بالإيمان تفخيما لشأن المنادى لأنه لا منادى أعظم من مناد ينادى للإيمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدى للإسلام وذلك أن المنادى إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد للحرب أو لإطفاء الثائرة أو لإغاثة المكروب أو لكفاية بعض النوازل أو لبعض المنافع وكذلك الهادى قد يطلق على من يهدى للطريق ويهدى لسداد الرأى وغير ذلك فإذا قلت ينادى للإيمان ويهدى للإسلام فقد رفعت من شأن المنادى والهادى وفخمته ويقال دعاه لكذا وإلى كذا وندبه له وإليه وناداه له وإليه ونحوه هداه للطريق وإليه وذلك أن معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادى هو الرسول ادعو إلى الله وادع إلى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن (أن آمنوا) أى آمنوا أو بأن آمنوا (ذنوبنا) كبائرنا (سيآتنا) صغائرنا (مع الأبرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم والأبرار جمع بر وبار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب (على رسلك) على هذه صلة للوعد كما فى قولك وعدالله الجنة على الطاعة والمعنى ماوعدتنا على تصديق رسلك ألا تراه كيف اتبع ذكر المنادى للإيمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف أى ماوعدتنا منزلا على رسلك أومحمولا على رسلك لأن الرسل محملون ذلك فإنما عليه ماحمل وقيل على ألسنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الأعداء (فإن قلت) كيف دعوا الله بإنجاز ما وعدوا الله لايخلف الميعاد (قلت) معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد أوهو باب من اللجا إلى الله والخضوع له كما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون مع علمهم أنهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع إليه واللجأ الذى هو سيما العبودية ۞ يقال استجاب له واستجابه ۞ فلم يستجبه عند ذاك مجيب ۞ (أنى لا أضيع) قرئ بالفتح على حذف الياء وبالكسر على إرادة القول وقرئ لاأضيع بالتشديد (من ذكر أو أنثى) بيان لعامل (بعضكم من بعض) أى يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أى من أصله أو كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الإسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروى أن أم سلمة قالت يارسول الله إنى أسمع الله تعالى يذكر الرجال فى الهجرة ولايذكر النساء فنزلت (فالذين هاجروا) تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كأنه قال فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة عن أوطانهم فارين إلى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا إلى الخروج من ديارهم التى ولدوا فيها ونشؤا بما سامهم المشركون من الخسف (وأوذوا فى سبيلى) من أجله وبسببه يريد سبيل الدين (وقاتلوا وقتلوا) وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الأول للفاعل والثانى للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل (ثوابا) فى موضع المصدر المؤكد بمعنى إثابة أو تثويباً (من عندالله) لأن قوله لأكفرن

عند المعتزلة أما عند أهل السنة فمن يدخل النار من المؤمنين يخرج بالشفاعة أو بالعفو كما حقق فى محله

(قوله ونشؤا بما سامهم المشركون) فى الصحاح يقال سامه الخسف وسامه خسفا وخسفا أيضا بالضم أى أولاه ذلا

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى الْبِلَادِ ۞ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ۞ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

عنهم ولأدخلنهم فى معنى لأثيبنهم وعنده مثل أى يختص به وبقدرته وفضله لايثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندى ماتريد يريد اختصاصه به وبملكه وإن لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل إليه ويتضرع ۞ وتكرير ربنا من باب الابتهال وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة من احتمال المشاق فى دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لأطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا إليه بالعمل بالجهل والغباوة وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر أنه استجاب لهم إلا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدى الدعاء (لا يغرنك) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد أى لا تنظر إلى ماهم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل وإصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ماترى من تبسطهم فى الأرض وتصرفهم فى البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم أهل مكة وقيل هم اليهود وروى أن ناساً من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون أن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد (فإن قلت) كيف جاز أن يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهى عن الاغترار به (قلت) فيه وجهان أحدهما أن مدره القوم ومتقدمهم يخاطب بشىء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لايغرنكم والثانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكن من الكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا فى النهى نظير قوله فى الأمر « اهدنا الصراط المستقيم » ياأيها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهى فى الظاهر للتقلب وهو فى المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لأن التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب ۞ وقرئ لايغرنك بالنون الخفيفة (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أى ذلك متاع قليل وهو التقلب فى البلاد أراد قلته فى جنب مافاتهم من نعيم الآخرة أو فى جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل فى نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع (وبئس المهاد) وساء ما مهدوا لأنفسهم ۞ النزل والنزل ما يقام للنازل قال أبو الشعراء الضبى

وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا ۞ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه إما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء (من عند الله وما عند الله) من الكثير الدائم (خير للأبرار) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والأعمش نزلا بالسكون ۞ وقرأ يزيد بن القعقاع لكنّ الذين اتقوا بالتشديد (وإن من أهل الكتاب) عن مجاهد نزلت فى عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب وقيل فى أربعين من أهل نجران واثنين

(قوله وتسجيل على من لا يرى الثواب) يريد أهل السنة القائلين يجوز على الله أن يتفضل على العبد بدون عمل ولا يجب عليه إثابة العامل وقد حقق فى محله (قوله ويتجرون ويتدهقنون) يتملؤون ويتمتعون بلين الطعام وطيب الشراب أفاده الصحاح فى مادة دهق ومادة دهقن وإلا وفق بما فى الصحاح يتدهمقون حيث قال قال الأصمعى الدهمقة لين الطعام وطيبه ورقته وحديث عمر لو شئت أن يدهمق لى لفعلت ولكن الله عاب قوما فقال أذهبتم طيباتكم الآية ولم يذكر الدهقنة بهذا المعنى تصريحا (قوله ويجوز أن يكون بمعنى مصدر) فى قوة وأما على المصدر لأنه يجوز الخ

أُولَـٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝

سورة النساء مدنية

وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا وقيل فى أصحمة النجاشى ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى وسلم فقال عليه السلام أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشى وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم إنّ لفصل الظرف بينهما كقوله وأنّ منكم لمن ليبطئن (وما أنزل إليكم) من القرآن (وما أنزل إليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن لأنّ من يؤمن فى معنى الجمع (لايشترون بآيات الله ثمناً قليلا) كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) أى ما يختص بهم من الأجر وهو ماوعدوه فى قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته (إنّ الله سريع الحساب) لنفوذ عمله فى كل شىء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الأجر ويجوز أن يراد إنما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد (اصبروا) على الدين وتكاليفه (وصابروا) أعداء الله فى الجهاد أى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لاتكونوا أقل صبراً منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على مايجب الصبر عليه تخصيصاً لشدته وصعوبته (ورابطوا) وأقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله عز وجل «ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم» وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لايفطر ولاينفتل عن صلاته إلا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ياأيها الناس) يابنى آدم (خلقكم من نفس واحدة) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم (فإن قلت) علام عطف

﴿القول فى سورة النساء﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) «ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها» (قال محمود معناه فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم وعلام عطف الخ) قال أحمد وإنما قدر المحذوف فى الوجه الأول حيث جعل الخطاب عاما فى الجنس لأنه لولا التقدير لكان قوله وبث منهما تكراراً لقوله خلقكم إذ مؤداهما واحد وليس على سبيل بيان الأول لأنه معطوف عليه حينئذ وأما هو معطوف على المقدر فذاك المقدر واقع صفة مبنية والمعطوف عليه داخل فى حكم البيان فاستقام وأما الوجه الثانى فالتكرار فيه ليس بلازم إذ المخاطب بقوله خلقكم

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ وَءَاتُوا

قوله (وخلق منها زوجها) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها (وبث منهما) نوعى جنس الإنس وهما الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل بكيفية خلقهم منها والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم لأنهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما (رجالا كثيراً ونساء) غيركم من الأمم الفائتة للحصر (فإن قلت) الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها (قلت) لأنّ ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادراً على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة ۝ وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق (تساءلون به) تتساءلون به فأدغمت التاء في السين ۝ وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم أفعل كذا على سبيل الاستعطاف وأناشدك الله والرحم أو تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسلون به مهموز أو غير مهموز وقرئ والأرحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين إما على واتقوا الله والأرحام أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمراً وينصره قراءة ابن مسعود تسألون به وبالأرحام والجرّ على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لأنّ الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها ۝ فما بك والأيام من عجب ۝ والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والأرحام كذلك على معنى والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرون بأن لهم خالقاً وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها أو واتقوا الله الذي تتعاطفون بأذكاره وبأذكار الرحم وقد آذن عز وجل إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان كما قال أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه وإذا سألك بالرحم فأعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم معلقة بالعرش

الذين بعث إليهم النبي عليه الصلاة والسلام وقوله وبث منهما واقع على من عدا المبعوث إليهم من الأمم فلا حاجة للتقدير المذكور في الوجه الثاني والله أعلم

سورة النساء

(قوله وللرحم حجنة عند العرش) في الصحاح الحجن بالتحريك الاعوجاج وصقرا حجن المخالب معوجها وحجنة

الْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ

فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه الصلاة والسلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده فى الحلال ألم تسمع قوله تعالى «واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام» وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله ۞ اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم فى الأناسى من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الأمهات (فإن قلت) كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى (قلت) فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لأن اليتم من وادى الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجرى اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم أبى طالب إما على القياس وإما حكاية للحال التى كان عليها صغيرا ناشئاً فى حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة يعنى أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار (فإن قلت) فما معنى قوله (وآتوا اليتامى أموالهم) (قلت) إما أن يراد باليتامى الصغار وبإيتائهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتى اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هى فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله إليه فقال النبى عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ثبت الأجر ثبت الأجر وبقى الوزر قالوا يارسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر كيف بقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله فقال ثبت أجر الغلام وبقى الوزر على والده (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث فى الأرض فتأكلوه مكانه أولا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة

۞ قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم (قال محمود إما أن يراد باليتامى الصغار الخ) قال أحمد والوجه الأول قوى بقوله بعد آيات وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم دلّ على أنّ الآية الأولى فى الحض على حفظها لهم ليؤتوها عند بلوغهم ورشدهم والثانية فى الحض على الإيتاء الحقيقى عند حصول البلوغ والرشد ويقويه أيضا قوله عقيب الأولى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم فهذا كله تأديب للوصى ما دام المال بيده واليتيم فى حجره وأما على الوجه الآخر فيكون مؤدى الآيتين واحدا وهو الأمر بالإيتاء حقيقة ويخلص عن التكرار بأنّ الأولى كالمجملة والثانية كالمبينة لشرط الإيتاء من البلوغ وإيناس الرشد والله أعلم ۞ قوله تعالى

المغزل بالضم هى المنعقفة فى رأسه وفيه أيضا عقفت الشىء فانعقف أى عطفته فانعطف والتعقيف التعويج (قوله ويجتنب الدعوة ولا يضعه) لعله الدعرة بالراء بدل الواو وفى الصحاح الدعر بالتحريك الفساد (قوله وهو حفظها والتورع منها) لعله عنها

فيا كرم السكن الذين تحملوا ▪ عن الدار والمستخلف المتبدل

أراد ويالؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو أن يعطى رديئا ويأخذ جيدا وعن السدى أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل وإنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبى (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) ولا تنفقوها معها وحقيقتها ولا تضموها إليها فى الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (فإن قلت) قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم فلم ورد النهى عن أكله معها (قلت) لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون

ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم (قال محمود معناه ولا تضموها إلى أموالكم الخ) قال أحمد أهل البيان يقولون المنهى متى كان درجات فطريق البلاغة النهى عن أدناها تنبيها على الأعلى كقوله تعالى «فلا تقل لهما أف» وإذا اعتبرت هذا القانون بهذه الآية وجدته ببادئ الرأى مخالفا لها إذ أعلى درجات أكل مال اليتيم فى النهى أن يأكله وهو غنى عنه وأدناها أن يأكله وهو فقير إليه فكان مقتضى القانون المذكور أن ينهى عن أكل مال اليتيم من هو فقير إليه حتى يلزم نهى الغنى عنه من طريق الأولى وحينئذ فلا بد من تمهيد أمر يوضح فائدة تخصيص الصورة العليا بالنهى فى هذه الآية فنقول أبلغ الكلام ما تعددت وجوه إفادته ولا شك أن النهى عن الأدنى وإن أفاد النهى عن الأعلى إلا أن للنهى عن الأعلى أيضا فائدة أخرى جليلة لا تؤخذ من النهى عن الأدنى وذلك أن المنهى كلما كان أقبح كانت النفس عنه أنفر والداعية إليه أبعد ولا شك أن المستقر فى النفوس أن أكل مال اليتيم مع الغنى عنه أقبح صور الأكل فخصص بالنهى تشنيعا على من يقع فيه حتى إذا استحكم نفوره من أكل ماله على هذه الصورة الشنعاء دعاه ذلك إلى الإحجام عن أكل ماله مطلقا ففيه تدريب للمخاطب على النفور من المحارم ولا تكاد هذه الفائدة تحصل لو خصص النهى بأكله مع الفقر إذ ليست الطباع فى هذه الصورة معينة على الاجتناب كاعانتها عليه فى الصورة الأولى ويحقق مراعاة هذا المعنى تخصيصه الأكل مع أن تناول مال اليتيم على أى وجه كان منهى عنه كان ذلك بالادخار أو بالتباس أو ببذله فى لذة النكاح مثلا أو غير ذلك إلا أن حكمة تخصيص النهى بالأكل أن العرب كانت تتذمم بالإكثار من الأكل وتعد البطنة من البهيمية وتعيب على من اتخذها ديدنه ولا كذلك سائر الملاذ فإنهم ربما يتفخارون بالإكثار من النكاح ويعدونه من زينة الدنيا فلما كان الأكل عندهم أقبح الملاذ خص النهى به حتى إذا نفرت النفس منه بمقتضى طبعها المألوف جرها ذلك إلى النفور من صرف مال اليتيم فى سائر الملاذ أو غيرها أكلا أو غيره ومثل هذه الآية فى تخصيص النهى بما هو أعلى قوله تعالى «لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة» فخص هذه الصورة لأن الطبع على الانتهاء عنها أعون ويقابل هذا النظر فى النهى نظر آخر فى الأمر وهو أنه تارة يخص صورة الأمر الأدنى تنبيها على الأعلى وتارة يخص صورة الأعلى لمثل الفائدة المذكورة من التدريب ألا ترى إلى قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم الآية كيف خص صورة حضورهم وإن كانت العليا بالنسبة إلى غيبتهم وذلك أن الله تعالى علم شح الأنفس بالأموال فلو أمر بإسعاف الأقارب واليتامى من المال الموروث ولم يذكر حالة حضورهم القسمة لم تكن الأنفس بالمنبعثة إلى هذا المعروف كانبعاثها مع حضورهم بخلاف ما إذا حضروا فإن النفس يرق طبعها وتنفر من أن تأخذ المال الجزل وذو الرحم حاضر محروم ولا يسعف ولا يساعد فإذا أمرت فى هذه الحالة بالإسعاف هان عليها امتثال الأمر وائتلافها على امتثال الطبع ثم تدربت بذلك على إسعاف ذى الرحم مطلقا حضر أو غاب فمراعاة هذا وأمثاله من الفوائد لا يكاد يلفى إلا فى الكتاب العزيز ولا يعثر عليه إلا الحاذق الفطن المؤيد بالتوفيق نسأل الله أن يسلك بنا فى هذا النمط فخذ هذا القانون عمدة وهو أن النهى إن خص الأدنى فلفائدة التنبيه على الأعلى وإن خص الأعلى فلفائدة التدريب على الانكفاف عن القبيح مطلقا من الانكفاف عن الأقبح ومثل هذا النظر فى جانب الأمر والله الموفق ▪ قوله تعالى وإن خفتم ألا تقسطوا

أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَـٰمَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَٰحِدَةً

أزجر لهم * والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام إن طلاق أم أيوب لحوب فكأنه قيل إنه كان ذنبا عظيما كبيراً * وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد * ولما نزلت الآية فى اليتامى وما فى أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط فى حقوق اليتامى وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهنّ ولا يعدل بينهنّ فقيل لهم إن خفتم ترك العدل فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضاً ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأنّ من تحرّج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لأنه إنما وجب أن يتحرّج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم فى كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرّجون من الزنا وهم يتحرّجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حلّ لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرّمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوّجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهنّ فيخاف لضعفهنّ وفقد من يغضب لهنّ أن يظلمهنّ حقوقهنّ ويفرط فيما يجب لهنّ فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا فى يتامى النساء فانكحوا من غيرهنّ ما طاب لكم ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى والأصل أيائم ويتائم وقرأ النخعى تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها فى لئلا يعلم يريد وإن خفتم أن تجوروا (ما طاب) ما حل (لكم من النساء) لأنّ منهنّ ما حرّم كاللاتى فى آية التحريم وقيل ما ذهابا إلى الصفة ولأنّ الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن أعداد مكرّرة وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهى نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهنّ النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعاً أربعاً (فإن قلت) الذى أطلق للناكح فى الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع (قلت) الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذى أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى (فإن قلت) فلم جاء العطف بالواو دون أو (قلت) كما جاء بالواو فى المثال الذى حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة علمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم

فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية (قال محمود لما نزلت آية اليتامى خاف الأولياء الخ) قال أحمد قد ثبت أنّ قاعدة القدرية وعقيدتهم أن الكبيرة الواحدة توجب خلود العبد فى العذاب وإن كان موحدا ما لم يتب عنها فمن ثم يقولون لا تفيد التوبة عن بعض الذنوب والإصرار على بعضها لأنه بواحدة من الكبائر ساوى الكافر فى الخلود فى العذاب ولا يفيد توحيده ولا شىء من أعماله هذا هو معتقدهم الفاسد الذى يروم الزمخشرى تفسير الآية عليه فاحذره أما أهل السنة فيقولون إذا تاب العبد من بعض الذنوب كان الخطاب بوجود التوبة من باقيها متوجها عليه وكأنه قام ببعض الواجبات وترك القيام ببعضها فأفادته التوبة محو المتوب عنه بإذن الله ووعده وهو فى العهدة فيما لم يتب عنه فإن كان تفسير الآية على أنهم خوطبوا بالتحرّج فى حقوق النساء والتوبة من الجور عليهنّ كما تابوا عن الحيف على اليتامى فالأمر فى ذلك منزل على ما بيناه من قواعد السنة والله ولى التوفيق * عاد كلامه (قال محمود وقيل كانوا لا يتحرّجون من الزنا وهم يتحرّجون من ولاية اليتامى الخ) قال أحمد وهذا التأويل الذى أخرجه جدير بالتقدم وهو الأظهر وتكون الآية معه لبيان حكم اليتامى وتحذيراً من التورّط فى الجور عليهنّ وأمراً بالاحتياط وفى غيرهنّ متسع الى الأربع وأصدق شاهد على أنه هو المراد قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا ۞ وَءَاتُوا ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا

على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذى دلت عليه الواو وتحريره أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع إن شاؤا مختلفين فى تلك الأعداد وإن شاؤا متفقين فيها محظور أعليهم ما وراء ذلك وقرأ إبراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع (فإن خفتم ألا تعدلوا) بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها (فواحدة) فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فإن الأمر كله يدور مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة أو فكفت واحدة أو فحسبكم واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) سوى فى السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمرى أنهن أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤنة من المهائر لا عليك أكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن فى القسم أم لم تعدل عزلت عنهن أم لم تعزل وقرأ ابن أبى عبلة من ملكت (ذلك) إشارة إلى اختيار الواحدة والتسرى (أدنى ألا تعولوا) أقرب من أن لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا إذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم فى حكمه إذا جار وروى أن أعرابيا حكم عليه حاكم فقال له أتعول على وقد روت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تعولوا أن لا تجوروا والذى يحكى عن الشافعى رحمه الله أنه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من فى أخيك سوءا وأنت تجد لها فى الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافى العى من كلام الشافعى شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا فى علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا وأساليب فسلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (فإن قلت) كيف يقل عيال من تسرى وفى السرارى نحو ما فى المهائر (قلت) ليس كذلك لأن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسرى ولذلك جاز العزل عن السرارى بغير إذنهن فكان التسرى مظنة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوج كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع وقرأ طاوس أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعى رحمه الله من حيث المعنى الذى قصده (صدقاتهن) مهورهن وفى حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك فى ظلمة ظلمة (نحلة) من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث أبى بكر رضى الله عنه إنى كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أى منحولة معطاة عن طيبة

فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (قال محمود نحلة منصوب على المصدر لأنها فى معنى الإيتاء الخ) قال أحمد هذا الفصل بجملته حسن جدا غير أن فى حمله تذكير الضمير فى منه على الصداق ثم تنظيره ذلك بقوله فأصدق نظرا وذلك أن المراعى ثم الأصل وهو عدم دخول الفاء والجزم وتقدير ما هو الأصل وإعطاؤه حكم الموجود ليس ببدع ولا كذلك إفراد الصداق المقدر فإنه ليس بأصل الكلام بل الأصل الجمع وأما الإفراد فقد يأتى فى مثله على سبيل الاختصار استغناء عن الجمع بالإضافة ولا يرد أنهم قد راعوا ما ليس بأصل فى قوله :

بدا لى أنى لست مدرك ما مضى ۞ ولا سابق شيئا إذا كان جائيا

لأن دخول الباء وإن لم يكن أصلا إلا أنها قد توطنت بهذا الموضوع وكثر حلولها فيه فصارت كأن الأصل دخولها

فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً * وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ

الأنفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الإسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا أى يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على أنها مفعول لها ويجوز أن يكون حالا من الصدقات أى دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أى تعظمه * الضمير فى منه جار مجرى اسم الإشارة كأنه قيل عن شىء من ذلك كما قال الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات أو من الحجج المسموعة من أفواه العرب ماروى عن رؤبة أنه قيل له فى قوله * كأنه فى الجلد توليع البهق * فقال أردت كأن ذاك أو يرجع إلى ماهو فى معنى الصدقات وهو الصداق لأنك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فأصدق وأكن من الصالحين كأنه قيل اصدق * و(نفسا) تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم (فكلوه) فأنفقوه قالوا فإن وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبى أن رجلا أتى مع امرأته شريحا فى عطية أعطتها إياه وهى تطلب أن ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل أليس قد قال الله تعالى فإن طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لأنهن يخدعن * وحكى أن رجلا من آل أبى معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتنى طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فأين الآية التى بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضى الله عنه أنه كتب إلى قضاته إن النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال إذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لايقضى به عليكم سلطان ولايؤاخذكم الله به فى الآخرة وروى أن ناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحد منهم فى شىء مما ساق إلى إمرأته فقال الله تعالى إن طابت نفس واحدة من غير إكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن ولم يقل فإن وهبن أو سمحن إعلاما بأن المراعى هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فإن طبن لكم عن شىء منه ولم يقل فإن طبن لكم عنها بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لايجوز تبرعها إلا باليسير وعن الأوزاعى لايجوز تبرعها مالم تلد أو تقم فى بيت زوجها سنة ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لأن بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا * الهنىء والمرىء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لاتنغيص فيه وقيل الهنىء مايلذه الآكل والمرىء مايحمد عاقبته وقيل هو ماينساغ فى مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة المرىء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر أى أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أى كلوه وهو هنىء مرىء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وإزالة التبعة (السفهاء) المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لاينبغى ولايدى لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء * وأضاف الأموال اليهم لأنها من جنس مايقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على أنه خطاب للأولياء

فى الخبر والله أعلم والأمر فى ذلك قريب * قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى قد جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (قال محمود المراد أموال السفهاء وأضافها إلى الأولياء الخ) قال أحمد ويؤيد هذا المعنى أنه لما أمر بإسعاف ذوى القربى على سبيل المواساة قال وارزقوهم منه لأن المدفوع اليهم من صلب المال والله أعلم

وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ

فى أموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم (جعل الله لكم قياما) أى تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها فى أنفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبدالله بن عمر قواما بالواو وقوام الشىء مايقام به كقولك هو ملاك الأمر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولأن أترك مالا يحاسبنى الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بى بنو العباس وعن غيره وقيل له إنها تدنيك من الدنيا لئن أدنتنى من الدنيا لقد صانتنى عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فإنكم فى زمان إذا احتاج أحدكم كان أول مايأكل دينه وربما رأوا رجلا فى جنازة فقالوا له اذهب إلى دكانك (وارزقوهم فيها) واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لامن صلب المال فلا يأكلها الإنفاق وقيل هو أمر لكل أحد أن لايخرج ماله إلى أحد من السفهاء قريب أو أجنبى رجل أو امرأة يعلم أنه يضعه فيما لاينبغى ويفسده (قولا معروفا) قال ابن جريج عدة جميلة إن صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم وعن عطاء إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت فى غزاتى جعلت لك حظا وقيل إن لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله وإياك بارك الله فيك وكل ماسكنت إليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر (وابتلوا اليتامى) واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل

۝ قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم (قال محمود معناه اختبروا أحوالهم الخ) قال أحمد الابتلاء على هذا الوجه مذهب مالك رضى الله عنه غير أنه لايكون عنده إلا بعد البلوغ ولايدفع إليه من ماله شىء قبله وكذلك أحد قولى الشافعى رضى الله عنه وقوله الآخر كمذهب أبى حنيفة غير أن عنه خلافا فى صورته قبل البلوغ على وجهين أحدهما أن يسلم إليه المال ويباشر العقود بنفسه كالبالغ والآخر أن يكون وظيفته أن يساوم وتقرير الثمن إذا بلغ الأمر إلى العقد باشره الولى دونه وسلم الصبى الثمن فأما الرشد فالمعتبر عند مالك رضى الله عنه فيه هو أن يحرز ماله وينميه وإن كان فاسقاً فى حاله وعند الشافعى المعتبر صلاح الدين والمال جميعاً وغرضنا الآن أن نبين وجه تنزيل مذهب مالك فى هذه الآية والله المستعان فأما منعه من الإيتاء قبل البلوغ وإن كان ظاهر الآية أن الإيتاء قبله من حيث جعل البلوغ وإيناس الرشد غاية للإيتاء والغاية متأخرة عن المغيا ضرورة فيتعين وقوع الإيتاء قبل ولهذه النكتة أثبته أبو حنيفة قبل البلوغ والله أعلم فعلى جعل المجموع من البلوغ وإيناس الرشد هو الغاية حينئذ يلزم وقوع الابتلاء قبلهما أعنى المجموع وإن وقع بعد أحدهما وهو البلوغ لأن المجموع من اثنين فصاعدا لايتحقق إلا بوجود كل واحد من مفرديه ويحقق هذا التنزيل أنك لو قلت وابتلوا اليتامى بعد البلوغ حتى إذا اجتمع الأمران وتضامّا البلوغ والرشد فادفعوا إليهم أموالهم لاستقام الكلام ولكان البلوغ قبل الابتلاء وإن كان الابتلاء مغيا بالأمرين واقعاً قبل مجموعهما ونظير هذا النظر توجيه مذهب أبى حنيفة فى قوله إن فيئة المولى إنما تعتبر فى أجل الإيلاء لابعده وتنزيله على قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤا فإن الله غفور رحيم فجدد به عهداً يتضح لك تناسب النظرين والله أعلم وأما اقتصاره رضى الله عنه بالرشد على المال فإن كان المولى عليه فاسق الحال فوجه استخراجه من الآية أنه علق إيناس الرشد فيها بالابتلاء بدفع مال إليهم ينظر تصرفهم فيه فلو كان المراد صلاح الدين فقط لم يقف الاختبار فى ذلك على دفع المال إليهم إذ الظاهر من المصلح لدينه أنه لايتفاوت حاله فى حالتى عدمه ويسره ولو كان المراد صلاح الدين والمال معاً كما يقوله الشافعى رضى الله عنه لم يكن صلاح الدين موقوفا على الاختبار بالمال كما مر آنفاً وأيضاً فالرشد فى الدين والمال جميعاً هو الغاية فى الرشد وليس الجمع بينهما بقيد وتنكير الرشد

(قوله لتمندل بى بنو العباس) فى الصحاح المنديل معروف تقول منه تندلت بالمنديل وتمندلت

وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا

البلوغ حتى إذا تبينتم منهم رشداً أى هداية دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ● وبلوغ النكاح أن يحتلم لأنه يصلح للنكاح عنده ولطلب ماهو مقصود به وهو التوالد والتناسل ● والإيناس الاستيضاح فاستعير للتبيين ● واختلف فى الابتلاء والرشد فالابتلاء عند أبى حنيفة وأصحابه أن يدفع إليه مايتصرّف فيه حتى يستبين حاله فيما يجىء منه والرشد التهدى إلى وجوه التصرّف وعن ابن عباس الصلاح فى العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعى الابتلاء أن يتتبع أحواله وتصرّفه فى الأخذ والإعطاء ويتبصر مخايله وميله إلى الدين والرشد الصلاح فى الدين لأنّ الفسق مفسدة للمال (فإن قلت) فإن لم يؤنس منه رشد إلى حد البلوغ (قلت) عند أبى حنيفة رحمه الله ينتظر إلى خمس وعشرين سنة لأنّ مدّة بلوغ الذكر عنده بالسن ثمانى عشرة سنة فإذا زادت عليها سبع سنين وهى مدّة معتبرة فى تغير أحوال الإنسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله أونس منه الرشد أولم يؤنس وعند أصحابه لايدفع إليه أبداً إلا بإيناس الرشد (فإن قلت) مامعنى تنكير الرشد (قلت) معناه نوعا من الرشد وهو الرشد فى التصرّف والتجارة أو طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لاينتظر به تمام الرشد (فإن قلت) كيف نظم هذا الكلام (قلت) مابعد حتى إلى فادفعوا إليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهى حتى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله

فما زالت القتلى تمج دماءها ● بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لأنّ إذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأوّل الذى هو إذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فإن أحسيتم بمعنى أحسستم قال ● أحس به فهن إليه شوس ● وقرئ رشداً بفتحتين ورشداً بضمتين (إسرافا وبدارا) مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى إنفاقها وتقولون ننفق كما نشتهى قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا ● ثم قسم الأمر بين أن يكون الوصى غنياً وبين أن يكون فقيراً فالغنى يستعف من أكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى إشفاقا على اليتيم وإبقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدراً محتاطاً فى تقديره على وجه الأجرة أو استقراضاً على مافى ذلك من الاختلاف ولفظ الأكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على أنّ للوصى حقاً لقيامه عليها وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنّ رجلا قال له إن فى حجرى يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فقال أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس أنّ ولىّ اليتيم قال له أفأشرب من لبن إبله قال إن كنت تبغى ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب وعنه يضرب بيده مع أيديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لايلبس

فى الآية يأبى ذلك إذ الظاهر فإن آنستم منهم رشداً ما فبادروا بتسليم المال إليهم غير منتظرين بلوغ الغاية فيه والله أعلم (قال محمود رحمه الله فإن قلت فما وجه نظم الكلام الواقع بعد حتى إلى قوله فادفعوا إليهم أموالهم الخ) قال أحمد رحمه الله هو يروم بهذا التقدير تنزيل مذهب أبى حنيفة فى سبق الابتلاء على البلوغ على مقتضى الآية وقد أسلفنا وجه تنزيل مذهب مالك عليها بأظهر وجه وأقربه والحاصل أنّ مقتضى النظر إلى المجموع من حيث هو ومقتضى مذهب أبى حنيفة

(قوله فالغنى يستعف من أكلها) لعله عن (قوله غير متأثل مالا ولا واق) أى متخذ مالا أصلا كما فى الصحاح (وقوله وتلوط حوضها وتهنأ جرباها) أى تصلحه بالطين بأن تلزقه به . أفاده الصحاح وفيه هنأت البعير أهنؤه إذا طليته بالهناء وهو القطران اه ونقل المناوى بهامشه عن الزجاج أنه بضم النون وأنه لم يجئ مضموم العينى فى مهموز اللام إلا هنأ يهنؤ وقرأ يقرؤ فليحرر

دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا ٭ للرجال نصيب مما ترك الولدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الولدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ٭ وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ٭ وليخش الذين لو تركوا من

الكتان والحلل ولكن ماسدّ الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرّم تقرّم البهيمة وينزل نفسه منزلة الأجير فيما لابدّ منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر مايعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فإذا أيسر أدى وعن سعيد بن جبير إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس مايستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاه وإن أعسر فهو فى حل وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه إنى أنزلت نفسى من مال الله منزلة والى اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وإذا أيسرت قضيت واستعف أبلغ من عفّ كأنه طالب زيادة العفة (فأشهدوا عليهم) بأنهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك أبعد من التخاصم والتجاحد وأدخل فى الأمانة وبراءة الساحة ألا ترى أنه إذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند أبى حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعى لايصدق إلا بالبينة فكان فى الإشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضى إلى التهمة أو من وجوب الضمان إذا لم يقم البينة (وكفى بالله حسيبا) أى كافيا فى الشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسبا فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب (الأقربون) هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم (مما قلّ منه أو كثر) بدل مما ترك بتكرير العامل و (نصيبا مفروضا) نصب على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لابد لهم من أن يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة روى أنّ أوس بن الصامت الأنصارى ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهنّ وكان أهل الجاهلية لايورثون النساء والأطفال ويقولون لايرث إلا من طاعن بالرماح وذادعن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر مايحدث الله فنزلت فبعث إليهما لاتفرقا من مال أوس شيئا فإنّ الله قد جعل لهنّ نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم (وإذا حضر القسمة) أى قسمة التركة (أولوا القربى) ممن لايرث (فارزقوهم منه) الضمير لما ترك الولدان والأقربون وهو أمر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك إذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك تأديبا من غير أن يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حدّ ومقدار كما لغيره من الحقوق وروى أن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه قسم ميراث أبيه وعائشة رضى الله عنها حية فلم يدع فى الدار أحد إلا أعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآيات الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير أنّ ناسا يقولون نسخت ووالله مانسخت ولكنها مما تهاون به الناس ٭ والقول المعروف أن يلطفوا لهم القول

النظر إلى المفردين والظاهر اعتبار المجموع فإن العطف بالفاء يقتضيه والله أعلم ٭ قوله تعالى ﴿ ومن كان غنيا فليستعفف ﴾ (قال محمود استعف أبلغ من عفّ وكأنه يطلب زيادة العفة من نفسه) قال أحمد فى هذا إشارة إلى أنه من استفعل بمعنى الطلب وليس كذلك فإن استفعل الطلبية متعدية وهذه قاصرة والظاهر أنه مما جاء فيه فعل واستفعل بمعنى والله أعلم

(قوله يتقرّم تقرّم البهيمة) فى الصحاح قرم الصبي والبهم قرما وقروما وهو أكل ضعيف فى أول ما يأكل وتقرّم مثله (قوله روى أن أوس بن الصامت الأنصارى) فى رواية ابن ثابت وليحرر اه (قوله من رثة المتاع) فى الصحاح : الرثة السقط من متاع البيت من الخلقان والجمع رثث مثل قربة وقرب

خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ الْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۞ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلَـٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن

ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا إليهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعى أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فإذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة إلى الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم ■ لو مع ما فى حيزه صلة للذين والمراد بهم الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وأن يقدروا ذلك فى أنفسهم ويصوّروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز أن يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون إلى المريض فيقولون إنّ ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فأمروا بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمرا بالشفقة للورثة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين وأن يتصوروا أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة (فإن قلت) ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين (قلت) معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل

لقد زاد الحياة إلىّ حبا ۞ بناتى أنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين البؤس بعدى ۞ وأن يشربن رنقا بعد صافى

۞ وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى ■ والقول السديد من الأوصياء أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم يابنىّ وياولدى ومن الجالسين إلى المريض أن يقولوا له إذا أراد الوصية لا تسرف فى وصيتك فتجحف بأولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد إنك إن تترك ولدك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضى الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وأنّ الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم أن يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين (ظلما) ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته (فى بطونهم) ملء بطونهم يقال أكل فلان فى بطنه وفى بعض بطنه قال

■ قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (قال محمود المراد الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله الخ) قال أحمد وإنما ألجأه إلى تقدير تركوا بقوله شارفوا أن يتركوا لأن جوابه قوله خافوا عليهم والخوف عليهم إنما يكون قبل تركهم إياهم وذلك فى دار الدنيا فقد دلّ على أنّ المراد بالترك الإشراف عليه ضرورة وإلا لزم وقوع الجواب قبل الشرط وهو باطل ونظيره فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف أى شارفن بلوغ الأجل ولهذا المجاز فى التعبير عن المشارفة على الترك بالترك سرّ بديع وهو التخويف بالحالة التى لا يبقى معها مطمع فى الحياة ولا فى الذب عن الذرية الضعاف وهى الحالة التى وإن كانت من الدنيا إلا أنها لقربها من الآخرة ولصوقها بالمفارقة صارت من حيزها ومعبرا عنها بما يعبر به عن الحالة الكائنة بعد المفارقة من الترك والله أعلم ۞ قوله تعالى إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا (قال محمود معناه ظالمين أو على وجه الظلم الخ) قال أحمد ومثله قد بدت البغضاء من أفواههم أى شدقوا بها وقالوها بملء أفواههم أو يكون المراد بذكر البطون تصوير الأكل للسامع حتى يتأكد عنده بشاعة هذا الجرم بمزيد تصوير ولأجل تأكيد

كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ

* كلوا فى بعض بطنكمو تعفوا * ومعنى يأكلون نارا مايجر إلى النار فكأنه نار فى الحقيقة وروى أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا * وقرئ وسيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها (سعيرا) نارا من النيران مبهمة الوصف (يوصيكم الله) يعهد إليكم ويأمركم (فى أولادكم) فى شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا إجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الأنثيين) (فإن قلت) هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر (قلت) ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قصد إلى بيان فضل الذكر وقولك للأنثيين مثل حظ الذكر قصد إلى بيان نقص الأنثى وما كان قصد إلى بيان فضله كان أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى فى حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل مايدلون به (فإن قلت) فإن حظ الأنثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان (قلت) أريد حال الاجتماع لا الانفراد أى إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما فى حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان الثلثين والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع أنه أتبعه حكم الانفراد وهو قوله فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك والمعنى للذكر منهم أى من أولادكم فحذف الراجع اليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم (فإن كن نساء) فإن كانت البنات أو المولودات نساء خلصاً ليس معهن رجل يعنى بنات ليس معهن ابن (فوق اثنتين) يجوز أن يكون خبراً ثانياً لكان وأن يكون صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين (وإن كانت واحدة) وإن كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى (فلها النصف) وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله فإن كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم * والضمير فى ترك للميت لأن الآية لما كانت فى الميراث علم أن التارك هو الميت (فإن قلت) قوله للذكر مثل حظ الأنثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الأولاد لا لبيان حظ الأنثيين فكيف صح أن يردف قوله فإن كن نساء وهو لبيان حظ الإناث (قلت) وإن كان مسوقا لبيان حظ الذكر إلا أنه لما فقه منه وتبين حظ الأنثيين مع أخيهما كان كأنه مسوق للأمرين جميعا فلذلك صح أن يقال فإن كن نساء (فإن قلت) هل يصح أن يكون الضميران فى كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيراً لهما على أن كان تامة (قلت) لا أبعد ذلك (فإن قلت) لم قيل فإن كن نساء ولم يقل وإن كانت امرأة

التشنيع على الظالم لليتيم فى ماله خص الأكل لأنه أبشع الأحوال التى يتناول مال اليتيم فيها والله أعلم * قوله تعالى يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين (قال محمود إن قلت هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر الخ) قال أحمد لأن الأفضلية حينئذ مدلول عليها بواسطة الاستلزام لا منطوق بها وأما على نظم الآية فالأفضلية منطوق بها غير محتاجة إلى ذلك * عاد كلامه (قال ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث الخ) قال أحمد وعلى مقتضى هذا لا يكون حكم الابن إذا انفرد مذكوراً فى الآية لأنه حيث ذكره فإنما عنى حالة الاجتماع مع الإناث خاصة على تفسير الزمخشرى هذا ويمكن خلافه وهو أن المذكور أولا ميراث الذكر على الإطلاق مجتمعا مع الإناث ومنفرداً أما وجه تلقى حكمه حالة الاجتماع فقد قرره الزمخشرى وأما وجه تلقيه حالة الانفراد فمن حيث أن الله تعالى جعل له مثل حظ الأنثيين فإن كانت معه فذاك وإن كانت منفردة عنه فقد جعل لها فى حال انفرادها النصف فاقتضى ذلك أن للذكر عند انفراده مثلى نصيبها عند انفرادها وذلك الكامل والله أعلم * عاد كلامه (قال محمود فإن قلت لم قيل فإن كن نساء ولم يقل وإن كانت امرأة

(قوله يخرج من قبره ومن فيه وأنفه) قوله من قبره يروى من دبره ويؤيده مافى الخازن من حديث أبى سعيد الخدرى أنهم يجعل فى أفواههم صخر من نار يخرج من أسافلهم اه محرره

(قلت) لأنّ الغرض ثمة خلوصهن إناثا لاذكر فيهن ليميز بين ماذكر من اجتماعهن مع الذكور فى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن وأريد ههنا أن يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لاقرينة لها (فإن قلت) قد ذكر حكم البنتين فى حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت فى حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين فى حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر (قلت) أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبي تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى «فإن كن نساء» فوق اثنتين فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة والذى يعلل به قولهم إن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قد دلّ على أن حكم الأنثيين حكم الذكر وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر مادلّ على حكم الأنثيين قيل فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك على معنى فإن كن جماعة بالغات مابلغن من العدد فلهن ما للأنثيين وهو الثلثان لايتجاوزنه لكثرتهن ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل إن الثنتين أمس رحما بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما وقيل إن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لوانفردت معه فوجب لهما الثلثان (ولأبويه) الضمير للميت (ولكل واحد منهما) بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لوقيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل

الخ) قال أحمد يريد أن حكم البنتين حال اجتماعهما مع الابن مذكور فى قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وأن حكم البنات منفردات مذكور فى قوله فإن كن نساء وأن حكم البنت منفردة مذكورة فى قوله وإن كانت واحدة فلها النصف وبقى عليه أن ذكر الابن فى حال الانفراد مستفاد من قوله للذكر مثل حظ الأنثيين إذا ضممته إلى قوله وإن كانت واحدة فلها النصف على التقرير الذى قدمته ۞ عاد كلامه (قال فى الجواب أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة الخ) قال أحمد ومجرد النظر ان ابن عباس أجرى التقييد بالصفة وهى قوله فوق اثنتين على ظاهره من مفهوم المخالفة غير أنه ما كان يقتضى اللفظ أن يقتصر لهما على النصف لأجل تعارض المفهومين إذ مفهوم فلهن ثلثا ماترك أن تكون الأنثى أقل من الثلثين ومفهوم فإن كانت واحدة فلها النصف أن تكون الأنثيين أزيد من النصف فيكون نصيبهما مترددآ فيما بين النصف والثلثين بقدر مجمل وأما غيره فأظهر للتقييد فائدة سوى المخالفة وتلك الفائدة رفع الفرق المتوهم بين الأنثيين ومافوقهما ومتى ظهرت للتخصيص فائدة جلية سوى المخالفة وجب المصير اليها وسقط التعلق بالمفهوم وكانه على القول المشهور لما علم أن الأنثيين يستوجبات الثلثين بالطرق المذكورة وكان الوهم قد يسبق إلى أنّ الزائد على الأنثيين يستوجبن أكثر من فرض الأنثيين لأنّ ذلك مقتضى القياس رفع هذا الوهم بإيجاب الثلثين لما فوق الأنثيين كوجوبه لهما والله أعلم ▪ قوله تعالى ولأبويه لكل واحد منهما السدس (قال محمود لكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل الخ) قال أحمد وفى إعرابه بدلا نظر وذلك أنه يكون على هذا التقدير من بدل الشىء من الشيء وهما كعين واحدة ويكون أصل الكلام والسدس لأبويه لكل واحد منهما ومقتضى الاقتصار على المبدل منه التشريك بينهما فى السدس كما قال فإن كنّ نساء فوق اثنتين فلهنّ ثلثا ماترك فاقتضى اشتراكهنّ فيه فيقتضى البدل لو قدر إهدار الأوّل إفراد كل واحد منهما بالسدس وعدم التشريك وهذا يناقض حقيقة هذا النوع من البدل لأنه يلزم فى هذا النوع أن يكون مؤدّى المبدل والبدل واحدا وإنما فائدته التأكيد بمجموع الاسمين لاغير بلا زيادة معنى فإذا تحقق ماينهما من التباين تعذرت البدلية المذكورة وليس من بدل التقسيم أيضا على هذا الإعراب وإلالزم زيادة معنى فى البدل فالوجه والله أعلم أن يقدر مبتدأ محذوف كأنه قيل ولأبويه الثلث ثم لما ذكر نصيبهما مجملا فصله بقوله لكل واحد منهما السدس وساغ حذف المبتدإ لدلالة التفصيل عليه ضرورة إذ يلزم من استحقاق كل واحد منهما للسدس استحقاقهما معا للثلث والله أعلم ولايستقيم على هذا الوجه أيضا جمله من بدل التقسيم ألا تراك لوقلت الدار كلها ثلاثة لزيد ولعمرو ولخالد كان هذا بدلا وتقسيما

مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها (فان قلت) فهلا قيل ولكل واحد من أبويه السدس وأى فائدة فى ذكر الأبوين أولا ثم فى الإبدال منهما (قلت) لأن فى الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيدا وتشديدا كالذى تراه فى الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن * والولد يقع على الذكر والأنثى ويختلف حكم الأب فى ذلك فإن كان ذكرا اقتصر بالأب على السدس وإن كانت أنثى عصب مع إعطاء السدس * (فإن قلت) قد بين حكم الأبوين فى الإرث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فإن لم يكن له ولد فلأمه الثلث وأى فائدة فى قوله وورثه أبواه (قلت) معناه فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلأمه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما بقى بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك إلا عند ابن عباس والمعنى أن الأبوين إذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين (فإن قلت) ما العلة فى أن كان لها ثلث ما بقى دون ثلث المال (قلت) فيه وجهان أحدهما أن الزوج إنما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فأشبه الوصية فى قسمة ما وراءه والثانى أن الأب أقوى فى الإرث من الأم بدليل أنه يضعف عليها إذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الأمرين فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقى للأب حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين (فإن كان له إخوة فلأمه السدس) الإخوة يحجبون الأم عن الثلث وإن كانوا لا يرثون مع الأب فيكون لها السدس وللأب خمسة الأسداس ويستوى فى الحجب الاثنان فصاعدا إلا عند ابن عباس وعنه أنهم يأخذون السدس الذى حجبوا عنه الأم (فإن قلت) فكيف صح أن يتناول الإخوة الأخوين والجمع خلاف التثنية (قلت) الإخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع فى إفادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالإخوة عليه * وقرئ فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للجرة ألا تراها لا تكسر فى قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية (من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الأنصبة من بعد وصية يوصى بها

صحيحا لأنك لو حذفت المبدل منه فقلت الدار لزيد ولعمرو والخالد ولم تزد فى البدل زيادة استقام فلو قلت الدار لثلاثة لزيد ثلثها ولعمرو ثلثها ولخالد ثلثها لم يستقم بدل تقسيم إذ لو حذفت المبدل منه لصار الكلام الدار لزيد ثلثها ولعمرو ثلثها ولخالد ثلثها فهذا كلام مستأنف لأنك زدت فيه معنى تمييز مال كل واحد منهم وذلك لا يعطيه المبدل ولا سبيل فى بدل الشىء من الشىء إلى زيادة معنى * عاد كلامه (قال محمود فإن قلت قد بين حكم الأبوين الإرث الخ) قال أحمد ومذهب ابن عباس أن الإخوة يأخذون السدس الذى حجبوا الأم عنه مع وجود الأب فعلى هذا يكون فائدة قوله وورثه أبواه الاحتراز مما لو ورثه الإخوة مع الأبوين فإن الأم لها حينئذ السدس وكأنه قيل وورثه أبواه ولم يكن ثم إخوة فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس ولا يمكن جعله على مذهب ابن عباس مقيدا بعدم الزوجين لأن ثلث الأم عنده لا يتغير بوجود واحد منهما والله الموفق * عاد كلامه (قال محمود ويستوى فى حجب الأم الاثنان فصاعدا إلا عند ابن عباس الخ) قال أحمد ولقد أحسن فى هذا التقرير ما لم يحسن كثير من حذاق الأصوليين يريد متلق فى تغاير وصفى الجمع والتثنية إذ الجمع يتناول الاثنين ويتناول أزيد منهما ولك هذا وأما التثنية فقاصرة على الاثنين فبينهما على هذا العموم والخصوص فكل تثنية جمع وليس كل جمع تثنية

عَلِيماً حَكِيماً ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ

وقرئ يوصى بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففاً ۞ (فإن قلت) مامعنى أو (قلت) معناها الإباحة وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين (فإن قلت) لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها فى الشريعة (قلت) لما كانت الوصية مشبهة للميراث فى كونها مأخوذة من غير عوض كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثاً على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية بينهما فى الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله (آباؤكم وأبناؤكم) أى لاتدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أمن لم يوص يعنى أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعاً وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا إلى حقيقة الأمر لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلا قريباً فى الصورة إلا أنه فان فهو فى الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة وإن كان آجلا إلا أنه باق فهو فى الحقيقة الأقرب الأدنى وقيل إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه فى الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع إليه ابنه فأنتم لاتدرون فى الدنيا أيهم أقرب لكم نفعاً وقيل قد فرض الله الفرائض على ماهو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة وقيل الأب يجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن إذا كان محتاجا فهما فى النفع بالنفقة لايدرى أيهما أقرب نفعا وليس شيء من هذه الأقاويل بملائم للمعنى ولا بمجاوب له لأن هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراضى أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ماتقدم (فريضة) نصبت نصب المصدر المؤكد أى فرض ذلك فرضاً (إن الله كان عليما) بمصالح خلقه (حكيما) فى كل مافرض وقسم من المواريث وغيرها (فإن كان لهن ولد) منكم أو من غيركم ▪ جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب واحدة والجماعة سواء فى الربع والثمن (وإن كان رجل) يعنى الميت و (يورث) من ورث أى يورث منه وهو صفة لرجل و (كلالة) خبر كان أى وإن كان رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير فى يورث وقرئ يورث ويورّث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال أو مفعول به (فإن قلت) ما الكلالة (قلت) ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولداً ولا والداً وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى

▪ قوله تعالى من بعد وصية يوصى بها أو دين (قال محمود إن قلت لم قدمت الوصية على الدين الخ) قال أحمد الوصية على ضربين لغير معين فلا يطالب بها إلا الإمام إن عثر عليها ولمعين فله المطالبة ولكن يتباينان فى القوة بين مطالبة رب الدين بدينه والموصى له بوصيته لأن رب الدين يطالب بحق مستقر فى الذمة سبق له به الفضل على مديانه والموصى له إنما يطلب صدقة تفضل بها عليه الميت لاعن استحقاق سابق فاكتفى بما لرب الدين من القوة عن تقديمه فى الذكر وعضد ضعف الموصى له بتقديمه فى الذكر عونا له على حصول رفق الوصية ويمكن فى دفعه طريق آخر فأقول لم يخالف ترتيب الآية الواقع شرعا فلا يرد السؤال وذلك أن أول مايبدأ به إخراج الدين ثم الوصية ثم اقتسام ذوى الميراث فانظر كيف جاء إخراج الميراث آخراً تلو إخراج الوصية تلو الدين فوافق قولنا قسمة المواريث بعد الوصية والدين صورة الواقع شرعا ولو سقط ذكر بعد وكان الكلام أخرجوا الميراث والوصية والدين لما أمكن ورود السؤال المذكور والله أعلم

فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۞ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ماورث المجد عن كلالة كما تقول ۞ ما صمت عن عى وما كفّ عن جبن والكلالة فى الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء قال الأعشى ۞ فآليت لا أرثى لها من كلالة ۞ فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كآلة ضعيفة وإذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذى كلالة كما تقول فلان من قرابتى تريد من ذوى قرابتى ويجوز أن تكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق (فإن قلت) فإن جعلتها اسما للقرابة فى الآية فعلام تنصبها (قلت) على أنها مفعول له أى يورث لأجل الكلالة أو يورث غيره لأجلها (فإن قلت) فإن جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه (قلت) الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث (فإن قلت) فالضمير فى قوله فلكل واحد منهما إلى من يرجع حينئذ (قلت) إلى الرجل وإلى أخيه أو أخته وعلى الأول إليهما (فإن قلت) إذا رجع الضمير إليهما أفاد استواءهما فى حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الأنثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة فى هذا الوجه (قلت) نعم لأنك إذا قلت السدس له أو لواحد من الأخ أو الأخت على التخيير فقد سوّيت بين الذكر والأنثى وعن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيى فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمنى ومن الشيطان والله منه برئ الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك أنّ الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد أجمعوا على أنّ المراد أولاد الأمّ وتدل عليه قراءة أبىّ وله أخ أو أخت من الأمّ وقراءة سعد بن أبى وقاص وله أخ أو أخت من أمّ وقيل إنما استدل على أن الكلالة ههنا الإخوة للأمّ خاصة بما ذكر فى آخر السورة من أنّ للأختين الثلثين وأنّ للإخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا أنه يعنى بهم الأخوة للأمّ وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة الأخياف والأعيان وأولاد العلات وغيرهم (غير مضارّ) حال أى يوصى بها وهو غير مضارّ لورثته وذلك أن يوصى بزيادة على الثلث أو يوصى بالثلث فما دونه ونيته مضارّة ورثته ومغاضبتهم لا لوجه الله تعالى وعن قتادة كره الله الضرار فى الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارّة فى الدين أن يوصى بدين ليس عليه ومعناه الإقرار (وصية من الله) مصدر مؤكد أى يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز أن تكون منصوبة بغير مضارّ أى لا يضارّ وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالأولاد وأن لا يدعهم عالة بإسرافه فى الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضارّ وصية من الله بالإضافة (والله عليم) بمن جار أو عدل فى وصيته (حليم) عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد (فإن قلت) فى يوصى ضمير الرجل إذا جعلته الموروث فكيف تعمل إذا جعلته الوارث (قلت) كما عملت فى قوله تعالى «فلهنّ ثلثا ما ترك» لأنه علم أنّ التارك والموصى هو الميت (فإن قلت) فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله (قلت) يضمر يوصى فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل يوصى بها علم أن ثم موصيا كما قال يسبح له فيها بالغدو والآصال على ما لم يسمّ فاعله فعلم أن ثم مسبحا فأضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضارّ حالا عما يدل عليه يوصى بها (تلك) إشارة إلى الأحكام التى ذكرت فى باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لأنّ الشرائع كالحدود

(قوله كالهجاجة والفقاقة للأحمق) فى الصحاح رجل هجاجة أى أحمق وفيه رجل فقاقة أى أحمق هذر وفيه أيضا الهذر بالتحريك الهذيان والرجل هذر بكسر الذال (قوله سائر الإخوة الأخياف والأعيان) فى الصحاح إخوة أخياف إذا كانت أمهم واحدة والآباء شتى والأعيان الإخوة بنو أب واحد وأمّ واحدة وبنو العلات أولاد الرجل الواحد من أمهات شتى اه ملخصا من مواضع

مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ وَالَّـٰتِي يَأْتِينَ الْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّـٰهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۞ وَالَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۞ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن

المضروبة الموقتة للمكلفين لايجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ماليس لهم بحق (يدخله) قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله ناراً وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه ۞ وانتصب خالدين وخالداً على الحال (فإن قلت) هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونارا (قلت) لا لأنهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالداً هو فيها (يأتين الفاحشة) يرهقنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفى قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها فى القبح على كثير من القبائح (فأمسكوهن فى البيوت) قيل معناه فخلدوهن محبوسات فى بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن فى أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزانى الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمساكهن فى البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ماجرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال (أو يجعل الله لهن سبيلا) هو النكاح الذى يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لأنه لم يكن مشروعا ذلك الوقت (فإن قلت) مامعنى يتوفاهن الموت والتوفى والموت بمعنى واحد كأنه قيل حتى يميتهن الموت (قلت) يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة إن الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفى أرواحهن (واللذان يأتيانها منكم) يريد الزانى والزانية (فآذوهما) فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله (فإن تابا وأصلحا) وغيرا الحال (فأعرضوا عنهما) واقطعوا التوبيخ والمذمة فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الإمام والحد فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا عنهما ولاتتعرضوا لهما وقيل نزلت الأولى فى السحاقات وهذه فى اللواطين ۞ وقرئ اللذانّ بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون (التوبة) من تاب الله عليه إذا قبل توبته وغفر له يعنى إنما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء (بجهالة) فى موضع

۞ قوله تعالى «إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم» الآية (قال محمود يعنى إنما القبول والغفران واجب على الله الخ) قال أحمد وقد تقدم فى مواضع أن إطلاق مثل هذا من قول القائل يجب على الله كذا مما نعوذ بالله منه تعالى عن الإلزام والإيجاب رب الأرباب وقاعدة أهل السنة أن الله تعالى مهما تفضل فهو لا عن استحقاق سابق لأنهم يقولون إن الأفعال التى يتوهم القدرية أن العبد يستحق بها على الله شيئا كلها خلق الله فهو الذى خلق لعبده الطاعة وأثابه عليها وخلق له التوبة وقبلها منه فهو المحسن أولا وآخراً وباطناً وظاهراً لا كالقدرية الذين يزعمون أن العبد خلق لنفسه التوبة بقدرته وحوله ليستوجب على ربه المغفرة بمقتضى حكمته التى توجب عليه على زعمهم المجازاة على الأعمال إيجابا عقليا فلذلك يطلقون بلسان الجراءة هذا الإطلاق وما أبشع ما أكد الزمخشرى هذا المعتقد الفاسد بقوله يجب على الله قبول التوبة كما يجب على العبد بعض الطاعات فنظر المعبود بالعبد وقاس الخالق على الخلق وأنه لإطلاق يتقيد عنه لسان العاقل ويقشعر جلده استبشاعا لسماعه ويتعثر القلم عند تسطيره على أن من لطف الله تعالى أن لم يجعل حاكى الكفر كافراً ولا حاكى البدعة لضرورة ردها والتحذير منها مبتدعا وما بلغ الزمخشرى فى هذا الإطلاق إلا اغتناما لفرصة التمسك على صحته بصيغة على المشعرة بالوجوب فجعلها ذريعة لاستباحة هذا الإطلاق ولم يجعل الله

قَرِيبٍ فَأُولَـٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَـٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ

الحال أى يعملون السوء جاهلين سفهاء لأنّ ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته (من قريب) من زمان قريب والزمان القريب ماقبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله حتى إذا حضر أحدهم الموت فبين أنّ وقت الاحتضار هو الوقت الذى لايقبل فيه التوبة فبقى ماوراء ذلك فى حكم القريب وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعى مالم يؤخذ بكظمه وروى أبو أيوب عن النبى صلى الله عليه وسلم إنّ الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أنّ إبليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم مادام روحه فى جسده فقال تعالى وعزتى لا أغلق عليه باب التوبة مالم يغرغر * (فإن قلت) مامعنى من فى قوله من قريب (قلت) معناه التبعيض أى يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى مابين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففى أى جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب من بعيد * (فإن قلت) مافائدة قوله (فأولئك يتوب الله عليهم) بعد قوله إنما التوبة على الله لهم (قلت) قوله إنما التوبة على الله إعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفى بما وجب عليه وإعلام بأن الغفران كائن لامحالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب (ولا الذين يموتون) عطف على الذين يعملون السيئات سوّى بين الذين سوّفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر فى أنه لاتوبة لهم لأنّ حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أنّ المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوّف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار (أولئك أعتدنا لهم) فى الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم فى الوعد ليتبين أنّ الأمرين كائنان لامحالة (فإن قلت) من المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق لأن الكلام إنما وقع فى الزانيين والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فإنّ الله غنىّ عن العالمين وقوله فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر لأن من كان مصدّقا ومات وهو لايحدّث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لأنه لايجترئ على ذلك إلا قلب مصمت كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل إذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحقّ بها من كلّ أحد فقيل (لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها) أى أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهنّ كارهات لذلك أو

له فيها مستروحا فإنا نقول معاشر أهل السنة قد وعدنا الله قبول التوبة المستجمعة لشرائط الصحة ووقوع هذا الموعود واجب ضرورة صدق الخبر فهما ورد من صيغ الوجوب فمنزل على وجوب صدق الوعد ومعنى قولنا صدق الخبر واجب كمعنى قولنا وجود الله واجب لأن أحداً لايستوجب على الله شيئا ألهمنا الله الأدب فى حق جلاله وعصمنا من زيغ القول وضلاله * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها إلى قوله ويجعل الله فيه خيراً كثيراً (قال محمود كان الرجل إذا مات له قريب ألقى ثوبه على امرأته وقال أنا أحقّ بها من كلّ أحد الخ) قال أحمد وخصّ تعالى ذكر من آتى القنطار من المال بالنهى تنبيها بالأعلى على الأدنى لأنه إذا كان هذا على كثرة مابذل لامرأته من الأموال منهياً عن استعادة شىء يسير حقير منها على هذا الوجه كان من لم يبذل إلا الحقير منهياً عن استعادته بطريق الأولى ومعنى

مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۞ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۞ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۞ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ

مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لايحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بإمساككم وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقى بعضه (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) وهى النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أى إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم فى طلب الخلع ويدل عليه قراءة أبى إلا أن يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فإن فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع وقيل كانوا إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ماساق إليها وأخرجها وعن أبى قلابة ومحمد بن سيرين لايحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لايحل له أن يحبسها ضراراً حتى تفتدى منه يعنى وإن زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيؤن معاشرة النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو النصفة فى المبيت والنفقة والإجمال فى القول (فإن كرهتموهن) فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ماهو أصلح فى الدين وأحمد وأدنى إلى الخير وأحبت ماهو بضد ذلك ولكن للنظر فى أسباب الصلاح ۞ وكان الرجل إذا طمحت عينه إلى استطراف امرأة بهت التى تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج غيرها فقيل (وإن أردتم استبدال زوج) الآية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشىء إذا رفعته منه القنطرة لأنها بناء مشيد قال

كقنطرة الرومى أقسم ربها ۞ لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

وعن عمر رضى الله عنه أنه قام خطيباً فقال أيها الناس لاتغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنى عشر أوقية فقامت إليه امرأة فقالت له ياأمير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم إحداهن قنطاراً فقال عمر كل أحد أعلم من عمر ثم قال لأصحابه تسمعوننى أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه على حتى ترد على امرأة ليست من أعلم النساء ۞ والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو برىء منه لأنه يبهت عند ذلك أى يتحير وانتصب (بهتانا) على الحال أى باهتين وآثمين أو على أنه مفعول له وإن لم يكن غرضاً كقولك قعدعن القتال جبناً ۞ والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كأنه قيل وأخذن به منكم ميثاقا غليظاً أى بإفضاء بعضكم إلى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولى عند العقد أنكحتك على مافى كتاب الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وعن النبى صلى الله عليه وسلم استوصوا

قوله وآتيتم والله أعلم وكنتم آتيتم إذ إرادة الاستبدال فى ظاهر الأمر واقعة بعد إيتاء المال واستقرار الزوجية ۞ قوله

(قوله أو أخ حميم عن إمرأة) فى الصحاح حميمك قريبك الذى تهتم لأمره (قوله إذا طمحت عينه) أى إرتفعت إلى إستحسان إمرأة للتمتع بها بدل إمرأته أفاده الصحاح (قوله بهت التى تحته ورماها) رماها بما ليس فيها كما يؤخذ مما يأتى (قوله حتى تشاد بقرمد) ضرب من الأحجار يوقد عليها حتى تنضج ثم يطلى بها البرك أى الأحواض أفاده الصحاح (قوله لاتغالوا بصدق النساء) جمع صداق كسحب جمع سحاب

مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلًا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ

بالنساء خيراً فإنهنّ عوان فى أيديكم أخذتموهنّ بأمانة الله وإستحللتم فروجهنّ بكلمة الله * وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى ومن ثم قيل (ومقتا) كأنه قيل هو فاحشة فى دين الله بالغة فى القبح قبيح ممقوت فى المروءة ولا مزيد على مايجمع القبحين * وقرئ لاتحل لكم بالتاء على أن ترثوا بمعنى الوارثة وكرهاً بالفتح والضم من الكراهة والإكراه * وقرئ بفاحشة مبينة من أبانت بمعنى تبينت أو بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على أنه فى موضع الحال وآتيتم إحداهن بوصل همزة احداهن كما قرئ فلا اثم عليه * (فإن قلت) تعضلوهنّ ماوجه إعرابه (قلت) النصب عطفاً على أن ترثوا ولا لتأكيد النفى أى لايحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهنّ (فإن قلت) أى فرق بين تعدية ذهب بالباء وبينها بالهمزة (قلت) إذا عدى بالباء فمعناه الأخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به وأما الاذهاب فكالإزالة * (فإن قلت) إلا أن يأتين ماهذا الاستثناء (قلت) هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل ولا تعضلوهنّ فى جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهنّ لعلة من العلل إلا لأن يأتين بفاحشة * (فإن قلت) من أى وجه صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط (قلت) من حيث أنّ المعنى فإن كرهتموهنّ فاصبروا عليهنّ مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً ليس فيما تحبونه * (فإن قلت) كيف استثنى ماقد سلف مما نكح آباؤكم (قلت) كما استثنى غير أن سيوفهم من قوله ولاعيب فيهم يعنى إن أمكنكم أن تنكحوا ماقد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة فى تحريمه وسد الطريق إلى إباحته كما يعلق بالمحال فى التأبيد فى نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل فى سم الخياط * معنى (حرمت عليكم أمهاتكم) تحريم نكاحهنّ لقوله ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء ولأن تحريم نكاحهن هو الذى يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله * وقرئ وبنات الأخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولده من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم إخوته وأخواته لأمه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع مايحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب إلا فى مسئلتين إحداهما أنه لايجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من النسب

تعالى ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا (قال محمود فيه كانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه الخ) قال أحمد وعندى فى هذا الاستثناء سر آخر وهو أن هذا المنهى عنه لفظاعته وبشاعته عند أكثر الخلق حتى كان ممقوتا قبل ورود الشرع جدير أن يمتثل النهى فيه فيجتنب فكأنه قد امتثل النهى عنه حتى صار مخبراً عن عدم وقوعه وكأنه قيل مايقع نكاح الأبناء المنكوحات للآباء ولا يؤخذ منه شيء إلا ماقد سلف وأما فى المستقبل بعد النهى فلا يقع منه شيء البتة ومثل هذا النظر جار فى مثل قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله فأجراه مرفوعا على أنه خبر وإن كان المراد نهيهم عن عبادة غير الله ولكن لما كان هذا المنهى جديرا بالاجتناب وكأنه اجتنب عبر عن النهى فيه بصيغة الخبر ورفع الفعل وقد مضى هذا التقدير بعينه ثم لم يجر مثله فى هذه الآية والله أعلم * قوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الآية (قال محمود معناه تحريم نكاحهنّ الخ) قال أحمد وهذا تفريع

(قوله فإنهنّ عوان فى أيديكم) فى الصحاح العانى الأسير وقوم عناة ونسوة عوان (قوله ينكحون روابهم) فى الصحاح الراب زوج الأم والرابة امرأة الأب وربيب الرجل ابن امرأته من غيره ونكاح المقت كان فى الجاهلية أن يتزوج الرجل امرأة أبيه اهـ فى موضعين

وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا

ويجوز أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع لأن المانع فى النسب وطؤه أمها وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع والثانية لايجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ويجوز فى الرضاع لأن المانع فى النسب وطء الأب إياها وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع (من نسائكم) متعلق بربائبكم ومعناه أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها (فإن قلت) هل يصح أن يتعلق بقوله وأمهات نسائكم (قلت) لايخلو إما أن يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا وإما أن يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الأول لأن معنى من مع أحد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر ألا تراك أنك إذا قلت وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتميز المدخول بهن من غير المدخول بهن وإذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإنك جاعل من الابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وليس بصحيح أن يعنى بالكلمة الواحدة فى خطاب واحد معنيان مختلفان ولايجوز الثانى لأن ما يليه هو الذى يستوجب التعليق به مالم يعترض أمر لا يرد إلا أن تقول أعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فإنى لست منك ولست منى ما أنا من دد ولا الدد منى وأمهات النساء متصلات بالنساء لأنهن أمهاتهن كما أن الربائب متصلات بأمهاتهن لأنهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على أن تحريم أمهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه قال لابأس أن يتزوج ابنتها ولايحل له أن يتزوج أمها وعن عمر وعمران بن الحصين رضى الله عنهما أن الأم تحرم بنفس العقد وعن مسروق هى مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس أبهموا ما أبهم الله إلا ماروى عن على وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير أنهم قرؤا وأمهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله مانزل إلا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل أقام الموت مقام الدخول فى ذلك كما قام مقامه فى باب المهر وسمى ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لأنه يربهما كما يرب ولده فى غالب الأمر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وإن لم يربهما * (فإن قلت) مافائدة قوله فى حجوركم (قلت) فائدته التعليل

على القول يعموم المشترك فى معانيه فاستقام تعليق الجار المذكور بهما والله أعلم * عاد كلامه (قال ولايجوز الثانى لأن مايليه هو الذى يستوجب التعليق به مالم يعترض أمر لا يرد إلا أن تقول أعلقه بالنساء والربائب أجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فإنى لست منك ولست منى ما أنا من دد ولا الدد منى وأمهات النساء متصلات بالنساء لأنهن الخ) قال أحمد يعنى أن لهذا الإعراب وجها فى الصحة وتكون من على هذا مستعملة فى معنى واحد من معانيها وهو الاتصال فيستقيم تعلقها بهما وقد نقل ذلك عن ابن عباس مذهبا ونقل أيضا قراءة على وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير وأمهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله مانزل إلا هكذا انتهى نقل الزمخشرى والقول المشهور عن الجمهور إبهام تحريم المرأة وتقييد تحريم الربيبة بدخول الأم كما هو ظاهر الآية ولهذا الفرق سر وحكمة وذلك لأن المتزوج بابنة المرأة لايخلو بعد العقد وقبل الدخول من محاورة بينه وبين أمها ومخاطبات ومسارات فكانت الحاجة داعية إلى تنجيز التحريم ليقطع شوقه من الأم فيعاملها معاملة ذوات المحارم ولا كذلك العاقد على الأم فإنه بعيد عن مخاطبة ابنتها قبل الدخول بالأم فلم تدع الحاجة إلى تعجيل نشر الحرمة وأما إذا وقع الدخول بالأم فقد وجدت مظنة خلطة الربيبة فحينئذ تدعو الحاجة إلى نشر الحرمة بينهما والله أعلم * عاد كلامه (قال فإن قلت مافائدة قوله فى حجوركم الخ) قال أحمد وهذا مما قدمته من تخصيص أعلى صور المنهى عنه بالنهى فإن النهى عن نكاح

دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ

للتحريم وأنهنّ لاحتضانكم لهنّ أو لكونهنّ بصدد احتضانكم وفى حكم التقلب فى حجوركم إذا دخلتم بأمهاتهنّ وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والألفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بأن تجروا أولادهنّ مجرى أولادكم كأنكم فى العقد على بناتهنّ عاقدون على بناتكم وعن على رضى الله عنه أنه شرط ذلك فى التحريم وبه أخذ داود * (فإن قلت) مامعنى (دخلتم بهنّ) (قلت) هى كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعنى أدخلتموهنّ الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند أبى حنيفة وعن عمر رضى الله عنه أنه خلا بجارية فجرّدها فاستوهبها ابن له فقال إنها لا تحلّ لك وعن مسروق أنه أمر أن تباع جاريته بعد موته وقال أما أنى لم أصب منها إلا مايحرمها على ولدى من اللمس والنظر وعن الحسن فى الرجل يملك الأمة فيغمزها لشهوة أو يقبلها أو يكشفها أنها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن أبى سليمان إذا نظر إلى فرج امرأة فلا ينكح أمها ولا ابنتها وعن الأوزاعى إذا دخل بالأم فعرّاها ولمسها بيده وأغلق الباب وأرخى الستر فلا يحلّ له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار أنّ التحريم لا يقع إلا بالجماع وحده (الذين من أصلابكم) دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عزّ وجلّ لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم (وأن تجمعوا) فى موضع الرفع عطف على المحرّمات أى وحرّم عليكم الجمع بين الأختين والمراد حرمة النكاح لأنّ التحريم فى الآية تحريم النكاح وأمّا الجمع بينهما فى ملك اليمين فعن عثمان وعلى رضى الله عنهما أنهما قالا أحلتهما آية وحرّمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله أو ماملكت أيمانكم فرجح علىّ التحريم وعثمان التحليل (إلا ما قد سلف) ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله (إنّ الله كان غفورا رحيما * والمحصنات) القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف أنه قرأ بكسر الصاد وهنّ ذوات الأزواج لأنهنّ أحصنّ فروجهنّ بالتزويج فهنّ محصنات ومحصنات (إلا ما ملكت أيمانكم) يريد ماملكت أيمانهم من اللاتى سبين ولهنّ أزواج فى دار الكفر فهنّ حلال لغزاة المسلمين وإن كنّ محصنات وفى معناه قول الفرزدق

وذات حليل أنكحتها رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق

(كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد أى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرّم * (فإن قلت) علام عطف قوله (وأحلّ لكم) (قلت) على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله أى كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحلّ

الربيبة المدخول بأمها عام فى جميع الصور سواء كانت فى حجر الزوج أو بائنة عنه فى البلاد القاصية ولكن نكاحه لها وهى فى حجره أقبح الصور والطبع عنها أنفر فخصت بالنهى لتساعد الجبلة على الانقياد لأحكام الملة ثم يكون ذلك تدريبا وتدريجا إلى استقباح المحرّم فى جميع صوره والله أعلم * قوله تعالى وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف الخ (قال أحمد) موقع هذا الاستثناء كموقع نظيره المقدّم ذكره عند قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء على الوجه الذى بينت وهو أنّ هذا النهى لكونه جديرا بأن يمتثل أجرى مجرى الإخبار عن امتثاله حتى كأنه قيل لا يقع شىء من هذه المحرّمات إلا السالف منها لا غير أو على الوجه الذى بينه الزمخشرى فيما تقدّم وهو أن يكون المراد إلا ما قد سلف فإنه غير محرّم فتعاطوه إن كان ممكنا من باب التعليق على المحال بتا للتحريم إلا أنّ الزمخشرى لم يسلك هذا المسلك ههنا لأنّ قوله إنّ الله كان غفورا رحيما يرشد إلى أنّ المراد إلا ما قد سلف فإنه مغفور لاستثنائه فى الآية الأولى

أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ■ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَٰتِ الْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ الْمُؤْمِنَٰتِ وَاللَّهُ

لكم ماوراء ذلكم ويدلّ عليه قراءة اليمانى كتب الله عليكم وأحلّ لكم وروى عن اليمانى كتب الله عليكم على الجمع والرفع أى هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ وأحلّ لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت (أن تبتغوا) مفعول له بمعنى بين لكم ما يحلّ مما يحرم إرادة أن يكون ابتغاؤكم (بأموالكم) التى جعل الله لكم قياما فى حال كونكم (محصنين غيرمسافحين) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيمالايحل لكم فتخسروادنياكم ودينكم ولامفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين والإحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام والأموال المهور ومايخرج فى المناكح (فإن قلت) أين مفعول تبتغوا (قلت) يجوز أن يكون مقدّراً وهو النساء والأجود أن لايقدر وكأنه قيل إن تخرجوا أموالكم ويجوز أن يكون إن تبتغوا بدلا من وراء ذلكم والمسافح الزانى من السفح وهو صبّ المنىّ وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحينى وماذينى من المذى (فما استمتعتم به منهنّ) فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع أوخلوة صحيحة أوعقد عليهنّ (فآتوهنّ أجورهنّ) عليه فأسقط الراجع إلى ما لأنه لايلبس كقوله إنّ ذلك من عزم الأمور بإسقاط منه ويجوز أن تكون مافى معنى النساء ومن للتبعيض أو البيان ويرجع الضمير إليه على اللفظ فى به وعلى المعنى فى فآتوهنّ وأجورهنّ مهورهنّ لأنّ المهر ثواب على البضع (فريضة) حال من الأجور بمعنى مفروضة أووضعت موضع إيتاء لأنّ الإيتاء مفروض أومصدر مؤكد أى فرض ذلك فريضة (فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما تحط عنه من المهر أوتهب له من كله أويزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام أوفراق وقيل نزلت فى المتعة التى كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة أوليلتين أوأسبوعا بثوب أوغير ذلك ويقضى منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها أولتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لاأوتى برجل تزوج امرأة إلى أجل إلا رجمتهما بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أباحها ثم أصبح يقول ياأيها الناس إنى كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا إن الله حرّم ذلك إلى يوم القيامة وقيل أبيح مرتين وحرّم مرتين وعن ابن عباس هى محكمة يعنى لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم إنى أتوب إليك من قولى بالمتعة وقولى فى الصرف ۞ الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول أى زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال :

لقــد زادنى حباً لنفسى أننى ۞ بغيض إلى كل امرئ غير طائل

ومنه قولهم ماحلا منه بطائل أى بشىء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول فى الجسم لأنه زيادة فيه كما أن القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرّة فلينكح أمة قال ابن عباس من ملك

لأنه عقبه ثم بقوله إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فقدر فى كل آية ما يناسب سياقها والله سبحانه وتعالى أعلم ۞ قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات الآية (قال محمود معناه ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة الخ) قال أحمد وعلى هذا يكون الطول عند أبى حنيفة وجود الحرّة تحته وهو أحد القولين لمالك رضى الله عنه لكن يبعد هذا المعنى لأنّ الطول عند مالك فى أحد قوليه القدرة بالمال على نكاح الحرّة خاصة حتى لو كانت الحرّة تحته فأراد نكاح الأمة عجزاً عن حرّة أخرى جاز له ذلك وفى القول الآخر الطول أحد الأمرين إمّا القدرة بالمال على نكاح الحرّة وإمّا وجود الحرّة تحته حتى لايجوز له نكاح أمة على حرّة إن كان عاجزا عن حرّة أخرى ومقتضى مانقله المصنف عن أبى حنيفة أنه لايجوز لمن تحته حرّة نكاح أمة وأنه يجوز لمن ليست تحته حرّة أن ينكح الأمة ولو كان

(قوله فى المتعة التى كانت ثلاثة أيام) أى أبيحت هذه المدّة ثم نسخت

أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ

ثلاثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الإماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعى رحمه الله وأما أبو حنيفة رحمه الله فيقول الغنى والفقير سواء فى جواز نكاح الأمة ويفسر الآية بأن من لم يملك فراش الحرة على أن النكاح هو الوطء فله أن ينكح أمة وفى رواية عن ابن عباس أنه قال ومما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان موسرا وكذلك قوله (من فتياتكم المؤمنات) الظاهر أن لا يجوز نكاح الأمة الكتابية وهو مذهب أهل الحجاز وعند أهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الأمة المؤمنة أفضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على أن الإيمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا أنه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه أفضل (فإن قلت) لم كان نكاح الأمة منحطا عن نكاح الحرة (قلت) لما فيه من اتباع الولد الأم فى الرق ولثبوت حق المولى فيها وفى استخدامها ولأنها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع إلى الناكح ومهانة ، والعزة من صفات المؤمنين وقوله (من فتياتكم) أى من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون فى الدين (فإن قلت) فما معنى قوله (والله أعلم بإيمانكم) (قلت) معناه أن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم فى الإيمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة والمرأة أفضل فى الإيمان من الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا الأفضل الإيمان لا أفضل الاحسان والأنساب وهذا تأنيس بنكاح الإماء وترك الاستنكاف منه (بعضكم من بعض) أى أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم فى الإيمان لا يفضل حر عبد إلا برجحان فيه (بإذن أهلهن) اشتراط لإذن الموالى فى نكاحهن ويحتج به لقول أبى حنيفة أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذن الموالى لا عقدهم (وآتوهن أجورهن بالمعروف) وأدوا إليهن مهورهن بغير مطل وضرار وإحواج إلى الاقتضاء واللز (فإن قلت) الموالى هم ملاك مهورهن لا هن والواجب أداؤها إليهم لا إليهن فلم قيل وآتوهن (قلت) لأنهن وما فى أيديهن مال الموالى فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالى أو على أن أصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف (محصنات) عفائف ۝ والأخدان الأخلاء فى السر كأنه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له (فإن أحصن) بالتزويج وقرئ أحصن (نصف ما على المحصنات) أى الحرائر (من العذاب) من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لأن الرجم لا يتنصف (ذلك) إشارة إلى نكاح الإماء (لمن خشى العنت) لمن خاف الإثم الذى يؤدى إليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم وقيل أريد به الحد لأنه إذا هويها خشى أن يواقعها فيحد فيتزوجها (وأن تصبروا) فى محل الرفع على الابتداء أى وصبركم عن نكاح الإماء متعففين (خير لكم) وعن النبى صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت (يريد الله ليبين لكم) أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت فى لا أبا لك لتأكيد إضافة الأب والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفى عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم

غنيا وهو قول لا يساعده ظاهر الآية لأن الاستطاعة تثبت وإن لم يفعل المستطيع بمقتضاها فالمستطيع لنكاح الحرة ذو الطول وإن لم يكن تحته الحرة وتفسير الاستطاعة على مذهب أبى حنيفة بعيد جداً ۝ قوله تعالى فانكحوهن بإذن أهلهن (قال محمود هذا اشتراط لإذن الموالى فى نكاحهن الخ) قال أحمد وليس فى الآية اشتراط إذن المولى لمن يتولى عقد نكاح أمته ومتولى العقد ومباشرته مسكوت عنه فى الآية فيحمل على إذنه لوكيله فى العقد على أمته ولا يلزم أن تكون الأمة هى المباشرة ولا دليل فى الآية على ذلك والله أعلم

سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۞ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۞ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۞ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ

من الأنبياء والصالحين والطرق التى سلكوها فى دينهم لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) ويرشدكم إلى طاعات إن قمتم بها كانت كفارات لسيآتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم (والله يريد أن يتوب عليكم) أن تفعلوا ماتستوجبون به أن يتوب عليكم (ويريد) الفجرة (الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) وهو الميل عن القصد والحق ولاميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما حرمهن الله قالوا فإنكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت يقول، تعالى يريدون أن تكونوا زناة مثلهم (يريد الله أن يخفف عنكم) بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص (وخلق الإنسان ضعيفاً) لايصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ماأيس الشيطان من بنى آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء فقد أتى علىّ ثمانون سنة وذهبت إحدى عينىّ وأنا أعشو بالأخرى وأن أخوف ماأخاف على فتنة النساء ۞ وقرئ أن يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الإنسان على البناء للفاعل ونصب الإنسان وعنه رضى الله عنه ثمان آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه إن الله لايغفر أن يشرك به إن الله لايظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه مايفعل الله بعذابكم (بالباطل) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (إلا أن تكون تجارة) إلا أن تقع تجارة وقرئ تجارة على إلا أن تكون التجارة تجارة (عن تراض منكم) والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة أى تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والتراضى رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال البيع وقت الإيجاب والقبول وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى وعند الشافعى رحمه الله تعالى تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين (ولا تقتلوا أنفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لاتقتلوا إخوانكم أو لايقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاصى أنه تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقرأ على رضى الله عنه ولاتقتلوا بالتشديد (إن الله كان بكم رحيما) مانهاكم عما يضركم إلا لرحمته عليكم وقيل معناه أنه أمر بنى إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصاً لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (ذلك) إشارة إلى القتل أى ومن يقدم على قتل الأنفس (عدوانا وظلماً) لاخطأ ولااقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر ۞ ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى أو لذلك لكونه سببا للصلى (ناراً) أى ناراً مخصوصة شديدة العذاب (وكان ذلك على الله يسيراً) لأن الحكمة تدعو إليه ولاصارف عنه من ظلم أو نحوه (كبائر ماتنهون عنه) وقرئ كبير ماتنهون عنه أى ما كبر من المعاصى التى ينهاكم الله عنها والرسول (نكفر عنكم سيآتكم) نمط ماتستحقونه من العقاب فى كل

ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۞ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ۞ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ

وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة إنما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما إما إلى طاعة أومعصية أو ثواب فاعلهما والتكفير إماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أوبتوبة والإحباط نقيضه وهو إماطة الثواب المستحق بعقاب أزيد أوبندم على الطاعة وعن عليّ رضى الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعدالهجرة وزاد ابن عمرالسحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس أن رجلا قال له الكبائر سبع فقال هى إلى سبعمائة أقرب لأنه لاصغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروى إلى سبعين ۞ وقرئ يكفر بالياء ۞ ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما (ولا تتمنوا) نهوا عن التحاسد وعن تمنى مافضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لأنّ ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط فى الرزق أوقبض ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علماً بأن ماقسم له هو مصلحته ولوكان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد أخاه على حظه (للرجال نصيب مما اكتسبوا) جعل ماقسم لكل من الرجال والنساء على حسب ماعرف الله من حاله الموجبة للبسط أوالقبض كسباله (واسئلوا الله من فضله) ولا تتمنوا أنصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التى لاتنفد وقيل كان الرجال قالوا إنّ الله فضلنا على النساء فى الدنيا لناسهمان ولهنّ سهم واحد فنرجو أن يكون لنا أجران فى الآخرة على الأعمال ولهنّ أجر واحد فقالت أم سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الأجر مثل مالهم فنزلت (مما ترك) تبيين لكل أى ولكل شىء مما ترك (الوالدان والأقربون) من المال جعلنا موالى وراثا يلونه ويحرزونه أو ولكل قوم جعلناهم موالى نصيب مما ترك الولدان والأقربون على أن جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع إلى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله إنسانا . من رزق الله أى حظ من رزق الله أو ولكل أحد جعلنا موالى مما ترك أى وراثا مما ترك على أن من صلة موالى لأنهم فى معنى الوراث وفى ترك ضمير كل ثم فسر الموالى بقوله الوالدان والأقربون كأنه قيل من هم فقيل الوالدان والأقربون (والذين عاقدت أيمانكم) مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله (فآتوهم نصيبهم) ويجوز أن يكون منصوبا على قولك زيداً فاضربه ويجوز أن يعطف على الوالدان ويكون المضمر فى فآتوهم للموالى والمراد بالذين عاقدت أيمانكم موالى الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمى دمك وهدمى هدمك وثأرى ثأرك وحربى حربك وسلمى سلمك وترثنى وأرثك وتطالب بى وأطلب بك وتعقل عنى وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خطب يوم الفتح فقال ماكان من حلف فى الجاهلية فتمسكوا به فإنه لم يزده الاسلام إلا شدة ولاتحدثوا حلفا فى الاسلام وعند أبى حنيفة لوأسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعى وقيل المعاقدة التبنى ومعنى عاقدت أيمانكم عاقدتهم أيديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت

(قوله أوثواب فاعلهما) أى جزائه ويمكن أن أصل العبارة ثواب تاركهما فحرفها الناسخ فلتحرر (قوله دمى دمك وهدمى هدمك) فى الصحاح الهدم بالتحريك ماتهدم من جوانب البئر فسقط فيها ويقال دماؤهم بينهم هدم أى هدر وهدم أيضا بالتسكين إذا لم يودوا

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ

بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم (قوامون على النساء) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قوما لذلك والضمير فى (بعضهم) للرجال والنساء جميعاً يعنى إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا فى فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة فى الغالب والفروسية والرمى وإن منهم الأنبياء والعلماء وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند أبى حنيفة والشهادة فى الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب فى الميراث والحمالة والقسامة والولاية فى النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج وإليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم (وبما أنفقوا) وبسبب ما أخرجوا فى نكاحهن من أموالهم فى المهور والنفقات وروى أن سعد بن الربيع وكان نقيباً من نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبى زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أفرشته كريمتى فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم أردنا أمراً وأراد الله أمرا والذى أراد الله خير ورفع القصاص واختلف فى ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص إلا فى الجرح والقتل وأما اللطمة ونحوها فلا (قانتات) مطيعات قائمات بما عليهن للأزواج (حافظات للغيب) الغيب خلاف الشهادة أى حافظات لمواجب الغيب إذا كان الأزواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه فى حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال وعن النبى صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لأسرارهم (بما حفظ الله) بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج فى كتابه وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام فقال استوصوا بالنساء خيراً أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على أن ما موصولة أى حافظات للغيب بالأمر الذى يحفظ حق الله وأمانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم ▪ وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فأصلحوا إليهن ▪ نشوزها ونشوصها أن تعصى زوجها ولا تطمئن إليه وأصله الانزعاج (فى المضاجع) فى المراقد أى لا تداخلوهن تحت اللحف أوهى كناية عن الجماع وقيل هو أن يوليها ظهره فى المضجع وقيل فى المضاجع فى بيوتهن التى يبتن فيها أى لا تبايتوهن ▪ وقرئ فى المضجع وفى المضطجع وذلك لتعرف أحوالهن وتحقق أمرهن فى النشوز أمر بوعظهن أولا ثم هجرانهن فى المضاجع ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه أكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير إذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب أن يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبى صلى الله عليه وسلم علق

▪ قوله تعالى « واللاتى تخافون نشوزهن » الآية (قال محمود أمر الله تعالى بوعظهن أولا الخ) قال أحمد وهذا الترتيب بين هذه الأفعال المعطوفة غير متلق من صيغة لفظية إذ العطف بالواو وهى مسلوبة الدلالة على الترتيب متمحضة الإشعار بالجمعية فقط وإنما يتلقى للترتيب المذكور من قرائن خارجة عن اللفظ مفهومة من مقصود الكلام وسياقه عاد كلامه (قال محمود وقيل معناه أكرهوهن الخ) قال أحمد ولعل هذا المفسر يتأيد بقوله فإن أطعنكم فإنه يدل على تقدم إكراه على أمر ما وقرينة المضاجع ترشد إلى أنه الجماع وإطلاق الزمخشرى لما أطلقه فى حق هذا المفسر من الإفراط

كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ

سوطك حيث يراه أهلك وعن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه كنت رابعة أربع نسوة عند الزبير بن العوام فإذا غضب على إحدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير أبيات منها ۝ ولولا بنوها حولها لخبطتها ۝ (فلا تبغوا عليهن سبيلا) فأزيلوا عنهن التعرض بالأذى والتوبيخ والتجنى وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن إلى الطاعة والانقياد وترك النشوز (إن الله كان عليا كبيرا) فاحذروه واعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم ويروى أن أبا مسعود الأنصارى رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط وأعتق الغلام أو إن الله كان عليا كبيرا وإنكم تعصونه على علوّ شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجنى عليكم إذا رجع (شقاق بينهما) أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر فى الليل والنهار أو على أن جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر مايدل عليهما وهو الرجال والنساء (حكما من أهله) رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة العدل والإصلاح بينهما وإنما كان بعث الحكمين من أهلهما لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح وإنما تسكن إليهم نفوس الزوجين ويبرز إليهم مافى ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته ومايزويانه عن الأجانب ولايحبان أن يطلعوا عليه (فإن قلت) فهل يليان الجمع بينهما والتفريق إن رأيا ذلك (قلت) قد اختلف فيه فقيل ليس إليهما ذلك إلا بإذن الزوجين وقيل ذلك إليهما وما جعلا حكمين إلا وإليهما بناء الأمر على مايقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلمانى شهدت عليا رضى الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من الناس فأخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال على رضى الله عنه للحكمين أتدريان ما عليكما إن عليكما إن رأيتما أن تفرقا فرقتما وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما فقال الزوج أما الفرقة فلا فقال على كذب والله لاتبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لى وعلىّ وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبى ماقضى الحكمان جاز ۝ والألف فى (إن يريدا إصلاحا) للحكمين وفى (يوفق الله بينهما) للزوجين أى إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك فى وساطتهما وأوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة وألقى فى نفوسهما المودة وقيل الضميران للحكمين أى إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين أى إن يريدا إصلاح مابينهما وطلبا الخير وأن يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الألفة وأبدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة (إن الله كان عليما خبيرا) يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين « لو أنفقت مافى الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » (وبالوالدين إحسانا) وأحسنوا بهما إحسانا (وبذى القربى) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما (والجار ذى القربى) الذى قرب جواره (والجار الجنب) الذى جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الأجنبى وأنشد لبلعاء بن قيس : لايجتوينا مجاور أبدا ۝ ذو رحم أو مجاور جنب

(قوله ضربها بعود المشجب) فى الصحاح المشجب الخشبة التى تلقى عليها الثياب

(قوله ومع كل واحد منهما فئام من الناس) فى الصحاح الفئام الجماعة من الناس لاواحد له من لفظه اه

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۞ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۞ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۞ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا

۞ وقرئ والجار ذا القربى نصباً على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم حقه لإدلائه بحق الجوار والقربى (والصاحب بالجنب) هو الذى صحبك بان حصل بجنبك إما رفيقا فى سفر وإما جاراً ملاصقاً وإما شريكا فى تعلم علم أو حرفة وإما قاعداً إلى جنبك فى مجلس أو مسجد أو غير ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة (وابن السبيل) المسافر المنقطع به وقيل الضيف ۞ والمختال التياه الجهول الذى يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون (الذين يبخلون) بدل من قوله من كان مختالا فخوراً أو نصب على الذم ويجوز أن يكون رفعاً عليه وأن يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة ۞ وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين أى يبخلون بذات أيديهم وبما فى أيدى غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتاً للسخاء ممن وجد وفى أمثال العرب أبخل من الضنين بنائل غيره قال:

وإن امرأ ضنت يداه على امرئ ۞ بنيل يد من غيره لبخيل

ولقد رأينا ممن بلى بداء البخل من إذا طرق سمعه أن أحداً جاد على أحد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه فى رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجراً من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الأنصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون ۞ وقد عابهم الله بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر إلى الناس وعن النبى صلى الله عليه وسلم إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصراً حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه وقيل نزلت فى شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (رئاء الناس) للفخار وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت فى مشركى مكة المنفقين أموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فساء قرينا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن الشيطان يقرن بهم فى النار (وماذا عليهم) وأى تبعة ووبال عليهم فى الإيمان والإنفاق فى سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ وإلا فكل منفعة ومفلحة فى ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ماضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزأة فى العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة (وكان الله بهم عليما) وعيد ۞ الذرة النملة الصغيرة وفى قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس أنه أدخل يده فى التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة ذرة وفيه دليل على أنه لو نقص من الأجر أدنى شىء وأصغره أو زاده فى العقاب لكان ظلما وأنه لا يفعله لاستحالته فى الحكمة لا لاستحالته فى القدرة (وإن تك حسنة) وإن يكن مثقال

(قوله فلا يتحفى بهم) فى الصحاح تحفيت به أى بالغت فى إكرامه وإلطافه

(قوله شخص به وحل حبوته) فى الصحاح يقال للرجل إذا ورد عليه أمراً قلقه شخص به

عَظِيمًا ۞ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۞ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ

ذرّة حسنة وإنما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا إلى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة (يضاعفها) يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب فى كل وقت من الأوقات المستقبلة غير المتناهية وعن أبى عثمان النهدى أنه قال لأبى هريرة بلغنى عنك أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنّ الله تعالى يعطى عبده المؤمن الحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول إنّ الله تعالى يعطيه ألفى ألف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد (ويؤت من لدنه أجراً عظيما) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه أجراً لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من أضعف وضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون (فكيف) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (إذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم (وجئنا بك على هؤلاء) المكذبين (شهيدا) وعن ابن مسعود أنه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا (لو تسوّى بهم الأرض) لو يدفنون فتسوّى بهم الأرض كما تسوّى بالموتى وقيل يودّون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودّون حالها (ولا يكتمون الله حديثا) ولا يقدرون على كتمانه لأنّ جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أى يودّون أن يدفنوا تحت الأرض وأنهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون فى قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لأنهم إذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على أفواههم عند ذلك وتكلمت أيديهم وأرجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدّة الأمر عليهم يتمنون أن تسوّى بهم الأرض ۞ وقرئ تسوّى بحذف التاء من تتسوّى يقال سوّيته فتسوّى نحو لويته فتلوّى وتسوّى بإدغام التاء فى السين كقوله يسمعون وماضيه أسوى كأزكى ۞ روى أنّ عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدّموا أحدهم ليصلى بهم فقرأ أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد فنزلت فكانوا لا يشربون فى أوقات الصلوات فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحوا إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى (لا تقربوا الصلاة) لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهى المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ۞ ورانوا بسكر سناتهم كل الريون ۞ وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على أن يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لأنّ السكر علة تلحق العقل أو مفردا بمعنى وأنتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكر بضم السين كحبلى وأن تكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم (ولا جنبا) عطف على قوله وأنتم سكارى لأنّ محلّ الجملة مع الواو النصب

▪ قوله تعالى إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تكن حسنة يضاعفها (قال محمود إنما أنث الضمير وهو للمثقال الخ) قال أحمد وقد تقدّم له مثل ذلك فى قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها وقد بينا ثم أنّ عوده إلى الحفرة جائز بل أولى وكذلك عوده ههنا إلى الذرة. ولا يمنع ذلك كون المضاف إليه غير مخبر عنه لأنّ عود الضمير لا يستلزم

أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ الضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ

على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الإجناب (إلا عابرى سبيل) استثناء من عامة أحوال المخاطبين وانتصابه على الحال (فإن قلت) كيف جمع بين هذه الحال والحال التى قبلها (قلت) كأنه قيل لا تقربوا الصلاة فى حال الجنابة إلا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها وهى حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز أن لايكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا أى ولاتقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل أى جنبا مقيمين غير معذورين (فإن قلت) كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر (قلت) أريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لاتقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا لأن تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلاة بالمسجد معناه لاتقربوا المسجد جنبا إلا مجتازين فيه إذا كان الطريق فيه إلى الماء أوكان الماء فيه أواحتلمتم فيه . قيل إنّ رجالا من الأنصار كانت أبوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولايجدون ممرا إلا فى المسجد فرخص لهم وروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لأحد أن يجلس فى المسجد أو يمر فيه وهو جنب إلا لعلى رضى الله عنه لأنّ بيته كان فى المسجد . (فإن قلت) أدخل فى حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة فيمن تعلق الجزاء الذى هو الأمر بالتيمم عند عدم الماء منهم (قلت) الظاهر أنه تعلق بهم جميعا وأنّ المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه فلهم أن يتيمموا وكذلك السفر إذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة كذلك إذا لم يجدوه لبعض الأسباب . وقال الزجاج الصعيد وجه الأرض ترابا كان أوغيره وإن كان صخراً لاتراب عليه لوضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله عليه (فإن قلت) فمايصنع بقوله تعالى فى سورة المائدة «فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه» أى بعضه وهذا لايتأتى فى الصخر الذى لاتراب عليه (قلت) قالوا إن من لابتداء الغاية (فإن قلت) قولهم إنها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعيض (قلت) هو كما تقول والإذعان للحق أحق من المراء (إنّ الله كان عفوا غفورا) كناية عن الترخيص والتيسير لأنّ من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر أن يكون ميسرا غير معسر (فإن قلت) كيف نظم فى سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل (قلت) أراد سبحانه أن يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء فى التيمم بالتراب فخص أوّل من بينهم مرضاهم وسفرهم لأنهم المتقدمون فى استحقاق بيان الرخصة لهم بكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدوّ أوسبع أو عدم آلة استقاء أو إرهاق فى

الإخبار عنه فى الكلام الأول ويجوز كانت دابتك وكل ذلك أسهل من اكتساب المضاف للتأنيث من المضاف إليه فقد نص أبو على فى التعاليق على أنه شاذ . قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا (قال محمود الصعيد وجه الأرض ترابا كان أوغيره الخ) قال أحمد هذا إذا كان الضمير عائداً إلى الصعيد وثم وجه آخر وهو عود الضمير على الحدث المدلول عليه بقوله وإن كنتم مرضى إلى آخرها فإن المفهوم منه وإن كنتم على حدث فى حال من هذه الأحوال سفر أومرض أومجىء من الغائط أوملامسة النساء فلم تجدوا ماء تتطهرون به من الحدث فتيمموا منه يقال تيممت من الجنابة وموقع من على هذا مستعمل متداول وهى على هذا الإعراب إما للتعليل أو لابتداء الغاية وكلاهما فيها متمكن والله أعلم (قال محمود فإن قلت كيف نظم فى سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين الخ) قال أحمد وهذا من ذكر المعتنى به خاصا ومندرجا فى العموم تنبيها بذكره على وجهين مختلفين لأنّ المرض والسفر مندرجان فى عموم المحدثين والمجنبين والله أعلم

تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۞ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ۞ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا

مكان لاماء فيه وغيرذلك بما لايكثر كثرة المرض والسفر ۞ وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين فى هين والغيط بمعنى الغائط (ألم تر) من رؤية القلب وعدى بإلى على معنى ألم ينته علمك إليهم أو بمعنى ألم تنظر إليهم (أوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يشترون الضلالة) يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه هو النبى العربى المبشر به فى التوراة والإنجيل (ويريدون أن تضلوا) أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا فى سلكهم لاتكفيهم ضلالتهم بل يحبون أن يضل معهم غيرهم وقرئ أن يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وأطلعكم على أحوالهم ومايريدون بكم فاحذروهم ولاتستنصحوهم فى أموركم ولاتستشيروهم (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) فثقوا بولايته ونصرته دونهم أولاتبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم (من الذين هادوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى وقوله والله أعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض أو بيان لأعدائكم ومابينهما اعتراض أو صلة لنصيرا أى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذى كذبوا ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ على أن يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله

وما الدهر إلا تارتان فمنهما ۞ أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

أى فمنهما تارة أموت فيها (يحرفون الكلم عن مواضعه) يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التى وضعه الله فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله (فان قلت) كيف قيل ههنا عن مواضعه وفى المائدة من بعد مواضعه (قلت) أما عن مواضعه فعلى مافسرنا من إزالته عن مواضعه التى أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه وأما من بعد مواضعه فالمعنى أنه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لاموضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ۞ قولهم (غير مسمع) حال من المخاطب أى اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لاسمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ماتدعوا إليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا أن يكون

قوله تعالى «ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم» الآية (قال محمود غير مسمع حال من المخاطب الخ) قال أحمد مراده بذلك أنه لما فسر غير مسمع بالدعاء وهو إنشاء وطلب وقد أوقعه حالا والحال خبر أراد أن يبين أوجه صحة التعبير عن الخبر بالإنشاء بواسطة أن هؤلاء كانوا يظنون دعاءهم مستجابا مخبرا بوقوع المدعو فيه ونظيره ورود الأمر بصيغة الخبر تنبيها على تحقق وقوعه (قال محمود ومعناه غير مسمع جوابا الخ) قال أحمد والظاهر أن الكلم المحرف إنما أريد به فى هذه السورة مثل غير مسمع وراعنا ولم يقصد ههنا تبديل الأحكام وتوسطها بين الكلمتين بين قوله يحرفون وبين قوله ليا بألسنتهم والمراد أيضا تحريف مشاهد بين على أن المحرف هما وأمثالهما وأما فى سورة المائدة فالظاهر والله أعلم أن المراد فيها بالكلم الأحكام وتحريفها تبديلها كتبديلهم الرجم بالجلد ألا تراه عقبه بقوله يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا

(قوله بوضعهم آدم طوال مكانه) هو بالضم الطويل وبالكسر جمعه وبالفتح مصدر . أفاده الصحاح

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ

غير مسمع مفعول اسمع أى اسمع كلاما غير مسمع إياك لأنّ أذنك لاتعيه نبوا عنه ويحتمل المدح أى اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبه وكذلك قولهم (راعنا) يحتمل راعنا نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهى راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام (ليا بألسنتهم) فتلا بها وتحريفا أى يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لاأسمعت مكروها أو يفتلون بالبستهم مايضمرونه من الشتم إلى مايظهرونه من التوقير نفاقا (فإن قلت) كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ماصرحوا وقالوا سمعنا وعصينا (قلت) جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ويجوز أن لاينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كأنهم نطقوا به ۞ وقرأ أبىّ وأنظرنا من الإنظار وهو الإمهال (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى قوله (لكان خيراً لهم) (قلت) إلى أنهم قالوا لأنّ المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيراً لهم (وأقوم) وأعدل وأسد (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أى خذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم عن ألطافه (فلا يؤمنون إلا) إيمانا (قليلا) أى ضعيفاً ركيكا لايعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره أو أراد بالقلة العدم كقوله ۞ قليل التشكى للهم يصيبه ۞ أى عديم التشكى أو إلا قليلا منهم قد آمنوا (أن نطمس وجوها) أى نمحوا تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فنردّها على أدبارها) فنجعلها على هيئة أدبارها وهى الأقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وإن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردّها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوها فننكسها الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام ووجه آخر وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبهما حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم أى من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو نردّهم إلى حيث جاؤا منه وهى أذرعات الشام يريد إجلاء بنى النضير ۞ (فإن قلت) لمن الراجع فى قوله أو نلعنهم (قلت) للوجوه إن أريد الوجهاء أو لأصحاب الوجوه لأنّ المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات (أو نلعنهم) أو نجزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت (فإن قلت) فأين وقوع الوعيد (قلت) هو مشروط بالإيمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بدّ من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولأنّ الله عزّ وجلّ أوعدهم بأحد الأمرين بطمس وجوه منهم أو بلعنهم فإن الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو إجلاؤهم إلى الشام فقد كان أحد الأمرين

الاختلاف المراد بالكلم فى السورتين قيل فى سورة المائدة يحرّفون الكلم من بعد مواضعه أى ينقلونه عن الموضع الذى وضعه الله فيه فصار وطنه ومستقره إلى غير الموضع فبقى كالغريب المتأسف عليه الذى يقال فيه هذا غريب من بعد مواضعه ومقاره ولا يوجد هذا المعنى فى مثل راعنا وغير مسمع وإن وجد على بعد فليس الوضع اللغوى مما يعبأ بانتقاله عن موضعه كالوضع الشرعى ولولا اشتمال هذا النقل على الهزء والسخرية لما عظم أمره فلذلك جاء هنا يحرّفون الكلم عن مواضعه غير مقرون بما قرن به الأول من

(قوله ويحتمل شبه كلمة عبرانية) قوله شبه عبارة النسفى ويحتمل سبه كلمة عبرانية إلى آخر ماهنا
(قوله هو مشروط بالإيمان) لعله مشروط بعدم الإيمان

لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

وإن كان غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى إلى قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير (وكان أمر الله مفعولا) فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا ۞ (فإن قلت) قد ثبت أن الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه وأنه لا يغفر مادون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة فما وجه قوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) (قلت) الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعاً موجهين إلى قوله تعالى لمن يشاء كأنه قيل إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء مادون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله (فقد افترى إثما) أي ارتكبه وهو مفتر مفتعل مالا يصح كونه (الذين يزكون أنفسهم) اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وقيل جاء رجال من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله مانحن إلا كهيئتهم ماعملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله (فإن قلت) أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض (قلت) إنما قال ذلك حين قال له المنافقون أعدل في القسمة إكذابا لهم إذ وصفوه بخلاف ماوصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه أو شهد له من لا يعلم (بل الله يزكي من يشاء) إعلام بأن تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره

صورة التأسف والله أعلم ۞ قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (قال محمود إن قلت قد ثبت أن الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه الخ) قال أحمد رحمه الله عقيدة أهل السنة أن الشرك غير مغفور البتة وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفر له هذا مع عدم التوبة وأما مع التوبة فكلاهما مغفور الآية إنما وردت فيمن لم يتب ولم يذكر فيها توبة كما ترى فلذلك أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك وأثبت مغفرة مادونه مقرونة بالمشيئة كما ترى فهذا وجه انطباق الآية على عقيدة أهل السنة وأما القدرية فإنهم يظنون التسوية بين الشرك وبين مادونه من الكبائر في أن كل واحد من النوعين لا يغفر بدون التوبة ولا يشاء الله أن يغفرهما إلا للتائبين فإذا عرض الزمخشري هذا المعتقد على هذه الآية ردته ونبت عنه إذ المغفرة منفية فيها عن الشرك وثابتة لما دونه مقرونة بالمشيئة فأما أن يكون المراد فيهما من لم يتب فلا وجه للتفصيل بينهما بتعليق المغفرة في أحدهما بالمشيئة وتعليقها بالآخر مطلقاً إذ هما سيان في استحالة المغفرة وإما أن يكون المراد فيهما التائب فقد قال في الشرك إنه لا يغفر والتائب من الشرك مغفور له وعند ذلك أخذ الزمخشري يقطع أحدهما عن الآخر فيجعل المراد مع الشرك عدم التوبة ومع الكبائر التوبة حتى تنزل الآية على وفق معتقده فيحملها أمرين لا تحمل واحداً منهما ۞ أحدهما إضافة التوبة إلى المشيئة وهي غير مذكورة ولا دليل عليها فما ذكر وأيضاً لو كانت مرادة لكانت هي السبب الموجب للمغفرة على زعمهم عقلا ولا يمكن تعلق المشيئة بخلافها على ظنهم في العقل فكيف يليق السكوت عن ذكر ماهو العمدة والموجب وذكر مالا مدخل له على هذا المعتقد الردىء ۞ الثاني أنه بعد تقريره التوبة احتكم فقدرها على أحد القسمين دون الآخر وما هذا إلا من جعل القرآن تبعاً للرأي نعوذ بالله من ذلك وأما القدرية فهم بهذا المعتقد يقع عليهم المثل السائر السيد يعطي والعبد يمنع لأن الله تعالى يصرح كرمه بالمغفرة للمصر على الكبائر إن شاء وهم يدفعون في وجه هذا التصريح ويحيلون المغفرة بناء على قاعدة الأصلح والصلاح التي هي بالفساد أجدر وأحق

(قوله مادون الشرك من الكبائر إلا) هذا عند المعتزلة وأما عند أهل السنة فتغفر بها (قوله بالتوبة) وبالشفاعة وبمجرد الفضل

أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ◦ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ◦ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ◦ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ◦ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ◦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا

لانه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ومعنى يزكى من يشاء يزكى المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به (ولا يظلمون فتيلا) أى الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (كيف يفترون على الله الكذب) فى زعمهم أنهم عند الله أزكياء (وكفى) بزعمهم هذا (إثما مبينا) من بين سائر آثامهم ◦ الجبت الاصنام وكل ماعبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذه إيمانكم (بالجبت والطاغوت) لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت ونسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلا ◦ وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ماأوتوا من النعمة ويتمنون أن تكون لهم نعمة غيرهم فقال (أم لهم نصيب من الملك) على أن أم منقطعة ومعنى الهمزة لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال (فإذا لا يؤتون) أى لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحداً مقدار نقير لفرط بخلهم ◦ والنقير النقرة فى ظهر النواة وهو مثل فى القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك إما ملك أهل الدنيا وإما ملك الله كقوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وهذا أوصف لهم بالشح وأحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز أن يكون معنى الهمزة فى أم لإنكار أنهم قد أوتوا نصيباً من الملك وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك وأنهم لا يؤتون أحداً مما يملكون شيئا ◦ وقرأ ابن مسعود فإذا لا يؤتوا على أعمال إذا عملها الذى هو النصب وهى ملغاة فى قراءة العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيراً إذا (أم يحسدون الناس) بل أيحسدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فقد آتينا) إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة (آل إبراهيم) الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما آتى أسلافه وعن ابن عباس الملك فى آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية (فمنهم) فمن اليهود (من آمن به) أى بما ذكر من حديث آل إبراهيم (ومنهم من صد عنه) وأنكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته أو من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (بدلناهم جلوداً غيرها) أبدلناهم إياها (فإن قلت) كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص (قلت) العذاب للجملة الحساسة وهى

(قوله على أن أم منقطعة) أى تفسر ببل والهمزة

حَكِيمًا ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

التى عصت لاللجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرّات وعن الحسن سبعين مرّة يبدّلون جلوداً بيضاء كالقراطيس (ليذوقوا العذاب) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزّك الله أى أدامك على عزّك وزادك فيه (عزيزا) لا يمتنع عليه شىء مما يريده بالمجرمين (حكيما) لا يعذب إلا بعدل من يستحقه (ظليلا) صفة مشتقة من لفظ الظلّ لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجاً لا حرّ فيه ولا برد وليس ذلك إلا ظلّ الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف إليه التيفؤ تحت ذلك الظلّ ۞ وفى قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء (أن تؤدّوا الأمانات) الخطاب عامّ لكل أحد فى كل أمانة وقيل نزلت فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى على ابن أبى طالب رضى الله عنه يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر علياً أن يردّه إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلىّ أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أنّ لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ السدانة فى أولاد عثمان أبداً وقيل هو خطاب للولاة بأداء الأمانات ۞ والحكم بالعدل وقرئ الأمانة على التوحيد (نعما يعظكم به) ما إما أن تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به وإما أن تكون مرفوعة موصولة به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو نعم الشىء الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أى نعما يعظكم به ذاك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل فى الحكم وقرئ نعما بفتح النون ۞ لما أمر الولاة بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد بأولى الأمر منكم أمراء الحق لأنّ أمراء الجور : الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله فى وجوب الطاعة لهم وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما فى إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهى عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعونى ماعدلت فيكم فإن خالفت فلا طاعة لى عليكم وعن أبى حازم أن مسلمة ابن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا فى قوله وأولى الأمر منكم قال أليس قد نزعت عنكم إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول وقيل هم أمراء السرايا وعن النبى صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع أميرى فقد أطاعنى ومن يعص أميرى فقد عصانى وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر (فإن تنازعتم فى شىء) فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم فى شىء من أمور الدين ۞ فردوه إلى الله ورسوله أى ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولى الأمر بما لا يبقى معه شك وهو أن أمرهم أولا بأداء الأمانات ۞ بالعدل فى الحكم وأمرهم آخرا بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا إلى كتاب ولا إلى سنة إنما

(قوله وهو ما كان فينانا لا جوب فيه) قوله فينانا أى طويلا ممتدا والجوب الخرق والقطع والسجسج المتوسط أفاده الصحاح

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۞ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ

يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولوا الأمر عند الله ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة (ذلك) إشارة إلى الرد أى الرد إلى الكتاب والسنة (خير) لكم وأصلح (وأحسن تأويلا) وأحسن عاقبة وقيل أحسن تأويلا من تأويلكم أنتم ▪ روى أن بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودى إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب فقال اليهودى لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق كذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق ۞ والطاغوت كعب بن الأشرف سماه الله طاغوتا لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم إليه تحاكما إلى الشيطان بدليل قوله (وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم) ۞ وقرئ بما أنزل وما أنزل على البناء للفاعل ۞ وقرأ عباس بن الفضل أن يكفروا بها ذهابا بالطاغوت إلى الجمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ۞ وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها بالية كعافية وكما قال الكسائى فى آية إن أصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول أهل مكة تعالى بكسر اللام للمرأة وفى شعر الحمدانى ۞ تعالى أقاسمك الهموم تعالى ۞ والوجه فتح اللام (فكيف) يكون حالهم وكيف يصنعون يعنى أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمرا ولا يوردونه (إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك فى الحكم (ثم جاؤك) حين يصابون فيتعذرون إليك (ويحلفون) ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك (إلا إحسانا) لا إساءة (وتوفيقا) بين الخصمين ولم يرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به (فأعرض عنهم) لا تعاقبهم لمصلحة فى استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه (وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) بالغ فى وعظهم بالتخفيف والإنذار (فإن قلت) بم تعلق قوله فى أنفسهم (قلت) بقوله بليغا أى قل لهم قولا بليغا فى أنفسهم

۞ قوله تعالى فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا (قال محمود إن قلت بم تعلق قوله فى أنفسهم الخ) قال أحمد ولكل من هذه التأويلات شاهد على الصحة أما الأول فلأن حاصله أمره بتهديدهم على وجه مبلغ صميم قلوبهم وسياق التهديد فى قوله فكيف

(قوله من تعاليت تخفيفا) لعله عند إسناده إلى واو الجمع فليحرر

رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۞ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا

مؤثراً فى قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعاراً وهو التوعد بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق وأطلع قرنه وأخبرهم أن مافى نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وأنه لافرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة إلا لإظهاركم الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره فإن فعلتم ماتكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف أو يتعلق بقوله قل لهم أى قل لهم فى معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وأن الله يعلم مافى قلوبكم لايخفى عليه فلايغنى عنكم إبطانه فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق وإلا أنزل الله بكم ماأنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشراً من ذلك وأغلظ أو قل لهم فى أنفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم مساراً لهم بالنصيحة لأنها فى السر أنجع وفى الإمحاض أدخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم (وما أرسلنا من رسول) وما أرسلنا رسولا قط (إلا ليطاع بإذن الله) بسبب إذن الله فى طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ويجوز أن يراد بتيسير الله وتوفيقه فى طاعته (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم إلى الطاغوت (جاؤك) تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا (فاستغفروا الله) من ذلك بالإخلاص وبالغوا فى الاعتذار إليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله ومستغفراً (لوجدوا الله توابا) لعلموه توابا أى لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله تعالى ۞ فوربك لنسألنهم ۞ ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت فى لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم و (لا يؤمنون) جواب القسم

إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يشهد له فإنه أخبر بما سيقع لهم على سبيل التهديد وأما الثانى فيلائمه من السياق قوله «أولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم» يعنى ماانطوت عليه من الخبث والمكر والحيل ثم أمره بوعظهم والإعراض عن جرائمهم حتى لاتكون مؤاخذتهم بها مانعة من نصحهم ووعظهم ثم جاء قوله وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا كالشرح للوعظ ولذكر أهم مايعظهم فيه وتلك نفوسهم التى علم الله ماانطوت عليه من المذام وعلى هذا يكون المراد الوعظ ومايتعلق به وأما الثالث فيشهد له سيرته عليه الصلاة والسلام فى كتم عناد المنافقين والتجافى عن إفصاحهم والستر عليهم حتى عد حذيفة رضى الله عنه صاحب سره عليه الصلاة والسلام لتخصيصه إياه بالاطلاع على أعيانهم وتسميتهم له بأسمائهم وأخباره فى هذا المعنى كثيرة ۞ قوله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية (قال محمود وإنما لم يقل واستغفرت لهم لأنه عدل به الخ) قال أحمد وفى هذا النوع من الالتفات خصوصية وهى اشتماله على ذكر صفة مناسبة لما أضيف إليه وذلك زائد على الالتفات بذكر الأعلام الجامدة والله الموفق ۞ قوله تعالى «فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» (قال معناه فوربك ولا مزيدة لتأكيد الخ) قال أحمد يشير إلى أن لا المزيدت مع القسم وإن لم يكن المقسم به دل ذلك على أنها إنما تدخل فيه لتأكيد القسم فإذا دخلت حيث يكون المقسم عليه نفيا تعين جعلها لتأكيد القسم طردا للباب والظاهر عندى والله أعلم أنها هنا التوطئة النفى المقسم عليه والزمخشرى لم يذكر مانعا من ذلك وحاصل ماذكره مجيئها لغير هذا المعنى فى الإثبات وذلك لايأبى مجيئها فى النفى على الوجه الآخر من التوطئة على أن فى دخولها على القسم المثبت نظراً وذلك أنها لم ترد فى الكتاب العزيز إلا مع القسم حيث يكون بالفعل مثل لا أقسم بهذا البلد لا أقسم بيوم القيامة فلا أقسم بالخنس فلا أقسم بمواقع النجوم فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون ولم تدخل أيضا إلا على القسم بغير الله تعالى ولذلك سر يأبى كونها فى آية النساء لتأكيد القسم ويعين كونها للتوطئة وذلك أن المراد بها فى جميع الآيات التى عددناها تأكيد تعظيم المقسم به إذ لايقسم بالشىء إلا إعظاما له

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۞ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ

(فان قلت) هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا فى لايؤمنون (قلت) يأبى ذلك استواء النفى والاثبات فيه وذلك قوله فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إنه لقول رسول كريم (فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (حرجا) ضيقاً أى لاتضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لأنّ الشاك فى ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين (ويسلموا) وينقادوا ويذعنوا لما تأتى به من قضائك لايعاوضوه بشىء من قولك سلم لأمر الله وأسلم له وحقيقة سلم نفسه وأسلمها إذا جعلها سالمة له خالصة و (تسليما) تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمه انقياد الاشبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت فى شأن المنافق واليهودى وقيل فى شأن الزبير وحاطب بن أبى بلتعة وذلك أنهما اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شراج من الحرّة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يازبير ثم ارسل الماء إلى جارك فغضب حاطب وقال لأن كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقك ثم أرسله إلى جارك كان قد أشار على الزبير برأى فيه السعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الأنصارى قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وأيم الله لقد أذنبنا ذنبا مرّة فى حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إنّ الله ليعلم منى الصدق لو أمرنى محمد أن أقتل نفسى لقتلتها وروى أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إنّ من أمتى رجالا الإيمان أثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية فى شأن حاطب ونزلت فى شأن هؤلاء (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) أى لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بنى إسرائيل من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل (مافعلوه إلا) ناس (قليل منهم) وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو وفى فعلوه ۞ وقرئ إلا قليلا بالنصب على أصل

فكأنه بدخولها يقول إنّ إعظامى لهذه الأشياء بالقسم بها كلا إعظام يعنى أنها تستوجب من التعظيم فوق ذلك وهذا التأكيد إنما يؤتى به رفعا لتوهم كون هذه الأشياء غير مستحقة للتعظيم وللإقسام بها فبإزاحة هذا الوهم بالتأكيد فى إبراز فعل القسم مؤكداً بالنفى المذكور وقد قرر الزمخشرى هذا المعنى فى دخول لا عند قوله لا أقسم بيوم القيامة على وجه مجمل هذا بسطه وإيضاحه فإذا بين ذلك فهذا الوهم الذى يراد إزاحته فى القسم بغير الله مندفع فى الإقسام بالله فلا يحتاج إلى دخول لا مؤكدة للقسم فيتعين حملها على الموطئة ولا تكاد تجدها فى غير الكتاب العزيز داخلة على قسم مثبت وأما دخولها فى القسم وجوابه نفى فكثير مثل

فلا وأبيك ابنة العامرى ۞ لايدعى القوم أنى أفر

وكقوله : ألا نادت أمامة باحتمال ۞ لتحزننى فلا بك ماأبالى

وقوله : رأى برقا فأوضع فوق بكر ۞ فلا بك ماأسال ولا أقاما

وقوله : لخالف فلا والله تهبط تلعة ۞ من الأرض إلا أنت للذل عارف

وهو أكثر من أن يحصى فتأمل هذا الفصل فإنه حقيق بالتأمل

(قوله قد أشار على الزبير أى فيه السعة) كان قبله سقطاً تقديره برأى متوسط اى فيه السعة الخ (قوله فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم) أغضب أفاده الصحاح

مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا (مايوعظون به) من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لأنه الصادق المصدوق الذى لاينطق عن الهوى (لكان خيرا لهم) فى عاجلهم وآجلهم (وأشد تثبيتاً) لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه (وإذا) جواب السؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم أيضاً بعد التثبيت فقيل وإذا لو ثبتوا (لآتيناهم) لأن إذا جواب وجزاء (من لدنا أجراً عظيما) كقوله ويؤت من لدنه أجراً عظيما فى أن المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجراً لأنه تابع للأجر لايثبت إلا بثباته (ولهديناهم) وللطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات الصديقون أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا فى تصديقهم كأبى بكر الصديق رضى الله عنه وصدقوا فى أقوالهم وأفعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين فى الطاعة حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده (وحسن أولئك رفيقا) فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه ويجوز أن يكون مفرداً بين به الجنس فى باب التمييز وروى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن فى وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يارسول الله مابى من وجع غير أنى إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لاأراك هناك لأنى عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لاأراك أبدا فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لايؤمن عبد حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة (ذلك) مبتدأ و (الفضل) صفته و (من الله) الخبر ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى أنّ ماأعطى المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم تبعاً لثوابهم

▪ قوله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم إلى قوله ذلك الفضل من الله (قال محمود والمعنى أنّ ماأعطى المطيعون من الأجر الخ) قال أحمد عقيدة أهل السنة وأنّ المطيع لايستحق على الله بطاعته شيئا وأنه مهما أثيب به من دخول الجنة والنجاة من النار فذاك فضل من الله لاعن استحقاق ثابت فهم يقرون هذه الآية فى رجائها وأما القدرية فيزعمون أنّ المطيع يستوجب على الله ثواب الطاعة وأنّ المقابل لطاعته من الثواب أجر مستحق كالأجرة على العمل فى الشاهد ليس بفضل وإنما الفضل مايزاده العبد على حقه من أنواع الثواب وصنوف الكرامة فلما وردت هذه الآية ناطقة بأنّ جملة مايناله عباد الله فضل من الله اضطر الزمخشرى إلى ردها إلى معتقده فجعل الفضل المشار إليه هو الزيادة التابعة للثواب يعنى المستحق ثم اتسع فى التأويل فذكر وجها آخر وهو أن يكون المشار إليه مزايا هؤلاء المطيعين فى طاعتهم وتميزهم بأعمالهم وجعل معنى كونها فضلا من الله أنه وفقهم لاكتسابها ومكنهم من ذلك لاغير يعنى وأما إحداثها فبقدرهم وهذا من الطراز الأول والحق أنّ الكل أيضا فضل من الله بكل اعتبار لأنّ معتقدنا معاشر أهل السنة أن الطاعات والأعمال التى يتميز هؤلاء الخواص خلق الله تعالى وفعله وأن قدرهم لاتأثير لها فى أعمالهم بل الله عز وجل يخلق على أيديهم الطاعات ويثيبهم عليها فالطاعة إذاً من فضله وثوابها من فضله فله الفضل على كل حال والمنة فى الفاتحة والمآل وكفى بقول سيد البشر فى ذلك حجة وقدوة فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام لايدخل أحد منكم الجنة بعمله

خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ۞ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ۞ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ

(وكفى بالله عليما) بجزاء من أطاعه أو أراد أنّ فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم (خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى كالأثر والأثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم (فانفروا) إذا نفرتم إلى العدو إما (ثبات) جماعات متفرقة سرية بعد سرية وإما (جميعا) أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة ۞ وقرئ فانفروا بضم الفاء ۞ اللام في (لمن) للابتداء بمنزلتها في قوله إنّ الله لغفور وفي (ليبطئن) جواب قسم محذوف تقديره وإنّ منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها إليه ما استكنّ في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم إذا أبطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وأبطأ على وبطؤ نحو ثقل ويقال مابطأبك فيعدى بالباء ويجوز أن يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبدالله ابن أبي وهو الذي ثبط الناس يوم أحد (فإن أصابتكم مصيبة) من قتل أو هزيمة (فضل من الله) من فتح أو غنيمة (ليقولنّ) وقرأ الحسن ليقولنّ بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من لأنّ قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله (كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة) اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولنّ وبين مفعوله وهو (ياليتني) والمعنى كأن لم تتقدّم له معكم موادّة لأنّ المنافقين كانوا يوادّون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر أنه تهكم لأنهم كانوا أعدى عدوّ للمؤمنين وأشدّهم حسداً لهم فكيف يوصفون بالمودّة إلا على وجه العكس تهكما بحالهم ۞ وقرئ فأفوز بالرفع عطفاً على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعاً ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فأنا أفوز في ذلك الوقت (يشرون) بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ

وشريت برداً ليتني ۞ من بعد برد كنت هامة

فالذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بأن يغيروا مابهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى أن صدّ الذين

ولكن بفضل الله ورحمته قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اللهم اختم لنا باقتفاء السنة وأدخلنا بفضلك المحض الجنة ۞ قوله تعالى وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيداً ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيما (قال محمود فيه المراد بالمصيبة القتل والهزيمة الخ) قال أحمد وفي هذه القراءة نكتة غريبة وهي الإعادة إلى لفظ من بعد الإعادة إلى معناها وهو مستغرب أنكر بعضهم وجوده في الكتاب العزيز لما يلزم من الإجمال بعد البيان وهو خلاف قانون البلاغة إذ الإعادة إلى لفظها ليس بمفصح عن معناها بل تناوله للمعنى بمجمل مبهم فوقوعه بعد البيان عسر ومنهم من أثبته وعد موضعين وهذه الآية على هذه القراءة ثالث وسيأتي بيان شاف إن شاء الله تعالى

(قوله بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم) في الصحاح العتم الإبطاء

فى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ۞ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ

مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ▪ ووعد المقاتل فى سبيل الله ظافراً أو مظفوراً به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده فى إعزاز دين الله (والمستضعفين) فيه وجهان أن يكون مجروراً عطفاً على سبيل الله أى فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعنى واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لأن سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدى الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقى بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولىّ وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى النصر ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا أعز بها من الظلمة (فإن قلت) لم ذكر الولدان (قلت) تسجيلا بإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين إرغاما لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة بإخراجهم فى الاستسقاء وعن ابن عباس كنت أنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الأحرار والحرائر وبالولدان العبيد والإماء لأن العبد والأمة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الإناث كما يقال الآباء والإخوة (فإن قلت) لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث (قلت) هو وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها فأعطى إعراب القرية لأنه صفتها وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم أهلها ولو أنث فقيل الظالمة أهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لأن الأهل يذكر ويؤنث (فإن قلت) هل يجوز من هذه القرية الظالمين أهلها (قلت) نعم كما تقول التى ظلموا أهلها على لغة من يقول أكلونى البراغيث ومنه وأسروا النجوى الذين ظلموا ۞ رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا بإخبارهم أنهم إنما يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون فى سبيل الشيطان فلا ولىّ لهم إلا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شىء وأوهنه (كفوا أيديكم) أى كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة

۞ قوله تعالى ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها (قال محمود يجوز أن يكون المستضعفين مجروراً إلى قوله ومنصوبا الخ) قال أحمد وفيه على هذا مبالغة فى الحث على خلاصهم من جهتين إحداهما التخصيص بعد التعميم فإنه يقتضى إضمار الناصب الذى هو اختص ولولا النصب لكان التخصيص معلوما من إفراده بالذكر ولكن أكد هذا المعلوم بطريق اللزوم بأن أخرجه إلى النطق ۞ قوله تعالى «الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها» (قال محمود إن قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث الخ) قال أحمد ووقفت على نكتة فى هذه الآية حسنة وهى أن كل قرية ذكرت فى الكتاب العزيز فالظلم إليها ينسب بطريق المجاز كقوله ▪ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة» إلى قوله فكفرت بأنعم الله وقوله « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها » وأما هذه القرية فى سورة النساء فينسب الظلم إلى أهلها على الحقيقة لأن المراد بها مكة فوقرت عن نسبة الظلم إليها تشريفاً

وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ

الكفار ماداموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه (فلما كتب عليهم القتال) بالمدينة كع فريق منهم لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه ولكن نفوراً عن الإخطار بالأرواح وخوفا من الموت (كخشية الله) من إضافة المصدر إلى المفعول (فإن قلت) ما محل كخشية الله من الإعراب (قلت) محله النصب على الحال من الضمير فى يخشون أى يخشون الناس مثل أهل خشية الله أى مشبهين لأهل خشية الله (أو أشد خشية) بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله وأشد معطوف على الحال (فإن قلت) لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله (قلت) أبى ذلك قوله أو أشد خشية لأنه وما عطف عليه فى حكم واحد ولو قلت أيخشون الناس أشد خشية لم يكن إلا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لأنك لا تقول خشى فلان أشد خشية فتنصب خشية وأنت تريد المصدر إنما تقول أشد خشية فتجرها وإذا نصبتها لم يكن أشد خشية إلا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم إلا أن تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا أن يكون محل أشد مجروراً عطفاً على خشية الله تريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها (لولا أخرتنا إلى أجل قريب) استزادة فى مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر كقوله لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق (ولا تظلمون فتيلا)

لها شرفها الله تعالى * قوله تعالى يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية (قال محمود قوله تعالى كخشية الله من إضافة المصدر الخ) قال أحمد وقد مر نظير هذه الآية فى الإعراب وهو قوله تعالى «فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً» وقدر الزمخشرى ثم ما أذعن له ههنا وهو الجر عطفا على الذكر وبينا ثم جوازه بالتأويل الذى ذكره الزمخشرى ههنا وهو إلحاقه بباب جد جده وأصل هذا الإعراب لأبى الفتح وقد بينت جواز الجر عطفا على الذكر من غير احتياج إلى التأويل المذكور وأجرى مثله ههنا وهو وجه حسن استنبطته من كتاب سيبويه فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمنى والله الموفق. الذى ذكر سيبويه جواز قول القائل زيد أشجع الناس رجلا ثم قال سيبويه فرجل واقع على المبتدا ولك أن تجره فتقول زيد أشجع رجل وهو الأصل انتهى المقصود من كلام سيبويه وإذا بنيت عليه جاز أن تقول خشى فلان أشد خشية فتنصب الخشية وأنت تريد المصدر كأنك قلت خشى فلان خشية أشد خشية فتوقع خشية الثانية على الأولى وإن نصبتها فهو كما قلت زيد أشجع رجلا فأوقعت رجلا على زيد وإن كنت نصبته فهو على الأصل أن تقول أشد خشية فتجرها كما كان الأصل أن تقول زيد أشجع رجل فتجره وما منع الزمخشرى من النصب مع وقوعه على المصدر إلا أن مقتضى النصب فى مثله خروج المنصوب عن الأول بخلاف المجرور ألا تراك تقول زيد أكرم أبا فيكون زيد من الأبناء وأنت تفضل أباه وتقول زيد أكرم أب فيكون من الآباء وأنت تفضله فلو ذهبت توقع أشد على الخشية الأولى وقد نصبت مميزها لزم خروج الثانى عن الأول وهو محال إذ لا تكون الخشية خشية فتحتاج إلى التأويل المذكور وهو جعل الخشية الأولى خاشية حتى تخرجها عن المصدر المميز لها وقد بينا فى كلام سيبويه جواز النصب مع وقوع الثانى على الأول كما لو جررت فمثله يجوز فى الآية من غير تأويل والله أعلم وقد مضت وجوه من الإعراب فى آية البقرة يتعذر بعضها هنا لمنافرة المعنى والله الموفق ومثل هذه الأنواع من الإعراب منزل من العربية منزلة اللب الخالص فلا يوصل إليها إلا بعد تجاوز

(قوله كع فريق منهم) أى جبن أفاده الصحاح

يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۞ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ

ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء ۞ قرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل ۞ من يفعل الحسنات الله يشكرها ۞ ويجوز أن يقال حمل على مايقع موقع أينما تكونوا وهو أينما كنتم كما حمل ولا ناعب على مايقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير ۞ يقول لاغائب مالى ولا حرم ۞ وهو قول نحوى سيبوى ويجوز أن يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا أى ولا تنقصون شيئاً مما كتب من آجالكم ۞ أينما تكونوا فى ملاحم حروب أو غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة والوقف على الوجه على أينما تكونوا ۞ والبروج الحصون ۞ مشيدة مرفعة وقرى مشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازاً كما قالوا قصيدة شاعرة وإنما الشاعر فارضها ۞ السيئة تقع على البلية والمعصية ۞ والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى ۞ وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون ۞ وقال إن الحسنات يذهبن السيآت والمعنى وإن تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله وإن تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا هى من عندك وما كانت إلا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروى عن اليهود لعنت أنها تشاءمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله عليهم (قل كل من عند الله) يبسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح (لايكادون يفقهون حديثا) فيعلمون أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال (ماأصابك) ياإنسان خطابا عاما (من حسنة) أى من نعمة وإحسان (فمن الله) تفضلا منه وإحسانا وامتنانا وامتحانا (وماأصابك من سيئة) أى من بلية ومصيبة فمن عندك لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضى الله عنها مامن مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة

جملة القشور وربك الفتاح العليم ۞ قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة (قال محمود قرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء الخ) قال أحمد أما الوجه الذى ألحقه بتوجيه سيبويه فى الشعرين المذكورين ففيه نظر أما قوله ولا ناعب فمختار فإن دخول الباء فى خبر ليس أمر مطرد غالب والخبر وطن معروف لها فإذا قدرت فيه حيث تسقط روعى هذا التقدير فى المعطوف لما ذكرناه من الغلبة التى تقتضى إلحاق دخولها بالأصل الواجب الذى يعتبر نطق به أو سكت عنه وأما تقدير أينما تكونوا فى معنى كلام آخر يرتفع معه قوله يدرككم فذلك تقدير لم يعهد له نظير ولم يغلب هذا المقدر فيلتحق بغلبة دخول الباء فى الخبر فلا يلزم من مراعاة مايقتضيه غالب الاستعمال ومعهوده مراعاة مالم يسبق به عهد وأما البيت الآخر لزهير فالمنقول عن سيبويه حمله أو حمل مثله على التقديم والتأخير كقوله ۞ ياأقرع بن حابس ياأقرع ۞ إنك إن يصرع أخوك تصرع

فليس من قبيل ولا ناعب والله الموفق وفى الوجه الأخير الذى أبداه الزمخشرى حجة واضحة على أن القتل فى المعارك والملاحم لايعترض على الأجل المقدر بنقص وإن كل مقتول فبأجله مات ، لا كما يزعمه القدرية والله الموفق

(قوله ويجوز أن يقال حمل على مايقع . . . ولا ناعب على مايقع) من قول الشاعر : مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ۞ ولا ناعب إلا ببين غرابها ۞ وقوله (يقول الخ) صدره ۞ وإن أتاه خليل يوم مسغبة ۞

لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ

يشاكها حتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب ومايعفوالله أكثر (وأرسلناك للناس رسولا) أى رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم أنت رسول العرب والعجم كقوله وما أرسلناك إلا كافة للناس قل ياأيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا (وكفى بالله شهيدا) على ذلك فما ينبغى لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك (من يطع الرسول فقد أطاع الله) لأنه لايأمر إلا بما أمر الله به ولاينهى إلا عما نهى الله عنه فكانت طاعته فى امتثال ماأمر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروى أنه قال من أحبنى فقد أحبّ الله ومن أطاعنى فقد أطاع الله فقال المنافقون ألاتسمعون إلى مايقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله مايريدهذا الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت (ومن تولى) عن الطاعة فأعرض عنه (فما أرسلناك) إلانذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وماأنت عليهم بوكيل (ويقولون) إذا أمرتهم بشىء (طاعة) بالرفع أى أمرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى أطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف أصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كأنه قال أمرى وشأنى حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها (بيت طائفة) زورت طائفة وسوت (غير الذى تقول) خلاف ماقلت وماأمرت به أوخلاف ماقالت وماضمنت من الطاعة لأنهم أبطلوا الرد لاالقبول والعصيان لاالطاعة وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيت بليل وإما من أبيات الشعر لأنّ الشاعر يدبرها ويسويها (والله يكتب مايبيتون) يثبته فى صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد أو يكتبه فى جملة مايوحى اليك فيطلعك على أسرارهم فلايحسبوا أنّ إبطانهم يغنى عنهم (فأعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وتوكل على الله) فى شأنهم فإنّ الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم إذا قوى أمر الإسلام وعز أنصاره ۝ وقرئ بيت طائفة بالإدغام وتذكير الفعل لأنّ تأنيث الطائفة غير حقيقى ولأنها فى معنى الفريق والفوج ۝ تدبر الأمر تأمله والنظر فى إدباره ومايؤول اليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر مافيه (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حدّ الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه إخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه إخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق إخبار علم أنه ليس إلا من عند قادر على مالايقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه أحد سواه (فإن قلت) أليس نحو قوله فإذا هى ثعبان مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولاجان من الاختلاف (قلت) ليس باختلاف عند المتدبرين ۝

(قوله فإنّ الله يكفيك معرتهم) قوله معرتهم أى إثمهم وعبارة النسفى مضرتهم فحرر

يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ

هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمور كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل (أذاعوا به) وكانت إذاعتهم مفسدة ولو ردّوا ذلك الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولى الأمر منهم وهم كبراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون منهم (لعلمه) لعلم تدبير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه) الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر وفوّضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئاً من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولى الأمر أى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال أذاع السر وأذاع به قال :

أذاع به فى الناس حتى كأنه ۞ بعلياء نار أوقدت بثقوب

ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من أذاعوه ۞ وقرئ لعلمه بإسكان اللام كقوله :

فإن أهجه يضجر كما ضجر بازل ۞ من الأدم دبرت صفحتاه وغاربه

والنبط الماء يخرج من البئر أول ما تحفر وإنباطه واستنباطه إخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل ويهم (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) وهو إرسال الرسول وإنزال الكتاب والتوفيق

قوله تعالى وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا (قال محمود هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال الخ) قال أحمد وفى اجتماع الهمزة والباء على التعدية نظر لأنهما متعاقبتان وهو الذى اقتضى عند الزمخشرى قوله فى الوجه الثانى فعلوا الإذاعة ليخرجها عن الباء المعاقبة للهمزة ثم فى هذه الآية تأديب لمن يحدث بكل ما يسمع وكفى به كذبا وخصوصا عن مثل السرايا والمناصبين الأعداء والمقيمين فى نحر العدو وما أعظم المفسدة فى لهج العامة بكل ما يسمعون من أخبارهم خيرا أو غيره ولقد جربنا ذلك فى زماننا هذا منذ طرق العدوّ المخذول البلاد طهرها الله من دنسه وصانها عن رجسه ونجسه وعجل للمسلمين الفتح وأنزل عليهم السكينة والنصر ۞ عاد كلامه (قال ومعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ولولا إرسال الرسل وإنزال الكتب الخ) قال أحمد وفى تفسير الزمخشرى هذا نظر وذلك أنه جعل الاستثناء من الجملة التى وليها بناء على ظاهر الإعراب وأغفل المعنى وذلك أنه يلزم على ذلك جواز أن ينتقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان ومن اتباع الشيطان إلى عصيانه وخزيه وليس لله عليه فى ذلك فضل ومعاذ الله أن يعتقد ذلك وبيان لزومه أن لولا حرف امتناع لوجود وقد أبانت امتناع اتباع المؤمنين للشيطان فإذا جعلت الاستثناء من الجملة الأخيرة فقد سلبت تأثير فضل الله فى امتناع الاتباع عن البعض المستثنى ضرورة وجعلت هؤلاء المستثنين مستبدين بالإيمان وعصيان الشيطان الداعى إلى الكفر بأنفسهم لا بفضل الله ألا تراك إذا قلت لمن تذكره بحقك عليه لولا مساعدتى لك لسلبت أموالك إلا قليلا كيف لم تجعل لمساعدتك أثرا فى بقاء القليل للمخاطب وإنما منت عليه بتأثير مساعدتك فى بقاء أكثر ماله لا فى كله ومن المحال أن يعتقد موحد مسلم أنه عصم فى شىء من الأشياء من اتباع الشيطان إلا بفضل الله تعالى عليه أما قواعد أهل السنة فواضح أن كل ما يعتد به العبد عاصيا للشيطان من إيمان وعمل خير مخلوق لله تعالى وواقع بقدرته ومنعم على العبد به وأما المعتزلة فهم وإن ظنوا أن العبد يخلق لنفسه إيمانه وطاعته إلا أنهم لا يخالفون فى أن فضل الله منسحب عليه فى ذلك لأنه خلق له القدرة التى بها خلق العبد ذلك على زعمهم ووفقه لإرادة الخير فقد

إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا ۞ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا ۞ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا ۞ الله لا إله

(لاتبعتم الشيطان) لبقيتم على الكفر (إلا قليلا) منكم أو إلا اتباعا قليلا ۞ لما ذكر فى الآى قبلها تثبطهم عن القتال وإظهارهم الطاعة وإضمارهم خلافها قال (فقاتل فى سبيل الله) إن أفردوك وتركوك وحدك (لاتكلف إلا نفسك) غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد فإن الله هو ناصرك لا الجنود فإن شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الألوف وقيل دعا الناس فى بدر الصغرى إلى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه إلا سبعون لم يلوا على أحد ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده وقرئ لاتكلف بالجزم على النهى ولا نكلف بالنون وكسر اللام أى لا نكلف نحن إلا نفسك وحدها (وحرض المؤمنين) وما عليك فى شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) وهم قريش وقد كف بأسهم فقد بدا لأبى سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد إلا السويق ولا يلقون إلا عاما مخصب فرجع بهم (والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا الشفاعة الحسنة هى التى روعى بها حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب اليه خير وابتغى بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت فى أمر جائز لا فى حد من حدود الله ولا فى حق من الحقوق ۞ والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى اليه المشفوع جارية فغضب وردها وقال لو علمت مافى قلبك لما تكلمت فى حاجتك ولا أتكلم فيما بقى منها وقيل الشفاعة الحسنة هى الدعوة للمسلم لأنها فى معنى الشفاعة الى الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم : من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك (مقيتا) شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا وأقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب

وذى ضغن نفيت السوء عنه ۞ وكنت على إساءته مقيتا

وقال السموأل إلى الفضل أم على إذا حو ۞ سبت إنى على الحساب مقيت

واشتقاقه من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها ۞ الأحسن منها أن تقول وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال السلام عليكم وأن تزيد وبركاته إذا قال ورحمة الله وروى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فأين ماقال الله وتلا الآية فقال إنك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله (أو ردوها) أو أجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لأن المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير إنما وقع بين الزيادة وتركها وعن أبى يوسف رحمه الله من قال لآخر أقرئ فلانا السلام

وضح لك تعذر الاستثناء من الجملة الأخيرة على تفسير الزمخشرى ومأراه إلا واهما مسترسلا على المألوف فى الإعراب وهو إعادة الاستثناء إلى ما يليه من الجمل مهملا للنظر فى المعنى ومن ثم اتخذ القاضى أبو بكر رضى الله عنه الاستثناء فى هذه الآية إلى ما قبل الجملة الأخيرة فطنة منه ويقظة ولأنه إمام مؤيد فى نظره مسدد فى فكره ثم اتخذ القاضى رضى الله عنه هذه الآية وزره فى الرد على من زعم الجزم بعود الاستثناء المتعقب للجمل إلى الأخيرة ظنا منه أن ذلك واجب لا يسوغ سواه ثم يقف فى عوده إلى ما تقدم خاصة وقد بينت عند قوله تعالى فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده أن الاستثناء فى هذه الآية أيضا يتعين عوده إلى الأولى ويتعذر رده إلى الأخيرة لأن المعنى يأباه وهى موازرة للقاضى فى الرد على من حتم عود الاستثناء إلى الأخيرة والله الموفق

(قوله وأقات على الشيء قال الزبير) لعل هنا سقطا تقديره اقتدر عليه

إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۞ فَمَا لَكُمْ فِى الْمُنَـفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۞ وَدُّوا

وجب عليه أن يفعل وعن النخعى السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب ومامن رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام فى الخطبة وقراءة القرآن جهراً ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة وعن أبى يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغنى والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعارى من غير عذر فى حمام أوغيره وذكر الطحاوى أن المستحب رد السلام على طهارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته ولا يسلم على أجنبية ويسلم الماشى على القاعد والراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والأقل على الأكثر وإذا التقيا ابتدرا وعن أبى حنيفة لا تجهر بالرد يعنى الجهر الكثير وعن النبى صلى الله عليه وسلم إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أى وعليكم ماقلتم لأنهم كانوا يقولون السام عليكم وروى لا تبتدئ اليهودى بالسلام وإن بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز أن تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فإنها استغفار وعن الشعبى أنه قال لنصرانى سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فى ذلك فقال أليس فى رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء فى أن يبدأ أهل الذمة بالسلام إذا دعت إلى ذلك حادثة تحوج اليهم وروى ذلك عن النخعى وعن أبى حنيفة لا تبدأه بسلام فى كتاب ولا غيره وعن أبى يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم وإذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه فى دنياه (على كل شىء حسيبا) أى يحاسبكم على كل شىء من التحية وغيرها (لا إله إلا هو) إما خبر للمبتدإ وإما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم (إلى يوم القيامة) أى ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهى قيامهم من القبور أوقيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين (ومن أصدق من الله حديثاً) لأنه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك أن الكذب مستقل بصارف عن الإقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذى هو كونه كذبا وإخباراً عن الشىء بخلاف ماهو عليه فمن كذب لم يكذب إلا لأنه محتاج إلى أن يكذب ليجر منفعة أو يدفع مضرة أوهو غنى عنه إلا أنه يجهل غناه أوهو جاهل بقبحه أوهو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب فى إخباره ولا يبالى بأيهما نطق وربما كان الكذب أحلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء أنه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به مافارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا أنى صادق فى قولى لا لقلتها فكان الحكيم الغنى الذى لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح (فئتين) نصب على الحال كقولك مالك قائما روى أن قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا على دينك وما أخرجنا إلا اجتواء المدينة والاشتياق إلى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين أغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه مالكم اختلفتم فى شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهراً وتفرقتم فيه فرقتين ومالكم لم تبتوا القول بكفرهم (والله أركسهم) أى ردهم فى حكم المشركين كما كانوا (بما كسبوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أركسهم فى الكفر بأن خذلهم حتى أركسوا فيه لما علم مرض قلوبهم

(قوله نعتا ووجه قبحه الذى هو كونه كذبا) لعل قوله ووجه قبحه عطف على قبحه فيكون الذى هو الخ لهو إن كان مبتدأ كان الذى مزيداً من الناسخ والخبر هو كونه كذبا (قوله أغاروا على السرح) فى الصحاح السرح المال السائم والسائم المال الراعى

لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ

(أتريدون أن تهدوا) أن تجعلوا من جملة المهتدين (من أضل الله) من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك أو خذله حتى ضلّ * وقرئ ركسهم وركسوا فيها (فتكونون) عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز والمعنى ودّوا كفركم فكونكم معهم شرعا واحداً فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء * فلا تتولوهم وإن آمنوا حتى يظاهروا إيمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب (فإن تولوا) عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا فى الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (إلا الذين يصلون) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون إلى قوم ينتهون إليهم ويتصلون بهم وعن أبى عبيدة هو من الانتساب وصلت إلى فلان واتصلت به إذا انتميت إليه وقيل إن الانتساب لا أثر له فى منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من هو من أنسابهم * والقوم هم الأسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك أنه وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذى لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا فى الصلح (أو جاؤكم) لا يخلوا من أن يكون معطوفا على صفة قوم كأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين كأنه قيل إلا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله (فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببى استحقاقهم لنفى التعرض عنهم وترك الإيقاع بهم (فإن قلت) كل واحد من الاتصالين له تأثير فى صحة الاستثناء واستحقاق إزالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالمكافين لأن الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول فى حكمهم فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فإن اعتزلوكم تقريراً لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم (قلت) هو جائز ولكن الأول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام وفى قراءة أبىّ بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير أو ووجهه أن يكون جاؤكم بيانا ليصلون أو بدلا أو استئنافا أو صفة بعد صفة لقوم * حصرت صدورهم فى موضع الحال بإضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على أو جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم) عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم * (فإن قلت) كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين (قلت) ما كانت مكافتهم إلا لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين

* قوله تعالى أتريدون أن تهدوا من أضلّ الله (قال محمود ومعناه من جعله الخ) قال أحمد هو بهذين الوجهين يفر من الحق والحقيقة أما الحق فلأن الله هو الذى خلق الضلال لمن ضلّ إذ لا خالق إلا الله وأما الحقيقة فلأنها أعنى الآية اقتضت نسبة الأصل

(قوله فكونكم معهم شرعا واحداً) أى طريقاً وفى الصحاح أنه يحرك ويسكن

فَلَقَـٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۞ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَـٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ۞ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن

مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط ⋅ وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد (فإن اعتزلوكم) فإن لم يتعرضوا لكم (وألقوا إليكم السلم) أى الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فما أذن لكم فى أخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين) هم قوم من بنى أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كلما ردوا إلى الفتنة) كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين (اركسوا فيها) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو (حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم (سلطانا مبينا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبى أن يغل وما يكون لنا أن نعود فيها (أن يقتل مؤمنا) ابتداء غير قصاص (إلا خطأ) إلا على وجه الخطإ (فإن قلت) بم انتصب خطأ (قلت) بأنه مفعول له أى ما ينبغى له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطإ وحده ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله فى حال من الأحوال إلا فى حال الخطإ وأن يكون صفة للمصدر إلا قتلا خطأ والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمى كافرا فيصيب مسلما أو يرمى شخصا على أنه كافر فإذا هو مسلم ⋅ وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروى أن عياش بن أبى ربيعة وكان أخا أبى جهل لأمه أسلم وهاجر خوفا من قومه إلى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن أبى أنيسة فأتياه وهو فى أطم ففتل منه أبو جهل فى الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحرث هذا أخى فمن أنت ياحارث لله على إن وجدتك خاليا أن أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم وأسلم الحرث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت (فتحرير رقبة) فعليه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر والعتيق الكريم لأن الكرم فى الأحرار كما أن اللؤم فى العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه أكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل أى لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس فى قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ إلا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعى كفارة الظهار فاشترط الإيمان وقيل لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها فى جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار (مسلمة إلى أهله) مؤداة إلى ورثته

إلى فعل الله تعالى فالتخيل فى تحريف الفاعلية إلى التسبيب عدول عن الحقيقة إلى المجاز وقد علمت الباعث له على هذا المعتقد فلا نعيده

(قوله وهو فى أطم ففتل منه) أى حصن أفاده الصحاح وفيه مازال فلان يفتل من فلان فى الذروة والقارب أى يدور من وراء خديعته

يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لافرق بينها وبين سائر التركة فى كل شىء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية وإن لم يبق وارثا فهى لبيت المال لأن المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا وارث من لا وارث له وعن عمر رضى الله عنه أنه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا أعلم لك شيئا إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابى فقال كتب إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى أن أورّث امرأة أشيم الضبابى من عقل زوجها أشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لأم الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة (فإن قلت) على من تجب الرقبة والدية (قلت) على القاتل إلا أن الرقبة فى ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فإن لم تكن له عاقلة فهى فى بيت المال فإن لم يكن ففى ماله (إلا أن يصدّقوا) إلا أن يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله إلا أن يعفون ونحوه وأن تصدقوا خير لكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرأ أبىّ إلا أن يتصدقوا (فإن قلت) بم تعلق أن يصدقوا وما محله (قلت) تعلق بعليه أو بمسلمة كأنه قيل وتجب عليه الدية أو يسلمها إلا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس مادام زيد جالسا ويجوز أن يكون حالا من أهله بمعنى إلا متصدقين (من قوم عدوّ لكم) من قوم كفار أهل حرب وذلك نحو رجل أسلم فى قومه الكفار وهو بين أظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة إذا قتله خطأ وليس على عاقلته لأهله شىء لأنهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتى قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لأنهم يظنونه كافراً مثلهم (وإن كان من قوم) كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين (فمن لم يجد) رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها (ف) عليه (صيام شهرين متتابعين توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه إذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة منه أو نقلكم من الرقبة إلى الصوم توبة منه * هذه الآية فيها من التهديد والإيعاد والإبراق والإرعاد أمر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روى عن ابن عباس ماروى من أن توبة قاتل المؤمن عمداً غير مقبولة وعن سفيان كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله فى التغليظ والتشديد وإلا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفى الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لأشرك فى دمه وفيه أن هذا الإنسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية أو يرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم أشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة وإتباعهم هواهم وما يخيل إليهم مناهم أن يطمعوا فى العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة فى قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من

---

* قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما (قال فى هذه الآية من التهديد والوعيد والإبراق الخ) قال أحمد وكفى بقوله تعالى فى هذه السورة إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء دليلا أبلج على أن القاتل الموحد وإن لم يتب فى المشيئة وأمره إلى الله إن شاء آخذه وإن شاء غفر له وقد مر الكلام على الآية رما بالعهد من قدم

(قوله جاء يوم القيامة مكتوب) لعله مكتوبا (قوله والعجب من قوم يقرؤن) فيه انتصار المعتزلة وتشنيع على أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه يجوز غفران الكبائر بالتوبة أو بالشفاعة أو بمجرد فضل الله تمسكا بقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء كما حقق فى علم وفى الصحاح أشعب اسم رجل كان طماعا وفى المثل أطمع من

حَكِيمًا ۞ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

الاحتياط والتحفظ فيه حسم للإطماع وأى حسم ولكن لاحياة لمن تنادى (فإن قلت) هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر (قلت) ماأبين الدليل وهو تناول قوله ومن يقتل أى قاتل كان من مسلم أو كافر تائب أوغير تائب إلا أن التائب أخرجه الدليل فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله (فتبينوا) وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أى اطلبوا بيان الأمر وثباته ولاتتهوكو فيه من غير روية ۞ وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الإسلام وقيل التسليم الذى هو تحية أهل الإسلام (لست مؤمناً) ۞ وقرئ مؤمناً بفتح الميم من آمنه أى لانؤمنك وأصله أن مرداس بن نهيك رجلا من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثى فهربوا وبقى مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لاإله إلا الله محمداً رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجداً شديداً وقال قتلتموه إرادة مامعه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يارسول الله استغفرلى قال فكيف بلاإلا إلا الله قال أسامة فمازال يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفرلى وقال أعتق رقبة (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) تطلبون الغنيمة التى هى حطام سريع النفاد فهو الذى يدعوكم إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه (فعند الله مغانم كثيرة) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كذلك كنتم من قبل) أول مادخلتم فى الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الإطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم (فمن الله عليكم) بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم وإن صرتم أعلاما فعليكم أن تفعلوا بالداخلين فى الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الإسلام فى المكافة ولا تقولوا إن تهليل هذا لاتقاء القتل لالصدق النية فتجعلوه سلما إلى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله (فتبينوا) تكرير الأمر بالتبين ليؤكد عليهم (إن الله كان بما تعملون خبيراً) فلاتتهافتوا فى القتل وكونوا محترزين محتاطين فى ذلك (غير أولى الضرر) قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم أو حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض أوالعاهة من عمى أوعرج أوزمانة أو نحوها وعن زيد بن ثابت

وأما نسبة أهل السنة إلى الأشعبية فذلك لايضيرهم لأنهم إنما تطفلوا على لطف أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ولم يقنطوا من رحمة الله إنه لايقنط من رحمة الله إلا القوم الظالمون

اشعب اه فالأشعبية الخصلة التى تنسب إلى أشعب وهى الطمع الشديد (قوله دليل على خلود من لم يتب) هو مذهب المعتزلة وذهب أهل السنة إلى خروج من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان كما فى حديث الشفاعة وقد تقرر فى محله (قوله ولا تتهوكوا فيه) أى تتحيروا أو تخبطوا بلا مبالاة أفاده الصحاح (قوله وأصله أن مرداس بن نهيك) لعله مرداس وفى الصحاح ردست القوم ورادستهم إذا رميتهم بحجر والمرداس حجر يرمى به فى البئر ليعلم أن فيها ماء أولا ومنه سمى الرجل (قوله إلى عاقول من الجبل) فى الصحاح العاقول من النهر والوادى والرمل الموج منه

فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ عَلَى الْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الْأَرْضِ قَالُوٓا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَٰسِعَةً

كنت إلى جنب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت أن ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب فكتبت فى كتف لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يارسول الله وكيف بمن لايستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يازيد فقرأت «لايستوى القاعدون من المؤمنين» فقال غير أولى الضرر قال زيد أنزلها الله وحدها فألحقتها والذى نفسى بيده لكأنى أنظر إلى ملحقها عند صدع فى الكتف وعن ابن عباس لايستوى القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل إلى تبوك (فإن قلت) معلوم أنّ القاعد بغير عذر والمجاهد لايستويان فما فائدة نفى الاستواء (قلت) معناه الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفى ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب به إلى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل إلى شرف العلم (فضل الله المجاهدين) جملة موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل مالهم لايستوون فأجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير أولى الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف (وكلا) وكل فريق من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة أقواما ماسرتم مسيرا ولاقطعتم اوديا إلا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوى إلى الجهاد وبهم مايمنعهم من المسير من ضرر أوغيره (فإن قلت) قد ذكر الله تعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم (قلت) أما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضراء وأمّا المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم لأنّ الغزو فرض كفاية (فان قلت) لم نصب درجة وأجرا ودرجات (قلت) نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة وأمّا أجرا فقد انتصب بفضل لأنه فى معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجر أو يجوز أن ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه أسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضله تفضيلات ونصب أجرا عظيما على أنه حال عن النكرة التى هى درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة (توفاهم) يجوز أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى أنّ الله يوفى الملائكة أنفسهم فيتوفونها أى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها (ظالمى أنفسهم) فى حال ظلمهم أنفسهم (قالوا) قال الملائكة للمتوفين (فيم كنتم) فى أى شىء كنتم من أمر دينكم وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة (فان قلت) كيف صح وقوع قوله (كنا مستضعفين فى الأرض) جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب أن يقولوا كنافى كذا أو لم نكن فى شىء (قلت) معنى فيم كنتم التوبيخ بأنهم لم يكونوا فى شىء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وأنهم لم

(قوله وأنفته ليهاب به إلى التعلم) قوله ليهاب الظاهر أنه من الهوب وهو وهج النار أى توقدها كما فى الصحاح
(قوله ونصحت جيوبهم وكانت (فى الصحاح تقول إنه لحسن الجيبة بالكسر أى الجواب ورجل ناصح الجيب أى أمين

فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۞ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ

يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا فى شىء فبكتتهم الملائكة بقولهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التى لاتمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة وهذا دليل على أن الرجل إذا كان فى بلد لايتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين لاتنحصر أوعلم أنه فى غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام اللهم إن كنت تعلم أن هجرتى اليك لم تكن إلا للفرار بدينى فاجعلها سببا فى خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جوارى لك بعكوفى عند بيتك بجوارك فى دار كرامتك ياواسع المغفرة ۞ ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لايستطيعون حيلة فى الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية إلى مسلمى مكة فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملونى فإنى لست من المستضعفين وانى لاهتدى الطريق والله لاأبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة وكان شيخا كبيراً فمات بالتنعيم (فإن قلت) كيف أدخل الولدان فى جملة المستثنين من أهل الوعيد كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لواستطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا (قلت) الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك وأما الولدان فلا يكونون إلا عاجزين عن ذلك فلايتوجه عليهم وعيد لأن سبب خروج الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد إنما هو كونهم عاجزين فإذا كان العجز متمكنا فى الولدان لاينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا إذا أريد بالولدان الأطفال ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا مايعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم فى التكليف وإن أريد بهم العبيد والإماء البالغون فلا سؤال ۞ (فإن قلت) الجملة التى هى (لايستطيعون) ماموقعها (قلت) هى صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وإنما جاز ذلك والجمل نكرات لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشىء بعينه كقوله ۞ ولقد أمر على اللئيم يسبنى ۞ (فإن قلت) لم قيل (عسى الله أن يعفو عنهم) بكلمة الاطماع (قلت) للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لاتوسعة فيه حتى أن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عنى فكيف بغيره (مرغما) مهاجراً وطريقا يراغم بسلوكه قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا وهو فارقته يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدى

كطود يلاذ بأركانه ۞ عزيز المراغم والمذهب

۞ قوله تعالى إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم إلى قوله إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا (قال الاستثناء من المتوعدين فى قوله أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الخ) قال أحمد قوله إن المراهقين من الولدان يكلفون إلحاقا بالبالغين مردود بقوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث عن الصبى حتى يحتلم فجعل البلوغ نفسا مناط التكليف وهذا مذهب الجماهير ولم يبلغنا خلافه وقال الزمخشرى أراد الحديثى العهد بالصبى وإن بلغوا تسمية لهم بالاسم السالف لقرب عهدهم به كما قال وآتوا اليتامى أموالهم فسماهم يتامى وإن بلغوا إذ لاتدفع

يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ۞ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ

وقرئ مرغما ۞ قرئ ثم يدركه الموت بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف كقوله ۞ من عنزى سبنى لم أضربه ۞ وقرئ يدركه بالنصب على إضمار أن كقوله ۞ والحق بالحجاز فاستريحا ۞ (فقد وقع أجره على الله) فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فإذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروى فى قصة جندب بن ضمرة أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميداً فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفى بالمدينة لكان أتم أجراً وقال المشركون وهم يضحكون ما أدرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض دينى من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهداً فى الدنيا أو ابتغاء رزق طيب فهى هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه الموت فى طريقه فأجره واقع على الله ۞ الضرب فى الأرض هو السفر وأدنى مدة السفر الذى يجوز فيه القصر عند أبى حنيفة مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن سير الإبل ومشى الأقدام على القصد ولا اعتبار بإبطاء الضارب وإسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن فى يوم قصر ولو سار مسيرة يوم فى ثلاثة أيام لم يقصر وعند الشافعى أدنى مدة السفر أربعة برد مسيرة يومين وقوله (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) ظاهره التخيير بين القصر والإتمام وأن الإتمام أفضل وإلى التخيير ذهب الشافعى وروى عن النبى ﷺ أنه أتم فى السفر وعن عائشة رضى الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب علىّ وكان عثمان رضى الله عنه يتم ويقصر وعند أبى حنيفة رحمه الله القصر فى السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضى الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت فى السفر وزيدت فى الحضر (فإن قلت) فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا (قلت) كأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من أقصر وجاء فى الحديث أقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهرى تقصروا بالتشديد ۞ والقصر ثابت بنص الكتاب فى حال الخوف خاصة وهو قوله (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) وأما فى حال الأمن فبالسنة وفى قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم ليس فيها إن خفتم على أنه مفعول له بمعنى كراهة أن يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) يتعلق بظاهره من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده إنّ الأئمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل عصر قوام بما كان يقوم به

أموالهم حتى يبلغوا لأنهم حديثو عهد باليتم والغرض تعجيل دفع الأموال لهم إذا رشدوا وإن قرب عهدهم باليتم حتى أنهم لذلك يعبر عنهم باليتامى ولا يماطلوا ولو قال الزمخشرى فى الولدان كذلك لكان قولا سديدا والله أعلم ۞ قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله (قال قرئ يدركه برفع الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف الخ) قال أحمد توجيه الرفع على إضمار المبتدإ فيه عطف الاسمية على الفعلية والأولى خلافه ما وجد

(قوله يثيبه وذلك واجب عليه) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فلا يجب عليه شيء

طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ

فكان الخطاب له متناولا لكل إمام يكون حاضر الجماعة فى حال الخوف عليه أن يؤمهم كما أم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التى كان يحضرها والضمير فى فيهم للخائفين (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم (وليأخذوا أسلحتهم) الضمير إما للمصلين وإما لغيرهم فإن كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح مالا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما وإن كان لغيرهم فلا كلام فيه (فإذا سجدوا فليكونوا) يعنى غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم وصفة صلاة الخوف عند أبى حنيفة أن يصلى الإمام بإحدى الطائفتين ركعة إن كانت الصلاة ركعتين والأخرى بإزاء العدو ثم تقف هذه الطائفة بإزاء العدو وتأتى الأخرى فيصلى بها ركعة ويتم صلاته ثم تقف بإزاء العدو وتأتى الأولى فتؤدى الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تحرس وتأتى الأخرى فتؤدى الركعة بقراءة وتتم صلاتها والسجود على ظاهره عند أبى حنيفة وعند مالك بمعنى الصلاة لأن الإمام يصلى عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب ثم يصلى بالثانية ركعة ويقف قاعداً حتى تتم صلاتها ويسلم بهم ويعضده (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) * وقرئ وأمتعاتكم (فإن قلت) كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر فى الأخذ (قلت) جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازى فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة فى الأخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والإيمان جعل الإيمان مستقراً لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار

عنه سبيل وأما الوجه الثانى من إجراء الوصل مجرى الوقف ففيه شذوذ بين على أن الأفصح فى الوقف خلاف نقل الحركة وقد زاد شذوذاً بإجراء الوصل مجرى الوقف فكيف وعندى وجه حسن خالص من الشذوذ مرتفع الذروة فى الفصاحه وهو العطف على مايقع موقع من مما يكون الفعل الأول معه مرفوعا كأنه قال والذى يخرج من بيته مهاجراً ثم يدركه الموت وهو الذى ذكره الزمخشرى عند قوله أينما تكونوا يدرككم الموت فيمن قرأ بالرفع وقال ثم هو وجه نحوى سيبوى وإجراؤه ههنا أقرب وأصوب منه ثمة والله أعلم * قوله وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم (قال فيه قيل المأمور بأخذ الأسلحة المصلون الخ) قال أحمد والظاهر أن المخاطب بأخذ الأسلحة المصلون إذ من لم يصل إنما أعد للحرس فالظاهر الإستغناء عن أمرهم بذلك وتنبيهم عليه وهم إنما أخروا الصلاة لذلك أما المصلون فهم فى مظنة طرح الأسلحة لأنهم لم يعتادوا حملها فى الصلاة فنبهوا على أنهم لاينبغى لهم طرح الأسلحة وإن كانوا فى الصلاة لضرورة الخوف وخشية الغرة وأيضا فصنيع الآية يعطى ذلك لأنه قال فلتقم طائفة منهم معك وعقب ذلك بقوله وليأخذوا أسلحتهم فالظاهر رجوع الضمير إليهم وحيث يعاد إلى غير المصلين يحتاج إلى تكلف فى صحة العود إليهم بدلالة قوة الكلام عليهم وإن لم يذكروا * عاد كلامه (قال والمراد بقوله فليكونوا من ورائكم غير المصلين) قال أحمد والظاهر أن معنى السجود ههنا الصلاة وقد عبر عنها بالسجود كثيراً والمراد فإذا صلت الطائفة أى أتمت صلاتها فليكونوا من ورائكم وفيه دليل لمشهور مذهب مالك من أن الطائفة الأولى تتم صلاتها والإمام منتظر للطائفة الأخرى وقوله ولتأت طائفة أخرى يعنى إذا أتمت الأولى صلاتها ووقفت من ورائكم فلتأت الطائفة الأخرى التى لم تصل بعد شيئاً فليصلوا معك وفيه دليل بين أيضاً لأحد القولين فى مذهب مالك من أن الإمام ينتظر الثانية حتى تتم صلاتها ويسلم بهم لأن ظاهر المعية المطلقة يوجب ذلك إذ لو كانوا يقضون بعد سلامه لم يكونوا مصلين معه على الإطلاق والله أعلم فهذه الآية منطبقة على أكثر مشهور مذهبه فى تفاصيل صلاة الخوف والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال فإن قلت كيف جمع بين الأسلحة الخ) قال أحمد وحسن هذا المجاز وبلغ به ذروة الفصاحة عطف الحقيقة عليه

وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۞ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ۞ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۞ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ

فى التبوء (فيميلون عليكم) فيشدون عليكم شدّة واحدة ورخص لهم فى وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب مايلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو ۞ (فإن قلت) كيف طابق الأمر بالحذر قوله (إنّ الله أعدّ للكافرين عذابا مهينا) (قلت) الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أنّ الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أنّ الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (فإذا قضيتم الصلاة) فإذا صليتم فى حال الخوف والقتال (فاذكروا الله) فصلوها (قياما) مسايفين ومقارعين (وقعودا) جاثين على الركب مرامين (وعلى جنوبكم) مثخنين بالجراح (فإذا اطمأننتم) حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم (فأقيموا الصلاة) فاقضوا ماصليتم فى تلك الأحوال التى هى أحوال القلق والانزعاج (إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) محدودا بأوقات لايجوز إخراجها عن أوقاتها على أى حال كنتم خوف أوأمن وهذا ظاهر على مذهب الشافعى رحمه الله فى إيجابه الصلاة على المحارب فى حال المسايفة والمشى والاضطراب فى المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء وأما عند أبى حنيفة رحمه الله فهو معذور فى تركها إلى أن يطمئن وقيل معناه فإذا قضيتم صلاة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد فى كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ إليه فإذا اطمأننتم فإذا أقمتم فأقيموا الصلاة فأتموها (ولاتهنوا) ولاتضعفوا ولاتتوانوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله (إن تكونوا تألمون) أى ليس ماتكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لاتصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم (ترجون من الله مالا يرجون من) إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم فى الآخرة ۞ وقرأ الأعرج أن تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولاتهنوا لأن تكونوا تألمون ۞ وقوله فإنهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فإنهم ييلمون كما تيلمون وروى أن هذا فى بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا (وكان الله عليما حكيما) لايكلفكم شيأ ولايأمركم ولاينهاكم إلا لما هو عالم به مما يصلحكم ۞ روى أنّ طعمة بن أبيرق أحد بنى ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودى فأخذوها فقال دفعها إلى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل وأن يعاقب اليهودى وقيل هم أن يقطع يده فنزلت وروى أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله (بما أراك الله) بما عرفك وأوحى به إليك وعن عمر رضى الله عنه لايقولنّ أحدكم قضيت بما أرانى الله فإنّ الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه

إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۞ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۞ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا

صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لأن الرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لأن الله كان يريه إياه وهو منا الظن والتكلف (ولا تكن للخائنين خصيما) ولا تكن لأجل الخائنين مخاصما للبراء يعنى لا تخاصم اليهود لأجل بنى ظفر (واستغفر الله) مما هممت به من عقاب اليهودى (يختانون أنفسهم) يخونونها بالمعصية كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع إليهم (فإن قلت) لم قيل للخائنين ويختانون أنفسهم وكان السارق طعمة وحده (قلت) لوجهين أحدهما أن بنى ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له فى الاثم والثانى أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه ۞ (فإن قلت) لم قيل (خوانا أثيما) على المبالغة (قلت) كان الله عالما من طعمة بالإفراط فى الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك فى حاله وقيل إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات وعن عمر رضى الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة (يستخفون) يستترون (من الناس) حياء منهم وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه (وهو معهم) وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ماهم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم إن كانوا مؤمنين أنهم فى حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح (يبيتون) يدبرون ويزورون وأصله أن يكون بالليل (مالا يرضى من القول) وهو تدبير طعمة أن يرمى بالدرع فى دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته (فإن قلت) كيف سمى التدبير قولا وإنما هو معنى فى النفس (قلت) لما حدثت بذلك نفسه سمى قولا على المجاز ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب الذى حلف به بعد أن بيته وتوريكه الذنب على اليهودى (هاأنتم هؤلاء) ها للتنبيه فى أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر و (جادلتم) جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز أن يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه فى الدنيا فمن يخاصم عنهم فى الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه ۞ وقرأ عبدالله عنه أى عن طعمة (وكيلا) حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه (ومن يعمل سوأ) قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودى (أو يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوأ من ذنب دون الشرك أو يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه أو لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه (فإنما يكسبه على نفسه) أى لا يتعداه ضرره إلى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء (خطيئة) صغيرة

(قوله ولكن ليجتهد رأيه) قوله ليجتهد عبارة الخازن ليجهد والتكليف لعله التكلف

(قوله يدبرون ويزورون) فى الصحاح زورت الشىء حسنته وقومته والتزوير تزيين الكذب

(قوله وتوريكه الذنب) فى الصحاح ورك فلان ذنبه على غيره أى قرفه به وفيه أيضا هو يقرف بكذا أى يرمى به ويتهم به

فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۞ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۞ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ

(أو إثما) أو كبيرة (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيداً (فقد احتمل بهتانا وإثما) لأنه بكسب الإثم آثم وبرمى البرىء باهت فهو جامع بين الأمرين ۞ وقرأ معاذ بن جبل رضى الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة وأصله يكتسب (ولولا فضل الله عليك ورحمته) أى عصمته وألطافه وما أوحى إليك من الاطلاع على سرهم (لهمت طائفة منهم) من بنى ظفر (أن يضلوك) عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل مع علمهم بأن الجانى هو صاحبهم فقد روى أن ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة (وما يضلون إلا أنفسهم) لأن وباله عليهم (وما يضرونك من شىء) لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك (وعلمك ما لم تكن تعلم) من خفيات الأمور وضمائر القلوب أو من أمور الدين والشرائع ويجوز أن يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير فى منهم إلى الناس وقيل الآية فى المنافقين (لاخير فى كثير من نجواهم) من تناجى الناس (إلا من أمر بصدقة) إلا نجوى من أمر على أنه مجرور بدل من كثير كما تقول لاخير فى قيامهم إلا قيام زيد ويجوز أن يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففى نجواه الخير ۞ وقيل المعروف القرض وقيل إغاثة الملهوف وقيل هو عام فى كل جميل ويجوز أن يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما أشد هذا الحديث فقال ألم تسمع الله يقول لاخير فى كثير من نجواهم فهو هذا بعينه أو ما سمعته يقول والعصر إن الإنسان لفى خسر فهو هذا بعينه ۞ وشرط فى استيجاب الأجر العظيم أن ينوى فاعل الخير عبادة الله والتقرب به إليه وأن يبتغى به وجهه خالصا لأن الأعمال بالنيات (فإن قلت) كيف قال إلا من أمر ثم قال (ومن يفعل ذلك) (قلت) قد ذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به فى زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم ويجوز أن يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال ۞ وقرئ يؤتيه بالياء (ويتبع غير سبيل المؤمنين) وهو السبيل الذى هم عليه من الدين الحنيفى القيم وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول فى الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول عليه الصلاة والسلام (قوله نوله ما تولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال بأن نخذله ونخلى بينه وبين ما اختاره (ونصله جهنم) وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هى فى طعمة وارتداده وخروجه إلى مكة (إن الله لا يغفر أن يشرك به) تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروى أنه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنى شيخ منهمك فى الذنوب إلا أنى لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصى جرأة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين أنى أعجز الله هربا وإنى لنادم تائب مستغفر فما ترى حالى عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه (إلا إناثا) هى اللات والعزى ومناة وعن الحسن

(قوله ينصر قول من فسر من يشاء) هو قول المعتزلة

إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۞ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۞ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۞ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۞ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۞ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ

لم يكن حى من احياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى أصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله ۞ وقرئ أنثا جمع أنيث أو أناث ووثنا وأثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك أسد وأسد وأسد وقلب الواو ألفا نحو أجوه فى وجوه وقرأت عائشة رضى الله عنها أوثانا (وإن يدعون) وإن يعبدون بعبادة الأصنام (إلا شيطانا) لأنه هو الذى أغراهم على عبادتها فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة و (لعنه الله وقال لأتخذن) صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (نصيبا مفروضا) مقطوعا واجبا فرضته لنفسى من قولهم فرض له فى العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعين إلى النار (ولأمنينهم) الأمانى الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك ۞ وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ۞ وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامى وإعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو فى قول عامة العلماء مباح فى البهائم وأما فى بنى آدم فمحظور وعند أبى حنيفة يكره شراء الخصيان وإمساكهم واستخدامهم لأن الرغبة فيهم تدعو إلى خصائهم وقيل فطرة الله التى هى دين الإسلام وقيل للحسن إن عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث (وعد الله حقا) مصدران الأول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره (ومن أصدق من الله قيلا) توكيد ثالث بليغ (فإن قلت) مافائدة هذه التوكيدات (قلت) معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ترغيبا للعباد فى إيثار مايستحقون به تنجز وعد الله على مايتجرعون فى عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان ۞ فى (ليس) ضمير وعد الله أى ليس ينال ماوعد الله من الثواب (بأمانيكم ولا) (أمانى أهل الكتاب)

۞ قوله تعالى وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم الآية قال محمود المراد الأمانى الباطلة الخ) قال أحمد هو تعريض بأهل السنة الذين يعتقدون أن الموحد ذا الكبائر غير التائب أمره يرجأ إلى الله تعالى والعفو عنه موكول إلى مشيئته إيمانا وتصديقا بقوله فى الآية المعتبرة فى هذا إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء والعجب أن هذه الآية تكررت فى هذه السورة مرتين على أذن الزمخشرى وهو مع ذلك يتصام عنها ويجعل العقيدة المتلقاة منها من جملة الأمانى الشيطانية نعوذ بالله من إرسال الرسن فى اتباع الهوى وكذلك أيضا عرض بأهل السنة فى اعتقادهم صدق الوعد الصادق بالشفاعة المحمدية وعد ذلك أيضا أمنية شيطانية وما أرى من جحد الشفاعة ينالها فلا حول ولا قوة إلا بالله لقد مكر بهذا الفاضل فلا يأمن بعده عاقل أنه لا يأمن مكر الله

(قوله للمجرمين بغير توبة) بل بالشفاعة أو بمجرد الفضل وهو مذهب أهل السنة (قوله فقيل كذب عكرمة) لعله فقال (قوله وعنه لعن الله الواشرات) الواشرات المرققات أسنانهن والمتنمصات الناتفات للشعر والمتنقشات أيضا اه صحاح

وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۞ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ

والخطاب للمسلمين لأنه لايتمنى وعد الله إلا من آمن به وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم فى الإيمان بوعد الله وعن مسروق والسدى هى فى المسلمين وعن الحسن ليس الإيمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولاحسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل له وقيل إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب التى كانت قبله فنزلت ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا لأوتين مالا وولدا إن لى عنده للحسنى وكان أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك قبله وعن مجاهد إن الخطاب للمشركين ۞ قوله (من يعمل سوأ يجز به) وقوله (ومن يعمل من الصالحات) بعد ذكر تمنى أهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وإذا أبطل الله الأمانى وأثبت أن الأمر كله معقود بالعمل وأن من أصلح عمله فهو الفائز ومن أساء عمله فهو الهالك تبين الأمر ووضح ووجب قطع الأمانى وحسم المطامع والإقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لاتعيه الآذان ولاتلق اليه الأذهان ۞ (فإن قلت) ما الفرق بين من الأولى والثانية (قلت) الأولى للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لأن كلا لايتمكن من عمل كل الصالحات لاختلاف الأحوال وإنما يعمل منها ماهو تكليفه وفى وسعه وكم من مكلف لاحج عليه ولاجهاد ولازكاة وتسقط عنه الصلاة فى بعض الأحوال والثانية لتبيين الإبهام فى من يعمل ۞ (فإن قلت) كيف خص الصالحون بأنهم لايظلمون وغيرهم مثلهم فى ذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع فى ولايظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعاً والثانى أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لاتفاوت بينهم ولأن ظلم المسىء أن يزاد فى عقابه وأرحم الراحمين معلوم أنه لايزيد فى عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هى فى حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب فكان نفى الظلم دلالة على أنه لايقع نقصان فى الفضل (أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لاتعرف لها ربا ولامعبوداً سواه (وهو محسن) وهو عامل للحسنات تارك للسيئات

إلا القوم الخاسرون ۞ قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً (قال) إن قلت كيف خص الصالحون بأنهم لايظلمون وغيرهم مثلهم فى ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع فى ولايظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعاً والثانى أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لاتفاوت بينهم ولأن ظلم المسىء أن يزاد فى عقابه وأرحم الراحمين معلوم أنه لايزيد فى عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هى فى حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب وكان نفى الظلم دلالة على أنه لايقع نقصان فى الفضل انتهى كلامه (قلت) مدار هذا التطويل بالسؤال والجواب على بث المعتقد الفاسد فى أن الله تعالى يجب عليه أن يثيب على الطاعات وأن الثواب منقسم إلى واجب ليس بفضل وإلى زيادة على الواجب وهى الفضل خاصة وهذا المعتقد هو الذى يصدق عليه أن الشيطان مناه للقدرية حتى زعموا أن لهم على الله واجبا تعالى الله عن ذلك إن الله لغنى عن عمل يوجب عليه حقا جل الله وعز لقد نفخ الشيطان بهذه الأمنية فى آذان القدرية اللهم لاعمدة لنا إلا فضلك فأجزل نصيبنا منه ياكريم

خليلا * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا * وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا *

(حنيفاً) حال من المتبع أو من إبراهيم كقوله بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين وهو الذى تحنف أى مال عن الأديان كلها إلى دين الاسلام (واتخذ الله إبراهيم خليلا) مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذى يخالك أى يوافقك فى خلالك أو يسايرك فى طريقك من الخل وهو الطريق فى الرمل أو يسد خللك كما تسد خلله أو يداخلك خلال منازلك وحجبك (فإن قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) هى جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب كنحو ما يجىء فى الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديراً بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل إن إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر فى أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للأضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم عليه السلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته إلى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى واختبزت واستنبه إبراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت امرأته من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عزوجل فسماه الله خليلا (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه أن له ملك أهل السموات والأرض فطاعته واجبة عليهم (وكان الله بكل شىء محيطاً) فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما هو أصلح لها (ما يتلى) فى محل الرفع أى الله يفتيكم والمتلو (فى الكتاب) فى معنى اليتامى يعنى قوله وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى وهو من قولك أعجبنى زيد وكرمه ويجوز أن يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره على أنها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وأن العدل والنصفة فى حقوق اليتامى من عظائم الأمور المرفوعة الدرجات عند الله التى تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه فى تعظيم القرآن وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ويجوز أن يكون مجروراً على القسم كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وأقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب والقسم أيضا لمعنى التعظيم وليس بسديد أن يعطف على المجرور فى فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى * (فإن قلت) بم تعلق قوله فى (يتامى النساء) (قلت) فى الوجه الأول هو صلة يتلى أى يتلى عليكم فى معناهن ويجوز أن يكون فى يتامى النساء بدلا من فيهن وأما فى الوجهين الآخرين فبدل لا غير (فإن قلت) الإضافة فى يتامى النساء ما هى (قلت) إضافة بمعنى من كقولك عندى سحق عمامة * وقرئ فى ييامى النساء بياءين على قلب همزة أيامى ياء (لا تؤتونهن ما كتب لهن) وقرئ ما كتب الله لهن أى ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه ومالها فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وترغبون أن تنكحوهن) يحتمل فى أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن تنكحوهن لدمامتهن وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا جاءه ولى اليتيمة نظر فإن كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وإن كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فأنت أحق بها (والمستضعفين) مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا فى الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال والنساء ويجوز أن يكون خطابا للأوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب

(قوله والحوادث جمة) هى جملة اعتراضية فى قول الشاعر: يا ليت شعرى والحوادث جمة * هل أغدون يوما وأمرى مجمع
وفى الصحاح يا ليت شعرى والمنى لا تنتفع إلخ (قوله إلى نفسه ومالها) قوله ومالها إلخ عبارة النسفى ولعل أصله وما لها إلى ماله

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَإِن

(وأن تقوموا) مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم فى يتامى النساء وفى المستضعفين وفى أن تقوموا ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة فى أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا أحدا يهتضمهم (خافت من بعلها) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته ۞ والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التى بين الرجل والمرأة وأن يؤذيها بسب أو ضرب ۞ والإعراض أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الأسباب من طعن فى سن أو دمامة أو شىء فى خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين إلى أخرى أو غير ذلك فلا بأس بهما فى أن يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو أصلح أصبر فى اصطبر (صلحا) فى معنى مصدر كل واحد من الأفعال الثلاثة ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روى أن امرأة أراد زوجها أن يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقنى ودعنى أقوم على ولدى وتقسم لى فى كل شهرين فقال إن كان هذا يصلح فهو أحب إلى فأقرها أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة فإن لم تفعل فليس له إلا أن يمسكها بإحسان أو يسرحها (والصلح خير) من الفرقة أو من النشوز والإعراض وسوء العشرة أو هو خير من الخصومة فى كل شىء أو الصلح خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله (وأحضرت الأنفس الشح) ومعنى إحضار الأنفس الشح أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعنى أنها مطبوعة عليه والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا رغب عنها وأحب غيرها (وإن تحسنوا) بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والاعراض وما يؤدى إلى الأذى والخصومة (فإن الله كان بما تعملون) من الإحسان والتقوى (خبيرا) وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجى من أدم بنى آدم وامرأته من أجملهم فأجالت فى وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال مالك قالت حمدت الله على أنى وإياك من أهل الجنة قال كيف قالت لأنك رزقت مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين (ولن تستطيعوا) ومحال أن تستطيعوا العدل (بين النساء) والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لأن تكليف ما لا يستطاع داخل فى حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه أن تعدلوا فى المحبة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك يعنى المحبة لأن عائشة رضى الله عنها كانت أحب إليه وقيل إن العدل بينهن أمر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم أنه غير مستطاع لأنه يجب أن يسوى بينهن فى القسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتى من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا إذا كن محبوبات كلهن فكيف إذا مال القلب مع بعضهن (فلا تميلوا كل الميل) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعنى أن اجتناب كل الميل مما هو فى حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط فى العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ (فتذروها كالمعلقة) وهى التى ليست بذات بعل ولا مطلقة قال

(قوله تسمح بقسمتها وبغير قسمتها) لعل غير قسمتها كالفرقة والنفقة والمهر وعبارة النسفى تسمح بقسمتها والرجل الخ لحرر

يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله وسعا حكيما ۞ ولله ما فى السموت وما فى الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما فى السموت وما فى الأرض وكان الله غنيا حميدا ۞ ولله ما فى السموت وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا ۞ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا ۞ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا ۞ يأيها الذين ءامنوا كونوا قومين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الولدين

هل هى إلا حظة أو تطليق ۞ أو صلف أو بين ذاك تعليق

وفى قراءة أبى فتذروها كالمسجونة وفى الحديث من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث إلى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عائشة رضى الله عنها ألى كل أزواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث إلى القرشيات بمثل هذا وإلى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا فى القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فأخبره فأتم لهن جميعاً وكان لمعاذ امرأتان فإذا كان عند إحداهما لم يتوضأ فى بيت الأخرى فماتتا فى الطاعون فدفنهما فى قبر واحد (وإن تصلحوا) مامضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة (وتتقوا) فيما يستقبل غفر الله لكم ۞ وقرئ وإن يتفارقا بمعنى وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه (يغن الله كلا) يرزقه زوجا خيراً من زوجه وعيشاً أهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغنى المقتدر (من قبلكم) متعلق بوصينا أو بأوتوا (وإياكم) عطف على الذين أوتوا ۞ الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية (أن اتقوا) بأن اتقوا أو تكون أن المفسرة لأن التوصية فى معنى القول وقوله (وإن تكفروا فإن لله) عطف على اتقوا لأن المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا فإن لله والمعنى إن لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها فحقه أن يكون مطاعا فى خلقه غير معصى يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الأمم السالفة ووصيناكم أن اتقوا الله يعنى أنها وصية قديمة مازال يوصى الله بها عباده لستم بها مخصوصين لأنهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة فى العاقبة وقلنا لهم ولكم وإن تكفروا فإن لله فى سمواته وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه (وكان الله) مع ذلك (غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم جميعاً مستحقاً لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد منهم وتكرير قوله لله ما فى السموات وما فى الأرض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لأن الخشية والتقوى أصل الخير كله (إن يشأ يذهبكم) يفنكم ويعدمكم كما أوجدكم وأنشأكم (ويأت بآخرين) ويوجد إنساً آخرين مكانكم أو خلقاً آخرين غير الإنس (وكان الله على ذلك) من الإعدام والإيجاد (قديرا) بليغ القدرة لا يمتنع عليه شىء أراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب أى إن يشأ يمتكم ويأت بأناس آخرين يوالونه ويروى أنها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال إنهم قوم هذا يريد أبناء فارس (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فما له يطلب أحدهما دون الآخر والذى يطلبه أخسهما لأن من جاهد لله خالصاً لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة إلى جنبه كلا شىء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له إن أراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط (قوامين بالقسط)

(قوله هل هى إلا حظة أو تطليق أو صلف) فى الصحاح الحظ النصيب والجد وفيه أيضاً الجد الحظ والبخت اه ولعل الحظة واحد الحظ وفيه أيضاً صلفت المرأة صلفاً إذا لم تحظ عند زوجها وأبغضها (قوله ولكم وإن تكفروا) لعله إن تكفروا بدون واو

وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا

مجتهدين فى إقامة العدل حتى لاتجوروا (شهداء لله) تقيمون شهادتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها (ولو على أنفسكم) ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم (فإن قلت) الشهادة على الوالدين والأقربين أن تقول أشهد أن لفلان على والدى كذا أو على أقاربى فما معنى الشهادة على نفسه (قلت) هى الإقرار على نفسه لأنه فى معنى الشهادة عليها بإلزام الحق لها ويجوز أن يكون المعنى وإن كانت الشهادة وبالا على أنفسكم أو على آبائكم وأقاربكم وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره (إن يكن) إن يكن المشهود عليه (غنياً) فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلباً لرضاه (أو فقيراً) فلا تمنعها ترحما عليه (فالله أولى بهما) بالغنى والفقير أى بالنظر لهما وإرادة مصلحتهما ولولا أنّ الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لأنه أنظر لعباده من كل ناظر (فإن قلت) لم ثنى الضمير فى أولى بهما وكان حقه أن يوحد لأنّ قوله إن يكن غنياً أو فقيراً فى معنى إن يكن أحد هذين (قلت) قدرجع الضمير إلى مادل عليه قوله إن يكن غنيا أوفقيراً إلاإلى المذكورفلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغنى وجنس الفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسى الغنى والفقير أى بالأغنياء والفقراء وفى قراءة أبىّ فالله أولى بهم وهى شاهدة على ذلك . وقرأ عبدالله إن يكن غنى أوفقير على كان التامة (أن تعدلوا) يحتمل العدل والعدول كأنه قيل فلاتتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس أوإرادة أن تعدلوا عن الحق (وإن تلووا أو تعرضوا) وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أوحكومة العدل أوتعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها ۞ وقرئ وإن تلوا أو تعرضوا بمعنى وإن وليتم إقامة الشهادة أوأعرضتم عن إقامتها (فإن الله كان بما تعملون خبيرا) وبمجازاتكم عليه (ياأيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين ومعنى (آمنوا) اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوه (والكتاب الذى أنزل من قبل) المراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على إرادة الجنس وقرئ نزل وأنزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروى أنه لعبدالله بن سلام وأسد وأسيد ابنى كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبدالله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لانفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كأنه قيل ياأيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا (فإن قلت) كيف قيل لأهل الكتاب والكتاب الذى أنزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والإنجيل (قلت) كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل من الكتب فأمروا أن يؤمنوا بالجنس كله لأنّ إيمانهم ببعض الكتب لايصح إيمانا به لأنّ طريق الإيمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان إيمانهم بما آمنوا به لأجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن إيمانهم إيمانا وهذا الذى أراد عز وجل فى قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا (فإن قلت) لم قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل (قلت) لأنّ القرآن نزل مفرّقا منجما فى عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ، ومعنى قوله (ومن يكفر بالله) الآية ومن يكفر بشىء من ذلك (فقد ضل) لأنّ الكفر ببعضه كفر بكله ألا ترى كيف قدم الأمر

ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا * بَشِّرِ الْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ

بالإيمان به جميعا (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) نفى للغفران والهداية وهى اللطف على سبيل المبالغة التى تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفى ما يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت والمعنى أن الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة وكان الإيمان أهون شىء عندهم وأدونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذى يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب أنه يموت على شر حال وأسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالإنجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (بشر المنافقين) وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم و (الذين) نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود (فإن العزة لله جميعا) يريد لأوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (أن إذا سمعتم) هى أن المخففة من الثقيلة والمعنى أنه إذا سمعتم أى نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بنزل أو فى موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم فى الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين فى القرآن من الأحبار هم المنافقون * فقيل لهم إنكم إذاً مثل الأحبار فى الكفر (إن الله جامع المنافقين والكافرين) يعنى القاعدين والمقعود معهم (فان قلت) الضمير

---

* قوله تعالى «إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا» (قال محمود نفى للغفران والهداية الخ) قال أحمد وليس فى هذه الآية ما يخالف ظاهر القاعدة المستقرة على أن التوبة مقبولة على الإطلاق لأن آخر ما ذكر من حال هؤلاء ازدياد الكفر ولو كان المذكور فى آخر أحوالهم التوبة والإيمان لاحتيج إلى الجمع بين الآية والقاعدة إذاً وإنما يقع هذا الفصل الذى أورده الزمخشرى موقعه فى آية آل عمران وهو قوله تعالى «إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون» وقد ظهر الآن فى الجمع بين هذه الآية والقاعدة وجه آخر سوى ما تقدم فى آل عمران وهو أن يكون المراد لن يصدر منهم توبة فلن يكون قبول من باب * على لاحب لا يهتدى بمناره * وعلى هذا يكون خبراً لا حكما والمخبر عنهم من سبق فى علم الله أنه لا يتوب من المرتدين والله أعلم وفى قول الزمخشرى إن الناكث للتوبة العائد إليها يغلب من حاله أنه يموت بشر حال نظر فقد ورد فى الحديث المؤمن مفتن تواب

(قوله وكانوا يمايلون الكفرة) لعله يمالئون

فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ۝ يَـٰٓأَيُّهَا

فى قوله فلا تقعدوا معهم إلى من يرجع (قلت) إلى من دلّ عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها (فإن قلت) لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم فى وقت الخوض (قلت) لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضى بالكفر كافر (فإن قلت) فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين (قلت) لأنهم كانوا لاينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الإنكار لرضاهم (الذين يتربصون) إما بدل من الذين يتخذون وإماصفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم يتربصون بكم أى ينتظرون بكم مايتجدد لكم من ظفر أو إخفاق (ألم نكن معكم) مظاهرين فأسهموا لنا فى الغنيمة (ألم نستحوذ عليكم) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم (ونمنعكم من المؤمنين) بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا فى قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم ۝ وقرئ ونمنعكم بالنصب بإضمار أن . قال الحطيئة

ألم أك جاركم ويكون بينى ۝ وبينكم المودة والإخاء

(فإن قلت) لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا (قلت) تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لأنّ ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح لهم أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه وأمّا ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دنى ولمظة من الدنيا يصيبونها (يخادعون الله) يفعلون مايفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر (وهو خادعهم) وهو فاعل بهم مايفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والأموال فى الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار فى الآخرة ولم يخلهم فى العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم (كسالى) قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى فى سكران أى يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لاعن طيبة نفس ورغبة (يراؤن الناس) يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة (ولايذكرون الله إلاقليلا) ولايصلون إلاقليلا لأنهم لايصلون قط غائبين عن عيون الناس إلاما يجاهرون به

قال الهروى معناه يقارف الذنب لفتنته ثم يعقبه بالتوبة ۝ قوله تعالى الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين (قال سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأن المسلمين الخ) قال أحمد وهذا من محاسن نكت أسرار القرآن فإنّ الذى كان يتفق للمسلمين فيه استئصال لشأفة الكفار واستيلاء على أرضهم وديارهم وأموالهم وأرض لم يطؤها وأما ما كان يتفق للكفار فمثل الغلبة والقدرة التى لايبلغ شأنها أن تسمى فتحا فالتفريق بينهما مطابق أيضا للواقع والله أعلم ۝ قوله تعالى «يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا» (قال) لأنهم إنما يصلون رياء مادام من يرقبهم فإذا خلوا بأنفسهم لم يصلوا أولا يذكرون الله بالتهليل والتسبيح إلا ذكرا قليلا فى الندرة وهكذا نرى كثيرا من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالى لم تسمع منه

(قوله من ظفر أو إخفاق) فى الصحاح أخفق الرجل إذا غزا ولم يغنم (قوله ولمظة من الدنيا) فى الصحاح لمظ يلمظ بالضم لمظا إذا تتبع بلسانه بقية الطعام فى فمه واللمظة بالضم كالنكتة من البياض

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ۝ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَٱعْتَصَمُوا بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ

وما يجاهرون به قليل أيضاً لأنهم ماوجدوا مندوحة من تكلف ماليس فى قلوبهم لم يتكلفوه أو ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا فى الندرة وهكذا ترى كثيراً من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالى لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لايفتر عنه ولا يجوز أن يراد بالقلة العدم (فإن قلت) مامعنى المراءاة وهى مفاعلة من الرؤية (قلت) فيها وجهان أحدهما أنّ المرائى يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثانى أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس يعنى رآهم كقولك نعمة وناعمة وفنقة وفانقة وعيش مفانق روى أبو زيد رأت المرأة المرأة الرجل إذا أمسكتها لترى وجهه ويدل عليه قراءة ابن أبى إسحق يرأونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم أى يبصرونهم أعمالهم ويراؤنهم كذلك (مذبذبين) إمّا حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤن أى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين أو منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذى يذب عن كلا الجانبين أى يذاد ويدفع فلا يقرّ فى جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرحوان إلا أنّ الذبذبة فيها تكرير ليس فى الذب كأن المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم أو بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفى مصحف عبد الله متذبذبين وعن أبى جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى أخذ بهم تارة فى دبة وتارة فى دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش و (ذلك) إشارة إلى الكفر والإيمان (لا إلى هؤلاء) لامنسوبين إلى هؤلاء فيكونون مؤمنين (ولا إلى هؤلاء) ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسمون مشركين (لاتتخذوا الكافرين أولياء) لاتتشبهوا بالمنافقين فى اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء (سلطانا) حجة بينة يعنى أن موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن (الدرك الأسفل) الطبق الذى فى قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم أدراك جهنم (فإن قلت) لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر (قلت) لأنه مثله فى الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ومداجاتهم (وأصلحوا) ماأفسدوا من أسرارهم وأحوالهم فى حال النفاق (واعتصموا بالله) ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص (وأخلصوا دينهم لله) لايبتغون بطاعتهم إلا وجهه (فأولئك مع المؤمنين) فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم فى الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين

تهليلة ولاتحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لايفتر عنه ولايجوز أن يراد بالقلة العدم انتهى كلامه (قلت) وإنما منع من أن يراد بها العدم لأنه خبر فيجب صدقه وقد كانوا يذكرون الله فى بعض الأحيان فلا يمكن أن يسلب ذكر

(قوله وفنقه وفانقه) فى الصحاح أنهما بمعنى: أى نعمه (قوله يرمى به الرحوان) فى الصحاح الرحى معروفة والألف منقلبة من الياء تقول هما رحيان وفيه أيضاً رحت الحية ترحو إذا استدارت والرحى قطعة من الأرض تستدير وترتفع على ماحولها ورحى القوم سيدهم والأرحاء الأضراس والأرحاء القبائل التى تستقل بنفسها وتستغنى عن غيرها اه وظاهره أن الرحى هنا وادى فليحرر (قوله ومداجاتهم) فى الصحاح المداجاة المداراة

إن شكرتم وءامنتم وكان الله شاكرا عليما ﴿ لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما ﴿ إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا

أجراً عظيما) فيشاركونهم فيه ويساهمونهم (فإن قلت) من المنافق (قلت) هو فى الشريعة من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وأما تسمية من ارتكب مايفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضى الله عنه من المنافق فقال الذى يصف بالإسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فأصبح وقد عمم وقلد وأعطى سيفاً يعنى الحجاج (مايفعل الله بعذابكم) أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثار أم يستجلب به نفعاً أم يستدفع به ضرراً كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغنىّ الذى لايجوز عليه شىء من ذلك وإنما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسىء فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب (وكان الله شاكراً) مثيبا موفيا أجوركم (عليما) بحق شكركم وإيمانكم (فإن قلت) لم قدم الشكر على الإيمان (قلت) لأنّ العاقل ينظر إلى ماعليه من النعمة العظيمة فى خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكراً مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكراً مفصلا فكان الشكر متقدما على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره (إلا من ظلم) إلا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذى لايحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة فيردّ على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فأصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ إلا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع أى ولكن الظالم راكب مالا يحبه فيجهر بالسوء ويجوز أن يكون من ظلم مرفوعا كأنه قيل لايحب الله الجهر بالسوء إلا الظالم على لغة من يقول ماجاءنى زيد إلا عمرو بمعنى ماجاءنى إلا عمرو ومنه لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ﴿ ثم حث على العفو وأن لايجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار بعد ماأطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الأحب اليه والأفضل عنده والأدخل فى الكرم والتخشع والعبودية وذكر إبداء الخير وإخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وأن له مكانا فى باب الخير وسيطا والدليل على أنّ العفو هو الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله (فإنّ الله كان عفوا قديرا) أى يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله ﴿ جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله

الله مطلقا وإذا بنينا على أنّ المراد بالذكر الصلاة وهو الظاهر فالمراد أيضا الصلاة المعتبرة التى يذكر بها الإنسان حق الله عليه فينتهى عن الفحشاء والمنكر والصلاة فى هذا الوجه مسلوبة عن المنافقين مطلقا فيجوز إذا حمل القلة على العدم بهذا التفسير والله أعلم ﴿ قوله تعالى لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم (وقال فيه تقديره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا جهر من ظلم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه الخ) قال أحمد ووجه التغاير أن الظالم لايندرج فى المستثنى

(قوله وهو مقروع فيه) لعله يريد القرع بالعصا وفى الصحاح القارعة الشديدة من شدايد الدهر وهى الداهية يقال قرعتهم قوارع الدهر أى أصابتهم وقرعت رأسه بالعصا مثل قرعت (قوله وإخفاؤه تشبيبا للعفو) لعله محرف وأصله تنبيها لحرر (قوله فى باب الخير وسيطا) أى متوسطا (قوله لما ذكرنا) فى تفسير قوله ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الخ

بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ السَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ

ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة ۞ ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا أن يتخذوا دينا وسطا بين الإيمان والكفر كقوله «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا» أى طريقا وسطا فى القراءة وهو مابين الجهر والمخافتة وقد أخطؤا فإنه لاواسطة بين الكفر والإيمان ولذلك قال(أولئك هم الكافرون حقا) أى هم الكاملون فى الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين فى الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لاشك فيه ۞ (فإن قلت) كيف جاز دخول بين على أحد وهو يقتضى شيئين فصاعدا (قلت) إن أحدا عام فى الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول مارأيت أحدا فتقصد العموم ألا تراك تقول إلا ابنى فلان وإلا ابنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى «لستن كأحد من النساء» (سوف يؤتيهم أجورهم) معناه أن ايتاءها كائن لامحالة وإن تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا ۞ روى أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى فنزلت وقيل كتابا إلى فلان وكتابا إلى فلان بأنك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكى يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية (فقد سألوا موسى) جواب الشرط مقدر

منه كما أن الله تعالى مقدس أن يكون فى السموات أو فى الأرض فاستحال دخوله فى المستثنى منه وكذا لايندرج المستثنى فى المستثنى منه فى قولك ماجاءنى زيد إلا عمرو وكلام الزمخشرى فى هذا الفصل لايتحقق لى منه مايسوغ بمجازيته فيه لإغلاق عبارته والله أعلم بمراده ۞ قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم الآية (قال فيه فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر الخ) قال أحمد وهذا من المواضع التى استولى عليه فيها الاغفال ولوح به اتباع هواه إلى مهواة الضلال لأنه بنى على أن الظلم المضاف اليهم لم يكن إلا لمجرد كونهم طلبوا الرؤية وهى محال عقلا دنيا وآخرة على زعم القدرية لما يلزم عندهم لو قيل بجوازها من اعتقاد التشبيه فلذلك سمى أهل السنة المعتقدين لجوازها ووقوعها فى الآخرة وفاء بالوعد الصادق مشبهة وغفل عن كون اليهود اقترحوا على موسى عليه السلام خصوصية علقوا إيمانهم بها ولم يعتبروا المعجز من حيث هو كما يجب اعتباره فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فهذا الاقتراح والتعنت يكفيهم ظلما الاترى أن الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء أو حتى تفجر الأرض أو يكون لك بيت من زخرف كيف هم من أظلم الظلمة وإن كانوا إنما طلبوا أمورا جائزة ولكنهم اقترحوا فى الآيات على الله وحقهم أن يسندوا إيمانهم إلى أى معجز اختاره الله دل ذلك دلالة يلجأ على أن ظلمهم مسبب عن اقتراحهم لاعن كون المقترح ممتنعا عقلا والعجب بتنظير هذا السؤال لو كان المسؤل جائزا كسؤال إبراهيم عن إحياء الموتى على زعم الزمخشرى غفلة منه عما انطوى عليه سؤال إبراهيم عليه السلام من صريح الإيمان حيث قال له تعالى أو لم تؤمن قال بلى وعما انطوى عليه سؤال هؤلاء الملاعين من محض الكفر والإصرار عليه فى قولهم لن نؤمن لك فصدروا كلامهم بالجحد والنفى وأما دعاء الزمخشرى على أهل السنة بالتب والصواعق فالله أعلم

(قوله فإنه لاواسطة بين الكفر والإيمان) هذا عند أهل السنة أما عند المعتزلة ففاعل الكبيرة الذى يموت بلا توبة لاهو مؤمن ولا كافر بل منزلة بين المنزلتين فتدبر

بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ۞ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۞ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا

معناه إن استكبرت ماسألوه منك فقد سألوا موسى (أكبر من ذلك) وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم فى أيام موسى وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم فى التعنت (جهرة) عيانا بمعنى أرناه نره جهرة (بظلمهم) بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل إبراهيم عليه السلام أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق (وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيالك من سلطان مبين (بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه (وقلنا لهم) والطور مظل عليهم (ادخلوا الباب سجدا) ولا تعدوا فى السبت وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد ۞ وقرئ لاتعتدوا ولا تعدوا بإدغام التاء فى الدال (فبما نقضهم) فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد (فإن قلت) بم تعلقت الباء ومامعنى التوكيد (قلت) إما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم مافعلنا وإما أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم أنّ قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك (فإن قلت) هلا زعمت أنّ المحذوف الذى تعلقت به الباء مادل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما

أى الفريقين أحق بها ويكفيه هذه الغفلة التى تنادى عليه باتباع الهوى الذى يعمى ويصم نسأل الله العصمة من الضلالة والغواية ۞ قوله تعالى «فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا» (قال) إن قلت بم تعلقت الباء فى قوله فبما نقضهم ميثاقهم قلت إما أن تتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم مافعلنا وإما أن تتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم انتهى كلامه (قلت) ولذكر البدل المذكور سرّ وهو أن الكلام لما طال بعد قوله فبما نقضهم حتى بعد عن متعلقه الذى هو حرمنا قوى ذكره بقوله فبظلم من الذين هادوا حتى يلى متعلقه وجاء النظم به على وجه من الاقتصار فى إجمال ماسبق تفصيله لأنّ جميع ماتقدم من النقض والقتل وقولهم قلوبنا غلف وكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ودعواهم قتل المسيح ابن مريم قد انطوى عليه الإجمال المذكور آخرا انطواء جامعا مع التسجيل على أنّ جميع أفاعيلهم الصادرة منهم ظلم وقد تقدم لهذا التقرير نظائر والله الموفق ۞ عاد كلامه (قال) إن قلت هلا زعمت أنّ المحذوف الذى تعلقت به الباء مادل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم قلت لم يصح هذا التقدير لأنّ قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك أنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أنّ الله خلقها غلفا أى فى أكنة لايتوصل إليها شىء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم وكمذهب المجبرة أخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الألطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها انتهى كلامه (قال أحمد) هؤلاء قوم زعموا أنّ لهم على الله حجة بكونه خلق قلوبهم غير قابلة للحق ولا متمكنة من قبوله فكذبهم الله فى قولهم لأنه خلق قلوبهم على الفطرة أى أن الإيمان وقبول الحق من جنس مقدورهم كما هو من جنس

(قوله فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق) يعنى أهل السنة حيث أجازوا على الله الرؤية كما حقق فى محله وغفر الله للمؤمن يسىء المؤمنين

بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ

نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم (قلت) لم يصح هذا التقدير لأنّ قوله بل طبع الله عليها بكفرهم ردّ وإنكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقاً به وذلك أنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أنّ الله خلق قلوبنا غلفا أى فى أكنة لايتوصل إليها شىء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم وكمذهب المجبرة أخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الألطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لاأن تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولامتمكنة من قبوله (فإن قلت) علام عطف قوله (وبكفرهم) (قلت) الوجه أن يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على مايليه من قوله بكفرهم (فإن قلت) مامعنى المجىء بالكفر معطوفا على مافيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الإضراب أو على مابعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم (قلت) قد تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا * والبهتان العظيم هو التزنية (فإن قلت) كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر بن الساحرة والفاعل بن الفاعلة فكيف قالوا (إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) (قلت) قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون «إنّ رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون» ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم رفعاً لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهدا * روى أنّ

مقدور المؤمنين وذلك هو المعبر بالتمكن ويخلقهم ميسرين للإيمان متأتيا منهم قبول الحق قامت عليهم حجة الله إذ يجد الإنسان بالضرورة الفرق بين قبول الحق والدخول فى الإيمان وبين طيرانه فى الهواء ومشيه على الماء ويعلم ضرورة أنّ الإيمان ممكن منه كما يعلم أنّ الطيران غير ممكن منه عادة فقد قامت الحجة وتبلجت ألا لله الحجة البالغة فمن هذا الوجه اتجه الردّ عليهم لا كما يزعمه الزمخشرى من أنّ لهم قدرة على الإيمان يلحقونه بها لأنفسهم ويقرنه فى قلوبهم وتلك القدرة موجودة سواء وجد الفعل أولا كالسيف المعدّ فى يد القاتل للقتل سواء وجد أولا وأنّ هذه القدرة التى هى كالآلة للخلق على زعمه يصرفها العبد حيث شاء فى إيمان وكفر وافق ذلك مشيئة الله أولا وأنّ هؤلاء صرفوا قدرتهم إلى خلق الكفر لأنفسهم على خلاف مشيئة الله تعالى فلذلك يعرض الزمخشرى بأهل السنة القائلين بأن الله تعالى لوشاء من عبدة الأوثان أن لايعبدوها لما عبدوها وتسميتهم لذلك مجبرة ويجعل قوله تعالى وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم ردا على الأشعرية كما هو ردّ على الوثنية ويغفل عن النكتة التى نبهنا عليها وهى أن الرد على الوثنية بذلك لم يكن إلا لأنهم ظنوا أنّ هذا المقدار يقيم لهم الحجة على الله ولذلك قال تعالى عقيب ذلك «قل فلله الحجة البالغة فلوشاء لهداكم أجمعين» فأوضح الله تعالى أنّ الرد عليهم لم يكن لقولهم إنّ الله لوشاء لهداكم أجمعين ولكن إنما كان الرد لظنهم أنّ ذلك حجة على الله بقوله فلله الحجة البالغة فهذا التقرير هو الإيمان المحض والتوحيد الصرف وما عداه من الإشراك الصراح نخزى نعوذ بالله منه

(قوله وكمذهب المجبرة أخزاهم الله) يريد بهم أهل السنة وحاشاهم أن يريدوا بمذهبهم ما أراده الكفار بما قالوا وتحقيقه فى التوحيد وغفر الله لمن تعدى حدّ الشرع من المؤمنين ولا أخزاهم يوم الدين (قوله بين كفرهم وبهتهم) رميها بما ليس فيها وهو التزنية أى الرمى بالزنا

عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۞ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ

رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم: اللهمّ أنت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فأجمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى وألقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم إنه إله لا يصح قتله وقال بعضهم إنه قد قتل وصلب وقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى وقال بعضهم رفع إلى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا ۞ (فإن قلت) (شبه) مسند إلى ماذا إن جعلته مسنداً إلى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر (قلت) هو مسند إلى الجار والمجرور وهو (لهم) كقولك خيل إليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول لأنّ قوله إنا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه (إلا اتباع الظن) استثناء منقطع لأنّ اتباع الظن ليس من جنس العلم يعنى ولكنهم يتبعون الظن (فإن قلت) قد وصفوا بالشك والشك أن لا يترجح أحد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما فكيف يكونون شاكين ظانين (قلت) أريد أنهم شاكون مالهم من علم قط ولكن إن لاحت لهم أمارة فظنوا فذاك (وما قتلوه يقيناً) وما قتلوه قتلا يقيناً أو ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك فى قولهم إنا قتلنا المسيح أو يجعل يقيناً تأكيداً لقوله وماقتلوه كقولك ماقتلوه حقاً أى حق انتفاء قتله حقاً وقيل هو من قولهم قتلت الشىء علماً ونحرته علماً إذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لأنه إذا نفى عنهم العلم نفياً كلياً بحرف الاستغراق ثم قيل وماعلموه علم يقين وإحاطة لم يكن إلا تهكماً بهم (ليؤمننّ به) جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمننّ به ونحوه «ومامنا إلا له مقام معلوم» «وإن منكم إلا واردها» والمعنى ومامن اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمننّ قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله يعنى إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لى الحجاج آية ما قرأتها إلا تخالج فى نفسى شىء منها يعنى هذه الآية وقال إنى أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إنّ اليهودى إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا ياعدو الله أتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبى وتقول للنصرانى أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن الله فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر إلىّ وقال ممن قلت حدثنى محمد بن علىّ بن الحنفية فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها من عين صافية أومن معدنها قال الكلبى فقلت له ماأردت إلى أن تقول حدثنى

قوله تعالى «وإنّ الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن» (قال محمود إن قلت قد وصفوا بالشك والشك أن لا يترجح الخ) قال أحمد وليس فى هذا الجواب شفاء للغليل والظاهر والله أعلم أنهم كانوا أغلب أحوالهم الشك فى أمره والتردد فجاءت العبارة الأولى على ما يغلب من حالهم ثم كانوا لا يخلون من ظن فى بعض الأحوال وعنده يقفون لا يرفعون إلى العلم فيه البتة وكيف يعلم الشىء على خلاف ما هو به فجاءت العبارة الثانية على حالهم النادرة فى الظنّ نافية عنهم ما يترقى عن الظن البتة والله أعلم ۞ قوله تعالى «وإنّ من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا» (قال محمود يعنى إذا عاين قبل أن تزهق روحه الخ) قال أحمد كقول فرعون لما عاين الهلاك «آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل» ۞ عاد كلامه (قال محمود وعن شهر بن حوشب قال لى الحجاج آية ما قرأتها الخ) قال أحمد ويبعد هذا التأويل قوله «ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا» فإنّ ظاهره التهديد ولكن ما أريد بقوله فى حق هذه

أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ لَّٰكِنِ الرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ أُولَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۞ وَرُسُلًا

محمد بن علىّ بن الحنفية قال أردت أن أغيظه يعنى بزيادة اسم على لأنه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال لاتخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وإن خر من فوق بيت أواحترق أو أكله سبع قال يتكلم بها فى الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة أبىّ إلا ليؤمننّ به قبل موتهم بضم النون على معنى وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم لأنّ أحداً يصلح للجمع (فإن قلت) ما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم (قلت) فائدته الوعيد وليكون علمهم بأنهم لابد لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة وأن ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الإيمان به فى أوان الانتفاع به وليكون إلزاما للحجة لهم وكذلك قوله (ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وإن منهم أحد إلا ليؤمننّ بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله روى أنه ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الإسلام ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز أن يراد انه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به على أن الله يحييهم فى قبورهم فى ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما أنزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم وقيل الضمير فى به يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم (فبظلم من الذين هادوا) فبأى ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة ۞ والطيبات التى حرمت عليهم ما ذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر وحرمت عليهم الألبان وكلما أذنبوا ذنبا صغيراً أو كبيراً حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها (وبصدهم عن سبيل الله كثيراً) ناسا كثيراً أوصداً كثيراً (بالباطل) بالرشوة التى كانوا يأخذونها من سفلتهم فى تحريف الكتاب (لكن الراسخون) يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه والراسخون فى العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون (والمؤمنون) يعنى المؤمنين منهم أو المؤمنون من المهاجرين والأنصار وارتفع الراسخون على الابتداء و (يؤمنون) خبره و (المقيمين) نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع وقد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا فى خط المصحف وربما التفت إليه من لم ينظر فى الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم فى النصب على الاختصاص من الافتنان وغبى عليه أنّ السابقين الأولين الذين مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كانوا أبعد همة فى الغيرة على الإسلام وذبّ المطاعن عنه من أن يتركوا فى كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما أنزل إليك أى يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء وفى مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهى قراءة مالك بن دينار والجحدرى وعيسى الثقفى (إنا أوحينا إليك) جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه فى الوحى إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا ۞ وقرئ زبوراً بضم الزاى جمع زبر وهو الكتاب (ورسلا) نصب بمضمر فى معنى أوحينا إليك

الأمة ويكون الرسول عليكم شهيداً والله أعلم ۞

قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ

وهو أرسلنا ونبأنا وماأشبه ذلك أو بمـا فسره قصصناهم وفى قراءه أبىّ ورسل قد قصصناهم عليك من قبـل ورسل لم نقصصهم وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب أنهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وأن معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن (رسلا مبشرين ومنذرين) الأوجـه أن ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير * (فإن قلت) كيف يكون للناس على الله حجة قبـل الرسل وهم محجوجون بمـا نصبه الله من الأدلة التى النظر فيها موصل إلى المعرفة والرسل فى أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر فى تلك الأدلة ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها (قلت) الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ماحملوه من تفصيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميما لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لمـا وجب الانتباه له * قرأ السلمى لكن الله يشهد بالتشديد (فإن قلت) الاستدراك لابدله من مستدرك فما هو فى قوله لكن الله يشهد (قلت) لمـا سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء

قوله تعالى «وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» (قال محمود ومن بدع التفاسير أن كلم من الكلم الخ) قال أحمد وإنمـا ينقل هذا التفسير عن بعض المعتزلة لإنكارهم الكلام القديم الذى هو صفة الذات إذ لا يثبتون إلا الحروف والأصوات قائمة بالأجسام لا بذات الله تعالى فيرد عليهم بجحدهم كلام النفس إبطال خصوصية موسى عليه السلام فى التكليم إذ لا يثبتونه إلا بمعنى سماعه حروفا وأصواتا قائمة ببعض الأجرام وذلك مشترك بين موسى وبين كل سامع لهذه الحروف حتى المشرك الذى قال الله فيه حتى يسمع كلام الله فيضطر المعتزلى إلى إبطال الخصوصية الموسوية بحمل التكليم على التجريح وصدق الزمخشرى وأنصف إنه لمن بدع التفاسير التى ينبو عنها الفهم ولا يبين بها إلا الوهم والله الموفق * عاد كلامه (قال محمود فإن قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل الخ) قال أحمد قاعدة المعتزلة فى التحسين والتقبيح العقليين تجرهم وتجرؤهم إلى إثبات أحكام الله تعالى بمجرد العقل وإن لم يبعث رسولا فيوجبون بعقولهم ويحرمون ويبيحون على وفق زعمهم ومما يوجبونه قبل ورود الشرع النظر فى أدلة المعرفة ولا يتوقفون على ورود الشرع الموجب فمن ثمّ يلزمون بعد خبط وتطويل أن من ترك النظر فى الأدلة قبل ورود الشرع فقد ترك واجبا استحق به التعذيب وقد قامت الحجة عليه فى الوجوب وإن لم يكن شرع وإذا تليت عليهم هذه الآية وهى قوله «رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» وقيل لهم ماهذه الآية تناديكم يامعشر القدرية أن الحجة إنمـا قدمت على الخلق بالأحكام الشرعية المؤدية إلى الجزاء بإرسال الرسل لا بمجرد العقل فمـا يقولون فيها صمت حينئذ آذانهم وغبروا فى وجه هذا النص وغيروه عمـا هو موضوع له فقالوا المراد أن الرسل تتمم حجة الله وتنبه على ماوجب قبل بعثها بالنقل كما أجاب به الزمخشرى وقريبا من هذا التعسف يقولون إذا ورد عليهم قوله تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» وربمـا يدلس على ضعفة المطالعين لهذا الفصل من كلام الزمخشرى قوله إن أدلة التوحيد والمعرفة منصوبة قبل إرسال الرسل وبذلك تقوم الحجة فتظن أن ذلك جار على سنن الصحة إذ المعرفة باتفاق والتوحيد باجماع إنمـا طريقه العقل لا النقل الذى يلبس عليه أن النظر فى أدلة التوحيد هو فعل المكلف ليس بالحكم الشرعى بل الحكم وجوب النظر والمعرفة متلقاة من العقل المحض والوجوب متلقى من النقل الصرف وبه تقوم الحجة وعليه يرتب الجزاء والله سبحانه ولى التوفيق والمعونة * قوله تعالى لكن الله يشهد بمـا أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون (قال محمود فيه إن قلت الاستدراك لابدله من مستدرك الخ) قال أحمد وروده هذا الفصل فى كلامه ممـا يغتبط به

(قوله كما ترى علماء أهل العدل) أى كما ذهب اليه المعتزلة وذلك أنهم حكموا العقل وجعلوه كافيا فى معرفة الأحكام كوجوب العدل وحرمة الظلم وقال أهل السنة لاحكم قبل الشرع والمسئلة مشهورة فى علم الأصول فالسؤال مبنى على مذهب المعتزلة

بعلمه والملٰئكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ۞ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلٰلا
بعيدا ۞ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ۞ إلا طريق جهنم خٰلدين فيها
أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ۞ يٰأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن
تكفروا فإن لله ما فى السموٰت والأرض وكان الله عليما حكيما ۞ يٰأهل الكتٰب لا تغلوا فى دينكم
ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقٰها إلى مريم وروح منه

وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله «إنا أوحينا اليك» قال لكن الله يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل إنا أوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما أنزل اليه إثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات ۞ وشهادة الملائكة شهادتهم بأنه حق وصدق (فإن قلت) بم يجابون لو قالوا بم يعلم أن الملائكة يشهدون بذلك (قلت) يجابون بأنه يعلم بشهادة الله لأنه لما علم باظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لأن شهادتهم تبع لشهادته ▪ (فإن قلت) ما معنى قوله (أنزله بعلمه) وما موقعه من الجملة التى قبله (قلت) معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذى لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه بيان للشهادة وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة وقيل أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله اليك وأنك مبلغه وقيل أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل أنه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال فى آخر سورة الجن ألا ترى إلى قوله تعالى وأحاط بما لديهم والإحاطة بمعنى العلم (وكفى بالله شهيدا) وإن لم يشهد غيره لأن التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل أى شىء أكبر شهادة قل الله (كفروا وظلموا) جمعوا بين الكفر والمعاصى أو كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لأنه لا فرق بين الفريقين فى أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة (ولا ليهديهم طريقا) لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم أو لا يهديهم يوم القيامة طريقا إلا طريقها (يسيرا) أى لا صارف له عنه (فآمنوا خيرا لكم) وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أى اقصدوا أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الإيمان والتوحيد (لا تغلوا فى دينكم) غلت اليهود فى حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى فى رفعه عن مقداره حيث جعلوه إلها (ولا تقولوا على الله إلا الحق) وهو تنزيهه عن الشريك والولد ▪ قرأ جعفر بن محمد إنما المسيح بوزن السكيت ۞ وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لأنه ذو روح وجد من غير جزء من ذى روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحى وإنما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته

۞ قوله تعالى إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم (قال محمود فيه أى جمعوا بين الكفر والمعاصى الخ) قال أحمد يعدل من الظاهر لعله يتروح الى بث طرف من العقيدة الفاسدة فى وجوب وعيد العصاة وأنهم مخلدون تخليد الكفار وقد تكرر ذلك منه وهذه الآية تنبو عن هذا المعتقد فإنه جعل الفعلين أعنى الكفر والظلم كليهما صلة للموصول المجموع فيلزم وقوع الفعلين جميعا من كل واحد من آحاده ألا تراك إذا قلت الزيدون قاموا فقد أسندت القيام إلى كل واحد

(قوله فى أنه لا يغفر لهما) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فقد تغفر الكبيرة بالشفاعة أو بمجرد الفضل
(قوله مولودا لغير رشدة) أى لزنية وفى الصحاح تقول هو لرشدة خلاف قولك لزنية

فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۞ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

خالصة ۞ ومعنى (ألقاها إلى مريم) أوصلها إليها وحصلها فيها (ثلاثة) خبر مبتدإ محذوف فإن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بأقنوم الأب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة وإلا فتقديره الآلهة ثلاثة والذى يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون فى المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم ويدل عليه قوله «إنما المسيح عيسى ابن مريم» فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتها وأن اتصاله بالله تعالى من حيث أنه رسوله وأنه موجود بأمره وابتداعه جسدا حيا من غير أب فنفى أن يتصل به اتصال الأبناء بالآباء وقوله سبحانه أن يكون له ولد وحكاية الله أوثق من حكاية غيره ۞ ومعنى (سبحانه أن يكون له ولد) سبحه تسبيحا من أن يكون له ولد وقرأ الحسن إن يكون بكسر الهمزة ورفع النون أى سبحانه مايكون له ولد على أن الكلام جملتان (له مافى السموات وما فى الأرض) بيان لتنزهه عما نسب إليه يعنى أن كل مافيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه على أن الجزء إنما يصح فى الأجسام وهو متعال عن صفات الأجسام والأعراض (وكفى بالله وكيلا) يكل إليه الخلق كلهم أمورهم فهو الغنى عنهم وهم الفقراء إليه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع إذا نحيته عن خدك بأصبعك (ولا الملائكة المقربون) ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن فى

من آحاد الجمع فكذلك لو عطفت عليه فعلا آخر لزم فيه ذلك ضرورة والله الموفق ۞ قوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون (قال محمود معناه لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة الخ) قال أحمد وقد كثر الاختلاف فى تفضيل الأنبياء على الملائكة فذهب جمهور الأشعرية إلى تفضيل الأنبياء وذهب القاضى أبو بكر منا والحليمى وجماعة المعتزلة إلى تفضيل الملائكة واتخذ المعتزلة هذه الآية عمدتهم فى تفضيل الملائكة من حيث الوجه الذى استدل به الزمخشرى ونحن بعون الله نشبع القول فى المسئلة من حيث الآية فنقول: أورد الأشعرية على الاستدلال بها أسئلة ۞ أحدها أن سيدنا محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل من عيسى عليه الصلاة والسلام فلا يلزم من كون الملائكة أفضل من المسيح أن تكون أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام وهذا السؤال إنما يتوجه إذ لم يدع مورده أن كل واحد من آحاد الأنبياء أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة وبين طائفتى هذا الطرف خلاف ۞ السؤال الثانى أن قوله ولا الملائكة المقربون صيغة جمع تتناول مجموع الملائكة فهذا يقتضى كون مجموع الملائكة أفضل من المسيح ولا يلزم أن يكون كل واحد منهم أفضل من المسيح وفى هذا السؤال أيضاً نظر لأن مورده إذا بنى على أن المسيح أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة فقد يقال يلزم القول بأنه أفضل من الكل كما أن النبى عليه الصلاة والسلام لما كان أفضل من كل واحد من آحاد الأنبياء كان أفضل من كلهم ولم يفرق بين التفضيل على التفصيل والتفضيل على الجملة أحد ممن صنف فى هذا المعنى وقد كان بعض المعاصرين يفصل بين التفضيلين وادعى أنه لا يلزم منه على التفصيل تفضيل على الجملة ولم يثبت عنه هذا القول ولو قاله أحد فهو مردود بوجه لطيف وهو أن التفضيل المراد جل أماراته رفع درجة الأفضل

طبقتهم (فإن قلت) من أين دلّ قوله ولا الملائكة المقربون على أنّ المعنى ولا من فوقه (قلت) من حيث أنّ علم المعانى لا يقتضى غير ذلك وذلك أنّ الكلام إنما سيق لردمذهب النصارى وغلوّهم فى رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب أن يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو أرفع منه درجة كأنه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود حاتم ▪ ولا البحر ذو الأمواج يلتج زاخره

لاشبهة فى أنه قصد بالبحر ذى الأمواج ماهو فوق حاتم فى الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى» حتى يعترف بالفرق البين ٭ وقرأ على رضى الله عنه عبيدالله على التصغير وروى أن

فى الجنة والأحاديث متوافرة بذلك وحينئذ لايخلو إما أن ترفع درجة واحد من المفضولين على من اتفق على أنه أفضل من كل واحد منهم أو لاترفع درجة أحد منهم عليه لاسبيل إلى الأول لأنه يلزم منه رفع المفضول على الأفضل فتعيين الثانى وهو ارتفاع درجة الأفضل على درجات المجموع ضرورة فيلزم ثبوت أفضليته على المجموع من ثبوت أفضليته على كل واحد منهم قطعاً ٭ الثالث أنه عطف الملائكة على المسيح بالواو وهى لاتقتضى ترتيباً وأما الاستشهاد بالمثال المذكور على أنّ الثانى أبداً يكون أعلى رتبة فمعارض بأمثلة لاتقتضى ذلك كقول القائل ماعابنى على هذا الأمر زيد ولا عمرو ▪ قلت وكقولك لاتؤذ مسلماً ولا ذمياً فإنّ هذا الترتيب وجه الكلام والثانى أدنى وأخفض درجة ولو ذهبت تعكس هذا فقلت لاتؤذ ذمياً ولا مسلماً ليجعل الأعلى ثانياً لخرجت عن حدّ الكلام وقانون البلاغة وهذا المثال بين مايورد فى نقض القانون المقرر ولكنّ الحقّ أولى من المراء وليس بين المثالين تعارض ونحن نمهد تمهيداً يرفع اللبس ويكشف الغطاء فنقول : النكتة فى الترتيب فى المثالين الموهوم تعارضهما واحدة وهى توجب فى مواضع تقديم الأعلى وفى مواضع تأخيره وتلك النكتة مقتضى البلاغة النائى عن التكرار والسلامة عن النزول فإذا اعتمدت ذلك فمهما أدى إلى أن يكون آخر كلامك نزولا بالنسبة إلى أوله أو يكون الآخر مندرجاً فى الأول قد أفاده وأنت مستغن عن الآخر فاعدل عن ذلك إلى مايكون ترقياً من الأدنى إلى الأعلى واستئنافا لفائدة لم يشتمل عليها الأول مثاله الآية المذكورة فإنك لو ذهبت فيها إلى أن يكون المسيح أفضل من الملائكة وأعلى رتبة لكان ذكر الملائكة بعده كالمستغنى عنه لأنه إذا كان الأفضل وهو المسيح على هذا التقدير عبداً لله غير مستنكف من العبودية لزم من ذلك أنّ من دونه فى الفضيلة أولى أن لايستنكف عن كونه عبداً لله وهم الملائكة على هذا التقدير فلم يتجدد إذاً بقوله ولا الملائكة المقربون إلا ماسلف أول الكلام وإذا قدرت المسيح مفضولا بالنسبة إلى الملائكة فإنك ترقيت من تعظيم الله تعالى بأنّ المفضول لايستنكف عن كونه عبداً له إلى أنّ الأفضل لايستنكف عن ذلك وليس يلزم من عدم استنكاف المفضول عدم استنكاف الأفضل فالحاجة داعية إلى ذكر الملائكة إذلم يستلزم الأول الآخر فصار الكلام على هذا التقدير تتجدد فوائده وتتزايد وما كان كذلك تعين أن يحمل عليه الكتاب العزيز لأنه الغاية فى البلاغة وبهذه النكتة يجب أن تقول لاتؤذ مسلماً ولا ذمياً فتؤخر الأدنى على عكس الترتيب فى الآية لأنك إذا نهيته عن إيذاء المسلم فقد يقال ذاك من خواصه احتراما للإسلام فلا يلزم من ذلك نهيه عن الكافر المسلوبة عنه هذه الخصوصية فإذا قلت ولا ذميا فقد جددت فائدة لم تكن فى الأول وترقيت من النهى عن بعض أنواع الأذى إلى النهى عن أكثر منه ولو رتبت هذا المثال كترتيب الآية فقلت لاتؤذ ذمياً فهم المنهى أن أذى المسلم أدخل فى النهى إذ يساوى الذمى فى سبب الاحترام وهو الإنسانية مثلا ويمتاز عنه بسبب أجلّ وأعظم وهو الإسلام فيقنعه هذا النهى عن تجديد نهى آخر عن أذى المسلم فإن قلت ولا مسلماً لم تجدد له فائدة ولم تعلمه غير ماعلمه أولا فقد علمت أنها نكتة واحدة توجب أحيانا تقديم الأعلى وأحيانا تأخيره ولا يميز لك ذلك إلا السياق وما أشك أن سياق الآية يقتضى تقديم الأدنى وتأخير الأعلى ومن البلاغة المرتبة على هذه النكتة قوله تعالى فلا تقل لهما أف استغناء عن نهيه عن ضربهما فمافوقه بتقديم الأدنى ولم يلق ببلاغة الكتاب العزيز أن تريد نهيا عن أعلى من التأفيف

وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأى شىء أقول قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله قال إنه ليس بعار أن يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت أى لايستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو أولى بأن يستنكف لأنّ العار ألصق به (فإن قلت) علام عطف قوله ولا الملائكة (قلت) لايخلو إمّا أن يعطف على المسيح أو على اسم يكون أو على المستتر فى عبداً لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة كقولك مررت برجل عبدأبوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لأداء غيره إلى مافيه بعض انحراف عن الغرض وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية أو أن يعبد الله هو ومن فوقه (فإن قلت) قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدالله فى هذا العطف فما وجهه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد ولا كل واحد من الملائكة أو ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عباداً لله فحذف ذلك لدلالة عبدالله عليه إيجازاً وأمّا إذا عطفتهم على الضمير فى عبداً فقد طاح هذا السؤال ٭ قرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون ٭ (فإن قلت) التفصيل غير مطابق للمفصل لأنه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد (قلت) هو مثل قولك جمع الإمام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله

والإنهار لأنه مستغنى عنه وما يحتاج المتدبر لآيات القرآن مع التأييد شاهداً سواها مافرطنا فى الكتاب من شىء ولما اقتضى الإنصاف تسليم مقتضى الآية لتفضيل الملائكة وكانت الأدلة على تفضيل الأنبياء عتيدة عند المعتقد لذلك جمع بين الآية وتلك الأدلة بحمل التفضيل فى الآية على غير محل الخلاف وذاك أن تفضيل الملائكة فى القوة وشدة البطش وسعة التمكن والاقتدار قال وهذا النوع من الفضيلة هو المناسب لسياق الآية لأنّ المقصود الرد على النصارى فى اعتقادهم ألوهية عيسى عليه السلام مستندين إلى كونه أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص وصدرت على يديه آثار عظيمة خارقة فناسب ذلك أن يقال هذا الذى صدرت على يديه هذه الخوارق لايستنكف عن عبادة الله تعالى بل من هو أكثر خوارق وأظهر آثارا كالملائكة المقربين الذين من جملتهم جبريل عليه السلام وقد بلغ من قوته وإقدار الله أن اقتلع المدائن واحتملها على ريشة من جناحه فقلب عاليها سافلها فيكون تفضيل الملائكة إذاً بهذا الاعتبار لاخلاف أنهم أقوى وأبطش وأنّ خوارقهم أكثر وإنما الخلاف فى التفضيل باعتبار مزيد الثواب والكرامات ورفع الدرجات فى دار الجزاء وليس فى الآية عليه دليل ولما كان أكثر مالبس على النصارى ألوهية عيسى كونه مخلوقا أى موجوداً من غير أب أنبأنا الله تعالى أنّ هذا الموجود من غير أب لايستنكف من عبادة الله بل ولا الملائكة المخلوقين من غير أب ولا أم فيكون تأخير ذكرهم لأنّ خلقهم أغرب من خلق عيسى ويشهد لذلك أن الله تعالى نظر عيسى بآدم عليهما السلام فنظر الغريب بالأغرب وشبه العجيب من قدرته بالأعجب إذ عيسى مخلوق من أم وآدم من غير أم ولا أب ولذلك قال «خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» ومدار هذا البحث على النكتة التى نبهت عليها فى استقام اشتمال المذكور أياما على فائدة لم يشتمل عليها الأول بأى طريق كان من تفضيل أو غيره من الفوائد فقد أسند النظر وطابق صيغة الآية والله أعلم وعلى الجملة فالمسألة سمعية والقطع فيها معروف بالنص الذى لايحتمل تأويلا ووجوده عسر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما أحسن تأكيد الزمخشرى لاستدلاله ببعث الملائكة المعنيين بأنهم المقربون ومن ثم ينشى ظهور من فصل القول فى الملائكة والأنبياء فلم يعمم التفضيل فى الملائكة ولا فى الأنبياء بل فضل ثم فصل وليس الغرض إلا ذكر محامل الآية لا البحث فى اختلاف المذاهب والله الموفق ٭ قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الى قوله ولايجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (قال إن قلت التفصيل غير مطابق للمفصل الخ) قال أحمد المراد بالمفصل من لم يستنكف ومن استنكف لسبق ذكرهما ألا ترى أنّ المسيح والملائكة المقربين ومن دونهم من عباد الله لم يستنكفوا عن عبادة الله وقد جرى ذكرهم ويرشد إليه تأكيد الضمير بقوله جميعاً فكأنه قال فسيحشر إليه المقربين وغيرهم جميعاً ووقوع الفعل المتصل به الضمير جزاء لقوله ومن يستنكف لايعين اختصاص الضمير بالمستنكفين لأنّ المصحح لارتباط الكلام قد وجد مندرجا فى طىّ هذا الضمير الشامل لهم ولغيرهم وحينئذ يكون المفصل مشتملا على الفريقين وتفصيله منطبق عليه والله أعلم

فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ﴿ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين

ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما أن يحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثانى كما حذف أحدهما فى التفصيل فى قوله عقيب هذا (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) والثانى وهو أن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا فى جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله ﴿ البرهان والنور المبين : القرآن أو أراد بالبرهان دين الحق أو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز (فى رحمة منه وفضل) فى ثواب مستحق وتفضل (ويهديهم إليه) إلى عبادته (صراطا مستقيما) وهو طريق الإسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم ﴿ روى أنه آخر ما نزل من الأحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال إن لى أختا فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنى كلالة فكيف أصنع فى مالى فنزلت (إن امرؤ هلك) ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل (ليس له ولد) الرفع على الصفة لا النصب على الحال أى إن هلك امرؤ غير ذى ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز إيقاعه على الذكر وعلى الأنثى لأن الابن يسقط الأخت ولا تسقطها البنت إلا فى مذهب ابن عباس وبالأخت التى هى لأب وأم دون التى لأم لأن الله تعالى فرض لها النصف وجعل أخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الأنثيين وأما الأخت لأم فلها السدس فى آية المواريث مسوى بينها وبين أخيها (وهو يرثها) وأخوها يرثها إن قدر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها (إن لم يكن لها ولد) أى ابن لأن الابن يسقط الأخ دون البنت (فإن قلت) الابن يسقط الأخ وحده فإن الأب نظيره فى الإسقاط فلم اقتصر على نفى الولد (قلت) بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة وهو قوله عليه السلام «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى عصبة ذكر» والأب أولى من الأخ وليسا بأول حكمين بين أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز أن يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لأن الولد أقرب إلى الميت من الوالد فإذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب فأولى أن يرث عند انتفاء الأبعد ولأن الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعاً فكان ذكر انتفاء أحدهما دالا على انتفاء الآخر ﴿ (فإن قلت) إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع فى قوله (فإن كانتا اثنتين) وإن كانوا إخوة (قلت) أصله فإن كان من يرث بالأخوة اثنتين وإن كان من يرث بالأخوة ذكوراً وإناثا وإنما قيل فإن كانتا وإن كانوا كما قيل من كانت أمك فكما أنت ضمير من لمكان

﴿ قوله تعالى فإن كانتا اثنتين فلهما الثلث مما ترك (قال إن قلت إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع الخ) قال أحمد وقد سبق له هذا التمثيل فى مثل هذا الموضع ولو مثل بقول القائل حصان كانت دابتك لكان أسلم إذ فى لفظ من الإبهام ما يسوغ وقوعها على الأصناف المختلفة من مذكر ومؤنث وتثنية وجمع ومثل الآية سواء قوله تعالى ﴿ يحسبون

(قوله روى أنه آخر ما نزل من الأحكام) أى أن قوله تعالى يستفتونك الخ

يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٭

سورة المائدة مدنية

إلا آية ٣ فنزلت بعرفات فى حجة الوداع وآياتها ١٢٠ نزلت بعد الفتح

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ٭ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ٭ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ

تأنيث الخبر كذلك ثنى وجمع ضمير من يرث فى كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه ٭ والمراد بالإخوة الإخوة والأخوات تغليباً لحكم الذكورة (أن تضلوا) مفعول له ومعناه كراهة أن تضلوا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطى من الأجر كمن اشترى محرراً وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

﴿سورة المائدة مدنية وهى مائة وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ٭ يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه والموفون بعهدهم ٭ والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم ٭ شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهى عقود الله التى عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف وقيل هى مايعقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر أنها عقود الله عليهم فى دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله (أحلت لكم) وما بعده ٭ البهيمة كل ذات أربع فى البر والبحر وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهى الإضافة التى بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام (إلا مايتلى عليكم) إلا محرم مايتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة أو إلا مايتلى عليكم آية تحريمه ٭ والأنعام الأزواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا مايماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم فى الاجترار وعدم الأنياب فأضيفت إلى الأنعام لملابسة الشبه (غير محلى الصيد) نصب على الحال من الضمير فى لكم أى أحلت لكم هذه الأشياء لامحلين الصيد وعن الأخفش أن انتصابه عن قوله أوفوا بالعقود وقوله (وأنتم حرم) حال عن محلى الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الأنعام فى حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا تحرج عليكم (إن الله يحكم مايريد) من الأحكام ويعلم أنه حكمة ومصلحة ٭ والحرم جمع حرام وهو المحرم ٭ الشعائر جمع شعيرة وهى اسم ماأشعر أى جعل شعاراً وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التى هى

كل صيحة عليهم هم العدو» فيمن جعل الجملة مفعولا ثانياً للحسبان فإن أصل الكلام هى العدو إذ الضمير على هذا الإعراب للصيحة ولكنه ذكره وجمعه لمكان الخبر والله أعلم

﴿القول فى سورة المائدة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود (قال المصنف يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه الموفون بعهدهم) قال أحمد ورد فى الكتاب العزيز وفى بالتضعيف فى قوله تعالى «وإبراهيم الذى وفى» وورود أوفى كثير ومنه «أوفوا بالعقود» وأما وفى ثلاثيا فلم يرد إلا فى قوله تعالى «ومن أوفى بعهده من الله» لأنه بنى أفعل من التفضيل وفى إذ لايبنى إلا من ثلاثى

وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ

علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعى والحلق والنحر ۞ والشهر الحرام شهر الحج ۞ والهدى ماأهدى إلى البيت وتقرب به إلى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدى فى جمع جدية السرج ۞ والقلائد جمع قلادة وهى ماقلد به الهدى من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره ۞ وآموا المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار ۞ وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدثوا فى أشهر الحج مايصدون به الناس عن الحج وأن يتعرض للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد ففيها وجهان أحدهما أن يراد بها ذوات القلائد من الهدى وهى البدن وتعطف على الهدى للاختصاص وزيادة التوصية بها لأنها أشرف الهدى كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا والثانى أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى على معنى ولاتحلوا قلائدها فضلا أن تحلوها كما قال ولايبدين زينتهن فنهى عن إبداء الزينة مبالغة فى النهى عن إبداء مواقعها (ولا آمين) ولاتحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام (يبتغون فضلا من ربهم) وهو الثواب (ورضوانا) وأن يرضى عنهم أى لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا أن يتعرض لمثلهم قيل هى محكمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن أبى ميسرة فيها ثمانى عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هى منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحدا عن حج البيت بقوله لاتحلوا ثم نزل بعد ذلك إنما المشركون نجس ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبى لاتحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم ۞ وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون فى أنفسهم أنهم على سداد من دينهم وأن الحج يقربهم إلى الله فوصفهم الله بظنهم ۞ وقرأ عبد الله ولا آمى البيت الحرام على الإضافة ۞ وقرأ حميد بن قيس والأعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين (فاصطادوا) إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل وإذا حللتم فلاجناح عليكم أن تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء ۞ وقرئ وإذا أحللتم يقال حل المحرم وأحل ۞ جرم يجرى مجرى كسب فى تعديه إلى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته إياه ويقال أجرمته ذنبا على نقل المتعدى إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين كقولهم أكسبته ذنبا وعليه قراءة عبدالله ولايجرمنكم بضم الياء وأول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثانى أن تعتدوا (وأن صدوكم) بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض ۞ وقرئ بسكون النون والمعنى ولايكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء ولايحملنكم عليه ۞ وقرئ إن صدوكم على إن الشرطية وفى قراءة عبد الله إن يصدوكم ومعنى صدهم إياكم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بإلحاق مكروه بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والإغضاء (ولاتعاونوا على الإثم والعدوان) على الانتقام والتشفى ويجوز أن

﴿ســـورة المائدة﴾

(قوله يقال جدى فى جمع جدية السرج) فى الصحاح الجدية بتسكين الدال شىء محشو يجعل تحت دفتى السرج والرحل والجمع جدى وجديات (قوله أو لحاء شجر) أى قشر اه

لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ

يراد العموم لكل برّ وتقوى وكل إثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار * كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة التى تموت حتف أنفها والفصيد وهوالدم فى المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزدله (وماأهل لغير اللهبه) أى رفع الصوت به لغيرالله وهو قولهم باسم اللات والعزى عندذبحه (والمنخنقة) التى خنقوها حتى ماتت أوانخنقت بسبب (والموقوذة) التى أثخنوها ضربا بعصا أوحجر حتى ماتت (والمتردية) التى تردت من جبل أوفى بئر فماتت (والنطيحة) التى نطحتها أخرى فماتت بالنطح (وماأكل السبع) بعضه (إلاماذكيتم) إلاما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه * وقرأ عبد الله والمنطوحة وفى رواية عن أبى عمرو السبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس وأكيل السبع (وماذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به إليها تسمى الأنصاب والنصب واحد قال الأعشى

وذا النصب المنصوب لاتعبدنه * لعاقبة والله ربك فاعبدا

وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد (وأن تستقسموا بالأزلام) وحرّم عليكم الاستقسام بالأزلام أى بالقداح كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحا أو أمراً من معاظم الأمور ضرب بالقداح وهى مكتوب على بعضها نهانى ربى وعلى بعضها أمرنى ربى وبعضها غفل فإن خرج الآمر مضى لطيته وإن خرج الناهى أمسك وإن خرج الغفل أجالها عوداً فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ماقسم له مما لم يقسم له بالأزلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة (ذلكم فسق) الإشارة إلى الاستقسام أو إلى تناول ماحرّم عليهم لأنّ المعنى حرّم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا (فإن قلت) لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام لتعرف الحال فسقاً (قلت) لأنه دخول فى علم الغيب الذى استأثر به علام الغيوب وقال لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله واعتقاد أنّ إليه طريقاً وإلى استنباطه وقوله أمرنى ربى ونهانى ربى افتراء على الله وما يدريه أنه أمره أونهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وإن كان أراد بالرب الصنم فقد روى أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم فأمره ظاهر (اليوم) لم يرد به يوماً بعينه وإنما أراد به الزمان الحاضر ومايتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالأمس شابا وأنت اليوم أشيب فلاتريد بالأمس اليوم الذى قبل يومك ولاباليوم يومك ونحوه الآن فى قوله

الآن لما ابيضّ مسربتى * وعضضت من نابى على جذم

وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) يئسوا منه أن يبطلوه وأن ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ماحرّمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأنّ الله عزّ وجل وفى بوعده من إظهاره على الدين كله (فلا تخشوهم) بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين (واخشونى) وأخلصوا لى الخشية (أكملت لكم دينكم) كفيتكم أمر

(قوله وهو الدم فى المباعر) المباعر الأمعاء يجعل فيها الدم بعد فصده ويشوى للضيف وقولهم لم يحرم الخ جارى مجرى الأمثال وفزد مبنى للمجهول أصله فصد فسكنت صاده تخفيفا ثم قلبت زايا انتهى

(قوله فإن خرج الآمر مضى لطيته) بكسر الطاء أى لنيته التى انتواها أفاده الصحاح (قوله وإلى استنباطه) لعله وإلى استنباطه سبيلا خطأ وضلال وقوله الخ (قوله من نابى على جذم) فى الصحاح الجذم بالكسر أصل الشىء

لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَـٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

عدوّكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا مانريد إذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم ومباغيهم أو أكملت لكم ماتحتاجون إليه فى تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد (وأتممت عليكم نعمتى) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحجّ معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان أو أتممت نعمتى عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى بذلك لأنه لانعمة أتمّ من نعمة الإسلام (ورضيت لكم الإسلام دينا) يعنى اخترته لكم من بين الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضى وحده ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه إن هذه أمتكم أمة واحدة ۞ (فإن قلت) بم اتصل قوله (فمن اضطر) (قلت) بذكر المحرّمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذلك مابعده لأنّ تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها (فى مخمصة) فى مجاعة (غير متجانف لاثم) غير منحرف إليه كقوله غير باغ ولا عاد (فإنّ الله غفور) لا يؤاخذه بذلك ۞ فى السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده (ماذا أحلّ لهم) كأنه قيل يقولون لك ماذا أحلّ لهم وإنما لم يقل ماذا أحلّ لنا حكاية لما قالوه لأنّ يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول أقسم زيد ليفعلنّ ولو قيل لأفعلنّ وأحلّ لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ وأحلّ لهم خبره كقولك أى شىء أحلّ لهم ومعناه ماذا أحلّ لهم من المطاعم كأنهم حين تلا عليهم ما حرّم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحلّ لهم منها فقيل (أحلّ لكم الطيبات) أى ماليس بخبيث منها وهو كل مالم يأت تحريمه فى كتاب أو سنة أو قياس مجتهد (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات أى أحلّ لكم الطيبات وصيد ماعلمتم فحذف المضاف أو تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازى والشاهين ۞ والمكلب مؤدّب الجوارح ومضرّيها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لأنّ التأديب أكثر ما يكون فى الكلاب فاشتقّ من لفظه لكثرته فى جنسه أو لأنّ السبع يسمى كلباً ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله الأسد أو من الكلب الذى هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا إذا كان ضاريا به وانتصاب (مكلبين) على الحال من علمتم (فإن قلت) مافائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم (قلت) فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح تحريراً فى علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب و (تعلمونهنّ) حال ثانية أو استئناف وفيه فائدة جليلة وهى أن على كلّ آخذ علماً أن لا يأخذه إلا من أقتل أهله علماً وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل فكم من آخذ عن غيره متقن قد ضيع أيامه وعضّ عند لقاء النحارير أنامله (مما علمكم الله) من التكليب لأنه إلهام من الله ومكتسب بالعقل أو مما عرفكم أن تعلموه من أتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه ۞ وقرئ مكلبين بالتخفيف وأفعل وفعل يشتركان كثيرا ۞ والإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدىّ بن

۞ قوله تعالى « وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهنّ مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم » الآية (قال محمود رحمه الله تعالى وماعلمتم عطفاً على الطيبات الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى ولقد أحسن فى التنبيه على هذا السر الخفىّ غير أنّ الحال بأصالتها منتقلة غير لازمة ومقتضى هذا التقرير جعلها من الصفات اللازمة لمعلم الجوارح الثابتة له عاد كلامه (قال وفى قوله تعلمونهنّ مما علمكم الله فائدة جليلة الخ) قال أحمد وفى الآية دليل على أنّ البهائم لها علم لأنّ تعليمها

سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الْمُؤْمِنَٰتِ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى الْءَاخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ

حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وعن على رضى الله عنه إذا أكل البازى فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا فى سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه فى سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلا ولم يفرق بين إمساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن أبى وقاص وأبى هريرة رضى الله عنهم إذا أكل الكلب ثلثيه وبقى ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل (فإن قلت) إلام رجع الضمير فى قوله (واذكروا اسم الله عليه) (قلت) إما أن يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته أو إلى ما علمتم من الجوارح أى سموا عليه عند إرساله (طعام الذين أوتوا الكتاب) قيل هو ذبائحهم وقيل هو جميع مطاعمهم ويستوى فى ذلك جميع النصارى وعن على رضى الله عنه أنه استثنى نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر وبه أخذ الشافعى وعن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبى حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سنّ بهم سنة أهل الكتاب فى أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روى عن ابن المسيب أنه قال إذا كان المسلم مريضا فأمر المجوسى أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور وإن أمره بذلك فى الصحة فلا بأس وقد أساء (وطعامكم حلّ لهم) فلا عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم (المحصنات) الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والإماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن وأما الإماء الكتابيات فعند أبى حنيفة هنّ كالمسلمات وخالفه الشافعى وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ويقول لا أعلم شركا أعظم من قولها إن ربها عيسى وعن عطاء قد أكثر الله المسلمات وإنما رخص لهم يومئذ (محصنين) أعفاء (ولا متخذى أخدان) صدائق والخدن يقع على الذكر والأنثى (ومن يكفر بالإيمان) بشرائع الإسلام وما أحلّ الله وحرّم (إذا قمتم إلى الصلاة) كقوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك إذا ضربت غلامك فهوّن عليه فى أن المراد

معناه لغة تحصيلى العلم لها بطرقه خلافا لمنكرى ذلك قوله تعالى «وطعام الذين أوتو الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم» (قال معناه فلا عليكم أن تطعموهم الخ) قال أحمد وقد يستدل بهذه الآية من يرى الكفار مخاطبين بفروع الشريعة لأن التحليل حكم وقد علقه بهم فى قوله وطعامكم حلّ لهم كما علق الحكم المؤمنين وهذه الآية أبين فى الاستدلال بها من قوله لاهنّ حلّ لهم ولا هم يحلون لهنّ فإن لقائل أن يقول فى تلك الآية نفى الحكم ليس بحكم ولا يستطيع ذلك فى آية المائدة هذه لأن الحكم فيها مثبت والله أعلم ولما استشعر الزمخشرى دلالتها على ذلك وهو من القائلين بأن الكفار يستحيل خطابهم بفروع الشريعة أسلف تأويلها بصرف الخطاب إلى المؤمنين أى لاجناح عليكم أيها المسلمون أن تطعموا أهل الكتاب كما رأيته فى كلامه أيضا ۞ قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة الآية (قال قوله إذا قمتم كقوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله الخ) قال أحمد هذا الكلام يستقيم وروده من السنى كما يستقيم من المعتزلى

وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ

إرادة الفعل (فإن قلت) لم جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل (قلت) لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له وهو قصده إليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل فى قولهم الإنسان لايطير والأعمى لايبصر أى لايقدران على الطيران والإبصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين يعنى إنا كنا قادرين على الإعادة كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولإيجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ الذى هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذى هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم إلى الصلاة قصدتموها لأن من توجه إلى شىء وقام إليه كان قاصداً له لامحالة فعبر عن القصد له بالقيام إليه (فإن قلت) ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة محدث وغير محدث فما وجهه (قلت) يحتمل أن يكون الأمر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وأن يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده أنهم كانوا يتوضئون لكل صلاة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام أنه كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته ياعمر يعنى بيانا للجواز (فإن قلت) هل يجوز أن يكون الأمر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الإيجاب ولهؤلاء على وجه الندب (قلت) لالأن تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الإلغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول مافرض ثم نسخ ﴿ إلى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها فى الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة إلى ميسرة لأن الإعسار علة الإنظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منتظرا فى كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم أتموا الصيام إلى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لوقوع العلم بأنه لايسرى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله (إلى المرافق) وإلى الكعبين لادليل فيه على أحد الأمرين فأخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها فى الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يدير الماء على مرفقيه (وامسحوا برؤسكم) المراد إلصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد أخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية وأخذ الشافعى باليقين فأوجب أقل مايقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ماروى أنه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس ﴿ قرأ جماعة وأرجلكم بالنصب فدل على أن الأرجل مغسولة

لأنا نقول الفعل يوجد بقدرة العبد ملتبسابها ومقارنا لها والمعتزلى يقوله ويعنى مخلوقا بها وناشئاً عن تأثيرها فالعبارة مستعملة فى المذهبين ولكن باختلاف المعنى والله الموفق . عاد كلامه (قال فإن قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الخ) قال أحمد الزمخشرى أنكر أن يراد بالمشترك كل واحد من معانيه على الجمع وقد سبق له إنكار ذلك ومن جوز إرادة جميع المحامل أجاز ذلك فى الآية ومن المجوزين لذلك الشافعى رحمه الله تعالى وناهيك بإمام الفن وقدوته . هذا إذا وقع البناء على أن صيغة أفعل مشتركة بين الوجوب والندب صح تناولها فى الآية للفريقين المحدثين والمتطهرين وتناولها للمتطهرين من حيث الندب والله أعلم ﴿ قوله تعالى وامسحوا برؤسكم وأرجلكم (قال فيه قرأ جماعة وأرجلكم بالنصب الخ) قال أحمد ولم يوجه الجر بما يشفى الغليل والوجه فيه أن الغسل والمسح متقاربان من حيث أن كل واحد منهما إمساس

أو لٰمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ۝ واذكروا نعمة الله عليكم وميثٰقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور ۝ يٰأيها الذين ءامنوا كونوا قوٰمين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا

(فإن قلت) فما تصنع بقراءة الجر ودخولها فى حكم المسح (قلت) الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهى عنه فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب الماء عليها وقيل (إلى الكعبين) فجىء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية فى الشريعة وعن على رضى الله عنه أنه أشرف على فتية من قريش فرأى فى وضوئهم تجوزا فقال ويل للأعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال ويل للأعقاب من النار وفى رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر أنه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فأمره أن يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضى الله عنها لأن تقطعا أحب إلىّ من أن أمسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس إلى ظاهر العطف فأوجب المسح وعن الحسن أنه جمع بين الأمرين وعن الشعبى نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وأرجلكم بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة إلى الكعبين ۝ وقرئ فاطهروا أى فطهروا أبدانكم وكذلك ليطهركم ۝ وفى قراءة عبد الله فأموا صعيدا (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) فى باب الطهارة حتى لا يرخص لكم فى التيمم (ولكن يريد ليطهركم) بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء (وليتم نعمته عليكم) وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته فيثيبكم (واذكروا نعمة الله عليكم) وهى نعمة الإسلام (وميثاقه الذى واثقكم به) أى عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذى أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقالوا وقالوا سمعنا وأطعنا . وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفى بيعة الرضوان ۝ عدّى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدّى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن يكون قوله أن تعتدوا بمعنى على أن تعتدوا الخذف مع أن ونحوه قوله عليه السلام من اتبع على ملىء فليتبع لأنه بمعنى أحيل ۝ وقرئ شنآن بالسكون ونظيره فى المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا بما فى قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك (اعدلوا هو أقرب للتقوى) نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء

بالعضو فيسهل عطف المغسول على الممسوح من ثم كقوله متقلدا سيفا ورمحا و علفتها تبنا وماء باردا ونظائره كثيرة وبهذا وجه الحذاق ثم يقال ما فائدة هذا التشريك بعلة التقارب وهلا أسند إلى كل واحد منها الفعل الخاص به على الحقيقة فيقال فائدته الإيجاز والاختصار وتوكيد الفائدة بما ذكره الزمخشرى وتحقيقه أن الأصل أن يقال مثلا واغسلوا أرجلكم غسلا خفيفا لا إسراف فيه كما هو المعتاد فاختصرت هذه المقاصد بإشراك الأرجل مع الممسوح ونبه بهذا التشريك الذى لا يكون إلا فى الفعل الواحد أو الفعلين المتقاربين جدا على أن الغسل المطلوب فى الأرجل غسل خفيف يقارب المسح وحسن إدراجه معه تحت صيغة واحدة وهذا تقرير كامل لهذا المقصود والله أعلم

(قوله وتتشفوا بما فى قلوبكم) لعله مما

أَللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى

على ترك العدل ثم استأنف فصرّح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله هو أقرب للتقوى أى العدل أقرب إلى التقوى وأدخل فى مناسبتها أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفافيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه (لهم مغفرة وأجر عظيم) بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كأنه قال قدم لهم وعداً فقيل أىّ شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم أويكون على إرادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة أو على إجراء وعد مجرى قال لأنه ضرب من القول أو يجعل وعد واقعاً على الجملة التى هى لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول وإذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والأجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول الى الثواب ۞ روى أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان فى غزوة ذى أنمار فلما صلوا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلاة هى أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا بأن يوقعوا بهم إذا قاموا اليها فنزل جبريل بصلاة الخوف وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى قريظة ومعه الشيخان وعلىّ رضى الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم ياأبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه فى صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحا عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس فى العضاه يستظلون بها فعلق رسول صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجاء أعرابى فسلّ سيف رسول الله ﷺ ثم أقبل عليه فقال من يمنعك منى قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابى السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فأخبرهم وأبى أن يعاقب يقال بسط اليه لسانه إذا شتمه وبسط اليه يده إذا بطش به ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به ألا ترى إلى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى (فكف أيديهم عنكم) فمنعها أن تمد إليكم ۞ لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم إنى كتبتها لكم دارا قرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها وإنى ناصركم وأمر موسى عليه السلام بأن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بنى إسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذى ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لأنه يتعرفها (إنى معكم) أى ناصركم ومعينكم (عزرتموهم) نصرتموهم

(قوله فشام الأعرابى السيف) فى الصحاح شمت السيف أغمدته وشمته سللته وهو من الأضداد.

مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ ۞ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَـٰرَىٰ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۞

ومنعتموهم من أيدى العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل إذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لأنصرنك نصرا مؤزرا أى قويا وقيل معناه ولقد أخذنا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد وبعثنا منهم اثنى عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ۞ واللام فى لئن أقمتم موطئة للقسم وفى (لأكفرن) جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا (بعد ذلك) بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم (فإن قلت) من كفر قبل ذلك أيضا فقد ضل سواء السبيل (قلت) أجل ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم لأن الكفر إنما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فإذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى (لعناهم) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) خذلناهم ومنعناهم الألطاف حتى قست قلوبهم أو أملينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله قسية أى ردية مغشوشة من قولهم درهم قسى وهو من القسوة لأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسى والقاسح بالحاء أخوان فى الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع (يحرفون الكلم) بيان لقسوة قلوبهم لأنه لاقسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة يعنى أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته (ولاتزال تطلع) أى هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وأن يسموك (على خائنة) على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل رواية للشعر للمبالغة قال   حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن ۞ للغدر خائنة مغل الأصبع
وقرئ على خيانة (منهم إلا قليلا منهم) وهم الذين آمنوا منهم (فاعف عنهم) بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (أخذنا ميثاقهم) أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى أى مثل ميثاقهم بالإيمان بالله والرسل وبأفعال الخير أو أخذنا من النصارى ميثاق أنفسهم بذلك (فإن قلت) فهلا قيل من النصارى (قلت) لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصارا للشيطان (فأغرينا) فألصقنا وألزمنا من غرى بالشىء

۞ قوله تعالى ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم الآية (قال محمود فإن قلت فهلا قيل من النصارى الخ) قال أحمد وبقيت نكتة فى تخصيص هذا الموضع بإسناد النصرانية إلى دعواهم ولم يتفق ذلك فى غيره ألا ترى إلى قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه فالوجه فى ذلك والله أعلم أنه لما كان المقصود فى هذه الآية ذمهم

(قوله وبيان نعمته) لعله من تحريف الناسخ والأصل وبيان نعته (قوله ولم تكن للغدر خائنة مغل) فى الصحاح أغل الرجل خان ويروى مضل (قوله وملكانية أنصارا للشيطان) فى الخازن فرقة رابعة وهى المرقوسية اه

يَـٰأَهْلَ الْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ

إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره ومنه الغراء الذى يلصق به (بينهم) بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض (يا أهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى مما كنتم تخفون) من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم (ويعفوا عن كثير) مما تخفونه لا يبينه إذا لم تضطر إليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة إلا اقتضاء حكم وصفته مما لابد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه إحياء شريعة وإماتة بدعة وعن الحسن ويعفوا عن كثير منكم لا يؤاخذه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولإبانته ما كان خافياً عن الناس من الحق أو لأنه ظاهر الإعجاز (من اتبع رضوانه) من آمن به (سبل السلام) طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله ۞ قولهم (إن الله هو المسيح) معناه بتّ القول على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان فى النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرّحوا به ولكن مذهبهم يؤدى إليه حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيى ويميت ويدبر أمر العالم (فمن يملك من الله شيئا) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا (إن أراد أن يهلك) من دعوه إلها من المسيح وأمه دلالة على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وأراد بعطف من فى الأرض على المسيح وأمه أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم فى البشرية (يخلق ما يشاء) أى يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك فيجب أن ينسب إليه ولا ينسب إلى البشر المجرى على يده (أبناء الله) أشياع ابنى الله عزير والمسيح كما قيل لأشياع أبى خبيب وهو عبدالله بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أنبياء الله ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم (فلم يعذبكم بذنوبكم) فإن صحّ أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار أياما معدودات على زعمكم ولو كنتم أبناء الله لكنتم من جنس الأب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم أحباءه لما عصيتموه

بنقض الميثاق المأخوذ عليهم فى نصرة الله تعالى ناسب ذلك أن يصدر الكلام بما يدل على أنهم لم ينصروا الله ولم يفوا بما واثقوا عليه من النصرة وما كان حاصل أمرهم إلا التفوه بدعوى النصرة وقولها دون فعلها والله أعلم ۞ قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه الآية (قال محمود معنى قولهم أبناء الله أشياع ابنى الله عزير الخ) قال أحمد ومنه قول الملائكة لأنهم خواص عباد الله «إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم» إلى قوله «إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين» فأضافوا التقدير إليهم وفى الحقيقة المقدر الله وكذلك قول الدابة لأنها من

(قوله إلا اقتضاء حكم وصفته) لعلّ هنا سقطاً أو تحريفاً أوجب خفاء المعنى فليحرّر (قوله كما خلق عيسى) فى النسفى ويخلق من ذكر من غير أنثى كما خلق حواء من آدم

وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۞ يَـٰٓأَهْلَ الْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَـٰقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَـٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَـٰلَمِينَ ۞ يَـٰقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَـٰسِرِينَ ۞ قَالُوا يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا

ولما عاقبكم (بل أنتم بشر) من جملة من خلق من البشر (يغفر لمن يشاء) وهم أهل الطاعة (ويعذب من يشاء) وهم العصاة (يبين لكم) إما أن يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ماورد الرسول لتبيينه أو يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره أو لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال أى مبيناً لكم و(على فترة) متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحى (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف أى لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل أربعمائة ونيف وستون وعن الكلبى كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبى وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم أربعة أنبياء ثلاث من بنى إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى والمعنى الامتنان عليهم وأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحى أحوج ما يكون إليه ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وفتح باب إلى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غداً بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم عن غفلتهم (جعل فيكم أنبياء) لأنه لم يبعث فى أمة مابعث فى بنى إسرائيل من الأنبياء (وجعلكم ملوكا) لأنه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء وقيل كانوا مملوكين فى أيدى القبط فأنقذهم الله فسمى إنقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق (مالم يؤت أحداً من العالمين) من فلق البحر وإغراق العدو وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك من الأمور العظام وقيل أراد عالمى زمانهم (الأرض المقدسة) يعنى أرض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الأردن وقيل

خواص آيات الله «إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون» فيمن جعله من قول الدابة والله أعلم ۞ قوله تعالى «بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء» (قال محمود يعنى أهل الطاعة ويعذب من يشاء قال يعنى العصاة) قال أحمد رحمه الله بل مشيئة الله تعالى تسع التائب المنيب والعاصى المصر إذا كان موحداً والزمخشرى أخرج هذا التفسير على قاعدته المتكررة فى غير ماموضع وهى القطع بوعيد العصاة المصرين الموحدين وأن لهم المغفرة محال ۞ قوله تعالى «وإذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين» (قال محمود لم يبعث فى أمة مابعث فى بنى إسرائيل من الأنبياء الخ) قال أحمد والحامل على تفسير الملك بهذه التفاسير أن الله تعالى أنبأ فى ظاهر الكلام أنه جعل الجميع ملوكا بقوله وجعلكم ملوكا ولم يقل وجعل فيكم ملوكا كما قال جعل فيكم أنبياء فلما عمم الملك فيهم ولا شك أن الملك المعهود هو الاستيلاء العام لم يثبت لكل أحد منهم فيتعين حمل الملك على ما كان ثابتاً لجميعهم أو لأكثرهم من الأبعاض المذكورة هذا هو الباعث على تفسير الملك بذلك والله أعلم وهذا المعنى وإن لم يثبت لكل واحد منهم إلا أنه كان ثابتاً لملوكهم وهم منهم إذ إسرائيل الأب الأقرب يجمعهم فلما كانت ملوكهم منهم وهم أقرباؤهم وأشياعهم وملتبسون بهم جاز الامتنان عليهم بهذه الصنيعة والمعنى مفهوم وهذا بعينه هو التقرير السالف آنفاً فى قول اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه وما بالعهد من قدم (فإن قلت) فلم لم يقل إذ جعلكم أنبياء لأن الأنبياء منهم كما قلت فى الملوك (قلت) النبوة مزية غير الملك وآحاد الناس يشارك الملك فى كثير مما به صار الملك ملكا ولا

قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي

سماها الله لإبراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ماأدرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين (كتب الله لكم) قسمها لكم وسماها أوخط فى اللوح المحفوظ أنها لكم (ولا ترتدوا على أدباركم) ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبناً وهلعاً وقيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا رأساً ينصرف بنا إلى مصر ويجوز أن يراد لاترتدوا على أدباركم فى دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم ۞ فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة ۞ الجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على مايريد (قال رجلان) هما كالب ويوشع (من الذين يخافون) من الذين يخافون الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين ويجوز أن تكون الواو لبنى إسرائيل والراجع إلى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم (أنعم الله عليهما) بالإيمان فآمنا قالا لهم إن العمالقة أجسام لاقلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا إليهم فإنكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك أنعم الله عليهما كأنه قيل من المخوفين وقيل هو من الإخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة أو يخوفهم وعيد الله بالعقاب (فإن قلت) مامحل أنعم الله عليهما (قلت) إن انتظم مع قوله من الذين يخافون فى حكم الوصف لرجلان فمرفوع وإن جعل كلاما معترضاً فلا محل له ۞ (فإن قلت) من أين علما أنهم غالبون (قلت) من جهة إخبار موسى بذلك وقوله تعالى «كتب الله لكم» وقيل من جهة غلبة الظن وما تبينا من عادة الله فى نصرة رسله وماعهدا من صنع الله لموسى فى قهر أعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم (لن ندخلها) نفى لدخولهم فى المستقبل على وجه التأكيد المؤيس و (أبدا) تعليق للنفى المؤكد بالدهر المتطاول و (ما داموا فيها) بيان للأبد (فاذهب أنت وربك) يحتمل أن لايقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبنى تريد معنى الإرادة والقصد للجواب كأنهم قالوا أريدا قتالهم والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التى عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله عز وجل جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى أن موسى وهرون عليهما السلام خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم فى قوله تعالى «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا» لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ماقالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هرون (قال رب إنى لاأملك) لنصرة دينك (إلا نفسى وأخى) وهذا من

كذلك النبوة فإن درجتها أرفع من أن يشرك من لم تثبت له مع الثابتة نبوته فى مزيتها وخصوصيتها ونعتها فهذا هو سر تمييز الأنبياء وتعميم الملوك والله أعلم ۞ قوله تعالى «قالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها» إلى قوله «فاذهب أنت وربك فقاتلا إناهٰهنا قاعدون» (قال محمود يحتمل أن لايقصدوا حقيقة الذهاب ولكن الخ) قال أحمد رحمه الله يريد الزمخشرى سألوا رؤية الله جهرة وهى محال عقلا تعنتاً منهم وقد مرله ذلك وبينا أن تلبسهم بذلك كان لعدم فهم الإيمان به على التعيين اقتراحا وتقاعساً عن الحق فى قوله «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» ۞ عاد كلامه (قال محمود «قال رب إنى لاأملك إلا نفسى» لنصرة دينك الخ) قال أحمد وفى قول موسى عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء لنبينا عليه الصلاة والسلام إنى جربت

البث والحزن والشكوى إلى الله والحسرة ورقة القلب التى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وعن على رضى الله عنه أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة إلى قتال البغاة فما أجابه إلا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال أين تقعان مما أريد وذكر فى إعراب أخى وجوه أن يكون منصوبا عطفا على نفسى أو على الضمير فى إنى بمعنى ولا أملك إلا نفسى وإن أخى لا يملك إلا نفسه ومرفوعا عطفاً على محل إن واسمها كأنه قيل أنا لا أملك إلا نفسى وهرون كذلك لا يملك إلا نفسه أو على الضمير فى لا أملك وجاز للفصل ومجروراً عطفا على الضمير فى نفسى وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور إلا بتكرير الجار (فإن قلت) أما كان معه الرجلان المذكوران (قلت) كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم فلم يذكر إلا النبى المعصوم الذى لا شبهة فى أمره ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عند ماسمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز أن يريد ومن يؤاخينى على دينى (فافرق) فافصل (بيننا) وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو فى معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فإنها محرمة عليهم على وجه التسبيب أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجنى من القوم الظالمين (فإنها) فإن الأرض المقدسة (محرمة عليهم) لا يدخلونها ولا يملكونها (فإن قلت) كيف يوفق بين هذا وبين قوله التى كتب الله لكم (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم والثانى أن يراد فإنها محرمة عليهم أربعين سنة فإذا مضت الأربعون كان ما كتب فقد روى أن موسى سار بمن بقى من بنى إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحاء وأقام فيها ماشاء الله ثم قبض صلوات الله عليه وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبياً فأخبرهم بأنه نبى الله وأن الله أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم إلى أريحاء وقتل الجبارين وأخرجهم وصار الشام كله لبنى إسرائيل وقيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها وهلكوا فى التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها ◾ والعامل فى الظرف إما محرمة وإما يتيهون ومعنى (يتيهون فى الأرض) يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقاً والتيه المفازة التى يتاه فيها روى أنهم لبثوا أربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى إذا سئموا وأمسوا إذاهم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضىء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله (فإن قلت) فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون (قلت) كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه (فإن قلت) هل كان معهم فى التيه موسى وهرون عليهما السلام (قلت) اختلف فى ذلك فقيل لم يكونا معهم لأنه كان عقابا وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحا لهما وسلامة لا عقوبة كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب وروى أن هرون مات فى التيه ومات

بنى إسرائيل وخبرتهم فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وتكريره هذا القول مراراً مصداق لما ذكره الزمخشرى وأما إن كان المراد بالرجلين غير يوشع وكالب وكانا من العماليق الذين خافهم بنو إسرائيل ويكون معنى يخافون أى يخافهم بنو إسرائيل فالضمير على هذا يرجع إلى بنى إسرائيل والعائد محذوف وهو المفعول فعلى هذا لا شك أن هذين الرجلين ليسا من بنى إسرائيل المكتوب عليهم قتال العمالقة وإنما عنى موسى عليه السلام إنى لا أملك من بنى إسرائيل المفروض عليهم القتال أمر أحد إلا نفسى وأخى والله أعلم

(قوله فتنفس الصعداء) فى الصحاح الصعدا بالضم والمد تنفس ممدود اه (قوله بمعنى لا أملك إلا نفسى) لعله بمعنى إنى لا أملك وعبارة النسفى أى إنى لا أملك الخ (قوله على ضمير المجرور) لعله على الضمير (قوله على العصاة عركا لهم) فى الصحاح عركت الشىء دلكته وعرك البعير جنبه بمرفقه وفيه أيضاً الدعك مثل الدلك وقد دعكت الأديم والخصم لينته

ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ

موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحاء بعد موته بثلاثة أشهر ومات النقباء فى التيه بغتة إلا كالب ويوشع (فلا تأس) فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم فقيل إنهم أحقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم ۝ هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما تقبل زوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسداً وسخطاً وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بنى إسرائيل (بالحق) تلاوة ملتبسة بالحق والصحة واتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الأولين أو بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ﷺ ويبغون عليه أواتل عليهم وأنت محق صادق و (إذ قربا) نصب بالنبأ أى قصتهم وحديثهم فى ذلك الوقت ويجوز أن يكون بدلا من النبأ أى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم مايتقرب به إلى الله من نسيكة أو صدقة كما أن الحلوان اسم مايحلى أى يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لأن تقرب مطاوع قرب قال الأصمعى تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب ۝ (فإن قلت) كيف كان قوله (إنما يتقبل الله من المتقين) جوابا لقوله لأقتلنك (قلت) لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذى حمله على توعده بالقتل قال له إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لامن قبلى فلم تقتلنى ومالك لاتعاتب نفسك ولاتحملها على تقوى الله التى هى السبب فى القبول فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على أن الله تعالى لايقبل طاعة إلا من مؤمن متق فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم وعن عامر بن عبدالله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له مايبكيك فقد كنت وكنت قال إنى أسمع الله يقول إنما يتقبل الله من المتقين (ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله لأن الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره (إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك) أن تحتمل إثم قتلى لك لو قتلتك وإثم قتلك لى (فإن قلت) كيف يحمل إثم قتله له ولاتزر وازرة وزر أخرى (قلت) المراد بمثل إثمى على الاتساع فى الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لايكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام المستبان ماقالا فعلى البادى مالم يعتد المظلوم على أن البادى عليه إثم سبه ومثل إثم سب صاحبه لأنه كان سببا فيه إلا أن الإثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لأنه مكافئ مدافع عن عرضه ألاترى إلى قوله مالم يعتد المظلوم لأنه إذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم (فإن قلت) فحين كف هابيل قتل أخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا فى شريعته من الدفع فأين الاثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الإثمان (قلت) هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كأنه قال إنى أريد أن تبوء بمثل إثمى لو بسطت يدى إليك وقيل بإثمى بإثم قتلى وإثمك الذى من أجله لم يتقبل قربانك (فإن قلت) فكيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه بالنار (قلت) كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد ألاترى إلى قوله تعالى

۝ قوله تعالى إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (قال إن قلت كيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه الخ) قال أحمد وهذا من دسه للمعتقد الفاسد فى بيان كلامه والفاسد من هذا اعتقاده أن فى

(قوله تقربوا قرف القمع) فى الصحاح القرف القشر والقمعة رأس السنام والجمع قمع والقمع أيضا بثرة تخرج فى شفر العين

أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ

(وذلك جزاء الظالمين) وإذا جاز أن يريده الله جاز أن يريده العبد لأنه لايريد إلا ماهو حسن والمراد بالإثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب (فإن قلت) لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما أنا بباسط (قلت) ليفيد أنه لايفعل مايكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفى (فطوعت له نفسه قتل أخيه) فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع إذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وأن يراد أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الأعظم (فبعث الله غرابا) روى أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لايدرى مايصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة (قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) ويروى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ماكنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروى أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لايضحك وأنه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر إلا منحول ملحون وقد صح أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر (ليريه) ليريه الله أو ليريه الغراب أى ليعلمه لأنه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز (سوأة أخيه) عورة أخيه ومالايجوز أن ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال ۝ ياقوم للسوأة السوآء ۝ أى للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها (فأوارى) بالنصب على جواب الاستفهام

الكائنات ماليس مرادا لله تعالى وتلك القبائح بجملتها فإنها على زعمه واقعة على خلاف المشيئة الربانية وهذا هو الشرك الخفى فإياك أن تحوم حول شركه والعياذ بالله فأما إرادته لإثم أخيه وعقوبته فمعناه إنى لاأريد أن أقتلك فأعاقب ولما يكن بد من إرادة أحد الأمرين إما إثمه بتقدير أن يدفع عن نفسه فيقتل أخاه وإما إثم أخيه بتقدير أن يستسلم وكان غير مريد للأول اضطر إلى الثانى فلم يرد إذاً إثم أخيه لعينه وإنما أراد أن الإثم هو بالمدافعة المؤدية إلى القتل ولم تكن حينئذ مشروعة فلزم من ذلك إرادة إثم أخيه وهذا كما يتمنى الإنسان الشهادة ومعناها أن يبوء الكافر بقتله وبما عليه فى ذلك من الإثم ولكن لم يقصد هو إثم الكافر لعينه وإنما أراد أن يبذل نفسه فى سبيل الله رجاء إثم الكافر بقتله ضمنا وتبعا والذى يدل على ذلك أنه لافرق فى حصول درجة الشهادة وفضيلتها بين أن يموت القاتل على الكفر وبين أن يختم له بالإيمان فيحبط عنه إثم القتل الذى به كان الشهيد شهيدا أعنى بقى الإثم على قاتله أوحبط عنه إذ ذلك لاينقص من فضيلة شهادته ولايزيدها ولو كان إثم الكافر بالقتل مقصودا لاختلف التمنى باعتبار بقائه وإحباطه فدل على أنه أمر لازم تبع لامقصود والله أعلم ۝ عاد كلامه (فإن قلت لم جاء الشرط بصيغة الفعل والجزاء باسم الفاعل الخ) قال أحمد وإنما امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصية من حيث أن صيغة الفعل لاتعطى سوى حدوث معناه من الفاعل لاغير وأما اتصاف الذات به فذاك أمر يعطيه اسم الفاعل ومن ثم يقولون قام زيد فهو قائم فيجعلون اتصافه بالقيام ناشئا عن صدوره منه

(قوله لأنه لايريد إلا ماهو حسن) هذا مذهب المعتزلة أما عند أهل السنة فالله يريد كل كائن حسنا كان أو قبيحا كما تقرر فى التوحيد (قوله ياقوم للسوأة) يروى ياللقومى

أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ * إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ

وقرئ بالسكون على فأنا أوارى أو على التسكين فى موضع النصب للتخفيف (من النادمين) على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى أمره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسودادلونه وسخط أبيه ولم يندم ندم التائبين (من أجل ذلك) بسبب ذلك وبعلته وقيل أصله من أجل شرا إذا جناه يأجله أجلا ومنه قوله

وأهل خباء صالح ذات بينهم * قد احتربوا فى عاجل أنا آجله

كأنك إذا قلت من أجلك فعلت كذا أردت من أن جنيت فعله وأوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته أى من أن جررته بمعنى جنيته وذلك إشارة إلى القتل المذكور أى من أن جنى ذلك القتل الكتب وجره (كتبنا على بنى إسرائيل) ومن لابتداء الغاية أى ابتدأ والكتب نشأ من أجل ذلك ويقال فعلت كذا لأجل كذا وقد يقال أجل كذا بحذف الجار وإيصال الفعل قال * أجل أن الله قد فضلكم * وقرئ من أجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لإلقاء حركتها عليها وقرأ أبو جعفر من إجل ذلك بكسر الهمزة وهى لغة فإذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها (بغير نفس) بغير قتل نفس لاعلى وجه الاقتصاص (أو فساد) عطف على نفس بمعنى أو بغير فساد (فى الأرض) وهو الشرك وقيل قطع الطريق (ومن أحياها) ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة قتل أو غرق أو حرق أوهدم أو غيرذلك (فإن قلت) كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم (قلت) لأن كل إنسان يدلى بما يدلى به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فإذا قتل فقد أهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلافرق إذاً بين الواحد والجميع فى ذلك (فإن قلت) فما الفائدة فى ذكر ذلك (قلت) تعظيم قتل النفس وإحيائها فى القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا فى المحاماة على حرمتها لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذى أراد إحياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن ياابن آدم أرأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازى ذلك فيغفر لك به كلا إنه شىء سولته لك نفسك والشيطان فكذلك إذا قتلت واحداً (بعد ذلك) بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجىء الرسل بالآيات (لمسرفون) يعنى فى القتل لايبالون بعظمته (يحاربون الله ورسوله) يحاربون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربة المسلمين فى حكم محاربته ويسعون فى (الأرض فسادا) مفسدين أو لأن سعيهم فى الأرض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون فى الأرض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز أن يكون مفعولا له أى للفساد نزلت فى قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وقد مرّ بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل فى العرنيين فأوحى اليه أن من جمع بين القتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أفرد القتل قتل ومن أفرد أخذ المال قطعت يده لأخذ المال ورجله لإخافة السبيل ومن أفرد الإخافة نفى من الأرض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان أو مسلما * ومعناه (أن يقتلوا) من غير صلب إن أفردوا القتل (أو يصلبوا) مع القتل إن جمعوا بين القتل والأخذ قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن حتى يموت (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) إن أخذوا المال (أو ينفوا

ولهذا المعنى قوله تعالى لتكونن من المرجومين عدولا عن الفعل الذى هو لنرجمنك إلى الاسم تغليظا يعنون أنهم يجعلون هذه لثبوتها ووقوعها به كالسمة والعلامة الثابتة ولايقتصرون على مجرد إيقاعها به

ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوٓا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۞ وَالسَّارِقُ

من الأرض) إذا لم يزيدوا على الإخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعى أن الإمام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفى الحبس عند أبى حنيفة وعند الشافعى النفى من بلد إلى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم إلى دهلك وهو بلد فى أقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة (خزى) ذلّ وفضيحة (إلا الذين تابوا) استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة وأما حكم القتل والجراح وأخذ المال فإلى الأولياء إن شاؤا عفوا وإن شاؤا استوفوا وعن على رضى الله عنه أنه الحرث ابن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة ۞ الوسيلة كل ما يتوسل به أى يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصى وأنشد للبيد: أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ۞ ألا كل ذى لب إلى الله واسل (ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لأنفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك ولو مع ما فى حيزه خبر أن (فإن قلت) لم وحد الراجع فى قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان (قلت) هو نحو قوله ۞ فإنى وقيار بها لغريب ۞ أو على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز أن يكون الواو فى ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه (فإن قلت) فبم ينصب المفعول معه (قلت) بما يستدعيه لو من الفعل لأن التقدير لو ثبت أن لهم ما فى الأرض ۞ قرأ أبو واقد أن يخرجوا بضم الياء من أخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس بأول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بين أظهر أعضاده من قريش وأنضاده من بنى عبد المطلب وهو حبر الأمة وبحرها ومفسرها بالخطاب الذى لا يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا وبرفعه إلى

۞ قوله تعالى «إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجون من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم» (قال وما يروى عن عكرمة أن نافع ابن الأزرق قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار الخ) قال أحمد فى هذا الفصل من كلامه وتمشدقه بالسفاهة على أهل السنة ورميهم بما لا يقولون به من الأخبار بالكذب والتخليق والافتراء ما يحمى الكبد المملوء بحب السنة وأهلها على الانتصاب للانتصاف منه ولسنا بصدد تصحيح هذه الحكاية ولا وقف الله صحة

(قوله فمما لفقته المجبرة) يعنى أهل السنة القائلين بخروج صاحب الكبيرة من النار لأنه مؤمن خلافا للمعتزلة القائلين لا مؤمن ولا كافر بل واسطة وتحقيق المبحث فى علم التوحيد (قوله من قريش وأنضاده) فى الصحاح أنضاد الرجل أعمامه وأخواله المتقدمون فى الشرف

وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ

عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية مافيها مرية (والسارق والسارقة) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أى حكمهما ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء والخبر (فاقطعوا أيديهما) ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لأن المعنى والذى سرق والتى سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لأجل الأمر لأن زيدا فاضربه أحسن من زيد فاضربه أيديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق فى الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذى يجب به القطع عشرة دراهم عند أبى حنيفة وعند مالك والشافعى رحمهما الله ربع دينار وعن الحسن درهم وفى مواعظه احذر من قطع يدك فى درهم (جزاء) و (نكالا) مفعول لهما (فمن تاب) من السرّاق (من

العقيدة على صحتها ۞ قوله تعالى «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» الآية (قال رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه الخ) قال أحمد المستقرأ من وجوه القراآت أن العامة لاتتفق فيها أبداً على العدول عن الأفصح وجدير بالقرآن أن يجرى على أفصح الوجوه وأن لايخلو من الأفصح ومايشتمل عليه كلام العرب الذى لم يصل أحد منهم إلى ذروة فصاحته ولم يتعلق بأهدابها وسيبويه يحاشى من اعتقاد عراء القرآن عن الأفصح واشتماله على الشاذ الذى لايعدمن القرآن ونحن نورد الفصل من كلام سيبويه على هذه الآية ليتضح لسامعه براءة سيبويه من عهدة هذا النقل قال سيبويه فى ترجمة باب الأمر والنهى بعد أن ذكر المواضع التى يختار فيها النصب وملخصها أنه متى بنى الاسم على فعل الأمر فذاك موضع اختيار النصب ثم قال كالموضح لامتياز هذه الآية عما اختار فيها النصب وأما قوله عزوجل « والسارق والسارقة فاقطعوا الآية : وقوله الزانية والزانى فاجلدوا » فإن هذا لم يبن على الفعل ولكنه جاء على مثال قوله مثل الجنة التى وعد المتقون ثم قال بعد فيها أنهار فيها كذا يريد سيبويه تمييز هذه الآى عن المواضع التى بين اختيار النصب فيها ووجه التمييز بأن الكلام حيث يختار النصب يكون الاسم فيه مبنياً على الفعل وأما فى هذه الآى فليس بمبنىّ عليه فلا يلزم فيه اختيار النصب «عاد كلامه» قال وإنما وضع المثل للحديث الذى ذكر بعده فذكر أخباراً وقصصاً فكأنه قال ومن القصص مثل الجنة فهو محمول على هذا الإضمار والله أعلم وكذلك الزانية والزانى لما قال جلّ ثناؤه « سورة أنزلناها وفرضناها » قال فى جملة الفرائض الزانية والزانى ثم جاء فاجلدوا بعد أن مضى فيهما الرفع يريد سيبويه لم يكن الاسم مبنياً على الفعل المذكور بعد بل بنى على محذوف متقدم وجاء الفعل طارئاً عاد كلامه قال كما جاء ۞ وقائلة حولان فانكح فتاتهم ۞ فجاء بالفعل بعد أن عمل فيه المضمر وكذلك والسارق والسارقة وفيما فرض عليكم السارق والسارقة فإنما دخلت هذه الأسماء بعد قصص وأحاديث وقد قرأ ناس السارق والسارقة بالنصب وهو فى العربية على ماذكرت لك من القوة ولكن ابت العامة إلا الرفع يريد سيبويه أن قراءة النصب جاء الاسم فيها مبنياً على الفعل غير معتمد على متقدم فكان النصب قوياً بالنسبة إلى الرفع حيث يبنى الاسم على الفعل لاعلى متقدم وليس يعنى أنه قوى بالنسبة إلى الرفع حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدم فإنه قد بين أن ذلك يخرجه من الباب الذى يختار فيه النصب فكيف يفهم عنه ترجيحه عليه والباب مع القراءتين مختلف وإنما يقع الترجيح بعد التساوى فى الباب فالنصب أرجح من الرفع حيث ينبنى الاسم على الفعل والرفع متعين لاأقول أرجح حيث بنى الاسم على كلام متقدم ثم حقق سيبويه هذا المقدر بأن الكلام واقع بعد قصص وأخبار ولو كان كما ظنه الزمخشرى لم يحتج سيبويه إلى تقدير بل كان يرفعه على الابتداء ويجعل الأمر خبره كما أعربه الزمخشرى فالملخص على هذا أن النصب على وجه واحد وهو بناء الاسم على فعل الأمر والرفع على وجهين أحدهما ضعيف وهو الابتداء وبناء الكلام على الفعل والآخر قوىّ بالغ كوجه النصب وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف دلّ

وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ

بعد ظلمه) من بعد سرقته (وأصلح) أمره بالتفصى عن التبعات (فإن الله يتوب عليه) ويسقط عنه عقاب الآخرة وأمّا القطع فلا تسقطه التوبة عند أبى حنيفة وأصحابه وعند الشافعى فى أحد قوليه تسقطه (من يشاء) من يجب فى الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرّين والتائبين وقيل يسقط حدّ الحربى إذا سرق بالتوبة ليكون أدعى له إلى الإسلام وأبعد من التنفير عنه ولا يسقطه عن المسلم لأنّ فى إقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ولكم فى القصاص حياة (فإن قلت) لم قدم التعذيب على المغفرة (قلت) لأنه قوبل بذلك تقدّم السرقة على التوبة ▪ قرئ ولا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لاتهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين (فى الكفر) أى فى إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإنى ناصرك عليهم وكافيك شرّهم يقال أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعاً فكذلك مسارعتهم فى الكفر ووقوعهم وتهافتهم فيه أسرع شىء إذا وجدوا فرصة لم يخطؤها ▪ (آمنا) مفعول قالوا و (بأفواههم) متعلق بقالوا لا بآمنا (ومن الذين هادوا) منقطع مما قبله خبر لسماعون أى ومن اليهود قوم سماعون ويجوز أن يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين أو للذين هادوا ومعنى (سماعون للكذب) قابلون لما يفتريه الأحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) يعنى اليهود الذين لم يصلوا إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدّة البغضاء وتبالغ من العداوة أى قابلون من الأحبار ومن أولئك المفرطين فى العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا إليك وقيل سماعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لأجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر (يحرفون الكلم) يميلونه ويزيلونه (عن مواضعه) التى وضعه الله تعالى فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع (إن أوتيتم هذا) المحرف المزال عن مواضعه (فخذوه) واعلموا أنه الحق واعملوا به (وإن لم تؤتوه) وأفتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال وروى أنّ شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدّهما الرجم فى التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم إلى بنى قريظة

عليه السياق وحيثما تعارض لنا وجهان فى الرفع وأحدهما قوى والآخر ضعيف تعين حمل القراءة على القوى كما أعربه سيبويه رضى الله عنه والله تعالى أعلم ▪ قوله تعالى ▪ ألم تعلم أنّ الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شىء قدير » (قال محمود فإن قلت لم قدم التعذيب على المغفرة الخ) قال أحمد هو مبنى على أن المراد بالمغفور لهم التائبون وبالمعذبين السراق ولا يجعل المغفرة تابعة للمشيئة إلا بقيد التوبة لأنّ غير التائب على زعمه لا يجوز أن يشاء الله المغفرة له فلذلك ينزل الإطلاق على المتقدّم ذكره ونحن نعتقد أنّ المغفرة فى حق غير التائب من الموحدين تتبع المشيئة حتى أنّ من جملة ما يدخل فى عموم قوله ويغفر لمن يشاء السارق الذى لم يتب وعلى هذا يكون تقديم التعذيب

(قوله ولا يسقطه عن المسلم) لعله ولا يسقط أو ولا تسقطه

فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم * سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض

ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا إن أمركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودى على وجه الأرض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا إله إلا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبى الأمى العربى الذى بشر به المرسلون وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزانيين فرجما عند باب مسجده (ومن يرد الله فتنته) تركه مفتونا وخذلانه (فلن تملك له من الله شيأ) فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيأ (أولئك الذين لم يرد الله) أن يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم. السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال تعالى «يمحق الله الربو» والربا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم فى بنى إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها فى كمه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكى أن عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم إليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له فى عمله فقال أعرابى من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن النبى صلى الله عليه وسلم: كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به * قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم وعن عطاء والنخعى والشعبى أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام المسلمين فإن شاؤا حكموا وإن شاؤا أعرضوا وقيل وهو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعند أبى حنيفة رحمه الله إن احتكموا إلينا حملوا على حكم الإسلام وإن زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من

لأن السياق للوعيد فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من الزواجر والله أعلم * قوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم الآية (قال معنى ومن يرد الله فتنته ومن يرد تركه مفتونا الخ) قال أحمد رحمه الله كم يتلجلج والحق أبلج هذه الآية كما تراها منطبقة على عقيدة أهل السنة فى أن الله تعالى أراد الفتنة من المفتونين ولم يرد أن يطهر قلوبهم من دنس الفتنة ووضر الكفر لا كما تزعم المعتزلة من أنه تعالى ما أراد الفتنة من أحد وأراد من كل أحد الإيمان وطهارة القلب وأن الواقع من الفتن على خلاف إرادته وأن غير الواقع من طهارة قلوب الكفار مراد ولكن لم يقع فحسبهم هذه الآية وأمثالها لو أراد الله أن يطهر قلوبهم من وضر البدع أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها وما أبشع صرف الزمخشرى هذه الآية عن ظاهرها بقوله لم يرد الله أن يمنحهم ألطافه لعلمه أن ألطافه لا تنجع فيهم ولا تنفع تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وإذا لم تنجع ألطاف الله تعالى ولم تنفع فلطف من ينفع وإرادة من تنجع * وليس وراء الله للمرء مطمع *

(قوله بالجلد والتحميم) أى التسويد وفى الصحاح الحمة بالضم السواد (قوله الزانيين فرجما عند باب مسجده) لعله بالزانيين (قوله تركه مفتونا وخذلانه) قدر هذا بناء على أنه تعالى لا يريد الشر عند المعتزلة لكن عند أهل السنة يريد الشر والخير كما حقق فى محله (قوله فقدم إليهم العراضة) فى الصحاح: العراضة بالضم ما يعرض المائر أى يطعمه من الميرة ويقال اشتر عراضة لأهلك أى هدية وشيأ تحمله إليهم

عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟

مسلم شيأ أقيم عليه الحد وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون إقامة الحدود عليهم يذهبون إلى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم الحدود ويقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية (فلن يضروك شيأ) لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم كالجلد مكان الرجم فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا إعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه ويضاروه فأمن الله سربه (بالقسط) بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم (وكيف يحكمونك) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص فى كتابهم الذى يدعون الإيمان به (ثم يتولون من بعد ذلك) ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به (وما أولئك بالمؤمنين) بكتابهم كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين فى الإيمان على سبيل التهكم بهم ۝ (فإن قلت) فيها حكم الله ما موضعه من الإعراب (قلت) إما أن ينتصب حالا من التوراة وهى مبتدأ خبره عندهم وإما أن يرتفع خبراً عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله وإما أن لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره (فإن قلت) لم أنثت التوراة (قلت) لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها فى كلام العرب (فإن قلت) علام عطف ثم يتولون (قلت) على يحكمونك (فيها هدى) يهدى للحق والعدل (ونور) يبين ما استبهم من الأحكام (الذين أسلموا) صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه

۝ قوله تعالى إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار الآية قال محمود قوله أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح الخ) قال أحمد وإنما بعثه على حمل هذه الصفة على المدح دون التفصلة والتوضيح أن الأنبياء لا يكونون إلا متصفين بها فذكر النبوة يستلزم ذكرها فمن ثم حملها على المدح وفيه نظر فإن المدح إنما يكون غالباً بالصفات الخاصة التى يتميز بها الممدوح عمن دونه والإسلام أمر عام يتناول أمم الأنبياء ومتبعيهم كما يتناولهم ألا ترى أنه لا يحسن فى مدح النبى أن يقتصر على كونه رجلا مسلما فإن أقل متبعيه كذلك فالوجه والله أعلم أن الصفة قد تذكر للعظم فى نفسها ولينوه بها إذا وصف بها عظيم القدر كما يكون تنويها بقدر موصوفها فالحاصل أنه كما يراد إعظام الموصوف بالصفة العظيمة قد يراد إعظام الصفة بعظم موصوفها وعلى هذا الأسلوب جرى وصف الأنبياء بالصلاح فى قوله تعالى وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين وأمثاله تنويهاً بمقدار الصلاح إذ جعل صفة الأنبياء وبعثا لآحاد الناس على الدأب فى تحصيل صفته وكذلك قيل فى قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فأخبر عن الملائكة المقربين بالإيمان تعظيما لقدر الإيمان وبعثا للبشر على الدخول فيه ليساووا الملائكة المقربين فى هذه الصفة وإلا فمن المعلوم أن الملائكة مؤمنين ليس إلا ولهذا قال ويستغفرون للذين آمنوا يعنى من البشر لثبوت حق الإخوة فى الإيمان بين الطائفتين فكذلك والله أعلم جرى وصف الأنبياء فى هذه الآية بالإسلام تنويهاً به ولقد أحسن القائل فى أوصاف الأشراف والناظم فى مدحه عليه الصلاة والسلام ۝ فلئن مدحت محمداً بقصيدتى ۝ فلقد مدحت قصيدتى بمحمد ۝ والإسلام وإن كان من أشرف الأوصاف إذ حاصله معرفة الله تعالى بما يجب له ويستحيل عليه ويجوز فى حقه إلا أن النبوة أشرف وأجل لاشتمالها على عموم الإسلام مع خواص المواهب التى لا تسعها العبارة فلو لم نذهب إلى الفائدة المذكورة فى

عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِئَايَـٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْكَـٰفِرُونَ ۞ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ ۞

لا للتفصلة والتوضيح وأريد بإجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل منها وقوله الذين أسلموا (للذين هادوا) مناد على ذلك (والربانيون والأحبار) والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود (بما استحفظوا من كتاب الله) بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة أي بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين (وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم وإبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والأحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعاً ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء (فلا تخشوا الناس) نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم فيها وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والأصدقاء (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا (بآيات الله) وأحكامه (ثمناً قليلا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلباً للرياسة فهلكوا (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهيناً به (فأولئك هم الكافرون) والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن حكموا بغيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكافرين والظالمين والفاسقين أهل الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لأهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة أنتم أشبه الأمم سمتا ببني إسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا ۞ في مصحف أبي وأنزل الله على بني إسرائيل فيها وفيه وأن الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ إن النفس بالنفس بالكسر لكان صحيحا أو للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها (أن النفس) مأخوذة (بالنفس) مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق (و) كذلك (العين) مفقوءة (بالعين والأنف) مجدوع (بالأنف والأذن) مصلومة (بالأذن والسن) مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) ذات قصاص وهو

ذكر الإسلام بعد النبوة في سياق المدح لخرجنا عن قانون البلاغة المألوف في الكتاب العزيز وفي كلام العرب الفصيح وهو الترقي من الأدنى إلى الأعلى لا النزول على العكس ألا ترى أبا الطيب كيف تزحزح عن هذا المهيع في قوله ۞ شمس ضحاها هلال ليلتها ۞ در تقاصيرها زبرجدها ۞ فنزل عن الشمس إلى الهلال وعن الدر إلى الزبرجد في سياق المدح فمضغت الألسن غرض بلاغته ومزقت أديم صيغته فعلينا أن نتدبر الآيات المعجزات حتى يتعلق فهمنا بأهداب علوها في البلاغة المعهود لها والله الموفق للصواب

(قوله في حكوماتهم وادهانهم فيها) في الصحاح المداهنة كالمصانعة والادهان مثله (قوله والقذة بالقذة) القذة ريشة السهم اه

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۞ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۞ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا

المقاصة ومعناه مايمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا لايقتلون الرجل بالمرأة فنزلت (فمن تصدق) من أصحاب الحق (به) بالقصاص وعفا عنه (فهو كفارة له) فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفرالله من سيآته ماتقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبدالله وابن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ماتصدق به وقيل فهو كفارة للجانى إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه مالزمه وفى قراءة أبىّ فهو كفارة له يعنى فالمتصدق كفارته له أى الكفارة التى يستحقها له لاينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فأجره على الله وترغيب فى العفو ۞ قفيته مثل عقبته إذا أتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه إلى الثانى بزيادة الباء (فإن قلت) فأين المفعول الأول فى الآية (قلت) هو محذوف والظرف الذى هو (على آثارهم) كالساد مسده لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به إياه والضمير فى آثارهم للنبيين فى قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا ۞ وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة فإن صحّ عنه فلأنه أعجمى خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر (ومصدقا) عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال (وهدى وموعظة) يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن ينتصبا مفعولا لهما كقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وللحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام (فإن قلت) فإن نظمت هدى وموعظة فى سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم (قلت) أصنع به ماصنعت بهدى وموعظة حين جعلتها مفعولا لهما فاقدر وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إياه وقرئ وليحكم على لفظ الأمر بمعنى وقلنا ليحكم وروى فى قراءة أبىّ وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل وقيل إن عيسى عليه السلام كان متعبدا بما فى التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وإن ساغ لقائل أن يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة ۞ (فإن قلت) أى فرق بين التعريفين فى قوله (وأنزلنا اليك الكتاب) وقوله (لما بين يديه من الكتاب) (قلت) الأول تعريف العهد لأنه عنى به القرآن والثانى تعريف الجنس لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز أن يقال هو للعهد لأنه لم يرد به مايقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ماأنزل من السماء سوى القرآن (ومهيمنا) ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم أى هومن عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال «لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» والذى هيمن عليه الله عزّ وجلّ أو الحفاظ فى كل بلد لو حرّف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا رادّين ومنكرين ۞ ضمن (ولا تتبع) معنى ولا تتحرف فلذلك عدى بعن كأنه قيل ولا تتحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين (ومنهاجا) وطريقا واضحا فى الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا (لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة أوذوى أمة واحدة أى دين واحد لااختلاف فيه (ولكن) أراد

كُنتُم فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي

(ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة أم تتبعون الشبه وتفرطون فى العمل (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وتسابقوا نحوها (إلى الله مرجعكم) استئناف فى معنى التعليل لاستباق الخيرات (فينبئكم) فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم فى العمل (فإن قلت) (وأن احكم بينهم) معطوف على ماذا (قلت) على الكتاب فى قوله وأنزلنا إليك الكتاب كأنه قيل وأنزلنا إليك أن احكم على أن أن وصلت بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال ويجوز أن يكون معطوفا على بالحق أى أنزلناه بالحق وبأن احكم (أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) أن يضلوك عنه ويستنزلوك وذلك أن كعب بن أسيد وعبدالله بن صوريا وشاس بن قيس من أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعتنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فإن تولوا) عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعنى بذنب التولى عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الإبهام لتعظيم التولى واستشرافهم فى ارتكابه ونحو البعض فى هذا الكلام ما فى قول لبيد * أو يرتبط بعض النفوس حمامها * أراد نفسه وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام كأنه قال نفسا كبيرة ونفساً أى نفس فكما أن التنكير يعطى معنى التكبير وهو معنى البعضية فكذلك إذا صرح بالبعض (لفاسقون) لمتمردون فى الكفر معتدون فيه يعنى أن التولى عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء فى الكفر (أفحكم الجاهلية يبغون) فيه وجهان أحدهما أن قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثانى أن يكون تعييراً لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التى هى هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحى من الله تعالى وعن الحسن هو عام فى كل من يبغى غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرأ السلمى أفحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وإيقاع يبغون خبراً وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة فى أهذا الذى بعث الله رسولا وعن الصفة فى الناس رجلان رجل أهنت ورجل أكرمت وعن الحال فى مررت بهند يضرب زيد وقرأ قتادة أفحكم الجاهلية على أن هذا الحكم الذى يبغونه إنما يحكم به أفعى نجران أو نظيره من حكام الجاهلية فأرادوا بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام * اللام فى قوله (لقوم يوقنون) للبيان كاللام فى هيت لك أى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه * لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهى بقوله (بعضهم أولياء بعض) أى إنما يوالى بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم فى الكفر

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۞ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى

فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم (ومن يتولهم منكم فإنه) من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر رضى الله عنه لأبى موسى فى كاتبه النصرانى لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تأمنوهم إذ خونهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله وروى أنه قال له أبو موسى لا قوام للبصرة إلا به فقال مات النصرانى والسلام يعنى هب أنه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره (إن الله لا يهدى القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفر يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتا لهم (يسارعون فيهم) ينكمشون فى موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اى صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجون إليهم وإلى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن لى موالى من يهود كثيراً عددهم وإنى أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالى الله ورسوله فقال عبد الله ابن أبىّ إنى رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالىّ وهم يهود بنى قينقاع (فعسى الله أن يأتى بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وإظهار المسلمين (أو أمر من عنده) يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نظن أن يتم له أمر وبالحرى أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبنى النضير الذين طرح الله فى قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب (ويقول الذين آمنوا) قرئ بالنصب عطفاً على أن يأتى وبالرفع على أنه كلام مبتدأ أى ويقول الذين آمنوا فى ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهى فى مصاحف مكة والمدينة والشأم كذلك على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا (فإن قلت) لمن يقولون هذا القول (قلت) إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجباً من حالهم واغتباطاً بما منّ الله عليهم من التوفيق فى الإخلاص (أهؤلاء الذين أقسموا) لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم ولئن قوتلتم لننصرنكم (حبطت أعمالهم) من جملة قول المؤمنين أى بطلت أعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى رأى أعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجيباً من سوء حالهم ۞ وقرئ من يرتد ومن يرتدد وهو فى الإمام بدالين وهو من الكائنات التى أخبر عنها فى القرآن قبل كونها وقيل بل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسى وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله على يدى فيروز الديلمى بيته فقتله وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسرّ المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبره فى آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض

(قوله بموالاة الكفر) لعله الكفرة (قوله يقطع شأفة اليهود) فى الصحاح الشأفة قرحة تخرج فى أسفل القدم فتكوى فتذهب فضرب بها المثل فى الاستئصال اه باختصار

اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ

نصفها لى ونصفها لك فأجاب عليه الصلاة والسلام من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أمّا بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضى الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الإسلام أراد فى جاهليتى وإسلامى وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً فانهزم بعد القتال إلى الشأم ثم أسلم وحسن إسلامه وسبع فى عهد أبى بكر رضى الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التى زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعرى فى كتاب استغفر واستغفرى أمّت سجاح ووالاها مسيلمة ٭ كذابة فى بنى الدنيا وكذاب وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يد أبى بكر رضى الله عنه وفرقة واحدة فى عهد عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه (فسوف يأتى الله بقوم) قيل لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى موسى الأشعرى فقال قوم هذا وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الأنصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس (يحبهم ويحبونه) محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه

٭ قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية (قال) محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم وأمّا ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئاً وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغنى على كراسيهم خربها الله وفى مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة فى المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التى أين منها صعقة موسى يوم دكّ الطور فتعالى الله عنه علواً كبيراً ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإنّ الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات انتهى كلامه (قال أحمد) لا شكّ أن تفسير محبة العبد لله بطاعته له على خلاف الظاهر وهو من المجاز الذى يسمى فيه المسبب باسم السبب والمجاز الذى لا يعدل إليه عن الحقيقة إلا بعد تعذرها فليمتحن حقيقة المحبة لغة بالقواعد لينظر أهى ثابتة للعبد متعلقة بالله تعالى أم لا إذ المحبة لغة ميل المتصف بها إلى أمر ملذ واللذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدرك بالحس كلذة الذوق فى المطعوم ولذة النظر واللمس فى الصور المستحسنة ولذة الشم فى الروائح العطرة ولذة السمع فى النغمات الحسنة وإلى لذة تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجرى مجراها فقد ثبت أنّ فى اللذات الباعثة على المحبة ما لا يدركه إلا العقل دون الحس ثم تتفاوت المحبة ضرورة بحسب تفاوت البواعث عليها فليس اللذة برياسة الإنسان على أهل قرية كلذته بالرياسة على أقاليم معتبرة وإذا تفاوتت المحبة بحسب تفاوت البواعث فلذات العلوم أيضاً متفاوتة بحسب تفاوت المعلومات

(قوله خالداً فانهزم بعد القتال) قوله خالداً فى أبى السعود أبا بكر اه (قوله كذابة فى بنى الدنيا وكذاب) يروى وكذابا (قوله وكندة قوم الأشعث بن قيس) لعله الأشعث كعبارة الخازن (قوله نصرته اللطمة) لعلها اللطيمة وهى العير التى تحمل الطيب وبز التجار لخرر (قوله وثلاثة آلاف من أفناء الناس) فى الصحاح فناء الدار ما امتد من جوانبها والجمع أفنية ويقال هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو

وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشر وأسوأهم طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئاً وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغنى على كراسيهم خربها الله وفى مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة فى المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التى أين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علواً كبيرا ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة (فإن قلت) أين الراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط (قلت) هو محذوف معناه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك (أذلة) جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذى هو نقيض الصعوبة فقد غبى عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة (فإن قلت) هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثانى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وجل أشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحال (ولا يخافون لومة لائم) يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود لعنت فإذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وأن تكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وأنهم صلاب فى دينهم

فليس معلوم أكمل ولا أجمل من المعبود الحق فاللذة الحاصلة فى معرفته تعالى ومعرفة جلاله وكماله تكون أعظم والمحبة المنبعثة عنها تكون أمكن وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات فقد تحصل من ذلك أن محبة العبد ممكنة بل واقعة من كل مؤمن فهى من لوازم الإيمان وشروطه والناس فيها متفاوتون بحسب تفاوت إيمانهم وإذا كان كذلك وجب تفسير محبة العبد لله بمعناها الحقيق لغة وكانت الطاعات والموافقات كالمسبب عنها والمغاير لها ألا ترى إلى الأعرابى الذى سأل عن الساعة فقال له النبى عليه الصلاة والسلام ما أعددت لها قال ما أعددت لها كبير عمل ولكن حب الله ورسوله فقال عليه الصلاة والسلام أنت مع من أحببت فهذا الحديث ناطق بأن المفهوم من المحبة لله غير الأعمال والتزام الطاعات لأن الأعرابى نفاها وأثبت الحب وأقره عليه الصلاة والسلام على ذلك ثم إذا ثبت إجراء محبة العبد لله تعالى على حقيقتها لغة فالمحبة فى اللغة إذا تأكدت سميت عشقاً فمن تأكدت محبته لله تعالى وظهرت آثار تأكدها عليه من استيعاب الأوقات فى ذكره وطاعته فلا يمنع أن تسمى محبته عشقاً إذ العشق ليس إلا المحبة البالغة وما أردت بهذا الفصل إلا تخليص الحق والانتصاب لأحباء الله عز وجل من الزمخشرى فإنه خلط كلامه الغث بالسمين فأطلق القول كما سمعته بالقدح الفاحش فى المتصوفة من غير تحرز منه نسب إليهم مالا يعبأ بمرتكبه ولا يعد فى البهائم فضلا عن خواص البشر ولا يلزم من تسمى طائفة بهذا الاسم غاصبين له من أهله ثم ارتكابهم ما نقل عنهم مما ينافى حال المسمين به حقيقة أن يؤاخذ الصالح بالطالح ولا تزر وازرة وزر أخرى وهذا كما أن علماء الدين قد انتسب إليهم قوم سموا أنفسهم بأهل العدل والتوحيد ثم خلعوا الربقة فجحدوا صفات الله تعالى وقضاءه وقدره وقالوا إن الأمر أنف وجعلوا لأنفسهم شركا فى المخلوقات وفعلوا وصنعوا فلا يسوغ لنا أن نقدح فى علماء أصول الدين مطلقاً لأنهم قد انتسب إليهم من لا حيلة لهم فى نفيه عن التسمى بنعتهم ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولا شك أن فى الناس من أنكر تصور محبة العبد لله إلا بمعنى طاعته له لا غير وهو الذى يحاز إليه الزمخشرى وقد بينا تصور ذلك وأوضحناه والمعترفون بتصور ذلك وثبوته ينسبون المنكرين إلى أنهم جهلوا فأنكروا كما أن الصبى ينكر على من يعتقد أن وراء اللعب لذة من جماع أو غيره والمنهمك فى الشهوات والغرام بالنساء يظن أن ليس وراء ذلك لذة من رياسة أو جاه أو شبه ذلك وكل طائفة تسخر بمن فوقها وتعتقد أنهم مشغولون فى غير شىء قال الغزالى والمحبون لله يقولون لمن أنكر عليهم ذلك إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون

ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ

إذا شرعوا فى أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم فى إنكارهم وصلابتهم فى أمرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئاً قط من لوم أحد من اللوام و (ذلك) إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة (يؤتيه) يوفق له (من يشاء) ممن يعلم أن له لطفاً (واسع) كثير الفواضل والألطاف (عليم) بمن هو من أهلها ▪ عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) ومعنى إنما وجوب اختصاصهم بالموالاة (فإن قلت) قد ذكرت جماعة فهلا قيل إنما أولياؤكم (قلت) أصل الكلام إنما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة ثم نظم فى سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن فى الكلام أصل وتبع وفى قراءة عبد الله إنما مولاكم ▪ (فإن قلت) (الذين يقيمون) ما محله (قلت) الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين يقيمون أو النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا أو واطأت قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مفرطون فى العمل (وهم راكعون) الواو فيه للحال أى يعملون ذلك فى حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها فى حال ركوعهم فى الصلاة وإنها نزلت فى علىّ كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا فى خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته (فإن قلت) كيف صح أن يكون لعلىّ رضى الله عنه واللفظ لفظ جماعة (قلت) جىء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلا واحداً ليرغب الناس فى مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أنّ سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزهم أمر لا يقبل التأخير وهم فى الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها (فإن حزب الله) من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فإنهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا علاما لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم ويحتمل أن يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب ۞ روى أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث كانا قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت ۞ يعنى أنّ اتخاذهم دينكم هزوا ولعباً لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة ۞ وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار وإن كان أهل الكتاب من الكفار إطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة أبى ومن الكفار (واتقوا الله)

۞ قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (قال محمود هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه الخ) قال أحمد ومقابله ۞ قوله تعالى إنّ الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم فوضع الظالمين موضع ضمير الأول ليزيدهم سمة الظلم إلى الخسران

(قوله كأنه كان مرجا فى خنصره) أى قلقا غير ثابت أفاده الصحاح (قوله إن لزهم أمر لا يقبل) لعله لا يفعل

قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ۝ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد

فى موالاة الكفار وغيرها (إن كنتم مؤمنين) حقاً لأن الإيمان حقاً يأبى موالاة أعداء الدين (اتخذوها) الضمير للصلاة أو للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمة بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة فى البيت فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده (لا يعقلون) لأن لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم ۝ قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها (وإن أكثركم فاسقون) (فإن قلت) علام عطف قوله وإن أكثركم فاسقون (قلت) فيه وجوه منها أن يعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان كأنه قيل وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا فى دين الإسلام وأنتم خارجون منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أى واعتقاد أنكم فاسقون ومنها أن يعطف على المجرور أى وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أى وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل كما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا ۝ وروى أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام ما نعلم أهل دين أقل حظاً فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شراً من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وإن أكثركم بالكسر ويحتمل أن ينتصب وإن أكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون أى ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف أى وفسقكم ثابت معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل إلا أن حب الرياسة وكسب الأموال لا يدعكم فتنصفوا (ذلك) إشارة إلى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله و (من لعنه الله) فى محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله تعالى قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار أو فى محل الجر على البدل من شر ۝ وقرئ مثوبة ومثوبة ومثالها مشورة ومشورة (فإن قلت) المثوبة مختصة بالإحسان فكيف جاءت فى الإساءة (قلت) وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله ۝ تحية بينهم ضرب وجيع ۝ ومنه فبشرهم بعذاب أليم (فإن قلت) المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم فى العقوبة (قلت) كان اليهود لعنوا يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة فى الحقيقة واليقين من أهل الإسلام فى زعمكم ودعواكم (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت وفى قراءة أبى وعبدوا الطاغوت على المعنى وعن ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفاً على

۝ قوله تعالى هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت الآية (قال وعبد الطاغوت عطف على صلة من الخ) قال أحمد رحمه الله السؤال يلزم القدرية لأنهم يزعمون أن الله تعالى إنما أراد منهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وأن عبادتهم للطاغوت قبيحة والله تعالى لا يريد القبائح بل تقع فى الوجود على خلاف مشيئته فلذلك يضطر الزمخشرى إلى تأويل الجعل بالخذلان أو بالحكم وكذلك أول

(قوله فلم شورك بينهم فى العقوبة) لعله بينهما أو بينهم وبين المسلمين

دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ۞ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ

القردة وعابدى وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلوّ فى العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ فى الحذر والفطنة قال

ابنى لبينى إن أمكم ۞ أمة وأن أباكمو عبد

وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد وأصله عبدة فحذفت التاء للإضافة أو هو كخدم فى جمع خادم وعبد وعباد وأعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبوداً من دون الله كقولك أمر إذا صار أميراً وعبد الطاغوت بالجر عطفاً على من لعنه الله (فإن قلت) كيف جاز أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه خذلهم حتى عبدوها والثانى أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وقيل الطاغوت العجل لأنه معبود من دون الله ولأن عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه أطاعوا الكهنة وكل من أطاع أحداً فى معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة أصحاب السبت والخنازير كفار أهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير ، وروى أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون ياإخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم (أولئك) الملعونون الممسوخون (شر مكانا) جعلت الشرارة للمكان وهى لأهله وفيه مبالغة ليست فى قولك أولئك شر وأضل لدخوله فى باب الكناية التى هى أخت المجاز نزلت فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يظهرون له الإيمان نفاقا فأخبره الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شىء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك ۞ وقوله بالكفر وبه حالان أى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر ۞ وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضى من الحال ولمعنى آخر وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لإظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا أى قالوا ذلك وهذه حالهم ۞ الإثم الكذب بدليل قوله تعالى عن قولهم الإثم (والعدوان) الظلم وقيل الإثم كلمة الشرك وقولهم

قوله تعالى وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار بمعنى حكمنا عليهم بذلك هذا مقتضى قاعدة القدرية وأما على عقيدة أهل السنة الموحدين حقاً فالآية على ظاهرها والله تعالى هو الذى أشقاهم وخلق فى قلوبهم طاعة الطاغوت وعبادته ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإذا روجع القدرى فى تحقيق الخذلان أو الحكم الذى يستروح إلى التأويل به لم يقدر منه على حقيقة ولم يفسره بغير الخلق إن اعترف بالحق وترك ارتكاب المراء والتذبذب مع الأهواء والله ولى التوفيق ۞ قوله تعالى وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به (قال المجروران حالان أى دخلوا كافرين الخ) قال أحمد وفى تصدير الجملة الثانية بالضمير تأكيد لاتحاد حالهم فى الكفر أى وقد دخلوا بالكفر وخرجوا وهم أولئك على حالهم فى الكفر كما تقول لقيت زيدا بعد عوده من سفره وهو هو أى على حاله وفى المثل وعبد الحميد عبد الحميد أى حالته باقية والله أعلم ۞ قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (قال الإثم الكذب الخ)

(قوله وعبد وعباد وأعبد) لعله بفتح العين وضم الباء كندس أفاده الصحاح (قوله فإن قلت كيف جاز أن يجعل) السؤال مبنى أنه لا يجوز عليه تعالى خلق الشر وهو مذهب المعتزلة أما عند أهل السنة فيجوز كما تقرر فى علم التوحيد

وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ

عزير ابن الله وقيل الإثم مايختص بهم والعدوان مايتعداهم إلى غيرهم * والمسارعة فى الشىء الشروع فيه بسرعة (لبئس ما كانوا يصنعون) كأنهم جعلوا آثم من مرتكبى المناكير لأن كل عامل لايسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرّب وينسب إليه وكان المعنى فى ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التى تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها وأما الذى ينهاه فلا شهوة معه فى فعل غيره فإذا فرط فى الإنكار كان أشدّ حالا من المواقع ولعمرى أنّ هذه الآية مما يفذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى أشدّ آية فى القرآن وعن الضحاك مافى القرآن آية أخوف عندى منها * غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولابسط ولافرق عنده بين هذا الكلام وبين ماوقع مجازا عنه لأنهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى أنه يستعمله فى ملك لايعطى عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لاتصح اليد كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد جعل لبيد للشمال يدا فى قوله * إذ أصبحت بيد الشمال زمامها * ويقال بسط اليأس كفيه فى صدرى فجعلت لليأس الذى هو من المعانى لامن الأعيان كفان ومن لم ينظر فى علم البيان عمى عن تبصر محجة الصواب فى تأويل أمثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عبثَ به (فإن قلت) قد صح أن قولهم (يد الله مغلولة) عبارة عن البخل فما تصنع بقوله (غلت أيديهم) ومن حقه أن يطابق ماتقدمه وإلا تنافر الكلام وزل عن سننه (قلت) يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم ونحوه بيت الأشتر

قال أحمد وقوله عن قولهم الإثم يدل على أنّ الإثم الأوّل مقول فيحتمل أن يكون المراد الكذب مطلقا ويحتمل أن يراد كلمة الشرك واستدلال الزمخشرى على أن المراد الكذب لايتم وإنما يدل على أنه مقول فيحتمل الأمرين والله أعلم عاد كلامه (قال جعلوا آثم من مرتكبى المناكير لأن كل عامل الخ) قال أحمد يعنى أنه لما عبر عن الواقع المذموم من مرتكبى المناكير بالعمل فى قوله لبئس ما كانوا يعملون وعبر عن ترك الإنكار عليهم حيث ذمّه بالصناعة فى قوله لبئس ما كانوا يصنعون كان هذا الذم أشد لأنه جعل المذموم عليه صناعة لهم وللرؤساء وحرفة لازمة لهم فيها أمكن من أصحاب المناكير فى أعمالهم هذا مراده والله أعلم * قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان الآية (قال غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود الخ) قال أحمد والنكتة فى استعمال هذا المجاز تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلزمها غالبا ولاشىء أثبت من الصور الحسية فى الذهن فلما كان الجود والبخل معنيين لايدركان بالحس ويلازمهما صورتان تدركان بالحس وهو بسط اليد للجود وقبضها للبخل عبر عنهما بلازمهما لفائدة الإيضاح والانتقال من المعنويات إلى المحسوسات والله أعلم * عاد كلامه (قال فإن قلت قد صح أن قولهم يد الله مغلولة عبارة عن البخل الخ) قال أحمد لقد نقص فضيلته التى أوردها فى هذا الفصل بما ضمنه هذا السؤال والجواب من القاعدة الفاسدة فى أن الله تعالى يستحيل عليه أن يريد من عباده شيأ مما نعاه عليهم وبنى على ذلك استحالة أن يدعوا عليهم بالبخل لأنه لم يرده منهم ويستحيل أن يريده منهم فوجه هذا النص بالتأويل والتمسك بالأباطيل والحق أنّ الله يدعو عليهم بالبخل ودعاؤه عبارة عن خلقه الشح فى قلوبهم

(قوله مما يفذ السامع) يقذ السامع يعنى يخففه وينشطه وهذا إن كان مشدد الذال من القذ أو يضربه حتى يسترخى ويشرف على الموت وهذا إن كان مخففا من الوقذ (قوله وقعتا متعاقبتين) لعله معاقبتين

يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العدوة والبغضاء إلى يوم القيمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ☆ ولو أن أهل الكتب ءامنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنت النعيم ☆

بقيت وفرى وانحرفت عن العلا ☆ ولقيت أضيافى بوجه عبوس

ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدى حقيقة يغللون فى الدنيا أسارى وفى الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز كما تقول سبنى سب الله دابره أى قطعه لأن السب أصله القطع (فإن قلت) كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد (قلت) المراد به الدعاء بالخذلان الذى تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا إلى بخلهم ونكدا إلى نكدهم أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العاربهم وسوء الأحدوثة التى تخزيهم وتمزق أعراضهم (فإن قلت) لم ثنيت اليد فى قوله تعالى بل يداه مبسوطتان وهى مفردة فى يد الله مغلولة (قلت) ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على اثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه وذلك أن غاية مايبذله السخى بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك ☆ وقرئ ولعنوا بسكون العين وفى مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية شحح وناقة صرح (ينفق كيف يشاء) تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لاينفق إلا على مقتضى الحكمة والمصلحة روى أن الله تبارك وتعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا فلما عصوا الله فى محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى مابسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضى بقوله الآخرون فأشركوا فيه (وليزيدن) يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا فى الجحود وكفروا بآيات الله (وألقينا بينهم العداوة) فكلمهم أبدا مختلف وقلوبهم شتى لايقع اتفاق بينهم ولاتعاضد (كلما أوقدوا نارا) كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الإسلام وهم فى ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومى ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم وعن قتادة رضى الله عنه لاتلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس (ويسعون) ويجتهدون فى الكيد للإسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم (ولو أن أهل الكتاب) مع ماعددنا من سيآتهم

والقبض فى أيديهم فهو الداعى والخالق لاخالق إلا هو يخلق لهم البخل ويتقدس عنه لايسئل عما يفعل وهم يسئلون فليت الزمخشرى لم يتحدث فى تفسير القرآن إلا من حيث علم البيان فإنه فيه أفرس الفرسان لايجارى فى ميدانه ولايمارى فى بيانه ☆ عاد كلامه (قال فإن قلت لم ثنيت اليد فى يداه مبسوطتان وهى مفردة فى قولهم يد الله الخ) قال أحمد ولما كان المعهود فى العطاء أن يكون بإحدى اليدين وهى اليمين وكان الغالب على اليهود لعنت اعتقاد الجسمية جاءت عبارتهم عن اليد الواحدة المألوف منها العطاء فبين الله تعالى كذبهم فى الأمرين فى نسبة البخل وفى اضافته إلى الواحدة تنزيلا منهم على اعتقاد الجسمية بأن ينسب إلى ذاته صفة الكرم المعبر عنها بالبسط وبأن أضافه إلى اليدين جميعا لأن كلتا يديه يمين كما ورد فى الحديث تنبيها على نفى الجسمية إذ لو كانت ثابتة جل الله عنها لكانت إحدى اليدين يمينا والأخرى شمالا ضرورة فلما أثبت أن كلتيهما يمين نفى الجسمية وأضاف الكرم اليهما لا كما يضاف فى الشاهد إلى اليد اليمنى خاصة إذ

(قوله مشية شحح) فى الصحاح الشحشحة الطيران السريع وقطاة شحشح أى سريعة اه فلعل الشحح مثله وفيه أيضا الصرح بالتحريك الخالص من كل شىء

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

(آمنوا) برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وقرنوا إيمانهم بالتقوى التى هى الشريطة فى الفوز بالإيمان (لكفرنا عنهم) تلك السيآت ولم نؤاخذهم بها (ولأدخلناهم) مع المسلمين الجنة وفيه إعلام بعظم معاصى اليهود والنصارى وكثرة سيآتهم ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وأن الإيمان لاينجى ولايسعد إلا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فأين الأطناب (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) أقاموا أحكامهما وحدودهما ومافيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنزل إليهم) من سائر كتب الله لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها فكأنها أنزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة أوجه أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ماتهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ماتساقط على الأرض من تحت أرجلهم (منهم أمة مقتصدة) طائفة حالها أمم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هى الطائفة المؤمنة عبدالله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى و (ساء مايعملون) فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ماأسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه والروم (بلغ ماأنزل إليك) جميع ماأنزل إليك وأىّ شىء أنزل إليك غير مراقب فى تبليغه أحداً ولاخائف أن ينالك مكروه (وإن لم تفعل)

الأخرى شمال وليست محلا للتكرم والله أعلم ۞ قوله تعالى ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم (قال فيه دليل على أن الإيمان لاينجى الخ) قال أحمد هو ينتهز الفرصة من ظاهر هذه الآية فيجعله دليلا على قاعدته فى أن مجرد الإيمان لاينجى من الخلود فى النار حتى ينضاف اليه التقوى لأن الله تعالى جعل المجموع فى هذه الآية شرطا للتكفير ولإدخال الجنة وظاهره أنهما مالم يجتمعا لايوجد تكفير ولادخول الجنة وأنى له ذلك والإجماع والاتفاق من الفريقين أهل السنة والمعتزلة على أن مجرد الإيمان يجب ماقبله ويمحوه كما ورد النص فلو فرضنا موت الداخل فى الإيمان عقيب دخوله فيه لكان كيوم ولدته أمه باتفاق مكفر الخطايا محكوما له بالجنة فدلّ ذلك على أن اجتماع الأمرين ليس بشرط هذا إن كان المراد بالتقوى الأعمال وإن كانت التقوى على أصل وضعها الخوف من الله عزّ وجلّ فهذا المعنى ثابت لكل مؤمن وإن قارف الكبائر وحينئذ لايتم للزمخشرى منه غرض وماهذا إلا إلحاح فى مخالفة المعتقد المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام من قال لاإله إلا الله دخل الجنة وإن زنى أو سرق كررها النبى صلى الله عليه وسلم مرارا ثم قال وإن رغم أنف أبى ذر لما راجعه رضى الله عنه فى ذلك ونحن نقول وإن رغم أنف القدرية ۞ قوله تعالى ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فمابلغت رسالته والله يعصمك من الناس إنّ الله لايهدى القوم الكافرين (قال معناه بلغ غير مراقب فى التبليغ أحداً ولاخائف أن ينالك مكروه وإن لم تفعل معناه وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فمابلغت رسالته فلم تبلغ إذاً ماكلفت من أداء الرسالة ولم تؤدّ منها شيئاً قط وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من البعض فكأنك أغفلت أداءها جميعها كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لإدلاء كل منها بمايدليه غيرها وكونها كذلك فى حكم الشىء الواحد والشىء الواحد لايكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن إلى أن قال فإن قلت وقوع قوله فمابلغت رسالته جزاء للشرط ماوجه صحته قلت فيه وجهان أحدهما أنه إذا لم يمتثل الخ قال أحمد وهذا الاتحاد بين الشرط والجزاء ظاهر لأنّ حاصله إن لم تبلغ الرسالة لم تبلغ الرسالة باتحاد المبتدأ والخبر حتى لايزيد الخبر عليه

(قوله ماتهدل منها من رؤس الشجر) أى استرخى وتدلى أفاده الصحاح (قوله حالها أمم فى عداوة) أى يسير أفاده الصحاح

رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ

وإن لم تبلغ جميعه كما امرتك (فما بلغت رسالته) وقرئ رسالاته فلم تبلغ إذا ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك أن بعضها ليس بأولى بالاداء من بعض وإن لم تؤد بعضها فكأنك اغفلت أداءها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لإدلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها كذلك فى حكم شىء واحد والشىء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن كتمت آية لم تبلغ رسالاتى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله إلىّ إن لم تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت (فإن قلت) وقوع قوله فما بلغت رسالاته جزاء للشرط ما وجه صحته (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه إذا لم يمتثل أمر الله فى تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولا كان أمرا شنيعا لاخفاء بشناعته فقيل إن لم تبلغ منها أدنى شىء وإن كان كلمة واحدة فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذى هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكأنما قتل الناس جميعا والثانى أن يراد فإن لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحى كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام فأوحى الله إلىّ إن لم تبلغ رسالاتى عذبتك (والله يعصمك) عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك فى مراقبتهم (فإن قلت) أين ضمان العصمة وقد شجّ فى وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته صلوات الله عليه (قلت) المراد أنه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس فى ذات الله فما أشد تكليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل نزلت بعد يوم أحد والناس الكفار بدليل قوله (إن الله لا يهدى القوم الكافرين) ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك وعن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم وقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمنى الله من الناس (لستم على شىء) اى على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشىء نريد تحقيره وتصغير شأنه وفى امثالهم أقل من لاشىء (فلا تأس) فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك وفى المؤمنين غنى عنهم (والصابئون) رفع على الابتداء وخبره

شيئا فى الظاهر كقوله * أنا أبو النجم وشعرى شعرى * فجعل الخبر عن المبتدإ بلا مزيد فى اللفظ وأراد وشعرى شعرى المشهور بلاغته والمستفيض فصاحته ولكنه افهم بالسكوت عن هذه الصفات التى بها تحصل الفائدة أنها من لوازم شعره فى أفهام الناس السامعين لاشتهاره بها وأنه غنى عن ذكرها لشهرتها وذياعها وكذلك اريد فى الآية لأن عدم تبليغ الرسالة أمر معلوم عند الناس مستقر فى الأفهام أنه عظيم شنيع ينقم على مرتكبه بل عدم نشر العلم من العالم أمر فظيع فضلا عن كتمان الرسالة من الرسول فاستغنى عن ذكر الزيادات التى يتفاوت بها الشرط والجزاء للصوقها بالجزاء فى الأفهام وإنّ كل من سمع عدم تبليغ الرسالة فهم ما وراءه من الوعيد والتهديد وحسن هذا الأسلوب فى الكتاب العزيز بذكر الشرط عاما بقوله وإن تفعل ولم يقل وإن لم تبلغ الرسالة فما بلغت الرسالة حتى يكون اللفظ متغايرا وهذه المغايرة اللفظية وإن كان المعنى واحدا أحسن رونقا وأظهر طلاوة من تكرار اللفظ الواحد فى الشرط والجزاء وهذه الذروة انحط عنها أبو النجم بذكر المبتدإ بلفظ الخبر وحق له أن تتضاءل فصاحته عند فصاحة المعجز فلا يعاب عليه فى ذلك وهذا الفصل كاللباب من علم البيان والله الموفق * قوله تعالى «إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى» الآية (قال فيه الصابئون رفع على الابتداء وخبره

(قوله بما يدليه غيرها) لعله يدلى به (قوله وكونها كذلك فى حكم شىء) لعله لذلك

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ

محذوف والنية به التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها كأنه قيل إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهدا له وإلا فاعلموا أنا وأنتم * بغاة مابقينا فى شقاق أى فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك (فإن قلت) هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل إن واسمها (قلت) لايصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لاتقول إن زيدا وعمرو منطلقان (فإن قلت) لم لايصح والنية به التأخير فكأنك قلت إن زيدا منطلق وعمرو (قلت) لأنى إذا رفعته رفعته عطفا على محل إن واسمها والعامل فى محلهما هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل فى الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين فى عمله كما تنتظمها إن فى عملها فلو رفعت الصابئون المنوى به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بإن لأعملت فيهما رافعين مختلفين (فإن قلت) فقوله والصابئون معطوف لابد له من معطوف عليه فما هو (قلت) هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا الخ ولا محل لها كما لا محل للتى عطفت عليها (فإن قلت) ماالتقديم والتأخير إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم (قلت) فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين إلا لأنهم صبؤا عن الأديان كلها أى خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين أوغل فى الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذى هو بغاة لئلا يدخل قومه فى البغى قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما (فإن قلت) فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا (قلت) لو قيل هكذا لم يكن من التقديم فى شىء لأنه لاإزالة فيه عن موضعه وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار فى مكانه وبجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض فى الكلام * (فإن قلت) كيف قال الذين آمنوا ثم قال «من آمن» (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه (فإن قلت) مامحل من آمن (قلت) إما الرفع على الابتداء وخبره (فلا خوف عليهم) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هى خبر إن وإما النصب على البدل من اسم إن وماعطف عليه أو من المعطوف عليه * (فإن قلت) فأين الراجع إلى اسم إن (قلت) هو محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء فى موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون وهو من صبوت لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات فى دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع وفى قراءة أبىّ رضى الله عنه والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله ياأيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون (لقد أخذنا) ميثاقهم بالتوحيد (وأرسلنا إليهم رسلا) ليقفوهم على مايأتون وما يذرون فى دينهم (كلما جاءهم رسول) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أى رسول منهم (بما لاتهوى أنفسهم)

محذوف الخ) قال أحمد صدق لاورود للسؤال بهذا التوجيه ولكن ثم سؤال متوجه وهو أن يقال لو عطف الصابئين ونصبه كما قرأ ابن كثير لأفاد أيضا دخولهم فى جملة المتوب عليهم ولفهم من تقديم ذكرهم على النصارى مايفهم من الرفع من أن هؤلاء الصابئين وهم أوغل الناس فى الكفر يتاب عليهم فما الظن بالنصارى ولكان الكلام جملة واحدة بليغا مختصرا والعطف إفرادى فلم عدل إلى الرفع وجعل الكلام جملتين وهل يمتاز بفائدة على النصب والعطف الإفرادى ويجاب عن هذا السؤال بأنه لو نصبه وعطفه لم يكن فيه إفهام خصوصية لهذا الصنف لأن الأصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات وهذا الصنف من جملتها والخبر عنها واحد وأما مع الرفع فينقطع عن العطف الإفرادى وتبقى بقية الأصناف مخصصة بالخبر المعطوف به ويكون خبر هذا الصنف المنفرد بمعزل تقديره مثلا والصابئون كذلك

فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون * لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة

بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع (فإن قلت) أين جواب الشرط فإن قوله (فريقا كذبوا وفريقاً يقتلون) ناب عن الجواب لأن الرسول الواحد لايكون فريقين ولأنه لايحسن أن تقول إن أكرمت أخى أخاك أكرمت (قلت) هو محذوف يدل عليه قوله فريقاً كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم (فإن قلت) لم جيء بأحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا (قلت) جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضاراً لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها * قرئ أن لايكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هى المخففة من الثقيلة أصله أنه لايكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن (فإن قلت) كيف دخل فعل الحسبان على أن التى للتحقيق (قلت) نزل حسبانهم لقوته فى صدورهم منزلة العلم (فإن قلت) فأين مفعولا حسب (قلت) سدمايشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو إسرائيل أنه لايصيبهم من الله فتنة أى بلاء وعذاب فى الدنيا والآخرة (فعموا) عن الدين (وصموا) حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل ف(تاب الله عليهم ثم عموا وصموا) كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول فى صفات الله وهو الرؤية وقرىء عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أى رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك (كثير منهم) بدل من الضمير أو على قولهم أكلونى البراغيث أو هو خبر مبتدإ محذوف أى أولئك كثير منهم * لم يفرق عيسى عليه الصلاة والسلام بينه وبينهم فى أنه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى (إنه من يشرك بالله) فى عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله (فقد حرم الله عليه الجنة) التى هى دار الموحدين أى حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه (وما للظالمين من أنصار)

فيجيء كأنه مقيس على بقية الأصناف وملحق بها وهو بهذه المثابة لأنهم لما استقر بعد الأصناف من قبول التوبة فكانوا أحقاء بجعلهم تبعا وفرعا مشبهين بمن هم أقعد منهم بهذا الخبر وفائدة التقديم على الخبر أن يكون توسط هذا المبتدإ المحذوف الخبر بين الجزئين أدل على الخبر المحذوف من ذكره بعد تقضى الكلام وتمامه والله أعلم * قوله تعالى وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (قال إن قلت أين جواب الشرط الخ) قال أحمد ومما يدل على حذف الجواب أنه جاء ظاهرا فى الآية الأخرى وهى توأمة هذه قوله تعالى «أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون فأوقع قوله استكبرتم جوابا ثم فسر استكبارهم وصنيعهم بالأنبياء بقتل البعض وتكذيب البعض ولو قدر الزمخشرى ههنا الجواب المحذوف مثل المنطوق به فى أخت الآية فقال وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم استكبروا لكان أولى لدلالة مثله عليه * عاد كلامه (قال فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضيا الخ) قال أحمد أو يكون حالا على حقيقته لأنهم داروا حول قتل محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وقد قيل هذا الوجه فى أخت هذه الآية فى البقرة وقد مضى وجه اقتضاء صيغة الفعل المضارع لاستحضاره دون الماضى وتمثيله بقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة فعدل عن فأصبحت إلى فتصبح تصويراً للحال واستحضاراً لها فى

(قوله فى صفات الله وهو الرؤية) أحالتها مذهب المعتزلة وأجازها أهل السنة كما حقق فى محله (قوله إذا ضربته بالنيزك وركبته) النيزك الرمح القصير وهو فارسى معرب أصله نيزه فأبدلت الهاء كافا كذا بهامش وأصله فى الصحاح

وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَٰتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

من كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما يقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر فى الآخرة من عذاب الله ۞ من فى قوله (وما من إله إلا إله واحد) للاستغراق وهى المقدرة مع لا التى لنفى الجنس فى قولك لا إله إلا الله والمعنى وما إله قط فى الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثانى له وهو الله وحده لا شريك له ومن فى قوله (ليمسن الذين كفروا منهم) للبيان كالتى فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان (فإن قلت) فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم (قلت) فى إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهى تكرير الشهادة عليهم بالكفر فى قوله لقد كفر الذين قالوا وفى البيان فائدة أخرى وهى الإعلام فى تفسير والذين كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة (عذاب أليم) أى نوع شديد الألم من العذاب كما تقول أعطنى عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التى يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيراً منهم تابوا من النصرانية (أفلا يتوبون) ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم (والله غفور رحيم) يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول أى ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها أن أبرأ الله الأبرص وأحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق بها البحر وطمس على يد موسى . وإن خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى (وأمه صديقة) أى وما أمه أيضا إلا صديقة كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبى والآخر صحابى فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ۞ ثم صرح بعدهما عما نسب اليهما فى قوله (كانا يأكلان الطعام) لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام (كيف نبين لهم الآيات) أى الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم (إنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله ۞ (فإن قلت) ما معنى التراخى فى قوله ثم انظر (قلت) معناه ما بين العجبين يعنى أنه بين لهم الآيات بيانا عجيباً وأن إعراضهم عنها أعجب

ذهن السامع ومنه بأنى قد لقيت الغول تسعى ۞ بسبب كالصحيفة صحصحان . فأخذه فأضربها فخرت ۞ صريعا لليدين وللجران وأمثاله كثيرة والله أعلم ۞ قوله تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (قال فإن قلت ما معنى التراخى فى قوله ثم انظر الخ) قال أحمد ومنه ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وقوله فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر وهى فى سائر

(قوله على أنهم ظلموا أو عدلوا) لعله على معنى أنهم (قوله وطمس على يد موسى) لعله وطمس على أموال فرعون وقومه على يد الخ (قوله مع شهوة وقرم وغير ذلك) فى الصحاح القرم بالتحريك شدة شهوة اللحم

مَالَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَاتَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۞ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا لَايَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۞ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَاقَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ

منه (مالا يملك) هو عيسى أى شيئا لايستطيع أن يضركم بمثل مايضركم به الله من البلايا والمصائب فى الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ماينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب ولأن كل مايستطيعه البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله وتمكينه فكأنه لايملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لايستطيع ضراً ولانفعا وصفة الرب أن يكون قادراً على كل شىء لايخرج مقدور عن قدرته (والله هو السميع العليم) متعلق بأتعبدون أى أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذى يسمع ماتقولون ويعلم ماتعتقدون أوأتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذى يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك إلاوهو حى قادر (غير الحق) صفة للمصدر أى لاتغلوا فى دينكم غلواً غير الحق أى غلواً باطلا لأن الغلو فى الدين غلوان غلو حق وهوأن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد فى تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه كمايفعل أهل الأهواء والبدع (قدضلوا من قبل) هم أئمتهم فى النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (وأضلوا كثيراً) ممن شايعهم على التثليث (وضلوا) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه ۞ نزّل الله لعنهم فى الزبور (على لسان داود) وفى الإنجيل على لسان عيسى وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا فى السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى عليه السلام بعد المائدة قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ماأكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحداً من العالمين والعنهم كمالعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل مافيهم امرأة ولا صبى (ذلك بما عصوا) أى لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذى كان سبب المسخ إلا لأجل المعصية والاعتداء لالشىء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لايتناهون) لاينهى بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) ثم قال (لبئس ما كانوا يفعلون) للتعجيب من سوء فعلهم مؤكداً

هذه المواضع منقولة من التراخى الزمانى إلى التراخى المعنوى فى المراتب ۞ قوله تعالى ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل (قال معناه لاتغلوا فى دينكم غلواً باطلا الخ) قال أحمد يعنى بأهل العدل والتوحيد المعتزلة ويعنى بغلوهم الذى هو حق عنده أنهم غلوا فى التوحيد فجحدوا الصفات الإلهية وغلوا فى التعديل فنفوا أكثر الأفعال بل كلها عن أن تكون مخلوقة لله تعالى لانطوائها فى مفاسد ولأن الله تعالى يعاقب على ماهو قبيح منها والعدل عندهم أن لايعاقب على فعل خلقه فهذا غلوهم فى التعديل وهوكما ترى أنه كاسد عن التوحيد لأنهم جعلوا كل مخلوق من الحيوانات خالقاً فالنصارى غلوا فأشركوا ثلاثة والمعتزلة كما رأيت أشركوا كل أحد بل غير الآدميين فى الخلق الذى هو خاص بالرب ويعنى الزمخشرى بأهل البدع والأهواء من عدا الطائفة المذكورة ويعنى بغلوّهم الباطل إثبات الصفات لله تعالى وتوحيده على الحق حتى لاخالق سواه ولا مخلوق إلا بقدرته وقد ترضى عن شيعته وإخوانه

(قوله مابين العجبين يعنى أنه بين لهم) لعله مابين العجبين من التفاوت يعنى المعتزلة وقوله أهل الأهواء الخ يعنى مايشمل أهل السنة قوله كمايفعل المتكلمون من أهل العدل مع أنهم أقرب إلى الحق من المعتزلة كمايعلم من علم التوحيد

سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى الْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ۞ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِىِّ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ

لذلك بالقسم فياحسرة على المسلمين فى إعراضهم عن باب التناهى عن المنا كير وقلة عبثهم به كأنه ليس من ملة الإسلام فى شىء مع مايتلون من كلام الله ومافيه من المبالغات فى هذا الباب (فإن قلت) كيف وقع ترك التناهى عن المنكر تفسيراً للمعصية والاعتداء (قلت) من قبل أن الله تعالى أمر بالتناهى فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء لأن فى التناهى حسما للفساد فكان تركه على عكسه (فإن قلت) مامعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهى بعد الفعل (قلت) معناه لايتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله كما ترى أمارات الخوض فى الفسق وآلاته تسوى وتهيا فتنكر ويجوز أن يراد لاينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصبرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه (ترى كثيراً منهم) هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم (أن سخط الله عليهم) هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه قيل لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم) والمعنى موجب سخط الله (ولو كانوا يؤمنون) إيمانا خالصاً غير نفاق ما اتخذوا المشركين (أولياء) يعنى أن موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وأن إيمانهم ليس بإيمان (ولكن كثيراً منهم فاسقون) متمردون فى كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون ۞ وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق ولين عريكة النصارى

وسكت عن ذكر من عداهم ونحن نقول اللهم ارض عمن هو أحق الطوائف برضاك وهذه دعوة أيضا بلا خلاف والله الموفق ۞ قوله تعالى «لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون» (قال إن قلت كيف وقع ترك التناهى الخ) قال أحمد وفى هذا التوبيخ الإخبار بأمرين قبيحين: أحدهما بأنهم كانوا يفعلون المناكر والآخر أنهم كانوا تاركين للنهى عنها أى عن أمثالها فى المستقبل ولولا زيادة فعلوه لما صرح بوقوعها منهم ولكان المصرح به ترك النهى عن المنكر عند استحقاق النهى وذلك حين الإشراف على تعاطيه وظهور الأمارات الدالة عليه فانتظم ثبوت الأمرين جميعاً على أخصر وجه وأبلغه وقد دلت هذه الآية على المذهب الصحيح الأشعرى من أن متعلق النهى فعل وهو الترك خلافا لأبى هاشم المعتزلى فى قوله إن متعلقه نفى محض وعدم صرف ووجه دلالة الآية على أن متعلقه فعل أنه عبر عن ترك التناهى الذى وقع توبيخهم عليه بالفعل حيث قال لبئس ما كانوا يفعلون أى لبئس الترك للتناهى فعلا كما تقول زيد بئس الرجل فتجعل الرجل واقعاً على زيد وقد سمى تركهم للنهى عن المنكر فى الآية السالفة قبل هذه صنعاً فقال «لولا ينهاهم الربانيون والأحبار إلى قوله لبئس ما كانوا يصنعون» وذلك أبلغ فى الدلالة على أن متعلق النهى أمر ثابت إذ الصنع أمكن من الفعل فى الدلالة على الإثبات وقد مر هذا التقرير والله الموفق ۞ قوله تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون (قال محمود وصف الله تعالى شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم الخ) قال أحمد وإنما قال الذين قالوا إنا نصارى ولم يقل النصارى تعريضاً بصلابة اليهود فى الكفر والامتناع من الامتثال للأمر لأن اليهود قيل لهم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فقابلوا ذلك بأن قالوا «فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» والنصارى قالوا «نحن أنصار الله» ومن ثم سموا نصارى وكذلك أيضاً ورد أول هذه السورة «ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به» فأسند ذلك إلى قولهم والإشارة به إلى قولهم نحن أنصار الله لكنه ههنا ذكر تنبيهاً على أنهم لم يثبتوا على الميثاق ولا على

مودة للذين ءامنوا الذين قالوا إنا نصرى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ۝ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا ءامنا فاكتبنا مع الشهدين ۝ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصلحين ۝ فأثبهم

وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ولعمرى إنهم لكذلك وأشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ماخلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله ۝ وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين (بأن منهم قسيسين ورهبانا) أى علماء وعباداً (وأنهم) قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على أن التعلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك غم الآخرة والتحدث بالعاقبة وإن كان في راهب والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني ۝ ووصفهم الله برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو مايحكى عن النجاشي رضى الله عنه أنه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركين لعنوا وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب إليها فقرأها إلى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه إلى قوله وهل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا (فإن قلت) بم تعلقت اللام في قوله (للذين آمنوا) (قلت) بعداوة ومودة على أن عداوة اليهود التى اختصت المؤمنين أشد العداوات وأظهرها وأن مودة النصارى التى اختصت المؤمنين أقرب المودات وأدناها وجوداً وأسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالأشد والأقرب ۝ (فإن قلت) مامعنى قوله (تفيض من الدمع) (قلت) معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع مافيه من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من إقامة المسبب مقام السبب أو قصدت المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أى تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعاً (فإن قلت) أى فرق بين من ومن فى قوله (مما عرفوا من الحق) (قلت) الأولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذى هو ماعرفوا وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف إذا عرفوه كله وقرؤا القرآن وأحاطوا بالسنة ۝ وقرئ ترى أعينهم على البناء للمفعول (ربنا آمنا) المراد به إنشاء الإيمان والدخول فيه (فاكتبنا مع الشاهدين) مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لأنهم وجدوا

ماقالوه من أنهم أنصار الله وفى الآية الثانية ذكر تنبيهاً على أنهم أقرب حالا من اليهود لأنهم لما ورد عليهم الأمر لم يكافحوه بالرد مكافحة اليهود بل قالوا «نحن أنصار الله» واليهود قالت «فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» فهذا سره والله أعلم ۝ عاد كلامه (قال إن قلت مامعنى قوله ترى أعينهم تفيض من الدمع الخ) قال أحمد وهذه العبارة من أبلغ العبارات وأنهاها وهى ثلاث مراتب فالأولى فاض دمع عينه وهذا هو الأصل والثانية محولة من هذه وهى قول القائل فاضت عينه دمعا حولت الفعل إلى العين مجازا ومبالغة ثم نبهت على الأصل والحقيقة بنصب ما كان فاعلا على التميز والثالثة فيها هذا التحويل المذكور وهى الواردة فى الآية إلا أنها أبلغ من الثانية بإطراح المنبهة على الأصل وعدم نصب التميز وإبرازه فى صورة التعليل والله أعلم وإنما كان الكلام مع التعليل أبعد عن الأصل منه مع التميز لأن التميز فى مثله

اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا

ذكرهم فى الإنجيل كذلك (ومالنا لانؤمن بالله) إنكار استبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك أو ارادوا وما لنا لانؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثلثين وذلك ليس بإيمان بالله ومحل لانؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك مالك قائما والواو فى (ونطمع) واو الحال (فإن قلت) ما العامل فى الحال الأولى والثانية (قلت) العامل فى الأولى مافى اللام من معنى الفعل كأنه قيل أى شىء حصل لنا غير مؤمنين وفى الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيداً بالحال الأولى لأنك لو أزلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز أن يكون ونطمع حالا من لانؤمن على أنهم أنكروا على نفوسهم أنهم لايوحدون الله ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين وأن يكون معطوفا على لانؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع فى صحبة الصالحين أوعلى معنى ومالنا لانجمع بينهما بالدخول فى الإسلام لأن الكافر ماينبغى له أن يطمع فى صحبة الصالحين ۞ قرأ الحسن فآتاهم الله (بما قالوا) بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص من قولك هذا قول فلان أى اعتقاده وما يذهب إليه (طيبات ما أحل الله لكم) ماطاب ولذ من الحلال ومعنى لاتحرموا لاتمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهداً منكم وتقشفاً وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة يوما لأصحابه فبالغ وأشبع الكلام فى الإنذار فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لايزالوا صائمين قائمين وأن لايناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم إنى لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإنى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزلت وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال إن المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود أن رجلا قال له إنى حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن أنه دعى إلى طعام ومعه فرقد السنجى وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يافريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لايأكل الفالوذ ويقول لاأؤدى شكره قال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال إنه جاهل إن نعمة الله عليه فى الماء البارد أكثر من نعمته عليه فى الفالوذ وعنه إن الله تعالى أدب عباده فأحسن أدبهم قال الله تعالى لينفق ذوسعة من سعته ماعاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولاعذر قوما زواها عنهم فعصوه (ولاتعتدوا) ولاتتعدوا حدود ما أحل الله لكم إلى ماحرم عليكم أو ولاتسرفوا فى تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهى عن تحريمها دخولا أوليا لوروده على عقبه

قد استقر كونه فاعلا فى الأصل فى مثل تصبب زيد عرقا وتفقأ عمرو شحما واشتعل الرأس شيبا وتفجرت الأرض عيونا فإذا قلت فاضت عينه دمعا فهم هذا الأصل فى العادة فى أمثاله وأما التعليل فلم يعهد فيه ذلك ألاتراك تقول فاضت عينه

(قوله تزهداً منكم وتقشفا) فى الصحاح قشف بالكسر قشفاً إذا لوحته الشمس أو الفقر فتغير والمتقشف الذى يتبلغ بالقوت وبالمرقع (قوله ويلبسوا المسوح ويسيحوا) المسوح أكسية غلاظ تعمل منها الغراير للتبن أفاده الصحاح فى مادة بلس

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۞ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۞ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ

أو أراد ولاتعتدوا بذلك (وكلوا مما رزقكم الله) أى من الوجوه الطيبة التى تسمى رزقا (حلالا) حال مما رزقكم الله (واتقوا الله) تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله (الذى أنتم به مؤمنون) لأنّ الإيمان به يوجب التقوى فى الانتهاء إلى ماأمر به وعما نهى عنه ۞ اللغو فى اليمين الساقط الذى لايتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لاوالله بلى والله وهومذهب الشافعى وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشىء يرى أنه كذلك وليس كما ظن وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله (بما عقدتم الأيمان) بتعقيدكم الإيمان وهو توثيقها بالقصد والنيةوروى أنّ الحسن رضى الله عنهسئل عن لغواليمين وكانعنده الفرزدقفقال ياأباسعيد دعنىأجبعنك فقال

ولست بمأخوذ بلغو تقوله ۞ إذا لم تعمد عاقدات العزائم

وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كانمعلوما عندهم أو بنكث ماعقدتم فحذف المضاف (فكفارته) فكفارة نكثه والكفارةالفعلة التى منشأنها أن تكفر الخطيئة أى تسترها (من أوسط ماتطعمون) من أقصده لأنّمنهم من يسرف فى إطعام أهله ومنهم من يقتر وهو عند أبىحنيفة رحمه الله نصف صاع من برّأوصاع من غيرهلكلمسكين أو يغديهمويعشيهم وعندالشافعى رحمه اللهمدلكل مسكين ۞ وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون الياء والأهالى اسم جمع لأهل كالليالى فى جمع ليلة والأراضى فى جمع أرضوقولهم أهلون كقولهم أرضون بسكون الراء وأماتسكين الياء فى حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معديكرب تشبيها للياء بالألف (أو كسوتهم) عطف على محل منأوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة فى قدوة وأسوة فى أسوة والكسوة ثوب يغطى العورة وعن ابن عباس رضى الله عنه كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر إزار أو قميص أو رداء أو كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليمانى أو كأسوتهم بمعنى أو مثل ماتطعمون أهليكم إسرافا كان أو تقتيرا لاتنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم (فإن قلت) مامحل الكاف (قلت) الرفع تقديره أو طعامهم كأسوتهم بمعنى كمثل طعامهم إن لم يطعموهم الأوسط (أو تحرير رقبة) شرط الشافعى رحمه الله الإيمان قياسا على كفارة القتل وأماأبوحنيفة وأصحابه فقدجوزوا تحريرالرقبة الكافرة فى كل كفارة سوى كفارة القتل (فإن قلت) مامعنى أو (قلت) التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب (فمن لم يجد) إحداها (فصيام ثلاثة أيام) متتابعات عند أبى حنيفة رحمه الله تمسكا بقراءة أبىّ وابن مسعود رضى الله عنهما فصيامثلاثة أيام متتابعاتوعن مجاهد كل صوممتتابع إلا قضاء رمضانويخير فى كفارة اليمين (ذلك)المذكور (كفارة أيمانكم) ولوقيلتلك كفارة أيمانكم لكان صحيحا بمعنى تلكالأشياء أولتأنيثالكفارة والمعنى

من ذكر الله كما تقول فاضت عينه منالدمع فلا يفهم التعليلمايفهم التميز والله الموفق ۞ قوله تعالى ذلك كفارةأيمانكم إذا حلفتم (قال المشار اليه هو المذكور فيماتقدم ولوقيل الخ) قال أحمدبل فى هذه الآية وجه لطيف المأخذ فى الدلالة على صحة وقوع الكفارة بعد اليمين وقبل الحنث وهو المشهور من مذهب مالك وبيان الاستدلال بها أنه جعل مابعد

(قوله على محل من أوسط وقرئ)قديقال هذاإنمايناسب القراءة الآتيةأوكأسوتهمولكن عبارة النسفى عطف على إطعام أو على محل من أوسط ووجهه أنّ من أوسط بدل منإطعام والبدل هو المقصود فى الكلام اه

وَاحْفَظُوا أَيْمَـٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَـٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۞ وَأَطِيعُوا

(إذا حلفتم) وحنثتم) فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث فى الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبى حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعى بالمال إذا لم يعص الحانث (واحفظوا أيمانكم) فبروا فيها ولا تحنثوا أراد الإيمان التى الحنث فيها معصية لأن الإيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها (كذلك) مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) أعلام شريعته وأحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه ۞ أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة بإنما ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلهما رجسا كما قال تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتى منه إلا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادى والتباغض من أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وقوله (فهل أنتم منتهون) من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلى عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى قوله فاجتنبوه (قلت) إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان (فإن قلت) لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولا ثم أفردهما

الحلف ظرفا لوقوع الكفارة المعتبرة شرعا حيث أضاف إذا إلى مجرد الحلف وليس فى الآية إيجاب الكفارة حتى يقال قد اتفق على أنها إنما تجب بالحنث فتعين تقديره مضافا إلى الحلف بل إنما نطقت بشرعية الكفارة ووقوعها على وجه الاعتبار إذ لا يعطى قوله ذلك كفارة أيمانكم إيجابا إنما يعطى صحة واعتبارا والله أعلم وهذا انتصار على من منع التكفير قبل الحنث مطلقا وإن كانت اليمين على برّ والأقوال الثلاثة فى مذهب مالك إلا أن القول المنصور هو المشهور ۞ عاد كلامه (قال واحفظوا أيمانكم أى فبروا فيها الخ) قال أحمد وفى هذه التأويل إشعار بأن الشاك فى صورة اليمين بعد تحقق أصلها يشدد عليه ويؤاخذ بالأحوط فأرشده الله إلى حفظ اليمين لئلا يفضى أمره إلى أن يلزم فى ظاهر الأمر على وجه الاحتياط مالم يصدر منه فى علم الله تعالى كالذى يحلف بالطلاق وينسى هل قيده بالثلاث مثلا أو أطلقه فيلزمه الثلاث على المذهب المشهور ويحتمل أن يكون فى علم الله تعالى أنه إنما حلف بالطلاق مطلقا فأرشد إلى الحفظ لئلا يجره النسيان إلى هذا التشديد والمراد بالأيمان كل ما ينطلق عليه يمين سواء كان حلفا بالله أو بغيره مما يلزم فى الشرع حكما والله أعلم ۞ قوله تعالى إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (قال أكد الله تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها الخ) قال أحمد ويجوز عود الضمير إلى الرجس الذى انطوى على سائر ما ذكر والله أعلم ۞ عاد كلامه (قال فإن قلت لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب الخ) قال أحمد ويرشد إلى أن المقصود الخمر والميسر خاصة لأنهم إنما كانوا يتعاطونهما خاصة الآية الأخرى وهى قوله ۞ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ۞ فخصهما بالذكر ولم يثبت النهى عنهما فلذلك ورد أن قوما

(قوله من أصحاب الخمر والقمر) لعله بين والقمر لعب القمار

اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۞ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ

آخراً (قلت) لأنّ الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أنّ ذلك جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك فوجب اجتنابه بأسره وكأنه لامباينة بين من عبد صنما وأشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمراً أو قامر ثم أفردهما بالذكر ليرى أن المقصود بالذكر الخمر والميسر ۞ وقوله وعن الصلاة اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه قيل وعن الصلاة خصوصا (واحذروا) وكونوا حذرين خاشين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز أن يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر أو في ترك طاعة الله والرسول (فإن توليتم فاعلموا) أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأنّ الرسول ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتم ۞ رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها (إذا ما اتقوا) ما حرّم عليهم منها (وآمنوا) وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه (ثم اتقوا وآمنوا) ثم ثبتوا على التقوى والإيمان (ثم اتقوا وأحسنوا) ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا إلى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يارسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني إنّ المؤمنين لاجناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أنّ أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمداً لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان ومثاله أن يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت أنّ ذلك أمر مباح ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسناً تريد أن زيداً تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ بما فعل ۞ نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لايخافه فيقدم عليه (فمن اعتدى) فصاد (بعد ذلك) الابتلاء فالوعيد لاحق به ۞ (فإن قلت) مامعنى التقليل والتصغير

تركوهما لما فيهما من الإثم وقوماً على تعاطيهما لما فيهما من المنافع ثم نزلت هذه الآية جازمة بالنهي والله أعلم ۞ قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (قال إن قلت مامعنى التقليل والتصغير الخ) قال أحمد وقد وردت هذه الصيغة بعينها في الفتن العظيمة في قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين فلاخفاء في عظم هذه البلايا والمحن التي يستحق الصابر عليها أن يبشر لأنه صبر على عظيم فقول الزمخشري إذاً إنه قلل وصغر تنبيها على أن هذه الفتنة ليست من الفتن العظام مدفوع باستعمالها مع الفتن المتفق على عظمها والظاهر والله أعلم أن المراد بما يشعر به اللفظ من التقليل والتصغير التنبيه على أن جميع مايقع الابتلاء به من هذه البلايا بعض من كل بالنسبة إلى مقدور الله تعالى وأنه تعالى قادر على أن يكون مايبلوهم به من ذلك أعظم مما يقع وأهول وأنه مهما اندفع عنهم عما هو أعظم في المقدور فإنما يدفعه عنهم إلى ماهو أخف وأسهل لطفا بهم ورحمة ليكون هذا التنبيه باعثالهم على الصبر

(قوله رفع الجناح على المؤمنين) لعله عن.

حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة

فى قوله بشىء من الصيد (قلت) قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التى تدحض عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال وإنما هو شبيه بما ابتلى به أهل أيلة من صيد السمك وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشد منه * وقرأ إبراهيم يناله بالياء (حرم) محرمون جمع حرام كردح فى جمع رداح * والتعمد أن يقتله وهو ذاكر لإحرامه أو عالم أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فإذا هو صيد أو قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا فهو مخطئ (فإن قلت) فمحظورات الإحرام يستوى فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا فى الآية (قلت) لأن مورد الآية فيمن تعمد فقد روى أنه عنّ لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولأن الأصل فعل التعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله تعالى ليذوق وبال أمره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا أرى فى الخطإ شيأ أخذا باشتراط العمد فى الآية وعن الحسن روايتان (فجزاء مثل ما قتل) برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند أبى حنيفة قيمة المصيد يقوم حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدى تخير بين أن يهدى من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما أو تصدق به وعند محمد والشافعى رحمهما الله مثله نظيره من النعم فإن لم يوجد له نظير من النعم عدل إلى قول أبى حنيفة رحمه الله * (فإن قلت) فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله (من النعم) وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة (قلت) قد خير من أوجب القيمة بين أن يشترى بها هديا أو طعاما أو يصوم كما خير الله تعالى فى الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة فى أحد وجوه التخيير لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فأهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على أن التخيير الذى فى الآية بين أن يجزى بالهدى أو يكفر بالإطعام أو بالصوم إنما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف إذا قوم ونظر بعد التقويم أى الثلاثة يختار فأما إذا عمد إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فإذا كان شيأ لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الإطعام والصوم ففيه نبو عما فى الآية ألا ترى إلى قوله تعالى أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الأشياء الثلاثة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم * وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الإضافة وأصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه أن يجزى مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ السلمى على الأصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل * وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه (يحكم به) بمثل ما قتل (ذوا عدل منكم) حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة وعن قبيصة أنه أصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم أمره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم أمير المؤمنين حتى سأل غيره فأقبل عليه ضربا بالدرة وقال أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فأنا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل أراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل أراد الإمام (هديا) حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لأن الصفة خصصته فقربته من المعرفة أو بدل عن مثل فيمن نصبه أو عن محله فيمن جره ويجوز أن ينتصب حالا عن الضمير فى به * ووصف هديا بـ (بالغ الكعبة) لأن إضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فأما التصدق به فحيث شئت عند أبى حنيفة وعند الشافعى فى الحرم

وحاملا على الاحتمال والذى يرشد إلى أن هذا مراد أن سبق التوعد بذلك لم يكن إلا ليكونوا متوطنين على ذلك عند وقوعه فيكون أيضا باعثا على تحمله لأن مفاجأة المكروه بغتة أصعب والإنذار به قبل وقوعه مما يسهل موقعه وحاصل ذلك لطف

طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۞ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَادُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا

(فإن قلت) بم يرفع (كفارة) من ينصب جزاء (قلت) يجعلها خبر مبتدإ محذوف كأنه قيل أو الواجب عليه كفارة أويقدر فعليه أن يجزى جزاء أو كفارة فيعطفها على أن يجزى ۞ وقرئ أو كفارة طعام مساكين على الإضافة وهذه الإضافة مبينة كأنه قيل أو كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الأعرج أو كفارة طعام مسكين وإنما وحد لأنه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس ۞ وقرئ أو عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما أن عدل الشيء ماعادله من غير جنسه كالصوم والإطعام وعدله ماعدل به فى المقدار ومنه عدلا الحمل لأن كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحل والحمل و (ذلك) إشارة إلى الطعام (وصياما) تمييز للعدل كقولك لى مثله رجلا والخيار فى ذلك إلى قاتل الصيد عند أبى حنيفة وأبى يوسف وعند محمد إلى الحكمين (ليذوق) متعلق بقوله فجزاء أى فعليه أن يجازى أو يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام ۞ والوبال المكروه والضرر الذى يناله فى العاقبة من عمل سوء لثقله عليه كقوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذى يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عفى الله عما سلف) لكم من الصيد فى حال الإحرام قبل أن تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم فى الجاهلية منه لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما (ومن عاد) إلى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهى (فينتقم الله منه) ينتقم خبر مبتدإ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعنى ينتقم منه فى الآخرة واختلف فى وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح أنه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وأنه لم يذكر الكفارة (صيد البحر) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل (وطعامه) وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع مايصاد فى البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند أبى حنيفة وعند ابن أبى ليلى جميع مايصاد منه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه (متاعا لكم) مفعول له أى أحل لكم تمتيعا لكم وهو فى المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة فى باب الحال لأن قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب يعنى أحل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت فى مسيره إلى الخضر عليهما السلام ۞ وقرئ وطعمه ۞ وصيد البر ماصيد فيه وهو مايفرخ فيه وإن كان يعيش فى الماء فى بعض الأوقات كطير الماء عند أبى حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن أبى هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير أنهم أجازوا للمحرم أكل ماصاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يدل ولم يشر وكذلك ماذبحه قبل إحرامه وهو مذهب

فى القضاء فسبحان اللطيف بعباده ۞ إذا فكر العاقل فيما يبتلى به من أنواع البلايا وجد المندفع عنه منها أكثر إلى مالا يقف عند غاية فنسأل الله العفو والعافية واللطف فى المقدور ۞ قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما (قال اختلف فى المراد بالتحريم الخ) قال أحمد وتخصيص عموم الآية لازم على كلتا الطائفتين لأن مالكا رضى الله عنه يجيز أكل المحرم لصيد البر إذا صاده حلال لنفسه أو لحلال فلا بد إذاً على مذهبه من تخصيص العموم المخصوص غاية ذلك أن صورة

(قوله بجميع مايصاد فى البحر) لعله من (قوله تمتيعا لتنائكم يأكلونه) أى للمتوطنين منكم يقال تنأ بالبلد توطنه فهو تانئ وهم تناء أفاده الصحاح وسيأتى للمفسر فى قوله تعالى قد علم كل أناس مشربهم أن الأناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتؤام ويجوز أن يقال إن الأصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة

اللهَ الَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْىَ وَالْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَـٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ اعْلَمُوٓا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَـٰغُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۞ قُل لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ

أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله وعند مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله لايباح له ماصيد لأجله (فإن قلت) مايصنع أبو حنيفة بعموم قوله صيد البر (قلت) قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) لأن ظاهره أنه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لأنهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ماصدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى «ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم» وقرأ ابن عباس رضى الله عنه وحرم عليكم صيد البر أى الله عزّ وجلّ وقرئ مادمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك (قياما للناس) انتعاشالهم فى أمر دينهم ودنياهم ونهوضا إلى أغراضهم ومقاصدهم فى معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم وعن عطاء بن أبى رباح لو تركوه عاما واحداً لم ينظروا ولم يؤخروا (والشهر الحرام) الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأن لاختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله تعالى وقيل عنى به جنس الأشهر الحرم (والهدى والقلائد) والمقلد منه خصوصا وهو البدن لأن الثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر (ذلك) إشارة إلى جعل الكعبة قياما للناس أو إلى ماذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره (لتعلموا أن الله يعلم) كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وما ينعشكم مما أمركم به وكلفكم (شديد العقاب) لمن انتهك محارمه (غفور رحيم) لمن حافظ عليها (ماعلى الرسول إلا البلاغ) تشديد فى إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من

التخصيص على مذهب أبي حنيفة تكون أكثر منها على مذهب مالك لأنه يجيز أكل ماصاده الحلال من أجل المحرم كما نقله عنه فيزيد على مذهب مالك بهذه الصورة والله أعلم ۞ قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد الآية (قال معنى قياما للناس انتعاشالهم فى أمر دينهم ودنياهم الخ) قال أحمد وفى هذه الآية ما يبعد تأويلين من التأويلات الثلاثة المذكورة فى قوله أول هذه السورة لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد فإن حمل القلائد ثم على ظاهرها وتأويل صرف الإحلال إلى مواقعها من المقلد كقوله ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها يريد مواقع الزينة والنهى عن إحلال القلائد يشبه كأنه قال لاتحلوا قلائدها فضلا عنها متعذر فى هذه الآية لأنها وردت فى سياق الامتنان بما جعله الله قياما للناس من هذه الأمور المعدودة وقد خص المنة بالبدن فى قوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير الآية ولا يليق بسياق الامتنان الخروج من الأعلى إلى الأدنى حتى يقع الامتنان بالمقلد ثم بالقلائد بل ذلك لائق فى سياق النهى أن يخرج من النهى عن الأعلى إلى التشديد بالنهى عن الأدنى وأما التأويل الآخر وهو بقاء القلائد على حقيقتها وصرف الإحلال المنهى عنه اليها حقيقة أى لاتتعرضوا للقلائد ولا تنتفعوا بها كما قال عليه الصلاة والسلام ألق قلائدها فى دمها وخل بين الناس وبينها فتعذر أيضا بما بعد به الذى قبله وأما التأويل الثالث وهو حملها على ذوات القلائد فلائق بالاثنين فيتعين المصير اليه ومن ثم لم يذكر الزمخشرى فى هذه الآية سواه ووجه صلاحيته وظهوره فيهما أن الغرض فى سياق النهى إفراده بالذكر وتخصيصه بالنهى بعد أن اندرج مع غيره فى النهى فكأنه نهى عنه لخصوصيته مرتين والغرض فى سياق الامتنان أيضا ذلك وهو تكرير المنة به مندرجا فى العموم ومخصوصا بالذكر وأيضا فيليق فى الامتنان الترقى من الأدنى إلى الأعلى بخلاف النهى والله أعلم ۞ قوله تعالى «قل لا يستوى الخبيث

وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَـٰأُولِى الْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۞ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَـٰفِرِينَ ۞ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ

التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلاعذر لكم فى التفريط ۞ البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله تعالى وإن كان قريبا عندكم فلاتعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على القليل الطيب فإن ماتتوهمونه فى الكثرة من الفضل لايوازى النقصان فى الخبث وفوات الطيب وهو عام فى حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم (فاتقوا الله) وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وإن كثر ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه المجبرة إذا افتخروا بالكثرة كماقيل وكاثر بسعد إن سعداً كثيرة ۞ ولاترج من سعد وفاء ولانصرا وكماقيل لايدهمنك من دهمائهم عدد ۞ فإن جلهم بل كلهم بقر

وقيل نزلت فى حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عن الإيقاع بهم وإن كانوا مشركين ۞ الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعنى قوله (إن تبدلكم تسؤكم وإن تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) صفة للأشياء والمعنى لاتكثروا مسئلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم إن أفتاكم بها وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ماروى أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال يارسول الله الحج علينا كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مسألته ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وسلم ويحك مايؤمنك أن أقول نعم والله لوقلت نعم لوجبت ولو وجبت مااستطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركونى ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه مااستطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن) وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة فى زمان الوحى وهو مادام الرسول بين أظهركم يوحى إليه ۞ تبدلكم تلك التكاليف الصعبة التى تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها (عفى الله عنها) عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها (والله غفور حليم) لايعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته (فإن قلت) كيف قال لاتسألوا عن أشياء ثم قال (قد سألها) ولم يقل قد سأل عنها (قلت) الضمير فى سألها ليس براجع إلى أشياء حتى تجب تعديته بعن وإنما هو راجع إلى المسألة التى دل عليها لاتسألوا يعنى قد سأل قوم هذه

والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » الآية (قال البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله الخ) قال أحمد رحمه الله وقد ثبت شرعا أن أكثر أهل الجنة من هذه الأمة وقد اعترف القدرية أنهم قليل فيها وشذوذ بالنسبة إلى من عداهم من الطوائف والأمر بهذه المثابة وهم أيضا يعتقدون انهم الفرقة الناجية الموعودون بالجنة لاغيرهم إذ كل من عداهم على طمعهم الفاسد مخلد فى النار مع الكفار فعلى هذا تكون هذه الطائفة الشاذة القليلة أكثر أهل الجنة وحاشا الله أن يستمر ذلك على عقل عاقل محصل مطلع على ماورد فى السنن من الآثار المكافحة لهذا الظن الفاسد بالرد والتكذيب ومن هم المعتزلة حتى يترامى طمعهم على هذا الحد وهذا الاستنباط الذى استنبطه الزمخشرى من أن المراد بالطيب هذا النفر المعتزلى من قبيل القول بأن المراد فى قوله تعالى «لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير» أهل الحديث وأصحاب الرأى يعنى الحقيقة وقد أغلظ فى تفسير هذه الآية على من قال ذلك وعده من البدع وها هو قد ابتدع قريبا منه فى حمله الطيب فى هذه الآية على الفريق المعتزلى بل والله شر أمن تلك المقالة لأنه حمل الخبيث على من عداهم من الطوائف السنية نعوذ بالله من ذلك ونبرأ من تجريه على السلف والخلف

(قوله أن تكفح بها وجوه المجبرة) يعنى أهل السنة وهذا غلو من العلامة فى التعصب للمعتزلة وما كان ينبغى أن يكون منه لعدم الداعى اليه هنا

وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ

المسألة من الأولين (ثم أصبحوا بها) أى بمرجوعها أو بسببها (كافرين) وذلك أن بنى إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا ۞ كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أى شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبداً قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى (ما جعل) ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ۞ ولكنهم بتحريمهم ما حرموا (يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون فى تحريمها كبارهم ۞ الواو فى قوله (أولو كان آباؤهم) واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدى وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة ۞ كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم فى الإسلام فقيل لهم (عليكم أنفسكم) وما كلفتم من إصلاحها والمشى بها فى طرق الهدى (لا يضركم) الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه السقة من الفجور والمعاصى ولا يزال يذكر معايبهم ومنا كيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه . وعن ابن مسعود أنها قرئت عنده فقال إن هذا ليس بزمانها إنها اليوم مقبولة ولكن يوشك أن يأتى زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهى على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فتى قال إذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن أبى ثعلبة الخشنى أنه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيراً سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام وإن من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت عليكم أنفسكم عليكم من أسماء الفعل بمعنى الزموا إصلاح أنفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم أنفسكم بالرفع ۞ وقرئ لا يضركم وفيه وجهان أن يكون خبراً مرفوعا وتنصره قراءة أبى حيوة لا يضيركم وأن يكون جوابا للأمر مجزوما وإنما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة والأصل لا يضرركم ويجوز أن يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ۞ ارتفع اثنان على أنه خبر للمبتدإ الذى هو (شهادة بينكم) على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم أن

(قوله ليس بزمانها أنها اليوم مقبولة) لعل هذا الضمير للنصيحة المفهومة من السياق (قوله لا يضركم وفيه وجهان) يعنى بالرفع وهو يفيد أن القراءة الأصلية بالنصب

مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ۝ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا

يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان وإذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفى إبداله منه دليل على وجوب الوصية وأنها من الأمور اللازمة التى ما ينبغى أن يتهاون بها مسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل (منكم) من أقاربكم و(من غيركم) من الأجانب (إن أنتم ضربتم فى الأرض) يعنى إن وقع الموت فى السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وبما هو أصلح وهم له أنصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمى على المسلم وإنما جازت فى أول الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم فى حال السفر وعن مكحول نسخها قوله تعالى «وأشهدوا ذوى عدل منكم» وروى أنه خرج بديل بن أبى مريم مولى عمرو بن العاصى وكان من المهاجرين مع عدى بن زيد وتميم بن أوس وكانا نصرانيين تجاراً إلى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه فى متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا إناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشاً بالذهب فغيباه فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (تحبسونهما) تقفونهما وتصبرونهما للحلف (من بعد الصلاة) من بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد صلاة العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفى حديث بديل أنها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدىّ وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الإناء بمكة فقالوا إنا اشتريناه من تميم وعدى وقيل هى صلاة أهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر (إن ارتبتم) اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى إن ارتبتم فى شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وإن أريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علىّ رضى الله عنه أنه كان يحلف الشاهد والراوى إذا اتهمهما ۝ والضمير فى (به) للقسم وفى (كان) للمقسم له يعنى لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضاً من الدنيا أى لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريباً منا على معنى أن هذه عادتهم فى صدقهم وأمانتهم أبداً وأنهم داخلون تحت قوله تعالى «كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين» (شهادة الله) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه أن منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا ۝ وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وإدغام نون من فيها كقوله عادلولى (فإن قلت) ما موقع تحبسونهما (قلت) هو استئناف كلام كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل إن ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما (فإن قلت) كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهى مطلقة (قلت) لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها أغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت فى بعض أئمة الفقه إذا صلى أخذ فى الدرس علم أنها صلاة الفجر ويجوز أن تكون اللام للجنس وأن يقصد بالتحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفاً فى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (فإن عثر) فإن اطلع (على أنهما استحقا إثما) أى فعلا ما أوجب إثما واستوجبا أن يقال إنهما لمن

(قوله وبما هو أصلح) لعله وبما هو له أصلح (قوله وتصبرونهما للحلف) أى تحبسونهما أفاده الصحاح (قوله فكيف نعمل إن ارتبناهما) أى اتهمناهما أفاده الصحاح

وَمَا اعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ الظَّـٰلِمِينَ ۞ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَـٰسِقِينَ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ الْغُيُوبِ ۞ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَـٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ

الآثمين (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) أي من الذين استحق عليهم الإثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما وأن شهادتهما أحق من شهادتهما و (الأوليان) الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الأوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان أو من آخران ويجوز أن يرتفعا باستحق أي من الذين استحق عليهم انتداب الأولين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال ۞ وقرئ الأولين على أنه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرئ الأولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الأولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فأنكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهم الشراء (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الأوليان على البناء للفاعل وهم علي وأبيّ وابن عباس (قلت) معناه من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين (ذلك) الذي تقدم من بيان الحكم (أدنى) أن يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان) أن تكر أيمان شهود آخرين بعد إيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل (واسمعوا) سمع إجابة وقبول (يوم يجمع) بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كأنه قيل واتقوا الله يوم جمعه أو ظرف لقوله لا يهدي أي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم أو ينصب على إضمار اذكر أو يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت و (ماذا) منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي إجابة أجبتم ولو أريد الجواب لقيل بماذا أجبتم (فإن قلت) ما معنى سؤالهم (قلت) توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد ۞ (فإن قلت) كيف يقولون (لا علم لنا) وقد علموا بما أجيبوا (قلت) يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء إجابتهم إظهاراً للتشكي واللجإ إلى ربهم في الانتقام منهم وذلك أعظم على الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم إذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائه عليهم ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له أنت أعلم بما فعل بي تفويضا للأمر إلى علم سلطانه واتكالا عليه وإظهارا للشكاية وتعظيما لما حلّ به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون

۞ قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب (قال يوم يجمع بدل من المنصوب الخ) قال أحمد ويكون انتصابه إذاً انتصاب المفعول به لا الظرف على حكم المبدل منه ۞ عاد كلامه (قال أو ظرف لقوله لا يهدي القوم الفاسقين الخ) قال أحمد وهو على هذا أيضا مفعول به ۞ عاد كلامه (قال وماذا منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي إجابة الخ (قال أحمد والتعظيم في هذا نحو التعظيم بالسكوت عن الصلة في مثل ما حصل إلا بعد التي واللتيا ۞ عاد كلامه (قال وقيل من الهول والفزع يذهلون عن الجواب الخ) قال أحمد وأيضا

(قوله وقرئ الأولين) لعله الأولين فليحرر (قوله أن تكر أيمان شهود) في الصحاح الكر الرجوع يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى (قوله إحاطته بما منوا به منهم) أي ابتلوا وفي الصحاح منيته ومنوته إذا ابتليته

إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ۞ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞

عن الجواب ثم يجيبون بعد ماتثوب اليهم عقولهم بالشهادة على أممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لأنك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التى منها إجابة الأمم لرسلهم فكأنه لاعلم لنا إلى جنب علمك وقيل لاعلم لنا بما كان منهم بعدنا وإنما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين ۞ وقرئ علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قدتم بقوله (إنك أنت) أى إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص أو على النداء أو هو صفة لاسم أن (إذ قال الله) بدل من يوم يجمع والمعنى أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وبتعديد ماأظهر على أيديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة أوجاوزوا حد التصديق إلى أن اتخذوهم آلهة كما قال بعض بنى إسرائيل فيما أظهر على يد عيسى عليه السلام من البينات والمعجزات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وأمه إلهين (أيدتك) قويتك وقرئ أيدتك على أفعلتك (بروح القدس) بالكلام الذى يحيا به الدين وإضافة إلى القدس لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام والدليل عليه قوله تعالى (تكلم الناس) و(فى المهد) فى موضع الحال لأن المعنى تكلمهم طفلا (وكهلا) إلا أن فى المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبريل عليه السلام أيد به لتثبيت الحجة (فإن قلت) مامعنى قوله فى المهد وكهلا (قلت) معناه تكلمهم فى هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك فى حين الطفولة وحين الكهولة الذى هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذى يستنبأ فيه الأنبياء (والتوراة والإنجيل) خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب (كهيئة الطير) هيئة مثل هيئة الطير (بإذنى) بتسهيلى (فتنفخ فيها) الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التى كان يخلقها عيسى عليه السلام وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا من نفخه فى شىء وكذلك الضمير فى (فتكون ۞ تخرج الموتى) تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية (وإذ كففت بنى إسرائيل عنك) يعنى اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله تعالى لعيسى اذكر نعمتى عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات (أوحيت إلى الحواريين) أمرتهم على ألسنة الرسل (مسلمون) مخلصون من أسلم وجهه لله (عيسى) فى محل النصب على إتباع حركة الابن كقولك يازيد بن عمرو وهى اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموما كقولك يازيد بن عمرو والدليل عليه قوله

أحار بن عمرو كأنى خمر ۞ ويعدو على المرء مايأتمر

فالمسؤل عنه إجابتهم عند دعائهم إياهم إلى الله لاماحدث بعد ذلك مما لايتعلق به علم الرسل والله أعلم ۞ عاد كلامه (قال وقرئ علام الغيوب بالنصب الخ) قال أحمد ويكون هذا من باب ۞ أنا أبو النجم وشعرى شعرى ۞ وقد مر قبل

(قوله لم تختلف عليه الظواهر) لعله لم تخف أو لم تختف

قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿

لأنّ الترخيم لايكون إلا فى المضموم ﴿ (فإن قلت) كيف قالوا (هل يستطيع ربك) بعد إيمانهم وإخلاصهم (قلت) ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص وإنما حكى ادعاءهم لهما ثم أتبعه قوله إذ قالوا فإذن إنّ دعواهم كانت باطلة وإنهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم ﴿ وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا فى اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ماتشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها (إن كنتم مؤمنين) إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة ﴿ وقرئ هل تستطيع ربك أى هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ﴿ والمائدة الخوان إذا كان عليه الطعام وهى من ماده إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدّم إليه (ونكون عليها من الشاهدين) نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى إسرائيل أو نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على أنّ عليها فى موضع الحال وكانت دعواهم لإرادة ماذكروا كدعواهم الإيمان والإخلاص وإنما سأل عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب (اللهم) أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم و(ربنا) نداء ثان (تكون لنا عيدا) أى يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سروراً وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الأمر ونظيرهما يرثنى ويرثنى (لأولنا وآخرنا) بدل من لنا بتكرير العامل أى لمن فى زماننا من أهل ديننا ولمن يأتى بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم ويجوز للمقدمين منا والأتباع وفى قراءة زيد لأولانا وأخرانا والتأنيث بمعنى الأمة والجماعة (عذابا) بمعنى تعذيباً ﴿ والضمير فى لاأعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب مايعذب به لم يكن بد من الباء وروى أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين

بآيات وإنما ذكرت هذه الثلاثة من الإعراب لالتباسها إلا على الحذاق وقليل ماهم ﴿ قوله تعالى إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك الآية (قال فإن قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم) فى قوله وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (قال قلت ما وصفهم بالإيمان والإخلاص وإنما حكى ادعاءهم لهما الخ) قال أحمد وقيل إنّ معنى هل يستطيع هل يفعل كما تقول للقادر على القيام هل تستطيع أن تقوم مبالغة فى التقاضى ونقل هذا القول عن الحسن فعلى هذا يكون إيمانهم سالما عن قدح الشك فى القدرة فإن استقام التعبير عن الفعل بالاستطاعة فذاك والله أعلم من باب التعبير عن المسبب بالسبب إذ الاستطاعة من جملة أسباب الإيجاد وعلى عكسه التعبير عن إرادة الفعل بالفعل تسمية للسبب الذى هو الإرادة باسم المسبب الذى هو الفعل فى مثل قوله إذا قمتم إلى الصلاة وقدمضى أول السورة وفى هذا التأويل الحسن تعضيد لتأويل أبى حنيفة حيث جعل الطول المانع من نكاح الأمة وجود الحرّة فى العصمة وعدمه أن لا يملك عصمة الحرّة وإن كان قادراً على ذلك فتباح له حينئذ الأمة وحمل قوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات على معنى ومن لم يملك منكم وحمل النكاح على الوطء فجعل استطاعة الملك المنفية هى الملك كما ترى حتى أنّ القادر غير المالك عادم الطول عنده فينكح الأمة وقدمضى ذكر مذهبه وكنت أستبعد إنهاضه لأن يكون تأويلا يحتمله اللفظ ويساعده الاستعمال حتى وقفت على تفسير الحسن

(قوله والمائدة الخوان) فى الصحاح الخوان بالكسر الذى يؤكل عليه معرب وقوله من ماده الذى فى الصحاح ماد الشيء تحرك ومادت الأغصان تمايلت اه

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى

غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليهم ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ماخلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ماسألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال ياسمكة احيى بإذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروى أنهم لما سمعوا بالشريطة وهى قوله تعالى فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه قالوا لانريد فلم تنزل وعن الحسن والله مانزلت ولو نزلت لكان عيداً إلى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت (سبحانك) من أن يكون لك شريك (مايكون لى) ماينبغى لى (أن أقول) قولا لايحق لى أن أقوله (فى نفسى) فى قلبى والمعنى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل (فى نفسك) لقوله فى نفسى (إنك أنت علام الغيوب) تقرير للجملتين معاً لأن ماانطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن مايعلمه علام الغيوب لاينتهى إليه علم أحد ۞ إن فى قوله (أن اعبدوا الله) إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر إما فعل القول وإما فعل الأمر وكلاهما لاوجه له أما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير أن يتوسط بينهما حرف التفسير لاتقول ماقلت لهم إلا أن اعبدوا الله ولكن ماقلت لهم إلا اعبدوا الله وأما فعل الأمر فمسند إلى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربى وربكم لم يستقم لأن الله تعالى لايقول اعبدوا الله ربى وربكم وإن جعلتها

هذا والله أعلم ۞ قوله تعالى ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم (قال إن فى قوله أن اعبدوا إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر الخ) قال أحمد وقد أجاز بعضهم وقوع أن المفسرة بعد لفظ القول ولم يقتصر بها على مافى معناه فيجوز على هذا القول وقوعها تفسيراً لفعل القول وقد أبى الزمخشرى فى مفصله وقوعها إلا بعد فعل فى معنى القول كمذهبه ههنا ۞ عاد كلامه (قال وأما فعل الأمر فمسند إلى ضمير الله عزّ وجلّ الخ) قال أحمد ويجوز أيضاً هذا الوجه على صرف التفسير إلى المعنى كأنه حكى معنى قول الله عزّ وجلّ له بعبارة أخرى وكان الله تعالى قال له مرهم بعبادتى أو قال لهم على لسان عيسى اعبدوا الله رب عيسى وربكم فلما حكاه عيسى عليه السلام قال اعبدوا الله ربى وربكم فكنى عن اسمه الظاهر بضميره كما قال الله تعالى حكاية عن موسى قال علمها عند ربى فى كتاب لايضلّ ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر كيف جاء أول الكلام حكاية لقول موسى وموسى لايقول فأخرجنا ولكن فأخرج الله فلما حكاه الله تعالى عن موسى ردّ الكلام إليه تعالى وأضاف الإخراج إلى ذاته على طريقة المتكلم لا الحاكى وكذلك قوله تعالى ليقولن خلقهن العزيز العليم إلى قوله فأنشرنا به بلدة ميتا ونظائره كثيرة وقد قدمت نحواً من هذا البحث عند قوله تعالى حكاية عن اليهود إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله لما استبعد الزمخشرى أن تصفه اليهود بهذه الصفات

كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

موصولة بالفعل لم تخل من أن تكون بدلا من ماأمرتنى به أو من الهاء فى به وكلاهما غير مستقيم لأن البدل هو الذى يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ماقلت لهم إلا أن أعبدوا الله بمعنى ماقلت لهم إلا عبادته لأن العبادة لاتقال وكذلك إذا جعلته بدلا من الهاء لأنك لو أقمت أن اعبدوا الله مقام الهاء فقلت إلا ما أمرتنى بأن اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته (فإن قلت) فكيف يصنع (قلت) يحمل فعل القول على معناه لأن معنى ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربى وربكم ويجوز أن تكون أن موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة وأنزلت عليهم من البينات وأرسلت إليهم من الرسل (إن تعذبهم فإنهم عبادك) الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك (وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز) القوى القادر على الثواب والعقاب (الحكيم) الذى لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة

المنافية لاعتقادهم فيه ۞ عاد كلامه (قال وإن جعلت أن موصولة مع فعل الأمر الخ) قال أحمد أى فلا يقدر بالعبادة ولكن بالأمر بها كأنه قيل ماقلت لهم إلا الأمر بالعبادة لله والأمر مقول لقلت على أن جعل العبادة مقولة ليس ببعيد على طريقة ثم يعودون لما قالوا أى للوطء الذى قالوا قولا يتعلق به وكقوله تعالى ونرثه مايقول ويأتينا فرداً وسيأتى له تصحيح هذا الاستعمال لوروده كثيراً فى القرآن الكريم ۞ عاد كلامه (قال وكذلك إذا جعلته بدلا من الهاء لأنك الخ) قال أحمد وهذا أيضاً غير مانع من البدل وإنما يواجه المصنف بما لا يسعه إنكاره فقد قال فى مفصله ماهذا نصه وقولهم إن البدل فى حكم تنحية الأول إيذان منهم باستقلاله بنفسه ومفارقته التأكيد والصفة فى كونهما اسمين لما يتبعانه لا أن يعنوا إهدار الأول وإطراحه ألا تراك تقول زيداً رأيت غلامه رجلا صالحا فلو ذهبت إلى إهدار الأول لم يسند كلامك فانظر كيف يرد كلامه فى المفصل وهو الحق ما ارتكبه من رد البدل فى هذه الآية للزوم طرح الأول فتخلو الصلة من الضمير ولم يجعل هذا القدر مانعا فى المثال المذكور مع أنك لو طرحت الأول لخلا الخبر من الضمير العائد ولم يسند الكلام فهذه وجوه أربعة منعها فى إعراب أن وكلها مسندة حسبما بينا وهذه المساجلة فى هذا الإعراب من الغرر والحجول فى صناعة الإعراب وعلم البيان وفرسان هذا المضمار قليل ۞ عاد كلامه (قال فإن قلت كيف يصنع قلت يحمل فعل الخ) قال أحمد هذا التأويل لتوقع أن المفسرة بعد فعل فى معنى القول وليس قولا صريحا وحمل القول على الأمر مما يصحح المذهب الآخر فى إجازة وقوعها بعد القول فإنه لولا مابين القول والأمر من التفاوت المعنوى لما جاز إطلاق أحدهما وإرادة الأخرى والعجب أن الأمر قسم من أقسام القول وما بينهما إلا عموم وخصوص وليس فى هذا التأويل الذى سلكه إلا كلفة لاطائل وراءها ولو كانت العرب تأبى وقوع المفسرة بعد القول لما أوقعتها بعد فعل ليس بقول ثم عبرت عن ذلك الفعل بالقول لأن ذلك كالعود إلى ماوقع الفرار منه وهم بعداء من ذلك ۞ عاد كلامه (قال ويجوز أن تكون موصولة الخ) قال أحمد يريد بجعله عطف بيان أن يسلم من تقدير إطراح الأول فى البدل وخلو الصلة حينئذ من العائد وقد بينا أن ذلك غير لازم فى البدل والعجب أنه أيضا فى مفصله لم يفصل بين عطف البيان والبدل إلا فى مثل قول المرار ۞ أنا ابن التارك البكرى بشر ۞ لأنه لو جعله بدلا للزم تكرير العامل وإضافة اسم الفاعل المعرف بالألف واللام إلى العلم ولم يفصل بينهما فى غير هذا المثال ومن حيث المعنى أن المعتمد فى عطف البيان الأول وأما الثانى فللتوضيح والمعتمد فى البدل الثانى وأما الأول فبساط لذكره لا على أنه مطرح مهدر ۞ قوله تعالى إن تعذبهم

أَبَدًا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ❁ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ❁

وصواب (فإن قلت) المغفرة لاتكون للكفار فكيف قال وإن تغفرلهم (قلت) ماقال إنك تغفرلهم ولكنه بنى الكلام على إن غفرت فقال إن عذبتهم عدلت لأنهم أحقاء بالعذاب وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم فى المغفرة وجه حكمة لأن المغفرة حسنة لكل مجرم فى المعقول بل متى كان الجرم أعظم جرما كان العفو عنه أحسن ❁ قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والإضافة وبالنصب إما على أنه ظرف لقال وإما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذى ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز أن يكون فتحا كقوله تعالى يوم لاتملك لأنه مضاف إلى متمكن وقرأ الأعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لاتجزى نفس ❁ (فإن قلت) مامعنى قوله (ينفع الصادقين صدقهم) إن أريد صدقهم فى الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وإن أريد صدقهم فى الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لأنه فى معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة (قلت) معناه الصدق المستمر بالصادقين فى دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة أما إبليس فقال إن الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه وأما عيسى عليه السلام فكان صادقا فى الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه ❁ (فإن قلت) فى السموات والأرض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن (قلت) مايتناول الأجناس كلها تناولا عاما ألاتراك تقول إذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره فكان أولى بإرادة العموم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

فإنهم عبادك وإن تغفرلهم فإنك أنت العزيز الحكيم (قال إن قلت المغفرة لاتكون للكفار فكيف قال وإن تغفرلهم الخ) قال أحمد رحمه الله تذبذب الزمخشرى فى هذا الموضع فلا إلى أهل السنة ولا إلى القدرية أما أهل السنة فالمغفرة للكافر جائزة عندهم فى حكم الله تعالى عقلا بل عقاب المتقى المخلص كذلك غير ممتنع عقلا من الله تعالى وإذا كان كذلك فهذا الكلام خرج على الجواز العقلى وإن كان السمع ورد بتعذيب الكفار وعدم الغفران لهم إلا أن ورود السمع بذلك لايرفع الجواز العقلى وأما القدرية فيزعمون أن المغفرة للكافر ممتنعة عقلا لاتجوز على الله تعالى لمناقضتها الحكمة فمن ثم كفحتهم هذه الآية بالرد إذ لو كان الأمر كزعمهم لما دخلت كلمة إن المستعملة عند الشك فى وقوع الفعل بعدها لغة فى فعل لاشك فى عدم وقوعه عقلا ولكان ذلك من باب التعليق بالمحال كأن يبيض القار وأشباهه وليس هذا مكانه فقول الزمخشرى إذا إن يغفرلهم لم يعدم وجها من الحكمة فى المغفرة لأن العفو عن المجرم حسن عقلا لايأتلف بقواعد السنة إذ لا يلتفت عندهم إلى التحسين العقلى ولا يأتلف أيضا بنزغات القدرية لأنهم يجزمون بأنه لا وجه من الحكمة فى المغفرة للكافر ويقطعون بمنافاتها الحكمة فكيف يخاطب الله تعالى به فعلم أن عيسى عليه السلام يبرأ إلى الله من هذا الإطلاق ومما اشتمل عليه من سوء الأدب فإن قول القائل لمن يخطبه مافعل كذا فلن يعدم فيه عذرا ووجها من المصلحة كلام مبذول وعبارة نازلة عن أوفى مراتب الأدب إنما يطلقها المتكلم لمن هو دونه عادة فنسأل الله إلهام الأدب وتجنب مافى إساءته من مزلات العطب ❁ قوله تعالى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (قال إن قلت مامعناه إن أريد صدقهم فى الآخرة الخ) قال أحمد ولو أجاب بحمل الصادقين على الدنيا وصدقهم على الآخرة حتى يكون التقدير هذا يوم ينفع الصادقين فى الدنيا صدقهم فى الآخرة لكان أوضح طباقا لتفسير قتادة وأخرج لإبليس وأشباهه من هذا العموم فإن إبليس وإن صدق فى الآخرة إلا أنه لم يكن من الصادقين فى الدنيا فلم ينفعه صدقه فى الآخرة والوجهان متقاربان

(قوله متى كان الجرم أعظم جرما) لعله الجرم

فهرس الجزء الأوّل

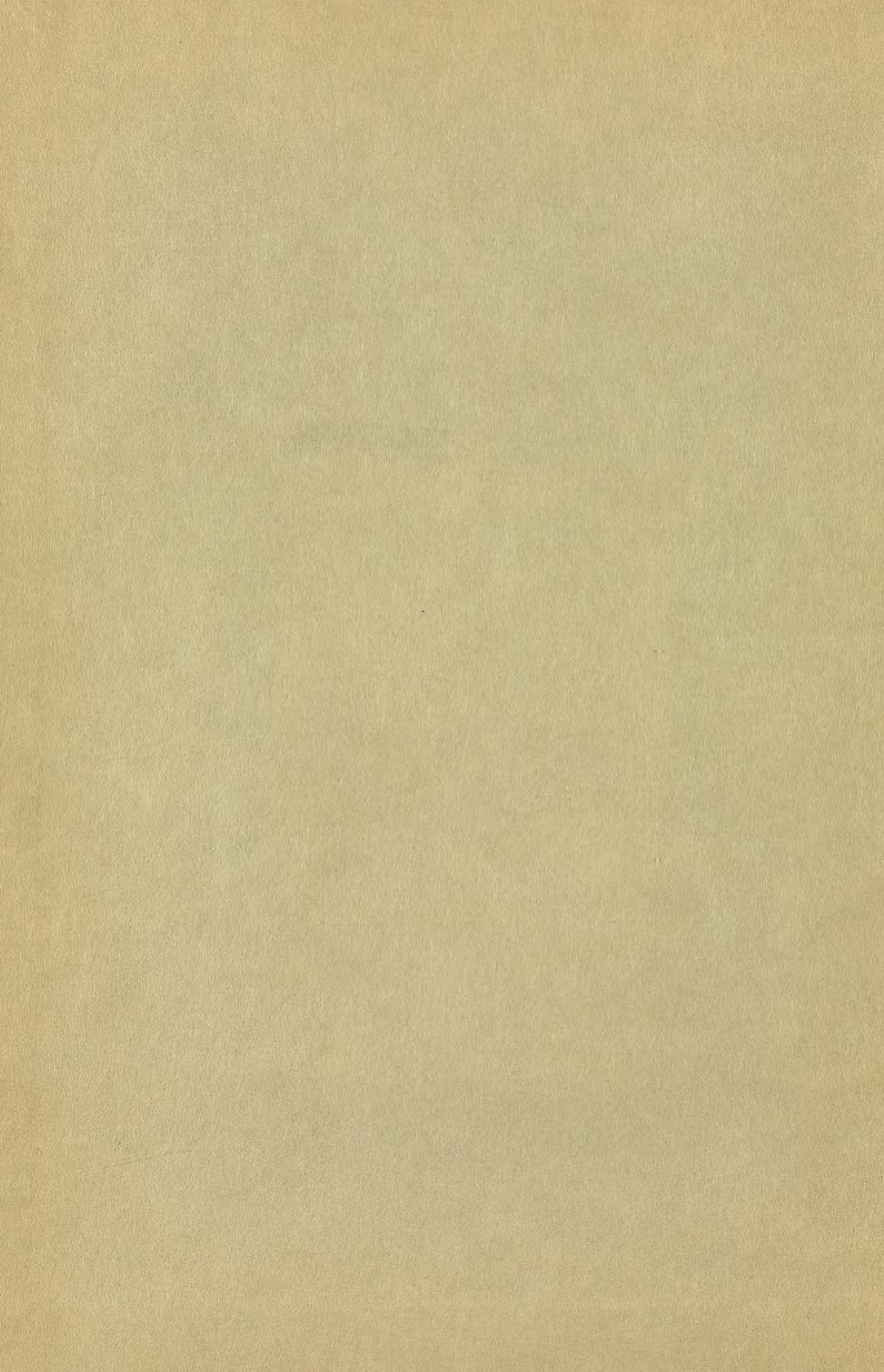
من تفسير الكشاف للزمخشرى

﴿تمّ الجزء الأول ويليه الجزء الثانى﴾

﴿وأوله سورة الأنعام﴾









HSHARĪ

SHSHĀF